سلسلة التنشئة المسيحيّة

المجلّد الثاني
٨-١٤

# كلمة الله المعلنة لنا تبقى إلى الأبد!

(١ بطرس ١/٢٥)

السنة الطقسيّة
٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧

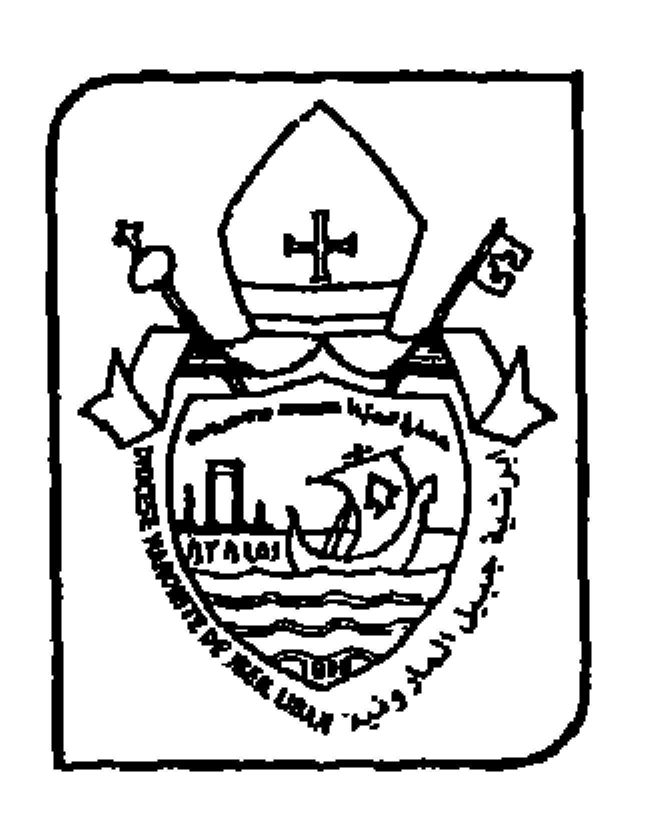
بشاره الراعي
مطران جبيل

منشورات
جامعة سيّدة اللويزة
NDU PRESS

# كلمة الله المعلنة لنا تبقى إلى الأبد!

(١ بطرس ١/٢٥)

المجلّد الثاني



سلسلة التنشئة المسيحيّة

المجلّد الثاني

٨ - ١٤

# كلمة الله المعلنة لنا تبقى إلى الأبد!

(١ بطرس ١/٢٥)

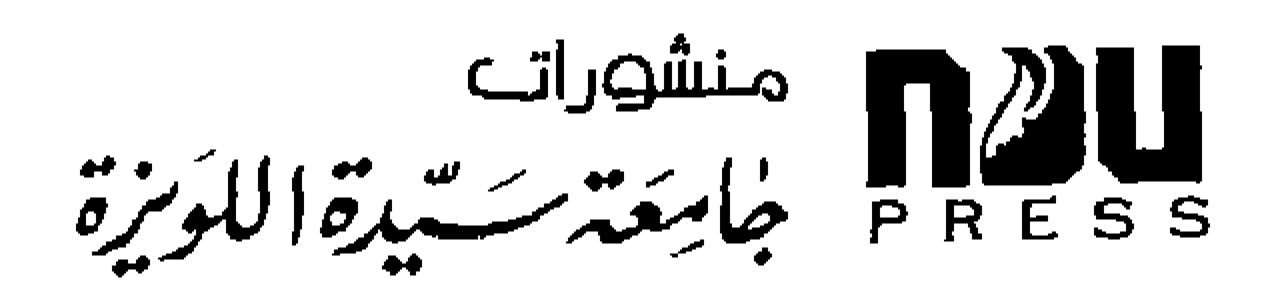
السنة الطقسيّة

٢٠٠٦ - ٢٠٠٧


بشــاره الــراعـي

مطـران جبيـل





# كلمة الله المعلنة لنا تبقى إلى الأبد! (١ بطرس ١/٢٥)

المجلّد الثاني؛ السّنة الطقسيّة ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧

تأليف المطران بشاره الرّاعي

تحرير جورج مغامس

منشورات جامعة سيِّدة اللويزة - الحقوق محفوظة
ص.ب.: ٧٢ زوق مكايل - لبنان
تلفون: ٠٩/٢١٨٩٥٠/١
فاكس: ٠٩/٢١٨٧٧١
www.ndu.edu.lb

الطّبعة الأولى ٢٠٠٧
القياس ١٤,٥ x ٢١,٥ سم
الصفحات ٦١٦
تنفيذ مطابع معوشي وزكريّا

ISBN 978-9953-457-19-2

# المحتوى

## ليملأ سلام المسيح قلوبكم

## ١٠

## السلوك اللائق بإنجيل المسيح

١١

**الإنجيل بشارة أبديّة لسكّان الأرض**

١٢

**نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها**

## ١٣

### فتح أذهانهم ليفهموا الكتب

١٤

**الإنجيل فرح في الرجاء وثبات في الضيق**



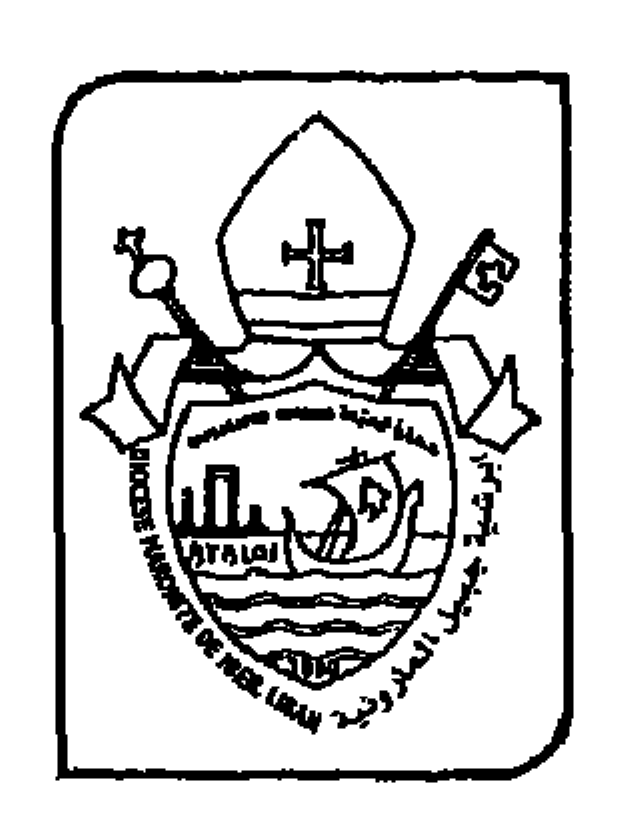
# تقديم

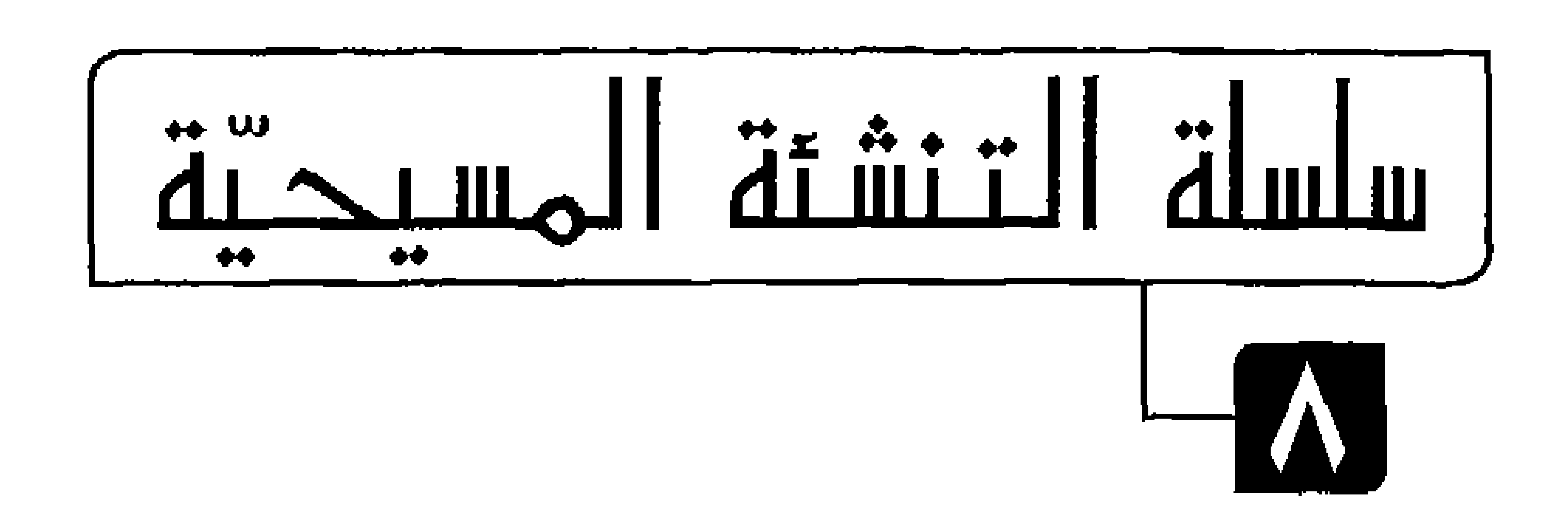
مجتمع اليوم يبحث عن كلام الناس، ولا سيّما "الزعماء"؛ وهو كلام يتبخّر، لأنّه، على ما يبدو، كلام للاستهلاك. لكنّ "كلمة الله المعلنة لنا، في إنجيل يسوع المسيح، تبقى إلى الأبد" (١ بطرس ١/٢٥)، ذلك أنّها "روح وحياة" (يو ٦/٦٣).

هذا المجلّد الثاني من "التنشئة المسيحيّة" (٢٠٠٦ - ٢٠٠٧) يحتوي على الأعداد السبعة (٨ - ١٤). ويظهر لنا جليًّا فيه أنّ "كلمة الله تبقى إلى الأبد"، لأنّها تعلن إنجيل السلام (عدد ٨)، وهو سلام المسيح الذي يملأ القلوب (عدد ٩)، ولأنّها إذا وقعت في قلب الانسان بدّلته وجعلته يسلك سلوكًا لائقًا بإنجيل المسيح (عدد ١٠). ولهذا السبب، أعلن الانجيل بشارة أبديّة لسكّان الأرض (عدد ١١). فلا بدّ من أن يفتح الروح أذهان المؤمنين ليفهموا الكتب (عدد ١٢)، وأن يتمّ إعلان الانجيل للخليقة كلّها (عدد ١٣)، فيعيش جميع الناس فرح الرجاء والثبات في الضيق (عدد ١٤).

نأمل في أن يبحث أهل زماننا عن "كلمة الله، التي تبقى إلى الأبد"، لكي يبنوا حياتهم وعائلاتهم ووطنهم عليها، لأنّها الأساس الذي يمكّن "بيتهم" من الصمود بوجه رياح المصاعب والمحن (راجع متّى ٧/ ٢٤-٢٥).

**+ بشاره الراعي**
مطران جبيل






## إعلان إنجيل السلام

(أفسس ٥/١٦)

# زمن الميلاد المجيد

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧


**بشاره الراعي**

مطران جبيل



NDU PRESS

منشورات جامعة سيّدة اللويزة

# تقديم

في زمن الحروب المتنامية هنا وهناك، وبالرّغم من أنّ العالم أصبح، بفضل وسائل الاعلام والعولمة، قرية صغيرة، فإنّ القلوبَ مع هذا كلّه تتباعد وتتنافر، وتبرز الحاجة الملحّة إلى **"إعلان إنجيل السلام"** (أفسس ٥/١٦).

مع بداية السنة الطقسيّة ٢٠٠٦ - ٢٠٠٧، يظهر العدد الثامن من سلسلة التنشئة المسيحيّة، وفيه شرح الانجيل، ووجوه من القدّيسين الذين تعيّد لهم الكنيسة في الأسبوع السابق لكلّ أحد، وخطّة راعويّة مأخوذة من النصّ الأوّل للمجمع البطريركيّ المارونيّ بعنوان: **"كنيسة الرجاء"**، وفقًا للخطّة الخمسيّة لتطبيق تعليم المجمع وتوصياته.

نأمل في أن تسهم التنشئة المسيحيّة في تهيئة عظة الأحد، وتثقيف أعضاء المنظّمات الرسوليّة وسائر المؤمنين، وتوجيه السهرات أو اللقاءات الانجيليّة. إنّ تثقيف الايمان لدى المؤمنين حاجة ماسّة في عالم اليوم، حيث الجهل الدينيّ متفشّ بسبب حالة العلمنة الروحيّة والخلقيّة والروح الاستهلاكيّة والمادّية.

نرجو أن تدخل التنشئة المسيحيّة إلى العائلة والمجتمع، وتصل إلى المسؤولين المدنيين لكي **"يتنشّط الجميع لاعلان إنجيل السلام"** (أفسس ٥/١٦).

† **بشاره الراعي**
مطران جبيل

# أحد تقديس البيعة

## الحوار ثقافة السلام

من إنجيل القدّيس متّى ١٦/١٣-٢٠

قال متّى الرسول: جاء يسوع إلى نواحي قيصريّة فيليبّس، فسأل تلاميذه قائلاً: «من يقول الناس إنّي أنا ابن الانسان؟». فقالوا: «بعضهم يقولون: يوحنّا المعمدان؛ وآخرون: إيليّا؛ وغيرهم: إرميا أو أحد الأنبياء». قال لهم: «وأنتم من تقولون إنّي أنا؟». فأجاب سمعان بطرس وقال: «أنت هو المسيح ابن الله الحيّ». فأجاب يسوع وقال له: «طوبى لك يا سمعان بن يوناش، لأنّه لا لَحَم ولا دَمَ أظهر لك ذلك، بل أبي الذي في السماوات. وأنا أيضًا أقول لك: أنت هو بطرس، أي الصخرة، وعلى هذه الصخرة سأبني بيعتي، وأبواب الجحيم لن تقوى عليها. سأعطيك مفاتيح ملكوت السماوات، فكلّ ما تربطه على الأرض يكون مربوطًا في السماوات، وما تحلّه على الأرض يكون محلولاً في السماوات». حينئذ أوصى تلاميذه ألاّ يقولوا لأحد إنّه هو المسيح.

***

تبدأ مع هذا الأحد الأوّل من تشرين الثاني **السنة الطقسيّة المارونيّة** مع عيد تقديس البيعة وتجديدها في الأحد الثاني. ثمّ تليهما البشارات وصولاً إلى ميلاد الربّ يسوع. يسمّى هذا القسم الأوّل من السنة الطقسيّة **زمن الميلاد المجيد** أو **زمن المجيء**.

في قيصريّة فيليبّس اعتلن سرّ الكنيسة، على أنّها كنيسة المسيح المبنيّة على صخرة الايمان به، "المسيح ابن اللّه الحيّ"، الصامدة بوجه قوى الشر، والحاملة سلطان الحلّ والربط، على المستوى اللاهوتيّ- التعليميّ، كما وعلى مستوى الولاية التشريعيّة والاجرائيّة والقضائيّة والاداريّة.

## ■ أوّلاً، السنة الطقسية والنص الانجيلي

### ١. السنة الطقسيّة وتقديس البيعة

تشمل **السنة الطقسيّة** ستّة أزمنة: الميلاد المجيد، الدنح أو الغطاس، الصوم الكبير، الآلام والموت والقيامة، العنصرة، الصليب. تسمّى **سنة** لأنّها تدوم ١٢ شهرًا، من أوّل أحد من تشرين الثاني حتّى آخر أحد من تشرين الأوّل؛ وتسمّى "**طقسيّة**" لأنّها ليتورجيّة، أي تدور حول سرّ المسيح، شمس العالم، لتستمدّ منه النور والحرارة والحياة لنفوس المؤمنين، كما تدور الأرض حول الشمس، في السنة الشمسيّة، وتأخذ منها نورها وحرارتها باعثي الحياة في كائناتها.

**السنة الطقسيّة** مجموعة محطّات مقسّمة على الآحاد والأسابيع التالية، وتتناول سرّ المسيح في مختلف أطوار حياته: التجسّد بدءًا من محطّاته الاعداديّة؛ حياته العلنيّة في الصوم وبشارة ملكوت اللّه؛ الفداء وسرّ الفصح بالموت على الصليب والقيامة؛ إرسال الروح القدس على الكنيسة الناشئة وانتشارها، وترقّب عودة المسيح بالمجد في نهاية الأزمنة.

**تقديس البيعة** إعلان ودعوة.

هو **الاعلان** أنّها مقدّسة بالحضور الالهيّ القدّوس فيها، حضور الآب الذي أرادها، والابن الذي قدّم ذاته ذبيحة لتقديسها، والروح القدس الحالّ

فيها ومحييها. في القدّيسين تتلألأ قداستها، وبخاصّة في مريم، سكنى الثالوث التي هي أيقونة الكنيسة الكليّة القداسة. ولئن تألّفت الكنيسة من خطأة، فهي "بدون خطيئة" (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٨٦٧)، وتحمل إلى الخطأة وجميع الناس الخلاص بالمسيح. لقد شبّهها الربّ يسوع بالحقل المزروع فيه الزرع الجيّد، والنابت معه زؤان الخطيئة (متّى ١٣/٢٤-٣٠).

مع الليتورجيّا المارونيّة ننشد اليوم: "طوبى لكِ، أيّتها البيعة، لأنّ صوت الابن فيك يدوّي، وهو يكون لك حارسًا، فلا تتزعزع أساساتك. تبارك الذي ذُبح لأجلك، فوهبك جسده مأكلاً ودمه مشربًا ، غفرانًا لك ولأولادك".

وهو **دعوة** الى المسيحيين للدخول في سرّ الكنيسة الذي يقدّسهم. فالكنيسة هي "**الشركة التي تربط المؤمنين باللّه، وفي ما بينهم**". والشركة حركة ديناميّة ذات بعدين: **بُعد عاموديّ** يستمد منه المؤمنون القداسة من اللّه، **وبُعد أفقيّ** يعكسون به القداسة في القول والعمل والمسلك.

يعلّم المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني أنّ "الكنيسة هي في المسيح بمثابة السّر (sacramentum)، أي العلامة والاداة للاتحاد الصميم باللّه، ولوحدة الجنس البشريّ كلّه" (الدستور العقائديّ في الكنيسة، فقرة ١). ومعلوم أنّ مصير كلّ إنسان يتقرّر في الكنيسة التي فيها يتمّ سرّ اتحاده الشخصيّ بالثالوث الالهيّ وبسائر الناس. ويبدأ هذا الاتحاد في الايمان، ويتجّه إلى اكتماله في كنيسة السماء، بينما هو واقع ناشىء في كنيسة الأرض (مجمع عقيدة الايمان: في مفهوم الشركة، فقرة ٣).

ويلفت المجمع الفاتيكانيّ الثاني إلى "أنّ كنيسة الأرض وكنيسة السماء الغنيّة بالنعم، يجب ألاّ تُعدّا حقيقتين، بل حقيقة واحدة مؤلّفة من عنصرين

بشريّ وإلهيّ، مرتبطين أحدهما بالآخر ارتباطًا وثيقًا" (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٨).

## ٢. حوار المسيح والكنيسة وثقافة الحوار

**"ولمّا أتى يسوع نواحي قيصريّة فيليبّس سأل تلاميذه"** (متّى ١٦/١٣).

يسوع يتّخذ المبادرة الأولى للحوار. فهو "الكلمة – اللّه الذي صار بشرًا وسكن بيننا" (يو ١/١٤)؛ وهو "الكلمة المتكلّمة إلى كلّ إنسان" (القدّيس برنردوس)، بها مباشرة حاور اللّه البشريّة: "بأنواع كثيرة وأشباه شتّى، كلّم اللّه منذ القديم آباءنا بالأنبياء. وفي هذه الأيّام الأخيرة **كلّمنا بابنه** الذي به خلق العالمين.فهو ضياء مجده وصورة جوهره" (عبر ١/١-٣).

كنيسة المسيح، التي تواصل رسالته، هي **كنيسة الحوار**، تستمدّه من أساسه العميق الذي هو حوار اللّه مع البشريّة. الديانة من طبعها علاقة حواريّة بين اللّه والانسان. والصلاة تعبير حواريّ لهذه العلاقة. باشر الوحي الالهيّ العلاقة مع البشريّة، بشكل حوار، حيث كلمة اللّه الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس عبّر عن نفسه بالتجسّد وبكلمة الانجيل. وعندما انقطع الحوار بين اللّه والبشريّة بسبب الخطيئة، استعاده ابن اللّه بالتجسّد والفداء بالشكل الرائع. إنّ تاريخ الخلاص يسرد مراحل هذا الحوار الطويل والمتنوّع، القائم على محبّة اللّه لنا: "هو اللّه أحبّنا أوّلاً" (١ يو ٤/١٠). هذا الحوار أقامه اللّه الآب بواسطة الابن في الروح القدس (البابا بولس السادس: "كنيسته" (١٩٦٤، ٧٢-٧٤).

جرى حوار يسوع مع التلاميذ في نواحي **قيصريّة فيليبّس**. قد يكون يسوع اختار هذا المكان عمدًا لاهميّته. فهو يحمل اسم "**فيليبّس**" ابن الملك هيرودس الكبير، الذي أنشأ القيصريّة، واسم "**القيصر**" امبراطور روما،

فكانت "قيصريّة فيليبّس" التي تقع على المنحدر الجنوبيّ من جبل حرمون حيث ينبع نهر الأردن. كانت المحلّة تدعى كما اليوم بانياس لقربها من معبد "بان"، إله الجبال والرعاة. فيها أقيم هيكل من المرمر على اسم الامبراطور الرومانيّ، فوق المكان الذي ينبع منه الأردن، وسكّانها وثنيّون. وكانت تمارس في مغارتها عبادة جنسيّة، وتقدّم ذبائح الماعز، التي يمتزج دماؤها بالماء. وكانت المغارة ذات فوهة عظيمة، تعلوها سلسلة من الصخور الشاهقة.

هناك أعلن سمعان بطرس أنّ يسوع هو "**المسيح ابن الله الحيّ**"، الملك السماويّ، ملك الملوك، لا "القيصر"؛ وأنّه هو الاله الوحيد الحيّ، لا "بان" الصنم الميت. وهو الذي سبق وقدّس مياه الأردن بنزوله إليها يوم اعتماده من يوحنّا، لا دماء الماعز. وهناك أعلن يسوع سرّ الكنيسة الموكولة إليها رسالة خلاصيّة تشمل جميع شعوب الأرض، بدءًا من الوثنيين، ولا مجال لقوى الشرّ أن تقوى عليها.

بدأ الحوار بسؤال يسوع للتلاميذ عمّا يقول عنه الناس: "من يقول الناس إنّي أنا؟"، ثمّ عمّا يقولون هم: "وأنتم من تقولون أنّي أنا؟" **الحوار يحترم كلّ الآراء**، من أجل الوصول إلى الحقيقة الكاملة. قالوا له ما يقول الناس: "البعض يقول إنّك يوحنّا المعمدان، وآخرون إيليّا، وآخرون إرميا، أو أحد الأنبياء". هذا جواب البشر النابع من اعتقادهم، لكنّه خاطىء موضوعيًّا. كانت عقيدتهم التقمّص، التي تعتبر أنّ الرجال العظام لا ينتهون في التاريخ بموتهم، بل ينبغي أن يتقمّصوا.

لم يلق هذا الجواب ردّة فعل سلبيّة من يسوع: فلا تخوين، ولا رفض، ولا اتّهام. بل وجّه السؤال إليهم، هم الذين اختارهم وأقامهم معه. فكان

الجواب على لسان سمعان بن يونا: "أنت هو المسيح ابن اللّه الحيّ؟" هذا هو الجواب الصحيح: "طوبى لك يا سمعان". إنّه جواب الايمان الموحى من الآب الذي في السماء، لا الآتي من لحم ودم، من البشر ومعتقداتهم. يسوع المسيح يُعرف أوّلاً بالايمان، هذه الفضيلة الالهيّة المعطاة لكلّ إنسان. عندما نقول: "أنا أؤمن" يعني: أنا أعطي قلبي، ثقتي وحبّي، للّه الذي أؤمن به، للحقيقة التي تعلن. فاللفظة اللاتينيّة "credo" مؤلّفة من كلمتين: cor-do أي "أعطي قلبي".

إلى هؤلاء الناس الذين يعرفونه معرفة ناقصة بالتقمّص، وإلى الناس الذين لا يعرفون حتّى اللّه، كالوثنيين الممثّلين في أبناء منطقة قيصريّة فيليبّس، أرسل يسوع التلاميذ ليعلنوا البشارة. ولكن لا قبل آلامه وموته وقيامته: "ثمّ أوصاهم بألاّ يقولوا لأحد أنّه هو المسيح" (متّى ١٦/ ٢٠). ويضيف متّى في إنجيله: "ومذ ذاك بدأ يسوع يبيّن لتلاميذه أنّه مزمع أن يذهب إلى أورشليم، ويتألّم كثيرًا من الشيوخ وعظماء الكهنة والكتبة، ويقتل، وفي اليوم الثالث يقوم" (متّى ١٦/ ٢١).

فالمسيح يعرف فاديًا للانسان ومخلّصًا للعالم، لا إلهًا جبّارًا يسود على الخلق، ولا ملكًا ظافرًا يحطّم الأعداء. إنّ جوهر الألوهة خلق وفداء، رحمة وخلاص. وهذا ما ينبغي أن تتّصف به كلّ أبّوة وأمومة، بل كلّ سلطة وملوكيّة.

كانت نتيجة هذا الحوار دعوة سمعان بن يونا الذي بدّل يسوع اسمه إلى "بطرس" أي "الصخرة" Petros، بالأرامية Kifa وهو اسم غير مألوف؛ والاعلان عن تأسيس الكنيسة: إنّها جماعة المؤمنين، "رعيّة اللّه"، القائمة على "صخرة الايمان بالمسيح ابن اللّه الحيّ". إنّها مثل بيت، هو هيكل اللّه

الروحيّ، المبنيّ على الصخر، فلا تزعزعه قوى الشرّ والموت، ولا تقوى عليه ولا تستطيع هدمه، لأنّ الكنيسة هي "المسيح الكلّي": المسيح ابن اللّه وفادي البشر وجماعة المؤمنين به، الذين تغمرهم محبّة الآب وتحييهم قوّة الروح القدس. لقد تسلّم بطرس، رأس رعاة الكنيسة والأوّل بينهم، "**مفاتيح ملكوت السماء**"، مفاتيح الكنيسة - الشركة ببعديها العاموديّ والأفقيّ، "**ليحلّ ويربط**"، بسلطان التعليم والتقديس والرعاية، تشريعًا وتنفيذًا وقضاءً وإدارة. السلطان عينه تسلّمه الرسل من ربّنا (متّى ١٨/١٨؛ ٢٨/١٦-٢٠)، وهم بدورهم سلّموه إلى خلفائهم، بابا روما خليفة بطرس والأساقفة، وهؤلاء يمارسونه بالتعاون مع الكهنة.

لكنّ الكنيسة، هذه الجماعة البشريّة المنظّمة، هي جماعة روحيّة، يسمّيها بطرس الرسول "بيت اللّه الروحيّ"، ويسمّي المؤمنين "حجارته الحيّة" (١ بطرس ٢/٤-٩). ويكمل بولس الرسول هذا التعليم بالقول إنّ الكنيسة هي: "بيت اللّه"، وأنّ أعضاءها "مبنيّون على أساس الرسل والأنبياء، وأنّ المسيح هو حجر الزاوية، به يشاد البناء كلّه، فيرتفع هيكلاً مقدّسًا بالربّ والمؤمنون يشادون لسكنى اللّه بالروح" (أفسس ٢/٢٠-٢٢).

يذكّرنا الارشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان" أنّ ميزة لبنان **الحوار** على مستويات ثلاثة: **حوار الحياة** الذي يوطّد النسيج الاجتماعيّ من خلال التواصل والتضامن والتعاضد في العمل وفي إحياء الحياة الاجتماعيّة والمدنيّة؛ **والحوار الدينيّ** الذي يعزّز القيم الروحيّة والخلقيّة والاجتماعيّة والثقافيّة لدى الأفراد وفي حياة الجماعة الوطنيّة؛ **وحوار العيش معًا** المعروف **بالحوار الوطنيّ** الذي يقوم على التربية على العيش معًا بالتنشئة في المدارس والمعاهد، وعلى التعارف بشكل أفضل، وقبول التنوّع والاختلاف، وعلى تكثيف التعاون في المجالات الممكنة من أجل الخير

العامّ (فقرة ٩٠-٩٢). ويقوم الحوار الوطنيّ خاصّة على حسن المشاركة السياسيّة في بناء الدولة والوطن، على أساس من التوازن والانصاف والثقة المتبادلة.

### ٣. الكنيسة وثقافة السلام

في قيصريّة فيليبّس أعلن سمعان بطرس أنّ يسوع هو "**المسيح ابن اللّه الحيّ**"، وبكلام آخر أنّه حضور اللّه وسط العالم بكلّ خيراته وبركاته الروحيّة والماديّة التي يغدقها على البشريّة والعالم، وتختصر بكلمة "سلام"، كما تعني لفظة "شالوم" العبريّة. إنّ أوّل مذبح للّه في تاريخ الخلاص ابتناه جدعون وسمّاه "سلام الربّ" (قضاة ٦/٢٤)، ما يعني أنّ السلام لقب جوهريّ من ألقاب اللّه، وقد تجلّى ذلك في نظام الخلق الجميل والمنسجم الذي رآه اللّه الخالق "حسنًا" يومًا بعد يوم (تكوين ١/ ٤ ،١٠،١٢،١٨،٢١،٢٥)، وعندما انتهى من كلّ الخلق، رأى اللّه جميع ما صنعه فإذا هو حسن جدًّا (تك ١/ ٣١).

**السلام** بمفهومه البيبليّ **مشروع بشريّ** موكول من اللّه للبشر بغية إنجازه وفقًا للتصميم الالهيّ، وبالتالي هو عطيّة اللّه للانسان. السلام من هذا المنطلق يقوم على العلاقة الأصليّة بين الكائن البشريّ واللّه، وهي علاقة استقامة، كما أوحاها اللّه لأبرام: "أنا اللّه القدير، أسلك أمامي وكن كاملاً" (تك ١٧/ ١).

إنّ أوّل انتهاك لمشروع السلام كان في مخالفة نظام الخلق الالهيّ بخطيئة الانسان الأوّل: فكان الخلل بين الزوج والزوجة، وامتدّت بينهما أصابع الاتّهام (تك ٣/ ١٢)، وكانت اللعنة على الأرض ومشقّة الانسان وطرده من الجنّة (تك ١٠/١٧-٢٤). وكانت أوّل جريمة قتل بين أخ وأخيه حسدًا، فكانت اللعنة على القاتل وشرّدته على وجه الأرض (تك ٤/١-١٤). وهكذا

دخل العنف وشوّه العلاقات الشخصيّة بدءًا من العائلة، وشوّه العلاقات الاجتماعيّة كما جرى في برج بابل (تك ١١/١-٩).

لا يستطيع السلام والعنف أن يعيشا تحت سقف واحد. وحيث العنف لا يمكن أن يكون اللّه هناك. ولذا، لم يسمح اللّه لداود ببناء بيت للربّ، لأنّ يده ملطّخة بالدماء، بل يبنيه ابنه سليمان، رجل السلام (أخبار ٢٢/٨-١٠).

المسيح "أمير السلام" (أشعيا ٩/٥)، بتأسيسه الكنيسة التي لن تقوى عليها قوى الشر، فيما تعلن إيمانها "بالمسيح ابن اللّه الحيّ"، وتتولّى سلطان الحلّ والربط، إنّما أسند إليها مهمّة تعزيز السلام في العالم. وقد جعل هذه المهمّة جزءًا أساسيًّا من رسالتها التي تواصل بها عمل فداء المسيح على الأرض.

لقد أعلن خادم اللّه البابا يوحنّا بولس الثاني أنّ "الكنيسة في المسيح سرّ (sacramantum)، أي علامة وأداة السلام في العالم ومن أجل العالم" (النداء بمناسبة اليوم العالميّ للسلام ٢٠٠٠، فقرة ٢٠).

وهكذا راحت الكنيسة تعمل على نشر ثقافة السلام وعلى تعزيزه بين الأمم والشعوب، وما زالت تغني المجتمع بتعليمها حول السلام في رسائل البابوات العامّة بشأن العقيدة الاجتماعيّة، وفي نداءاتهم السنويّة بمناسبة اليوم العالميّ للسلام في اليوم الأوّل من كلّ سنة.

## ■ ثانيًا، وجوه عاشت إنجيل الحوار والسلام

تعيّد الكنيسة في الأسبوع السابق لأحد تقديس البيعة تذكار قدّيسين عاشوا إنجيل الحوار والسلام.

### عيد جميع القدّيسين (أوّل تشرين الثاني)

استعدادًا للاحتفال بتقديس البيعة، تستشفع كنيسة الأرض المجاهدة القدّيسين في كنيسة السماء الممجّدة. هؤلاء هم الرسل والشهداء والمعترفون والعذارى والأبرار الذين عاشوا شريعة إنجيل الحوار والسلام مع اللّه والخلق أجمع. وقد جاهدوا الجهاد الحسن وانتصروا على التجارب وفازوا باكليل المجد الأبديّ. إنّهم شفعاؤنا لدى اللّه، وعون لنا في الشدائد والمحن، ومثال لنقتدي بفضائلهم ونسير على خطاهم في إعلان إنجيل الحوار والسلام. إنّنا بتكريمنا إيّاهم نقدّم المجد والشكر للّه الذي قوّاهم بنعمته، وأهّلهم إلى السعادة الخالدة ورفعهم منارة للشعوب.

يلي في اليوم التالي **تذكار الموتى المؤمنين** الذين يشكّلون كنيسة المطهر، ومن أجل هذه تصلّي كنيسة الأرض مستشفعة كنيسة السماء. هذا ما يسمّى **بشركة القدّيسين** الذين يؤلّفون كلّهم جسد يسوع المسيح الواحد، كنيسته الواحدة في مراحلها الثلاث: الأرض والمطهر والسماء. إنّ اتّحاد كنيسة الأرض بكنيسة السماء يتمّ بأوثق وجه في الليتورجيّا، عندما نحتفل مع جميع الملائكة والقدّيسين بتسبيح مجد اللّه وعمله الخلاصيّ (الدستور المجمعيّ في الليتورجيّا، ١٠٤؛ والدستور العقائديّ في الكنيسة، ٥٠-٥١).

### عيد القدّيس جرجس الشهيد (٣ تشرين الثاني)

جرت العادة أن تحتفل بعض الرعايا بعيد القدّيس جرجس الشهيد في ٣ تشرين الثاني وفي ٢٣ نيسان. إنّه من مواليد اللّد بفلسطين سنة ٢٨٠ من أسرة مسيحيّة شريفة. مات شهيد إنجيل الحقيقة وسلامها، إذ حارب تنّين الوثنيّة، وخلّص الكنيسة من أضاليله. إنّه شفيع الكنيسة المجاهدة في سبيل إحلال ملكوت الحقيقة والسلام.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

الكنيسة علامة وأداة الحوار والسلام. **فالحوار** بدأه اللّه مع البشريّة بأنواع شتّى منذ القديم، وأكمله بابنه الوحيد يسوع المسيح (أنظر عبرانيين ١/١-٢). **والسلام** هو اللّه الذي منه كلّ عطيّة صالحة، فقطعه عهدًا مع البشريّة، وأضحى واقعًا في حياتنا هو "المسيح أمير السلام". ولأنّ الكنيسة خادمة السلام، فهي **كنيسة الرجاء**.

تعتمد الخطّة الراعويّة في زمن الميلاد النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، بعنوان: "**كنيسة الرجاء**"، وفقًا للخطّة الخمسيّة التي وضعتها لجنة المتابعة.

**تتدارس الجماعات الرعائيّة هذا النصّ**، أسبوعًا بعد أسبوع، **في محطّاته الثلاث:** مفهوم الرجاء في النصوص الليتورجيّة وبخاصّة في صلاة الفرض الالهيّ، وهواجسه في الواقع الراهن، وآفاقه المستقبليّة. وهي محطّات تختصّ بالجذور (الماضي)، والواقع الراهن (الحاضر)، والانطلاقة الجديدة (المستقبل)، وتشكّل مسار جميع النصوص المجمعيّة في الملفّات الثلاثة. فكان عنوان الملفّ الأوّل: "هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها" (الماضي)، وعنوان الثاني: "التجدّد الراعويّ والروحيّ في هيكليّات الكنيسة المارونيّة" (الحاضر)، وعنوان الثالث: "الكنيسة المارونيّة وعالم اليوم" (المستقبل).

جاء النصّ الأوّل "**كنيسة الرجاء**" بمثابة الروح لكلّ النصوص وللمسيرة المجمعيّة بأكملها، ذلك أنّ الكنيسة بطبيعتها مشدودة إلى الأمام، إلى اكتمال الملكوت الذي دشّنه السيّد المسيح ودعا إلى بنائه في العالم بثبات وثقة بالربّ وبمواعيده، فالمسيح هو رجاؤنا (الفقرة ١ و٢).

بقوّة هذا الرجاء نلتزم معًا في نشر ثقافة السلام وفي بنائه على قاعدة الحقيقة والعدالة، بوجه "ثقافة" الحرب، المتنكّرة لكلّ ما هو حقّ وعدل.

***

## صلاة

في المسيرة المجمعيّة نصلّي لكي نتشارك جميعًا فيها:

"**أيّها الربّ يسوع**، يا من ترافقنا في مسيرتنا المجمعيّة. بارك كنيستنا المارونيّة. وأرسل إلينا روحك القدّوس، ليحلّ في القلب وينير العقول، فنصغي إلى إلهاماته ونعمل بإرشاداته، ونتقبّل تعاليم المجمع البطريركيّ، ونجتهد في تطبيقها، ونعمل على عيشها ونشرها شهادة لإنجيلك وخدمة لملكوتك، لك المجد إلى الأبد، آمين. (الصلاة المجمعيّة).

الأحد ١٢ تشرين الثاني ٢٠٠٦

# أحد تجديد البيعة

## يسوع المسيح المخلّص الوحيد وأمير السلام

من إنجيل القدّيس يوحنّا ١٠/٢٢-٤٢

قال يوحنّا الرسول: حان عيد التجديد في أورشليم، وكان فصل الشتاء. وكان يسوع يتمشّى في الهيكل، في رواق سليمان. فأحاط به اليهود وأخذوا يقولون له: «إلى متى تبقى نفوسنا حائرة؟ إن كنت أنت المسيح، فقله لنا صراحة». أجابهم يسوع: «قلته لكم، لكنّكم لا تؤمنون. الأعمال التي أعملها أنا باسم ابي هي تشهد لي. لكنكم لا تؤمنون، لأنّكم لستم من خرافي. خرافي تسمع صوتي، وأنا أعرفها، وهي تتبعني. وأنا أُعطيها حياة أبديّة، فلن تهلك أبدًا ، ولن يخطفها أحد من يدي. أبي الذي أعطاني إيّاها هو أعظم من الكلّ، ولا يقدر أحد أن يخطفها من يد الآب. أنا والآب واحد». فأخذ اليهود من جديد حجارة ليرجموه. قال لهم يسوع: «أعمالاً حسنة كثيرة أريتكم من عند الآب، فلأيّ عمل منها ترجموني؟». أجابه اليهود: «لا لعمل حسن نرجمك، بل لتجديف. لأنّك، وأنت إنسان، تجعل نفسك إلهًا». أجابهم يسوع: «أما كتب في توراتكم: أنا قلت إنّكم آلهة؟ فاذا كانت التوراة تدعو آلهة أولئك الذين صارت إليهم كلمة اللّه، ولا يمكن أن ينقض الكتاب، فكيف تقولون لي، أنا الذي قدّسه الآب وأرسله إلى العالم: أنت تجدّف؛ لأنّي قلت: أنا ابن اللّه؟ أن كنت لا أعمل أعمال أبي، فلا تصدّقوني، أمّا إذا كنت أعملها، وإن كنتم لا تصدّقوني، فصدّقوا هذه الأعمال، لكي تعرفوا وتؤمنوا أنّ الآب فيّ وأنّي في الآب». فحاولوا من جديد أن يقبضوا عليه، فأفلت من يدهم. وعاد يسوع إلى عبر الأردن، إلى حيث كان يوحنّا يُعمد

من قبل، فأقام هناك. وأتى إليه كثيرون وكانوا يقولون: «لم يصنع يوحنّا أي آية، ولكن، كلّ ما قاله في هذا الرجل كان حقًا». فآمن به هناك كثيرون.

***

يسوع المسيح موضوع إيمان لا جدال. في هذا الأحد الثاني من بداية السنة الطقسيّة الجديدة، الكنيسة تجدّد إيمانها بيسوع المسيح وتعلنه للعالم فاديًا وحيدًا، ومخلصًا وحيدًا للجنس البشريّ. وفيما اليهود يجادلونه ويماحكونه ويحاولون بشتّى الطرق إلغاءه، يعلن عن حقيقة نفسه أنّه المسيح: راعي الخراف، وابن اللّه المرسل من الآب إلى العالم، ليقود الناس إلى اللّه.

## ■ أوّلاً، مضامين النصّ الانجيليّ

### ١ . الكنيسة تجدّد إيمانها بالمسيح الاله- الانسان

في بداية السنة الطقسيّة تجدّد الكنيسة، بأبنائها ومؤسّساتها، إيمانها بالمسيح "شمس" العالم الذي تدور حوله مثل الأرض حول الشمس، أحدًا بعد أحد وأسبوعًا بعد أسبوع، لتستمدّ منه نور الكلمة وحياة النعمة وحرارة المحبّة.

تجديد البيعة يعني إعلان جديد لسرّ المسيح، معروف في اليونانيّة واللاتينيّة بلفظة Kerygma، الذي ينكشف فيه سرّ اللّه الواحد في الطبيعة والمثلّث الأقانيم: الآب الخالق مصدر المحبّة الشاملة لجميع البشر، والابن الفادي مصدر النعمة التي تفتدي وتخلّص كلّ إنسان، والروح القدس المحيي مصدر الحياة الالهيّة في الانسان. في ضوء سرّ المسيح تعلن الكنيسة سرّ الانسان المخلوق على صورة اللّه، والمفتدى بدم المسيح،

والصائر هيكل الروح القدس، والمدعوّ ليكون شريك اللّه في صنع التاريخ، وبالتالي صاحب كرامة وقدسيّة ومصير نهيويّ خالد.

يعني **تجديد البيعة** أيضًا التعمّق اللاهوتيّ في إيماننا المسيحيّ، لكي نتمكّن من تقديمه للانسان المعاصر، في أيّ حالة كان، أفي المدينة التي تبهره بتكنوليوجيّتها، أو تحجّمه في ضخامتها، أو تحجبه في ضاحيتها، أم في الريف الذي يقدّم له البساطة والقناعة أو يحدّ من تطلّعاته وآماله أو يزيده شوقًا إلى الهجرة نحو آفاق جديدة. تتعمّق الكنيسة في إيمانها لتعلنه للفقير والغنيّ، لصاحب السلطة وللمواطنين، للمريض والمعاق والعجوز، كما وللطفل والشاب، للسجين والمعتقل. **إنّها ترفق إعلان الايمان** بالحوار الصادق وشهادة المحبّة. وتجسّده في الواقع بتعزيز ثقافة السلام من خلال التضامن الفعّال تجاه الفقراء والمتألّمين، والتعاون في تأمين حياة لائقة لجميع الناس والشعوب.

**"إلى متى تريب نفوسنا؟ فأنْ كنت أنت المسيح، فقله لنا علانية"** (يو ١٠/٢٤).

هذا السؤال الذي طرحه اليهود على يسوع، يُطرح كلّ يوم. فالانسان يبحث عن خلاصه الروحيّ والماديّ، الثقافيّ والاجتماعيّ، السياسيّ والاقتصاديّ. أمّا المخلّص الوحيد فهو يسوع المسيح "ابن اللّه الذي تجسّد من أجلنا ومن أجل خلاصنا وافتدانا بآلامه وموته وقيامته وصعوده إلى السماء"، كما نعلن في قانون الايمان، وهو **"الذي قدّسه اللّه وأرسله إلى العالم"** (يو ١٠/٣٦).

بدأ المسيح خلاص العالم، **ويواصل** هذا الخلاص بكلّ أبعاده من خلال

الكنيسة "أداة الخلاص الشامل" (القرار في نشاط الكنيسة الارساليّ، ١)، ومن خلال الارادات الطيّبة التي تنفتح للكلمة الالهيّة ولعمل الروح القدس.

الانسان لا يصنع الخلاص، بل يساهم ويعاون فيه. الخلاص هو من اللّه وحده، بنعمة المسيح وقوّة الروح القدس. كلّ إنسان مدعوّ، بحكم موقعه وحالته ومسؤوليّته، ليشارك في عمل الخلاص النابع من سرّ المسيح، مهما حاول الأعداء صدّه، كما فعل اليهود مع يسوع: "أخذوا حجارة ليرجموه"، واتّهموه بالتجديف: "نرجمك بسبب التجديف، لأنّك، وأنت إنسان، تجعل نفسك إلهًا"، و"حاولوا مرّة ثانية أن يعتقلوه" (يو ١٠/ ٣٠ و٣٣ و٣٩).

بالحقيقة **يسوع هو إنسان** حقيقيّ مثلنا. إنسان بجسد ونفس، شبيه بنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة، بخلاف سائر الناس جميعًا، كما نقول في نافور القدّاس: "واحد ظهر على الأرض بدون خطيئة هو ربّنا والهنا يسوع المسيح". لم يكن تحت ناموس الخطيئة، بل كان منفتحًا في كلّ كيانه على إرادة الآب وعلى خدمة الناس. وقد قال عن نفسه إنّه "لم يأت ليُخدم بل ليَخدم" (مر ١٠/ ٤٥). **إنّه الانسان من أجل سائر الناس** الذي، بطاعته للآب، بذل حياته عن الكثيرين.

لكنّ يسوع **هو إله حقّ**، ابن اللّه الذي تجسّد، آخذًا لحمًا ودمًا بشريين، ليفتدينا ببشريّته، ويفتدي بشريّتنا. فاللّه، في يسوع المسيح، اتّخذ كلّ ما هو بشريّ وقدّسه. ليس الخلاص خلاصًا روحيًّا للنفس وحسب، بل يهدف إلى خلاص الانسان في كلّ كيانه. هذا ما نعلنه في نافور القدّاس: "وحّدت يا ربّ لاهوتك بناسوتنا، وناسوتنا بلاهوتك، حياتك بموتنا وموتنا بحياتك، أخذت ما لنا وأعطيتنا ما لك، لتحيينا وتخلّصنا، لك المجد إلى الأبد". وبذلك تتمّ الكلمة المكتوبة: "أنا قلت أنّكم آلهة" (يو ١٠/ ٣٤).

كما انكر اليهود الوهة يسوع، كذلك **انكر آخرون بشريته** بالمقابل. فقامت اضاليل، وما زالت الى اليوم، تعلن ان يسوع لم يكن له سوى جسد في الظاهر، وأنه لم يتألم إلاّ في الظاهر. اذأك تتحول كل الحقائق في المسيحية الى امور ظاهرية (المسيحية في عقائدها، سنة ١٩٨٨، ص ١٧٨-١٧٩).

إذا كان باستطاعة يسوع المسيح أن يفتدينا، فما ذلك إلاّ لأنّه ليس إلهًا حقًّا وحسب، بل لأنّه أيضًا إنسان حقيقيّ (المرجع نفسه، صفحة ١٨٠).

### ٢. يسوع راعي النفوس

**"خرافي تعرفني وتسمع صوتي وتتبعني، وأنا أعطيها الحياة الأبديّة، فلا تهلك أبدًا"** (يو ١٠/٢٧-٢٨).

بهذه الصورة يكشف يسوع عن جوهر "مسيحانيّته". فالمسيح هو **"راعي شعب اللّه"**، بالمفهوم الذي سبق ووصفه في إنجيل يوحنّا (١٠/١-١٦): إنّه يبذل نفسه من أجل جميع الناس، خلافًا عن الأجير الذي يترك الخراف عندما يرى الذئب مقبلاً؛ إنّه يعرف الخراف، والخراف تعرفه، فهو على علاقة شخصيّة مع كلّ إنسان، علاقة معرفة وحبّ وبذل ذات؛ إنّه يعطي الخراف الحياة، ويعطيها وافرة، فيما السارق، الذي يدخل الحظيرة، لا من بابها بل يتسلّق من مكان آخر، إنّما يأتي ليسرق ويقتل ويبدّد. إنّه "الراعي الصالح" المرسل من الآب إلى خرافه، كما وعد على لسان حزقيال النبيّ: "وأقيم على خرافي راعيًا، فيسكنون آمنين" (حز ٣٤/٢٣ و٢٥).

يسوع الراعي الصالح **قدوة لكلّ مسؤول في الكنيسة والمجتمع**. فالشعب، هو "شعب اللّه"، ولا يحقّ لأيّ مسؤول، روحيّ أو زمنيّ، أن يتعاطى مع الشعب، الذي أقيم من أجله للخير العامّ، بمعزل عن ارادة اللّه ومقاصده. اللّه هو الراعي لشعبه، على ما يقول أشعيا النبيّ: هوذا السيّد

الربّ يرعى قطيعه كالراعي، يجمع الخراف بذراعه، ويحملها في حضنه، ويسوق المرضعات رويدًا" (اش ٤٠/١١). واللّه يكل رعاية شعبه إلى المسؤولين، في الكنيسة والمجتمع، كما نبّه يسوع بيلاطس. فلمّا قال له هذا الأخير: "أفلست تعلم أنّ لي سلطانًا على أن أخلي سبيلك، وسلطانًا على أن اصلبك؟"، أجاب يسوع: "لو لم تعطَ السلطان من علُ، لما كان لك عليّ من سلطان" (يو ١٩/١٠-١١). لكنّ كثيرين من المسؤولين أساؤوا الأمانة، فندّد اللّه بهم على لسان إرميا: "لقد فقد الرعاة حسّهم، ولم يلتمسوا الربّ، فتشتّتت رعيّتهم" (١٠/١٢)، وعلى لسان حزقيال: "إنّهم يرعون نفوسهم لا الخراف، ويتسلّطون عليها بقسوة وقهر، فأصبحت مشتّتة من غير راعٍ، وصارت مأكلاً لجميع وحوش الحقول، وتاهت في الجبال وعلى التلال" (حز ٣٤/٢-٥).

### ٣. ثقافة السلام

**"حاولوا أن يمسكوا يسوع، فخرج من بينهم ومضى"** (يو ١٠/٣٩).

يسوع ملك السلام علّم تلاميذه، ويعلّمنا: "أيّ بيت دخلتموه، فقولوا أوّلاً السلام لهذا البيت. إن كان هناك ابن سلام يستقرّ سلامكم عليه، وإلاّ يرتدّ إليكم" (لو ١٠/٥-٦). هذا ما فعله مع اليهود عندما رفضوا سلامه، وحاولوا أن يلقوا عليه الأيدي، فتوارى من بينهم، من دون مواجهة ومماحكة وسجالات. لقد رفضوا حقيقة اللّه الظاهرة في شخص المسيح وأعماله.

ندرك من هذا الحديث أنّ **سلام المسيح** هو قبل كلّ شيء مصالحة مع الآب، ثمّ مصالحة مع الاخوة. فقد علّمنا في صلاة الأبانا، أن نجمع الغفران المطلوب من اللّه إلى غفراننا لاخوتنا: "إغفر لنا خطايانا كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا" (متّى ٦/١٢). بهذه المصالحة المزدوجة، يصبح الانسان فاعل

سلام وشريكًا في ملكوت اللّه، حسب وعد المسيح في إنجيل التطويبات، دستور الحياة المسيحيّة: "طوبى لفاعلي السلام، فإنّهم أبناء اللّه يدعون" (متّى ٥/٩).

المسيح الفادي والراعي الصالح هو "سلامنا" (أفسس ٢/١٤) الذي يجمع الأبعدين والأقربين. إلى "**ثقافة السلام**" هذه التي تجمع ولا تبدّد دعانا لننتمي: "من ليس معي فهو عليّ، ومن لا يجمع معي فهو يفرّق" (متّى ١٢/٣٠). بهذا يُعرف المسؤول إذا كان يعمل للخير العام الذي منه خير الجميع، أم يعمل بروح التفرقة والفئوية والعدائيّة لمصالحه الخاصّة ونزواته. يسألون: "الكنيسة مع من؟" بينما يجب طرح السؤال: "من هو مع الكنيسة؟"

ولئن فشل حوار يسوع مع اليهود، بسبب رفض هؤلاء، للحقيقة، فإنّنا **نؤمن دائمًا بجدوى الحوار**، والكنيسة تدعو إليه بالحاح وبدون تردّد، فلا بدّ "للرحمة والحقّ أن يتلاقيا، وللعدالة والسلام أن يتعانقا" (مز ٨٥/١١)، "فالربّ يتكلّم بالسلام لشعبه" (مز ٨٥/٩).

## ■ ثانيًا، وجوه آمنت بحقيقة اللّه والمسيح

تعيّد الكنيسة في هذا الأسبوع تذكار قدّيسين آمنوا بحقيقة اللّه والمسيح، وسلكوا في نور هذه الحقيقة.

### القدّيس ميخائيل رئيس الملائكة (٨ تشرين الثاني)

هو رئيس الملائكة الذي رآه يوحنّا الرسول في رؤياه في قتال مع التنين - الشيطان وجنوده حتى انتصر عليهم وطردهم من السماء، فصار اسمه "ميخائيل" أي "مَن مثلُ اللّه!" (رؤيا ١٢/٧)، يسمّيه دانيال النبيّ "الرئيس العظيم" (دانيال ١٢/١).

ظهر الملاك ميخائيل محاميًا وناصرًا لشعب اللّه في العهد القديم، وليسوع ورسله في العهد الجديد، وهو ما يزال ناصرًا للكنيسة في جهادها من أجل نشر إنجيل الحقيقة والعدالة والسلام.

**القدّيس مينا المصريّ الشهيد** (١١ تنشرين الثاني)

من مواليد الاسكندريّة في القرن الثالث، تكلّل بإكليل الشهادة بقطع رأسه سنة ٣٠٣. ولد في عائلة مسيحيّة وانخرط في الجنديّة. ثمّ تركها ليتجنّد ليسوع المسيح منفردًا في البريّة للصوم والصلاة والتقشّف. قاسى الاضطهاد بسبب إيمانه، وثبت فيه بالرّغم من مرّ العذابات التي أنزلها به الوالي الرومانيّ الوثنيّ، وهو يردّد: "حياتي هي للمسيح ربّي، وكلّ مجدي وسعادتي به وحده".

ورفعت الكنيسة على المذابح **مسؤولين سياسيين معاصرين** شهدوا لحقيقة المسيح وطبعوا بقيم الانجيل الشؤون الزمنيّة، نذكر منهم:

**الطوباويّ الملك شارل النمساويّ** Charles d'Autride (١٨٨٠- ١٩٢٢)

هو آخر امبراطور وملك على النمسا. أعلنه البابا يوحنّا بولس الثاني طوباويًّا في ٣ تشرين الأوّل ٢٠٠٤. إنّه ملك وربّ عائلة أراد أن يضع ذاته في خدمة إرادة اللّه، فكان الايمان باللّه المقياس لمسؤوليّاته والموجّه لحياته.

**القدّيس بيار- جورجيو فراساتي** Piergiorgo Frassati (١٩٠١-١٩٢٥)

هو مهندس ومسيحيّ ملتزم ورجل سياسة مناضل. أعلنه البابا يوحنّا بولس الثاني طوباويًّا في ٢٠ أيّار ١٩٩٠. والده عضو في مجلس شيوخ إيطاليا ومؤسّس جريدة لاستامبا (La Stampa) وسفير لبلاده في برلين. منذ عمر ١٣ سنة بدأ بيار- جورجيو (piergiorgio) يتناول القربان يوميًّا ، وراح

مدى حياته يجد غذاءه اليوميّ في قراءة الانجيل وفي الافخارستيّا. فجمع بين الصلاة والعمل. انتسب إلى الحزب الشعبيّ الايطاليّ وأصبح فيه مناضلاً، وكرّس أوقاته الحرّة لخدمة البؤساء والفقراء، كعضو في جمعيّة مار منصور دي بول. مات بعمر ٢٤ سنة. رسالته هي نداء إلى توطيد العلاقة بين الايمان والأعمال على جميع المستويات، وإلى إعلان الحقيقة والدفاع عنها.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تتناول الخطّة الراعويّة النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: "**كنيسة الرجاء**"، والذي يكشف للجماعات الراعويّة أربعة آفاق تشكّل محور التفكير معًا وشدّ أواصر الرجاء:

### ١. المسيح هو الرجاء

المسيح هو الرجاء الوحيد للمؤمنين، لأنّه مخلّص العالم ولا يخيّب المتّكلين عليه؛ ولأنّه بأوصافه: النور والقيامة والحياة، وبأعماله ودعواته للاتكال عليه، يشجّع المؤمنين ليضعوا فيه رجاءهم ومتّكلهم؛ ولأنّ مآثر اللّه في العهد القديم ومبادرات الربّ يسوع في الجديد تحمل على التماس تدخّله في ظروف الحياة الدقيقة؛ ولأنّه باستجابته طلبات الكثيرين يعطي الضمانة باستجابة من يلجأون إليه الآن (فقرة ٥).

### ٢. مرتكزات الرجاء

هي وعود الربّ يسوع في إنجيل التطويبات (متّى ٥/١-٩)، وحفظ الوصايا، فيصبح الرجاء اشتهاء للملكوت السماويّ، وضمانة لنيل الحياة الأبديّة. ما يساعدنا على مواجهة الصعوبات الداخليّة والخارجيّة، من مثل الاهتمام المفرط بأمور الدنيا ومغرياتها، والمضايق الاقتصاديّة والاجتماعيّة والمعيشيّة، والأمراض والآلام والفقر والفشل (فقرة ٦).

### ٣. رجاء الشهداء والأموات

وضع الشهداء رجاءهم في المسيح فصمدوا في الايمان، ولم يتراجعوا أمام العذابات، وقبلوا الموت بشجاعة، مدركين أنّ دماءهم بذور المسيحيين. ولقد وطّد المؤمنون رجاء موتاهم في قيامة المسيح ورافقوهم بهذه الصلاة: "سلام معكم أيّها الأموات الذين رقدوا بالمسيح بالرجاء الوطيد. فلا يحزنكم فساد جمال وجوهكم، لأنّه سيتجدّد وترثون الملكوت" (فقرة ٧-٨).

### ٤. شموليّة الرجاء

الرجاء يشمل في الصلاة كلّ أبناء الكنيسة وقدّيسيها مع انفتاح اسكاتولوجي على الجموع السماويّة في بيعة أورشليم العليا. هذه الشموليّة رسّخت الايمان في الموارنة، بالرّغم من كلّ الشدائد والمحن، فلم يتزعزعوا في رجائهم بالمسيح ومحبّتهم له (فقرات ٩-١٢).

***

### صلاة

أيّها الآب القدّوس، أبا الأنوار، يا من تغمرنا بعنايتك الأبويّة، نشكرك على محبّتك اللامتناهية، إذ خلقتنا على صورتك ومثالك، وجدّدتنا بالعماد فصيّرتنا أبناء لك وإخوة لابنك ربّنا يسوع، وهياكل لروحك القدوس. لك المجد والشكر مع الآب والابن إلى الأبد. (صلاة المجمع البطريركيّ المارونيّ).

الأحد ١٩ تشرين الثاني ٢٠٠٦

# بشارة زكريّا

## الانسان معاون اللّه في تحقيق تصميم الخلاص والسلام

من إنجيل القدّيس لوقا ١/٥-٢٥

كان في أيّام هيرودس، ملك اليهوديّة، كاهن اسمه زكريّا، من فرقة آبيا، له امرأة من بنات هارون اسمها أليصابات. وكانا كلاهما بارّين أمام اللّه، سالكين في جميع وصايا الربّ وأحكامه بلا لوم. وما كان لهما ولد، لأنّ أليصابات كانت عاقرًا، وكانا كلاهما قد طعنا في أيّامهما. وفيما كان زكريّا يقوم بالخدمة الكهنوتيّة أمام اللّه، في أثناء نوبة فرقته، أصابته القرعة، بحسب عادة الكهنوت، ليدخل مقدس هيكل الربّ ويحرق البخور. وكان كلّ جمهور الشعب يصلّي في الخارج، في أثناء إحراق البخور. وتراءى ملاك الربّ لزكريّا واقفًا من عن يمين مذبح البخور، فأضطرب زكريّا حين رآه، واستولى عليه الخوف. فقال له الملاك: «لا تخف، يا زكريّا، فقد استجيبت طلبتك، وامرأتك أليصابات ستلد لك ابنًا ، فسمّه يوحنّا. ويكون لك فرح وابتهاج، ويفرح بمولده كثيرون، لأنّه سيكون عظيمًا في نظر الربّ، ولا يشرب خمرًا ولا مسكرًا، ويمتلىء من الروح القدس وهو بعد في حشا أمّه. ويردّ كثيرين من بني اسرائيل إلى الربّ إلههم. ويسير أمام الربّ بروح ايليّا وقوّته، ليردّ قلوب الآباء إلى الابناء، والعصاة الى حكمة الأبرار، فيهيّىء للربّ شعبًا معدًّا خير إعداد». فقال زكريّا للملاك: «بماذا أعرف هذا؟ فإنّي شيخ، وامرأتي قد طعنت في أيّامها». فأجاب الملاك وقال له: «أنا هو جبرائيل الواقف في حضرة اللّه، وقد أرسلت لأكلّمك وأبشرك بهذا. وها أنت تكون صامتًا، لا تقدر أن تتكلّم، حتّى اليوم الذي يحدث فيه ذلك، لأنّك لم تؤمن بكلامي الذي سيتمّ في أوانه». وكان الشعب ينتظر

زكريّا، ويتعجّب من إبطائه في مقدس الهيكل. ولمّا خرج زكريّا، لم يكن قادرًا أن يتكلّم، فأدركوا أنّه رأى رؤيا في المقدس، وكان يشير إليهم بالاشارة، وبقي أبكم. ولمّا تمّت أيّام خدمته، مضى إلى بيته. بعد تلك الأيّام، حملت امرأته أليصابات، وكتمت أمرها خمسة أشهر، وهي تقول: «هكذا صنع الربّ إليّ، في الأيّام التي نظر إليّ فيها، ليزيل العار عنّي من بين الناس».

***

مع بشارة الملاك لزكريّا بمولد يوحنّا تنتهي مرحلة الوعد في العهد القديم بمجيء المسيح مخلّص العالم، وتبدأ مرحلة الاعداد المباشر في العهد الجديد. فالخلق والخلاص متلازمان، وهما عهد قطعه له، فخلق العالم ليشرك البشر في حياته الالهيّة. وعندما نقض الانسان هذا العهد بالخطيئة، صمّم الله ترميم الخلق بالفداء. فكان الوعد، وانطلقت منذ البداية عمليّة الاعداد. إنّ كتب العهد القديم تشهد للأسلوب التربويّ الذي اعتمده حبّ الله الخلاصيّ. في هذه الكتب المقدّسة الستة والأربعين، بما فيها من تعاليم سامية عن الله، وحكمة حول الحياة البشريّة، وينابيع صلاة رائعة، وبما فيها من ناقص ومؤقت، يختبىء سرّ خلاصنا (دستور الوحي الالهيّ، ١).

دامت التهيئة البعيدة لمجيء ابن الله، مخلّص العالم وفادي الانسان، أجيالاً ودهورًا، توالت فيها طقوس وذبائح، وجوه ورموز، موجّهة كلّها إلى شخص المسيح، الذي أعلنه الآب بفم الأنبياء، بدءًا بإيليا ووصولاً إلى يوحنّا السابق، خاتمة العهد القديم وآخر أنبيائه. كلّ هذه المسيرة عبر الأجيال تشكّل القسم الأوّل من تصميم الخلاص الذي هو عمل الله الواحد والثالوث. أمّا الانسان، موضوع الخلاص، فهو معاون الله في تحقيقه،

ببعدين: البعد الشخصيّ بالانفتاح على عمل الخلاص والتجاوب معه، والبعد الجَماعيّ بالالتزام في عمليّة خلاص الآخرين.

إنجيل اليوم يلقي الضوء على رموز العهد القديم وعلى مضمون العهد الجديد، وهو بمثابة الجسر بينهما.

## ■ أوّلاً، الانسان معاون اللّه في تحقيق تصميم الخلاص

### ١. زكريّا وأليصابات

**زكريّا كاهن من فرقة آبيا الكهنوتيّة** المتحدّرة من هارون. كان موسى قد وحّد الكهنوت في عائلة شقيقه هارون، وخدمة العبادة في عشيرة لاوي. وبأمر من اللّه منح الكهنوت لهارون ونسله، فكرّس هارون بمسح رأسه بالزيت كاهنًا بامتياز، كرئيس الكهنة، وكرّس نسله برشّ الماء فقط (خروج ٢٩/١-٧؛ ٣٠/٣١). انتقل الكهنوت من جيل إلى جيل بالوراثة وبدون مسحة جديدة (خروج ٤٠/١٣). كانت مهمّة الكهنة القيام بخدمة بيت اللّه، وتطهير كلّ شيء، وحمد الربّ وتسبيحه كلّ صباح ومساء، وتقديم المحرقات للربّ في السبوت والأعياد. وقسم داود الكهنة إلى فرق من أجل استمراريّة الخدمة في الهيكلين: هيكل المحرقات وهيكل البخور. كان عدد الفرق اربعًا وعشرين، من بينها فرقة آبيا، وهي الثامنة حسب الترتيب (أخبار ٢٤؛ لو١/٥ و٨-١٠).

بعد خراب هيكل سليمان في أورشليم سنة ٧٠ بعد المسيح، انتزع الكهنوت من الشعب الاسرائيليّ، بسبب انتهاء تدبير موسى الكهنوتيّ وقيام كهنوت العهد الجديد مع المسيح الكاهن الأزليّ، وتأسيس الكنيسة وكهنوت الفداء، فلم يبقَ أيّ مبرّر للكهنوت الاسرائيليّ. وهكذا لا يوجد بعد

الآن في الديانة اليهوديّة سوى المعلّمين (رابيّ) الذين يديرون العبادة المؤلّفة من صلوات وقراءات.

**أليصابات** من نسل هارون. كانت تعيش وزوجها في برّ اللّه والسير بوصاياه من دون لوم.

هذه الأسرة أنجبت يوحنّا السابق. يعلّم الارشاد الرسوليّ "**رجاء جديد للبنان**" أنّ الأسرة هي الكنيسة الصغرى، ومدرسة الحبّ، والموقع الأوّل للشهادة المسيحيّة والرسوليّة، بالمثل وبالكلام. فيها يتربّى الأولاد، منذ الصغر، على حضور اللّه والثقة بحنانه الأبويّ. وفيها يحظى الشباب بمعرفة المسيح، ويختارون اتّباعه اتّباعًا سخيًّا، سواء في حالة الزواج أم في الكهنوت أم في الحياة المكرّسة (أنظر فقرة ٤٦).

**زكريّا وأليصابات المسنّان** أنجبا ولدًا هو خاتمة الأنبياء، بالرّغم من انتفاء كلّ رجاء "كيف أعرف هذا، وأنا رجل مسنّ وامرأتي متقدّمة في عمرها؟"

يتحدّث الارشاد الرسوليّ "**العلمانيّون المؤمنون بالمسيح**" عن رسالة المسنّين في الأسرة والكنيسة والمجتمع (فقرة ٤٨)، ويقول: الدخول في سنّ الشيخوخة امتياز لا يُعطى لجميع الناس، والانسان المسنّ هو الشاهد لتقليد الايمان ومعلّم صلاة وحياة وصانع محبّة وقوّة لشعب اللّه كلّه. عن المسنّين يقول المزمور ٩١: "ما زالوا في المشيب يثمرون، وفي الازدهار والنضارة يظلّون، ليخبروا بأنّ الربّ مستقيم" (مز ٩١/١٥-١٦). وإليهم يتوجّه هذا النداء: "لستم، أيّها المسنّون، على هامش حياة الكنيسة، ولستم عناصر سلبيّة في عالم يتطوّر بسرعة، ولا يجوز لكم الظنّ أنّكم كذلك. بل إنّكم عناصر فاعلة، في حقبة من الوجوه الانسانيّ، تمتاز بخصبها البشريّ

والروحيّ. ولكم رسالة يجب أن تؤدّوها، وعليكم واجب مشاركة يجب أن تقوموا به. إنّ كلّ كائن بشريّ هو، بحسب التدبير الالهيّ، حياة تنمو، فتبدأ مع انبثاق أوّل شرارة من وجوده. ولا تنتهي إلاّ في الرمق الأخير من حياته" (الارشاد المذكور، ٤٨).

تدبير اللّه هذا ينفي التهميش والاجهاض والقتل الرحيم، وينجّي من اليأس والانطواء على الماضي.

الطوباويّ **البابا يوحنّا الثالث والعشرون**، الذي انتخب بعمر ٧٧ سنة، وكان مفاجأة غير متوقّعة للعالم كلّه، بعد البابا العظيم بيّوس الثاني عشر، وشاء مجمع الكرادلة عهده "حبريّة انتقاليّة"، قال عن نفسه بروح النكتة: "قطعة الغيار يمكن أن تكون أيضًا مفيدة". دامت حبريّته خمس سنوات (١٩٥٨-١٩٦٣)، لكنّها حقًّا كانت مفاجأة تاريخيّة للعالم بأسره. فهو بابا المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني أعلنه بعد ثلاثة أشهر من انتخابه، وافتتح دورته الأولى بعد أربع سنوات (١١ تشرين الأوّل ١٩٦٢). وهو الذي هيّأ حبريّة البابا بولس السادس رائد الاصلاح الشامل في الكنيسة، وهو بابا الرسالتين الكبيرتين: "أمّ ومعلّمة" عن العدالة الاجتماعيّة، و"سلام في الأرض" عن ثقافة السلام، وبابا التجدّد (aggiornamento) ورائد وحدة المسيحيين والحوار مع الأديان.

## ٢. يوحنّا السابق

يوحنّا هو ابن صلاة الجماعة (لو ١/٨-١٣) التي كان يرفعها أبوه الكاهن باسم الشعب، وتدور كلّها حول انتظار الخلاص الموعود، والمعروف بالخلاص المسيحانيّ. وهو أيضًا ثمرة والديه وأمانتهما للربّ ولوصاياه. هذا الواقع يتجدّد يوم الأحد، في لقاء الجماعة التي يعلن لها كلام اللّه، كما أعلنه

الملاك لزكريّا. إنّه لقاء حوار اللّه مع شعبه: هو يعلن عجائب الخلاص ويعرض مقتضيات العهد، وجماعة المؤمنين تجدّد الأمانة للّه والخضوع لرسومه، والروح القدس يجعلها تلتزم بما تسمعه (يوم الربّ، ٤١).

الروح القدس، الذي هيّأ مجيء الربّ برسالة خفيّة، هو الذي هيّأ يوحنّا وملأه وقاد خطاه ليكون ما أعلنه الملاك:

أ- **اسمه يوحنّا أي "اللّه يرحم"**. الاسم وحده يعلن مجيء المسيح الذي سيجسّد رحمة اللّه. ففي شخصه وأعماله ظهرت رحمة اللّه. هو أكّد ذلك في مجمع الناصرة (لو ٤/١٦-٢١)، وللبعثة التي أرسلها إليه يوحنّا نفسه (لو ٧/٢٢). وهو ردّد باستمرار كلمة هوشع النبيّ: "رحمة أريد لا ذبيحة" (هوشع ٦/٦؛ متّى ٩/١٣؛ ١٢/٧)، وعلّم سرّ اللّه الرحوم في مثل الرحمة المعروف بمثل الابن الضال (لو ١٥/١١-٣٢). رحمة اللّه هذه تعلنها المزامير (أنظر خاصّة مز ٤٦/٧-٩ ومز ١٤٧/٣ و٦).

يوحنّا نفسه هو تجلّي الرحمة لزكريّا وأليصابات اللذين طالما صلّيا المزمور ١٠٣/١٣: "كما يرأف الربّ ببنيه، يرأف الربّ بالذين يتّقونه"، والمزمور ٣٣/١٨-١٩: "عين الربّ على الذين يتّقونه، على الذين يرجون رحمته لينقذ من الموت نفوسهم". هذا ما يعنيه كلام الملاك: "لا تخف يا زكريّا، فقد سُمعت صلاتك"، وكلام أليصابات: "هذا ما صنع لي الربّ في الأيّام التي نظر إليّ فيها، لينزع عاري من بين البشر".

ب- **سيفرح بمولده أناس كثيرون**، لأن بيوحنّا يتجلّى تصميم اللّه الرحوم على شعبه، يفتقده ويخلّصه: "طوبى للشعب الذي الربّ إلهه" (مزمور ١٤٤/١٥)، إليه يهتف: "الربّ عزّي، لقد كان لي خلاصًا. أعترف لك لأنّك شجّعتني وكنت لي خلاصًا" (مز ١١٨/١٤-٢٠).

ج- **يملأه الروح القدس** وهو في بطن أمّه، كما كرّس رجالات العهد القديم "وهم في بطون أمّهاتهم". مثل شمشون وإرميا وعبد يهوه الذين سبق واختارهم لرسالتهم. هذا الروح سيملأ يوحنّا من ناره، "روح إيليا وقدرته"، فيسير أمام الربّ كسابقه، ليعدّ له الطريق. الروح يتمّم في يوحنّا "الكلام بالأنبياء"، فينهي يوحنّا حقبة الأنبياء التي دشّنها إيليا. مع يوحنّا يبدأ الروح زمن الارتداد والتوبة (لو ١٦/١٧)، ويستبق ولادة الانسان الجديد "من الماء والروح" (يو ٣/٥).

د- **عظيم أمام الربّ والناس** (لو ١/١٥). يصف مرقس الانجيليّ (مر ١/٦) والسيّد المسيح (متّى ١١/١٨) تقشّف يوحنّا. فكان الشعب يهابه ويعدّه نبيًّا (متّى ١٤/٥) وهيرودس يخافه ويعتبره صدّيقًا (مر ٦/٢٠). ووصفه الربّ يسوع بأنّه "الملاك المرسل أمام وجهه" (متّى ١١/١٠)، "إيليّا المزمع أن يأتي" (متّى ١١/١٤). أمّا هو فوصف نفسه أنّه غير أهل لحلّ سير حذاء يسوع (مر ١/٧).

لقد دشّن يوحنّا نهجًا جديدًا في المسؤوليّة، سواء في المجتمع أم في الكنيسة: فلا يقدر على الخدمة إلاّ الذي أحبّها وفضّلها على نفسه، والذي يرى نفسه لا شيء والمواطنين الآخرين كلّ شيء، والذي تنزّه عن المال وشهواته.

### ٣. الصلاة ينبوع ثقافة السلام

أثناء صلاة البخور كان لقاء اللّه مع زكريّا بواسطة الملاك فكان السلام في قلبه وبيته من خلال البشرى بمولد ابن له يحمل رحمة اللّه إلى الشعب كلّه. فكان الخبر سبب سرور الكثيرين. الكنيسة تناضل بالصلاة من أجل السلام. فالصلاة تفتح القلب إلى علاقة عميقة مع اللّه، وإلى لقاء مع القريب

بروح الاحترام والثقة والتفهّم والتقدير والمحبّة. الصلاة تولّد الشجاعة وتعضد أصدقاء السلام الحقيقيين الساعين إلى تعزيزه في مختلف ظروف حياتهم.

سرّ الافخارستيا، "مصدر الحياة المسيحيّة كلّها وذروتها" (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ١١)، هو الينبوع الذي لا ينضب لكلّ التزام مسيحيّ أصيل بالسلام. **فالقدّاس** يبدأ بنشيد "المجد للّه في العلى، وعلى الأرض السلام"، للدلالة أنّ السلام على الأرض انعكاس لمجد اللّه في السماء، وأنّه عطيّة إلهيّة موكولة إلى الجماعة الملتئمة حول الربّ في القربان. وفي بدء قسم ذبيحة الفداء، المعروف بالنافور، تقام صلاة السلام، ويؤخذ السلام من القرابين المعدّة لتتحوّل إلى جسد المسيح ودمه، ويُوزّع على الجماعة المؤمنة استباقًا لمناولة من هو "أمير السلام" الذي يجعلنا "فاعلي سلام"، واستعدادًا للمشاركة في سرّ الذبيحة والوليمة: "إذا كنت تقدّم للربّ قربانك، وتذكّرت أنّ لأخيك عليك شيئًا، إذهب أوّلاً وصالح أخاك، ثمّ عدْ وقدّم قربانك" (متّى ٥/٣٣-٣٤). وفي التذكارات تصلّي الجماعة من أجل الرؤساء الروحيين والمدنيين وذوي الارادات الصالحة ليعملوا جاهدين من أجل إحلال السلام في كلّ أبعاده الروحيّة والاجتماعيّة، السياسيّة والاقتصاديّة، المعنويّة والانمائيّة. وبعد الجلوس إلى مائدة الربّ القربانيّة وفي ختام القدّاس، يصرف الكاهن الشعب ليذهب بسلام مزوّدًا بالخبز السماويّ، خبز الكلمة والنعمة والمحبّة، ويعمل في حياته اليوميّة من أجل إحلال السلام على أساس الحقيقة والعدالة وإنماء الانسان والمجتمع.

## ■ ثانيًا، وجوه عاونت في تصميم الخلاص وعاشت روحانيّة المعمدان

**من بين القدّيسين الجدد نذكر الطوباويين** الزوجين الايطاليين: Luigi

Beltrami Quattrocchi (١٨٨٠-١٩٥١) وزوجته Maria Corsini (١٨٨٤-١٩٦٥)، أعلن تطويبهما البابا يوحنّا بولس الثاني في ٢١ تشرين الأوّل ٢٠٠١. هما أوّل زوجين يرفعان معًا في الكنيسة للتكريم على المذابح. عاشا بشكل خارق كزوجين ووالدين، وقد ارتبطا ارتباطًا وثيقًا "بمعبد سيّدة الحبّ الالهيّ" في روما. أثناء الحرب الكونيّة الثانية زارت السيّدة ماريّا معبد السيّدة وسلّمت العذراء أولادها الأربعة، فنجوا بأعجوبة من حادثة حرب. كان لويجي محاميًا وزوجته ماريّا مثقّفة وكاتبة. تزوّجا في روما سنة ١٩٠٥، وأنجبا أربعة أولاد: ابنين وابنتين ما بين سنة ١٩٠٦ و١٩١٤، اعتنقوا كلّهم الحياة الرهبانيّة والكهنوت بسبب جوّ العائلة المقدّس، المفعم بالصلاة وعبادة قلب يسوع، والمشاركة اليوميّة في القداس الالهيّ في بازليك مريم الكبرى في روما، وفي النشاط الرسوليّ في حركة النهضة المسيحيّة، وحركة "من أجل عالم أفضل". كانت الزوجة ممرّضة متطوّعة في الصليب الأحمر، ومعلّمة تعليم مسيحيّ للسيّدات في الرعيّة، ومنظّمة دورات إعداديّة للزواج، ومساهمة في إنشاء جامعة قلب يسوع الكاثوليكيّة، وعضوًا في المجلس المركزيّ للاتحاد النسائيّ الكاثوليكيّ الايطاليّ. كانت الحياة الزوجيّة والعائليّة لهذين الزوجين طريقًا إلى القداسة، وسيرًا إلى الله بعيش الحبّ. فالقداسة هي أن تحبّ، والحبّ ممكن للجميع؛ ولذلك، الجميع مدعوّون الى إلقداسة.

تنظر الكنيسة حاليًّا في دعوى تطويب رجلَي دولة متزوّجين وربّي عائلة. الأوّل هو رئيس وزراء إيطاليا الشيدي دي غاسبري Alcide de Gasperi (١٨٨١-١٩٥٤)، الذي قيل فيه إنّه مسيحيّ متواضع، مخلص، وملتزم، أعطى الشهادة الكاملة لايمانه في حياته الخاصّة والعامّة، وعرف كيف يجمع معًا الفضائل الدينيّة والفضائل المدنيّة، ويضعها في خدمة

الالتزام السياسيّ. كتب مرّة إلى زوجته Francesca: "يوجد رجال غنيمة، ورجال سلطة، ورجال إيمان. أودّ أن أُذكر بين هؤلاء الأخيرين". والثاني هو الفرنسيّ Robert Schuman (١٨٨٦-١٩٦٣) رئيس وزراء ووزير الماليّة وأخيرًا رئيس البرلمان الأوروبيّ في ستراسبورغ؛ لقد لقّبوه "بأبي أوروبا" وبالمسيحيّ الملتزم من أجل أوروبا مسيحيّة جديدة. لقد جمع مع زميله De Gasperi بين الالتزام المسيحيّ والعمل السياسيّ المتفاني. وسلكا هكذا الطريق إلى القداسة من خلال الالتزام السياسيّ، عائشين أبعاد المعموديّة. هذا ما نرجوه لرجال السياسة عندنا.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تواصل الجماعة الراعويّة والديريّة والتربويّة والرياضيّة، وكذلك الأسرة، التفكير معًا في النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: **"كنيسة الرجاء"**، وتحديدًا في قسمه الثاني: **"الرجاء، هواجس وعلامات"** (الفقرات ١٣-١٧).

يدور التفكير حول التمييز بين الرجاء والآمال البشريّة.

**الرجاء** يتناول كلّ ما له علاقة بحياة الانسان، إنطلاقًا من الثقة البنويّة باللّه وبكلامه ووعوده، وصولاً إلى الثبات في الرجاء وسط المحن والشدائد، بانتظار تجلّيات اللّه الآتية في حينها: "من يصبر إلى المنتهة يخلص" (متّى ٢٤/١٣).

أمّا **الآمال البشريّة** فتنطلق من فكر الانسان وحساباته ومشاريعه. يمكن لهذه الآمال أن تتحقّق إذا توفّرت لها الظروف الملائمة، كما يمكن لها أن تفشل لأسباب مرتبطة بالانسان نفسه أو خارجه عن إرادته (فقرة ١٥).

في ضوء هذه التمييز **تقوم الجماعات بقراءة الالتباس الحاصل في أذهان الكثيرين بين الرجاء المسيحيّ والآمال البشريّة**، وسط الأحداث التي رافقت حياتهم. يكشف النصّ المجمعيّ عن حالتين:

أ- من الناس من ظلّ صامدًا معتصمًا بالايمان ومتمسّكًا بالرجاء، مشدّدًا عزائمه ومرسّخًا إيمانه ورجاءه في ما يقول الروح للكنيسة، ولاسيّما في الارشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان". **هذا رجاء مسيحيّ**.

ب- وهناك من بلبلتهم الانتكاسات السياسيّة والمآسي الاجتماعيّة وولّدت لديهم الخيبات، لأنّ الطموحات والآمال البشريّة أخفقت. فكان التراشق بالتّهم والخيانات. **هذه آمال بشريّة** (فقرة ١٦).

ويدعو النصّ المجمعيّ **إلى الجمع بين الرجاء والآمال**. بحيث ينطلق الانسان من آماله وطموحاته إلى تحقيق المشروع الالهيّ: خلاص الانسان وترقّي الانسانيّة، واضعًا أمامه علامات الرجاء (فقرة ١٥ و١٦).

***

**صلاة**

أيّها الروح القدوس، روح الحكمة والمحبّة والقداسة، ثبّت خطانا في طريق التجدّد الكنسيّ، واعضدنا، أفرادًا، وعائلات وجماعات، كي نلتزم بتوصيات المجمع البطريركيّ ومقرّراته في جميع أبرشيّاتنا ورهبانيّاتنا ومؤسّساتنا، حتّى نواصل الشهادة لحضارة المحبّة، بشفاعة أمّنا مريم والدة الاله، وأبينا القدّيس مارون وجميع القدّيسين، لك المجد والشكر مع الآب والابن إلى الأبد. (صلاة المجمع).

الأحد ٢٦ تشرين الثاني ٢٠٠٦

# بشارة العذراء مريم

## البشارة بداية عهد المسيح والكنيسة للسلام في العالم

من إنجيل القدّيس لوقا ١/٢٦-٣٨

قال لوقا البشير: في الشهر السادس، أرسل جبرائيل من عند اللّه إلى مدينة في الجليل اسمها الناصرة، إلى عذراء مخطوبة لرجل من بيت داود اسمه يوسف، واسم العذراء مريم. ولمّا دخل الملاك إليها قال: «السلام عليك، يا ممتلئة نعمة، الربّ معك». فاضطربت مريم لكلامه، وأخذت تفكّر ما عسى أن يكون هذا السلام! فقال لها الملاك: «لا تخافي، يا مريم، لأنّك وجدت نعمة عند اللّه. وها أنت تحملين، وتلدين ابنًا، وتسمّينه يسوع. وهو يكون عظيمًا، وابن العليّ يدعى، ويعطيه الربّ الإله عرش داود أبيه، فيملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية!».

فقالت مريم للملاك: «كيف يكون هذا، وأنا لا أعرف رجلاً؟». فأجاب الملاك وقال لها: «الروح القدس يحلّ عليك، وقدرة العليّ تظلّلك، ولذلك، فالقدّوس المولود منك يدعى ابن اللّه! وها إنّ أليصابات، نسيبتك، قد حملت هي أيضًا بابن في شيخوختها. وهذا هو الشهر السادس لتلك التي تدعى عاقرًا، لأنّه ليس على اللّه أمر مستحيل!». فقالت مريم: «ها أنا أمة الربّ، فليكن لي بحسب قولك!». وانصرف من عندها الملاك.

***

البشارة لمريم هي أيضًا للعالم أجمع: منها سيولد المخلّص المسيح المنتظر، وهي المخطوبة لرجل اسمه يوسف من سلالة داود الملك، لكنّ اللّه أرادها أمًّا بتولاً للكلمة ابن اللّه المتجسّد، يسوع المسيح، بقوّة الروح القدس، وأمًّا روحيّة بالنعمة للجنس البشريّ المفتدى بدم ابنها الالهيّ، وأمًّا للكنيسة التي هي المسيح الكلي: المسيح الرأس وجسده المؤلّف من جماعة المفتدين.

في هذه البشارة **تحقّق وعد اللّه** بالخلاص الذي قطعه مخاطبًا الشيطان المتمثّل في الحية: "أضع عداوة بينك وبين المرأة - هي العذراء مريم حواء الجديدة بين نسلك ونسلها - أي بين الشيطان والمسيح - هو يسحق رأسك وأنت تترصّدين عقبه" (تك ٣/ ١٥). هذا الوعد أبرمه اللّه فيما بعد **عهدًا مع ابراهيم** ونسله.

وفي البشارة تتجلّى كرامة العائلة وقدسيّتها ودعوتها.

### ١. البشارة: بداية عهد المسيح والكنيسة

مع البشارة لمريم **يبدأ عهد جديد** هو دخول كلمة اللّه في صميم العائلة البشريّة، متّخذًا طبيعة إنسانيّة من مريم العذراء، ودخوله في تاريخ الجنس البشريّ مفتديًا إيّاه من عبوديّة الخطيئة والشر، كما وفي كلّ ثقافة بشريّة موجّهًا إيّاها إلى كلّ حقّ وخير وجمال.

في البشارة يتجلّى سرّ يسوع المسيح: إنّه ابن اللّه، الذي "أصوله منذ القديم منذ أيّام الأزل" (ميخا ٥/ ١)، وهو "كلمة الآب" منذ الأزل (يو ١/ ١-٢)، وابن مريم بالجسد في الزمن. حقيقة مزدوجة أعلنها **يوحنّا الرسول**: "والكلمة صار بشرًا، وسكن بيننا، ورأينا مجده، مجد ابن وحيد آت من الآب، ملآن نعمة وحقًّا" (يو ١/ ١٤)، وكتب عنها **بولس الرسول**: "لمّا بلغ

ملء الزمان، أرسل اللّه ابنه مولودًا من امرأة، مولودًا في حكم الشريعة، لكي يفتدي الذين هم في حكم الشريعة، حتّى ننال البنوّة" (غلاطية ٤/٤-٥). هذه **اللوحة الانجيليّة** هي أساس إعلان **يوحنّا وبولس**: فالملاك جبرائيل يؤكّد لمريم أنّها "تحمل وتلد ابنًا وتسمّيه يسوع، هو ابن اللّه المولود منها بحلول الروح القدس" (لو ١/٣١ و٣٥)، وأنّه "من سلالة داود الملك ويملك على الجنس البشريّ إلى الأبد" (لو ١/٣٣). ملوكيّته ملوكيّة خلاص وفداء، ملوكيّة "النعمة والحقّ".

ومع البشارة **يبدأ شعب جديد هو الكنيسة** المؤلّفة من جماعة الذين قبلوا الكلمة الالهيّ، يسوع المسيح، النور الحقيقيّ الذي ينير كلّ إنسان آت إلى العالم، وآمنوا باسمه، فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا أبناء اللّه، هم الذين، لا من دم ولا من رغبة جسد، ولا من مشيئة رجل، بل من اللّه ولدوا" (يو ١/١٣، ١٢، ٩).

هذه **الكنيسة** هي **"مملكة داود" الجديدة** التي وعده بها اللّه على لسان ناتان: "أقيم من يخلفك من نسلك الذي يخرج من صلبك. وأنا أثبّت عرش ملكه للأبد. أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا" (٢ صموئيل ٧/١٢-١٤)، وعلى لسان أشعيا النبيّ: "الشعب السالك في الظلمة أبصر نورًا عظيمًا... لأنّه ولد لنا ولد وأُعطي لنا ابن، فصارت الرئاسة على كتفه... لسلام لا انقضاء له على عرش داود ومملكته، ليقرّها ويوطّدها بالحقّ والبرّ من الآن وللأبد" (أشعيا ٩/١ و٥ و٦). يسوع المسيح ابن اللّه المتجسّد هو الملك الجديد الأبديّ، والكنيسة مملكته الثابتة إلى الأبد التي "لن تقوى عليها أبواب الجحيم" (متّى ١٦/١٨)، قوى الشرّ والموت. والكنيسة هي **"بيت يعقوب" الجديد** أي شعب اللّه الجديد، بالنسبة إلى القديم الذي كان يسمّى "اسرائيل". إنّها ذات عنصرين: **عنصر إلهيّ** هو يسوع المسيح ابن اللّه منذ

الأزل وابن مريم في الزمن، وهو رأسها، **وعنصر بشريّ** هو جماعة المفتدين الذين يؤلّفون جسد المسيح. هذه الكنيسة هي زرع ملكوت الله وبدايته الذي يكتمل في مجد السماء، في نهاية الأزمنة عندما يأتي المسيح بالمجد (الدستور العقائديّ في الكنيسة ٥ و٤٨؛ التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٧٦٨).

**البشارة لمريم هي للكنيسة وللبشريّة جمعاء**، لأنّ هذه ستكون أمّ الاله المتجسّد، المسيح التاريخيّ، وستكون أيضًا أم أعضاء جسده السريّ، المسيح الكليّ، الذين ستساهم بحبّها في ولادتهم الجديدة (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٥٣). أم المسيح الكليّ هي "أمّ الكنيسة" (البابا بولس السادس، ١٩٦٤/١١/٢١). لهذا السبب حيّاها جبرائيل بسلام الفرح والتغبيط: "السلام عليك! افرحي! ولا تخافي! لأنّك نلتِ حظوة عند اللّه" (لو ١/ ٢٨ و٣٠). هذه الحظوة هي للبشريّة بأسرها التي يشملها عهد الفداء. فمن مريم، التي حظيت بشرف الأمومة للاله وللكنيسة، تفيض بواسطتها النعمة الالهيّة على البشريّة جمعاء، بوصفها الشريكة في التجسّد والفداء. ولهذا السبب ما ناداها الملاك باسمها عندما حيّاها، بل سمّاها "ممتلئة نعمة". هذه التسمية تكشف سرّ مريم الغنيّ بالأوصاف.

**إنّها بريئة من دنس الخطيئة الأصليّة**، لأنّ النعمة الالهيّة ملأتها منذ اللحظة الأولى لوجودها، فلم تعرف الخطيئة، لا الأصليّة ولا الفعليّة.

وهي **البتول والأمّ**، وقد ظلّت بتولاً قبل الميلاد وفيه وبعده، بقدرة اللّه الفاعلة فيها بحلول الروح القدس، هذا معنى قول الملاك: "الربّ معك"، لتأكيد واقع حاضر فيها، لا مجرّد دعاء. وبذلك هي مثال الأمومة والأبوّة الروحيّة للّذين يكرّسون بتوليّتهم للّه وللكنيسة بنذر العفة، سواء في الحياة الرهبانيّة أم في الحياة المكرّسة وسط العالم.

وهي **مثال الكنيسة، الأمّ والبتول** (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٦٣)، وقدوة لها في الايمان والرجاء والمحبّة، بفضل اتّحادها الكامل بإرادة الآب، ومشاركة ابنها في عمل الفداء، وقبول إلهامات الروح القدس (التعليم المسيحيّ، ٩٦٧).

وهي **أيقونة الكنيسة النهيويّة**، إذ تكشف ما ستصير الكنيسة في الوطن السماويّ، في نهاية رحلتها على وجه الأرض، ومصير كلّ مؤمن (المرجع نفسه، ٩٧٦).

وهي **مثال لكلّ مسؤول** يحمل سلطة كنسيّة أم عائليّة أم مدنيّة، فيدرك أن "لا سلطة إلاّ من اللّه" (روم ١٣/١)، وأنّ صاحب السلطة هو خادم اللّه لدى الجماعة، ويلتزم العمل بموجب ما يوحيه اللّه له للخير العام. موقفه موقف مريم: "أنا أمة الربّ، فليكن لي حسب قولك" (لو ١/٣٨).

**٢. العائلة المسيحيّة**

البشارة لمريم التي تعلن دخول ابن اللّه وفادي الانسان عائلة يوسف ومريم، مولودًا بالجسد بقوّة الروح القدس، إنّما تكشف كرامة العائلة المسيحيّة وطهارة الحبّ الزوجيّ وقدسيّة الحياة بفضل حضور اللّه الثالوث فيها: "محبّة الآب القديرة تظلّلك، والروح القدس يحلّ عليك، والمولود منك قدّوس وابن اللّه يدعى" (لو ١/٣٥). العائلة النابعة من سرّ الزواج هي حقًّا "**كنيسة بيتيّة**".

**العائلة حَرَم الحياة البشريّة:** التي هي هبة من اللّه، وتحمل طابعًا مقدّسًا. وهي من اللحظة الأولى لتكوينها في أحشاء الأمّ كائن بشريّ كامل الحقوق وصاحب فرادة في شخصيّته ودعوته ورسالته، إذا لم يوضع حدّ لتطوّره الطبيعيّ البيولوجيّ، وإذا حظي بتربية بيتيّة وكنسيّة واجتماعيّة سليمة.

لوحة البشارة خير دليل لهذا الواقع. العائلة هي مدرسة ثقافة الحياة التي تشجب وتدين كلّ تعدٍّ على الحياة البشريّة سواء بوسائل منع الحمل أو بالحبوب المجهضة أم بالاجهاض، وكلّ تعدٍّ عليها وعلى كرامتها وحقوقها وسلامتها الروحيّة والجسديّة والمعنويّة، بعد ولادتها.

**والعائلة هي** المربّي الأوّل للانسان في ضميره الخلقيّ المسؤول، بحيث يربّى على حسن التمييز بين الخير والشرّ، الحقّ والباطل. الضمير كالغرسة، إذا استقامت تربيته كانت أخلاقه سليمة في كبره، لأنّ من شبّ على أمر شاب عليه. هكذا الغرسة إذا زرعت مستقيمة نمت كذلك، وإلاّ ظلّلت على انحرافها.

**والعائلة مصدر النموّ الروحيّ والاجتماعيّ والرعويّ والوطنيّ**، لأنّ فيها يحاك أوّل نسيج لعلاقات الانسان باللّه والمجتمع والكنيسة والوطن، وفيها يعاش أوّل اختبار لتقاسم الخيرات معهم. هذا النموّ مرتبط بالطاعة للوالدين اللذين يربّيان على "النموّ بالقامة والنعمة والحكمة قدام اللّه والناس"، كما جرى ليسوع في عائلة الناصرة (لو ٢/٥١-٥٢).

**العائلة مكان التنشئة الروحيّة والايمانيّة**، لأنّها المدرسة الأولى للايمان، حيث تُقبل بشرى الانجيل وتُعلن، ولأنّها المعبد الأوّل للصلاة، والكنيسة الأولى، حيث يدخل الانسان في شركة مع اللّه ومع الناس. إنّ الكنيسة الرعائيّة تبدأ في البيت، حيث تلتئم الأسرة للصلاة، وتبلغ إليه لتجسّد تعليمها ونعمتها في أفراد الأسرة، ومن خلالهم في المجتمع.

**٣. البشارة لمريم إعلان لثقافة السلام**

**السلام هو ثمرة بركة اللّه**، ولذلك هو باعث الفرح والابتهاج. إنّ تحيّة الملاك لمريم "بالسلام عليك" تعني في مفهومها اللفظيّ الآراميّ: "إفرحي يا

مريم، تهلّلي، ابتهجي"، لأنّك نلت "حظوة" عند اللّه و"بركة منه" إذ ملأك نعمة ودعاك لتكوني أمّ ابنه مخلّص العالم الذي سيأخذ جسدًا بشريًّا منك. ولهذا أنت "مباركة بين النساء". ولأنّ السلام عطيّة إلهيّة عظيمة مقدَّمة لكلّ الناس، فإنّه يقتضي طاعة لتصميم اللّه. هذا ما فعلته مريم عندما أجابت: "أنا أمة الربّ، فليكن لي حسب قولك".

أمر الرب الاله أن يصلّي الكاهن على الشعب هكذا: "يباركك الربّ ويحفظك، يضيء الربّ بوجهه عليك ويرحمك، يوجّه الربّ نظره نحوك ويمنحك السلام" (العدد ٦/٢٤-٢٦). **السلام هو مجموعة الخيرات الالهيّة:** البركة والعناية والرحمة والرضى والاختيار والدعوة. هذه الخيرات أفيضت على مريم، فباتت الكنيسة تهتف إليها بلقب "يا سلطانة السلام".

**إنّ ثقافة السلام** تقتضي التماس الخيرات السماويّة وإدراكها والشهادة لها بين الناس، بتقاسمها وتجسيدها في الأعمال والمواقف والمسلك. هذه الثقافة تنطلق من حقّ كلّ إنسان وشعب أن ينعم بالسلام الذي لا يعني فقط انعدام الحرب، بل هو إعطاء كلّ إنسان حقوقه الأساسيّة ولاسيّما منها حقّه في النموّ وتحقيق الذات، وخروجه من حالة الفقر والجهل والحرمان. السلام الحقيقيّ والدائم هو ثمرة العدالة والمحبّة والانماء والترقّي. عنه قال المسيح: "سلامي أعطيكم، لا كما يعطيه العالم أعطيكم أنا" (يو ١٤/٢٧).

ما أجمل أن يكون الانسان لأخيه ولشعبه "بشارة سلام" يحمل إليهم خيور السلام الآتي من اللّه!

### ■ ثانيًا، أعياد الأسبوع

أجمل عيدين تحتفل بهما الكنيسة عيد تقدمة العذراء مريم إلى الهيكل وعيد والديها يواكيم وحنّة.

## تقدمة العذراء مريم للهيكل (٢١ تشرين الثاني)

عندما بلغت الطفلة مريم ثلاث سنوات من عمرها قدّمها أبواها إلى الهيكل لتتربّى فيه وتخدم، حسب التقليد الرسوليّ والكنسيّ، وذلك وفاء لنذر قطعته أمّها حنّة، التي كانت عاقرًا. فطلبت من اللّه أن يعطيها ولدًا لتكرّسه لخدمته، فرزقها ابنة "ممتلئة نعمة". فقدّمها أبواها للربّ عن يد الكاهن زكريّا. هذه التي قدّمت إلى الهيكل أصبحت هيكل الثالوث القدّوس الآب الذي ملأها بحبّه، والابن الذي استقرّ في حشاها، والروح القدس الذي حلّ عليها وفيها.

تفرّغت مريم في الهيكل للصلاة والتأمّل والخدمة، وتعلّمت مطالعة الكتب المقدّسة. وأقامت فيه حتّى بلغت الخامسة عشرة من عمرها. ثمّ عادت إلى الناصرة، حيث بلغتها بشارة الملاك، وكانت مخطوبة ليوسف. وبعد ثلاثة أشهر أخذها يوسف إلى بيته بعد بيان الملاك له، فانتقلت إلى البيت الزوجيّ حسب العادة اليهوديّة، وكرّس الزوجان بتولتهما للّه من أجل خدمة ابن اللّه المتجسّد وملكوت اللّه البادىء مع الكنيسة الناشئة في بيتهما.

مريم المكرّسة هي شفيعة المكرّسين والمكرّسات سواء في الحياة الرهبانيّة المنظّمة أم في العالم واقفين ذواتهم على خدمة اللّه والكنيسة على خطى المسيح وأمّه مريم.

## عيد القدّيسين يواكيم وحنّة (٢٢ تشرين الثاني)

هما والدا أمّنا مريم العذراء وجدّا سيّدنا يسوع المسيح. يواكيم من الناصرة من ذريّة داود الملك، وحنّة من بيت لحم من عشيرة يهوذا. كانا بارّين وسائرين في شريعة الربّ، متّحدين قلبًا واحدًا، مضطرمين بمحبّة اللّه والناس، عائشين بالصلاة والتأمّل، منتظرين مجيء مخلّص العالم.

لم يطعما ثمرة البنين، وظلاّ برجاء وطيد يلتمسان ولدًا من اللّه مع الوعد الصادق بتكريسه للّه. فكانت مريم التي عصمها اللّه، منذ اللحظة الأولى لتكوّنها في حشى أمّها، من الخطيئة الأصليّة الموروثة من أبوينا الأوّلين، وملأها نعمة القداسة، وأرادها أمًّا لابنه مخلّص العالم.

يتّضح جليًّا أنّ الأزواج هم معاونو اللّه في صنع تاريخ الخلاص، وأنّ كلّ ولد يولد لامرأة يريده اللّه ويحبّه لذاته ويرسم له دورًا خاصًّا في التصميم الخلاصيّ، وأنّ الجنين كائن بشريّ منذ اللحظة الأولى لتكوينه، وأنّ الزواج والأبوّة والأمومة دعوة إلى القداسة.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تواصل الجماعات المنظّمة: الأسرة، الرعيّة، الأديار، المنظّمات الرسوليّة، المجالس الراعويّة، اللجان، النوادي الثقافيّة والرياضيّة، التفكير معًا في النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: **كنيسة الرجاء**.

في القسم الثاني من النصّ نفكّر معًا في علامتين من علامات الرجاء (فقرة ١٨ و١٩).

### ١. انتشار الكنيسة

انتشرت الكنيسة عامّة، والمارونيّة خاصّة، في العالم، بالرّغم من النكبات والمحن والاضطهادات، لتكون **خميرة في عجين هذا العالم**. هذا الانتشار هو الدليل لعناية اللّه ولوجود العنصر الالهيّ في الكنيسة إلى جانب العنصر البشريّ. فلا خوف على الكنيسة ومستقبلها، شرط أن يحمل أبناؤها وبناتها رسالة الأصالة لتراثها الأنطاكيّ السريانيّ، وأن يتفاعلوا مع مجتمعاتهم

بالانثقاف الروحيّ والخلقيّ والثقافيّ، ويتعاونوا مع الكنائس الأخرى بروح الوحدة في المحبّة، ويدخلوا في حوار مع الأديان الأخرى. ومن علامات الرجاء ما لعبته الكنيسة المارونيّة من دور في **الانفتاح الثقافيّ** وفي **النهضة العربيّة** في محيطها الشرق أوسطيّ، فضلاً عمّا حملت إلى الغرب من ثقافة الشرق منذ القرن السادس عشر، إنطلاقًا من المدرسة المارونيّة في روما التي تأسّست سنة ١٥٨٤، (فقرة ١٨).

**٢. التمسك بالمركزيّة البطريركيّة**

شكلّ دومًا شخص البطريرك الضامن لوحدة الموارنة، والبطريركيّة رمز هذه الوحدة. تمسّك الموارنة بالمركزيّة البطريركيّة بوجهيها المتلازمين.

أ- **الوقاية من التشرذم الكنسيّ** ومن أي حركة انفصاليّة. فعلى مدى التاريخ، فيما جُرحت الكنائس كلّها بجرح الانقسام، ظلّت الكنيسة المارونيّة، بعون اللّه وحسن الارادة، متماسكة في الوحدة حول شخص البطريرك، وحول خليفة القدّيس بطرس، بابا روما. وهذه علامة رجاء كبيرة.

ب- **دعم الوحدة وتفعيلها** في داخل الكنيسة المارونيّة، من أجل الشهادة للمسيح، مبدأ كلّ وحدة وأساسها، ومن أجل خدمة أوفر، ورسالة أشمل في أيّ مجتمع تواجد فيه أبناء هذه الكنيسة. ما تحقّق إلى الآن يشكّل علامة رجاء ناطقة ومشجّعة (فقرة ١٩).

بعد التفكير معًا، لا بدّ للجماعات المذكورة من أن ترسم خطّة عمل لمواصلة علامتي الرجاء هاتين، ولتدعيمهما بمبادرات عمليّة.

***

**صلاة**

زر يا ربّ بحبّك عائلتنا المجتمعة أمامك، واجعلها كنيسة مصغّرة بيتيّة، تشهد لك. أبعد عنها كلّ خلاف. رسّخها في الايمان والرجاء والمحبّة. إحمها من المصائب. قوّها في الشدائد. وحدّها برباط المحبّة والسلام. وأعطها قوّة روحك، فنكون حجارة حيّة في بناء كنيستك. لك المجد إلى الأبد. آمين (من كتاب صلاة العائلة).

# زيارة مريم لأليصابات

## تجلّيات عظائم الله

من إنجيل القدّيس لوقا ١/ ٣٩-٤٦

قال لوقا البشير: في تلك الأيّام (بعد البشارة بيسوع)، قامت مريم وذهبت مسرعة إلى الجبل، إلى مدينةٍ في يهوذا. ودخلت بيت زكريّا، وسلّمت على اليصابات. ولمّا سمعت أليصابات سلام مريم، ارتكض الجنين في بطنها، وامتلأت من الروح القدس. فهتفت بأعلى صوتها وقالت: مباركة أنت في النساء، ومباركة ثمرة بطنك! ومن أين لي هذا أن تأتي إليّ أمّ ربّي؟ فها منذ وقع صوت سلامك في أذنيّ، ارتكض الجنين ابتهاجاً في بطني! فطوبى للّتي آمنت أنّه سيتمّ ما قيل لها من قبل الربّ!. فقالت مريم: «تعظّم نفسي الربّ...».

***

بدافع من المحبّة المسكوبة في قلب مريم، هي الممتلئة نعمة، المظلّلة بمحبّة الآب، الحالّ عليها الروح القدس، والحامل بابن الله، أسرعت لزيارة أليصابات، لكي، في ضوء ما سمعت من الملاك، تكون في خدمتها حتّى مولد يوحنّا، وتتأمّل معها في تدابير الله العجيبة، وترفعان معاً صلاة التسبيح والشكر. ثلاثة أشهر من الخدمة والصلاة، في ضوئها صارت القاعدة

الرهبانيّة، حسب القدّيس بندكتوس: "صلّ واعمل". هذه كانت نيّتها في الزيارة. لكنّ النتائج جاءت كبيرة جدّاً، لأنّها من صنع اللّه الذي يفتقد شعبه.

## ■ أوّلاً، لوحة الزيارة

### ١. نتائج الزيارة

لأنّ اللّه هو الذي يعمل من خلال الانسان بحكم اختياره وارساله، تأتي النتائج كبيرة وغير متوقّعة.

امتلأت أليصابات من الروح القدس، وتنبّأت وكشفت سرّ مريم: فهي المباركة بين جميع النساء، وحامل بثمرة مباركة، وأم ربّها، ومطوّبة لأنّها آمنت أنّ ما قيل لها من عند الربّ سيتمّ. ذلك أنّ أليصابات كانت منفتحة على سرّ اللّه، بشهادة لوقا الانجيليّ عنها وعن زوجها زكريّا: "كانا بارّين عند اللّه وتابعين جميع وصايا الرّب واحكامه، ولا لوم عليهما (لو ١/٦). فخصّهما بانجاب آخر نبيّ في العهد القديم وأوّل رسول في العهد الجديد، يوحنّا المعمدان.

امتلأ يوحنّا من الروح القدس، وهو جنين في حشا أمّه، كما أنبأ الملاك لزكريّا. وحيّا بارتكاضه المسيح الجنين هو أيضاً في بطن أمه مريم، كما عبّرت أليصابات: "مذ وقع صوت سلامك في أذنيّ، ارتكض الجنين بفرح عظيم في بطني". اللقاء بين الوالدتين اصبح في الواقع لقاء بين الولدين اللذين هما في خدمة الرسالة. وكأنّ الجنين يوحنّا، المملوء من الروح القدس، يفتتح رسالته كسابق للمسيح يدلّ إليه بلسان أمّه.

مريم، المملوءة من الروح القدس، تنشد نشيد المديح للّه القدير: "تعظّم

نفسي الربّ"، من أجل سرّ التجسّد، الذي تمّ في الخفاء والصمت في حشاها الطاهر. في هذا النشيد تعلن مريم أربع حقائق أساسيّة:

أ- القدير صنع العظائم في مريم الأمة الوضيعة. وقد كشفت الكنيسة هذه العظائم: الحبل بلا دنس، الأمومة الالهيّة، البتوليّة الدائمة، الانتقال بالنفس والجسد إلى مجد السماء. ولذلك "سوف يطوّبها جميع الأجيال".

ب- اللّه يتميز بثلاث صفات تكشف عمله في الانسان والتاريخ للّذين يخافونه ويعيشون في مرضاته بفضيلة التديّن والتقوى. والميزات هي **القدرة**: القدير صنع بي العظائم؛ **والقداسة**: اسمه قدّوس؛ **والرحمة**: رحمته إلى جيل وجيل".

ج- عناية اللّه وافتقاده الوضعاء فيرفعهم، والجياع فيشبعهم. وفي المقابل يندّد بالمتكبّرين فيشتّت أفكارهم، والأقوياء فينزلهم عن الكراسي، والأغنياء فيرسلهم فارغين.

د- عهد الربّ لشعبه: ينصره ويذكره بالرحمة "كما وعد ابراهيم ونسله".

نشيد "**تعظّم نفسي الرّب**"، صلاة غنيّة في مضمونها، مستلهمة من المزامير ومن صلاة حنّه (١ صموئيل ٢/١-١٠) ومن أقوال بعض الأنبياء. مريم، ككلّ مؤمن تقيّ، غذّت نفسها من الكتب المقدّسة، فكانت النصوص تتسارع إلى شفتيها. جمعتها في شخصيّتها وأعطتها روحاً منها. هذا الواقع يشبه بنّائي الكنائس المسيحيّة الأولى الذين أخذوا الحجارة وقطع الرخام والبلاط من الهياكل الوثنيّة، وأعطوها في الكنائس روحاً آخر، ووجهاً آخر. والصلاة هي كذلك جواب المؤمن على كلام اللّه الذي يسمعه ويقبله في قلبه فيصبح صلاة وحواراً داخليّاً متبادلاً بين الانسان واللّه.

## ٢. الافتقاد الالهي

في خطّ افتقاد اللّه لشعبه، كما نجده بشكل ملفت في العهد القديم، زار اللّه أفراداً وجماعات. هذه الزيارة الالهيّة المتكرّرة يُعبّر عنها بلفظة "افتقاد" اللّه، الذي يعني عمل النعمة. نجد في الكتب المقدّسة لفظتين متلازمتين: اللّه افتقد وافتدى، يفتقد شعبه ليخلّصه.

افتقد اللّه **أبيملك** في الحلم ونبّهه على خطأه، فارتدّ عنه ونجاه من السقوط والهلاك (تك ٢٠/٣-٧). افتقد **ساره** فولدت لابراهيم ابناً، اسحق، وكلاهما مسنّان (تك ٢١/١). افتقد **لابان الآراميّ** في الحلم وقد أدرك يعقوب الهارب من وجهه فنبّهه: "إيّاك أن تكلّم يعقوب بخير أو شرّ" (تك ٣١/٢٤). افتقد حنّة فولدت خمسة بنين وبنات، بعد أن كان اللّه قد حبس رحمها (١ صموئيل ٢/٢١،١/٥).

ونجد في أقوال الأنبياء وعوداً بأنّ اللّه سيفتقد شعبه:

**يهوديت** تؤكّد أنّ اللّه يفتقد اسرائيل عن يدها (يهوديت ٨/٣٣). **أشعيا** ينبىء أنّ اللّه يفتقد صور... فتصير تجارتها وأجورها قدساً للرّب (أشعيا ٢٣/١٧-١٨). **زكريّا** أعلن يوم مولد يوحنّا بعد انحلال عقدة لسانه: "مبارك هو الربّ لأنّه افتقد شعبه وجعل له خلاصاً، وبأحشاء رحمة إلهنا يفتقدنا نجم من العلى، لينير الذين في الظلمات وظلال الموت، وليقود خطانا في طريق السلام (لو ١/٦٧ و٧٨-٧٩).

**والشعب** كذلك، عندما رأى يسوع يقيم من الموت ابن أرملة نائين، هتف: "نبيّ عظيم قام بيننا وافتقد اللّه شعبه" (لو ٧/١٦). **والسيّد المسيح** عاتب أورشليم، كمدينة وشعب، وتنبّأ على خرابها، لأنّها لم تكترث لافتقاده، أي الخلاص وتدبير اللّه الجديد: "لو كنت عرفت أنت أيضاً، في يومك هذا،

ما هو لسلامك. ولكن، لقد خفي على عينيك الآن. ستأتي أيّام فيها يحيط بك أعداؤك من كلّ ناحية، ويسحقونك وبنيك الذين فيك، ولا يتركون فيك حجراً على حجر، لأنّك لم تعرفي زمان افتقادك" (لو ١٩/٤٢-٤٤). في يوم الدينونة سيحاسبنا السيّد المسيح، الفادي والديّان، على افتقادنا المريض والسجين (متّى ٢٥/٣٦-٤٣).

يؤكّد **يعقوب الرسول** أنّ "الخدمة الطاهرة والمقدّسة أمام اللّه الآب، بالعبادة والتديّن الطاهر النقيّ، هي افتقاد اليتامى والأرامل في ضيقاتهم، وصيانة الانسان نفسه عن العالم بغير دنس" (يعقوب ١/٢٠). **واسطفانوس** الشهيد يفسّر، في خطبته أمام مجلس اليهود، كيف أنّ "موسى زار إخوته بني إسرائيل في مصر. وانتصر واحد منهم كان يسوقه أحد المصريين ظلماً وغضباً. وظنّ أنّهم سيفهمون أنّ اللّه سيؤتيهم على يده خلاصاً، فلم يفهموا"، وخلص إلى القول: "يا قساة الرقاب، إنّكم في كلّ حين تقاومون الروح القدس؛ وكما كان آباؤكم فكذلك أنتم. أيّاً من الأنبياء لم يضطهده آباؤكم، وقد قتلوا الذين سبقوا وتنبّأوا بمجيء الصدّيق، ذاك الذي أنتم سلّمتموه وقتلتموه" (أعمال ٧/٥١-٥٢).

### ٣. مريم المباركة بين النساء

لقب "المباركة" أطلقه عليها الملاك جبرائيل وأليصابات (لو ١/٢٨ و٤٣). فهي "الممتلئة نعمة"، بفضل اختيار حرّ من قبل اللّه، وبفضل إيمانها الكامل بنداء اللّه. في هذا، مريم هي المثال والقدوة لكلّ المختارين والمؤمنين الطائعين. إنّها تعلن لنا أنّ اللّه هو في بداية كلّ إنسان، وأنّه في سرّ تدبيره، قد دعاه باسمه وكتبه في تاريخ الخلاص. واللّه، فيما يدعونا إلى الوجود،

إنّما يدعونا في الوقت عينه إلى الشركة معه. إنّه يحيط بحياة كلّ إنسان بمحبّة مخلصة لا يُسبر غورها.

مريم المباركة هي دلالة على أنّ اللّه ونعمته يسبيان كلّ كياننا وكلّ أعمالنا، بحيث أنّنا لسنا على شيء من ذواتنا، بل كلّ ما نحن عليه إنّما هو من اللّه وفي اللّه. هذه هي "**عظائم اللّه**" التي أنشدتها مريم الكليّة القداسة، وأصبحت عقائد إيمان في الكنيسة.

أ- **عقيدة الحبل بلا دنس** التي أعلنها **الطوباويّ البابا بيّوس التاسع في ٨ كانون الأوّل ١٨٥٨** : "إنّ العذراء مريم بقيت منذ اللحظة الأولى لحبلها، بنعمة وامتياز فريدين من قبل اللّه القدير، نظراً لاستحقاقات يسوع المسيح، مخلّص الجنس البشريّ، مصونةً من كلّ وصمة الخطيئة الأصليّة".

ب- **عقيدة أمومتها الالهيّة**؛ فهي **والدة الاله** كما أعلنها **مجمع أفسس المسكونيّ سنة ٤٣١**، على أساس ما يعلنه العهد الجديد عن مريم أمّ يسوع. لم تلد مريم اللّه كإله، إنّما ولدت يسوع المسيح في بشريّته المرتبطة ارتباطاً جوهريّاً بالألوهة. الاعتراف بأنّ مريم هي "والدة الإله"، هو في النهاية اعتراف بأنّ يسوع المسيح هو إله حقيقيّ وإنسان حقيقيّ. ولأنّها أمّ الاله، يسوع المسيح، هي أيضاً أمّنا، نحن اعضاء جسده السّرّيّ، وبهذه الصفة تشفع بنا لدى ابنها وتقودنا إليه، وتصبح وسيطة كلّ النّعم، وبالتّالي أمّ الكنيسة (انظر شرحاً بيبليّاً ولاهوتيّاً مسهباً في "المسيحيّة في عقائدها"، صفحة ١٩٤-١٩٨).

ج- **عقيدة بتوليّة مريم**، بالاضافة إلى ولادة يسوع البتوليّة، أعلنها "بتوليّة دائمة" **المجمع المسكونيّ الخامس المنعقد في القسطنطينيّة سنة**

**٥٥٣**، إذ يثبت أنّ مريم بقيت بتولاً **قبل** الولادة، **وفي** الولادة، **وبعد** الولادة. لفظة "**قبل الولادة**" تعني أنّ يسوع هو حقّاً ابن اللّه الذي لم يسلك سبيل الولادة البشريّة الاعتياديّ، بل سلك سبيل الولادة البتوليّة الذي يتلاءم مع التجسد الالهي على انه علامة له. ولفظة "**في الولادة**" تعني ان مريم لم تتألم آلام المخاض لانها منزّهة من الخطيئة الاصلية ومن كل خطيئة شخصية، وقد استعادت كمال الخليقة البشرية السابقة لخطيئة آدم. ولفظة "**بعد الولادة**" تعني أنّ مريم، بعد أن ولدت يسوع، بقيت عذراء ولم تنجب أولاداً آخرين (المرجع المذكور، صفحة ١٩٨-٢٠٣).

د- **عقيدة انتقال العذراء مريم بنفسها وجسدها إلى السماء**، أعلنها البابا بيّوس الثاني عشر في ١٥ آب ١٩٥٠: "إنّها لحقيقة إيمانيّة أوحى اللّه بها: إنّ مريم والدة الاله الدائمة البتوليّة والمنزّهة عن كلّ عيب، بعد إتمامها مسيرة حياتها على الأرض، نقلت بجسدها ونفسها إلى المجد السماويّ".

عقيدة الانتقال تقدّم لنا في مريم مثالاً مشعّاً للرجاء المسيحيّ الحقيقيّ. **إنّها آية الرجاء** من أجل الانسان في كلّ كيانه. فالجسد أيضاً سوف يُخلّص. هذا الرجاء قائم لأنّ يسوع المسيح قام من بين الأموات، فهو البداية وهو الأساس الثابت. وفي مريم اتّضح أنّ هذا الرجاء سيكون مثمراً بالنسبة إلينا، أنّه ينطوي على اكتمال الانسان في كلّ كيانه. هكذا **مريم هي المثال الأوّل لرجاء جميع المسيحيين** (المرجع المذكور، صفحة ٢٠٦-٢٠٨).

### ■ ثانياً، وجود نساء تقدّسن في الأمومتين الدمويّة والروحيّة

من بين القدّيسات اللواتي تقدّسن في آن في الحياة الزوجيّة المزدانة

بالأمومة الدمويّة والأمومة الروحيّة، نذكر قدّيستين إيطاليتين أعلن قداستهما البابا يوحنّا بولس الثاني مع إعلان قداسة مار نعمة الله الحرديني.

**١. القدّيسة جنّا بريتّا مولاّ** (Gianna Beretta Molla) (١٩٢٢-١٩٦٢)

هي زوجة وأمّ وطبيبة أطفال. أعلن قداستها البابا يوحنّا بولس الثاني في ١٤ أيّار ٢٠٠٤. هي العاشرة بين ١٣ ولداً. تزوّجت سنة ١٩٥٥ المهندس بياترو مولاّ (Pietro Molla) الذي ما زال حيّاً؛ وقد حضر الاحتفالين بإعلانها طوباويّة سنة ١٩٩٤ وقدّيسة سنة ٢٠٠٤. أنجبت ابناً وابنتين ما بين سنة ١٩٥٦-١٩٥٩. في الحبل الرابع بالابنة إمنويلا- جنّا (Emanuela Gianna) سنة ١٩٦١ بدأ الخطر يهدّد حياتها. فطلبت من الطبيب الجرّاح أن يخلّص الحياة التي تحملها في بطنها، وسلّمت أمرها للعناية الالهيّة وللصلاة. قالت للأطبّاء: إذا كان لا بدّ من اتّخاذ القرار بيني وبين الطفلة، فلا تتردّدوا: اختاروا، وهذا ما أريد، الطفلة، وخلّصوها. ولدت الطفلة في ٢١ نيسان ١٩٦٢. وبعد أسبوع ماتت الأمّ وهي تردّد: "يا يسوع أنا أحبّك". وكان عمرها ٣٩ سنة. لكنّ القديسة جنّا عاشت في القداسة منذ طفولتها، عندما قبلت المناولة الأولى بعمر خمس سنوات وتربّت في عائلتها تربية مسيحيّة عميقة، والتزمت في صباها بمنظّمة العمل الكاثوليكيّ، واستمرّت في حياتها الجامعيّة والطبيّة والزوجيّة تمارس سرّي التوبة والأفخارستيّا. وأعطت الكثير من وقتها للخدمة الرسوليّة والطبيّة المجّانيّة في المستوصفات والمستشفيات.

**٢. الطوباويّة بولا إليزابيتّا شيريولي** (Paola Elisabetta Cerioli) (١٩١٦-١٩٦٥)

من شمال إيطاليا، متزوّجة وأمّ لأربعة أولاد. أعلنها البابا يوحنّا بولس الثاني طوباويّة في ١٦ أيّار ٢٠٠٤. ترمّلت ولها من العمر ٢٩ سنة، وفقدت

ثلاثة من أولادها بعمر الطفولة، والرابع كارلو بعمر ١٦ سنة. على فراش النزاع قال لها كلمة نبويّة: "ماما، لا تبكي بسبب موتي القريب، لأنّ اللّه سيعطيك أولاداً آخرين كثيرين". بعد الصلاة والاسترشاد وشرب كأس المرارة كاملاً، فتحت بيتها الكبير الذي ورثته من زوجها، وراحت تتفانى في خدمة المحتاجين والمرضى في محيطها. وفيما كانت تتأمّل يوماً وهي تنظر إلى صورة العذراء المتألّمة، أدركت أنّ كلمات ابنها النبويّة قد تحقّقت في العائلة المقدّسة، عائلة الناصرة، حيث ساهمت مريم ويوسف بشكل عجيب في تصميم الآب الخلاصيّ، بالأمومة والأبوّة الروحيّة الشاملة. فانصرفت إلى الاعتناء بالأطفال المهملين، بهدف تأمين مستقبل للّذين هم بدون مستقبل، بسبب حرمانهم من عائلة كريمة. فأسّست مع زميلاتها الخمس جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة، وأنشأت دوراً للأيتام والأولاد المهملين ومدارس ومستشفيات، ودورات تعليم مسيحيّ ورياضات روحيّة ومخيّمات صيفيّة. وهكذا تمّت نبوءة ابنها كارلو بأمومتها الروحيّة. ماتت ليلة الميلاد سنة ١٨٦٥ بعمر ٤٩ سنة.

## ■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تواصل الجماعات الراعويّة التفكير معاً في النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: **"كنيسة الرجاء"**، وبوجه التحديد في **علامات الرجاء** (الفقرتان ٢٠ و٢١). بعد تقبّل النصّ المجمعيّ تضع الجماعات خطّة تطبيقيّة.

### ١. الخصوصيّة والتراث

من علامات الرجاء ما أنعم به اللّه على كنيستنا عبر العصور من

خصوصيّة شكّلت تراثها الروحيّ والثقافيّ واللاهوتيّ. لقد غذّى هذا التراث أبناءها، وأسهم في تغذية فكر الكنيسة الجامعة.

تقتضي الخطّة الراعويّة وعي هذا التراث واتّخاذ مبادرات لتفعيله ونشره، بالتعاون مع الكنائس الأنطاكيّة الشقيقة (فقرة ٢٠).

### ٢. حسّ الانتماء الكنسيّ

من مدعاة الرجاء أن نلاحظ لدى المؤمنين العلمانيين حسّ الانتماء الكنسيّ الذي ظهر بنوع خاصّ في التجاوب مع المجمع البطريركيّ المارونيّ على كلّ المستويات: الصلاة والتفكير معاً والاجابة على الأسئلة التحضيريّة وتقديم الاقتراحات والمشاريع، وكتابة المقالات وإقامة الندوات والتغطية الاعلاميّة وتوزيع المنشورات.

تقتضي الخطّة الراعويّة اتّخاذ مبادرات لتعزيز هذا الحسّ الكنسيّ، وقد بلغنا إلى مرحلة تطبيق التعليم والتوصيات المجمعيّة. فالمسؤولون في الكنيسة يعملون على تثمير طاقات المؤمنين، وهؤلاء يلتزمون بالتعاون والمشاركة في حياة الكنيسة ورسالتها في العائلة والرعيّة والأبرشيّة والمجتمع والوطن (فقرة ٢١).

***

**صلاة**

يا مريم، فجر العالم الجديد وأمّ الأحياء، إليك نكل قضيّة الحياة. أنظري إلى هذا العدد المتزايد من الأجنّة الذين يُمنعون من أن يبصروا النور،

والفقراء الذين يصعب عليهم العيش، والرجال والنساء الذين يقعون ضحيّة العنف اللا إنسانيّ، والمسنّين والمرضى الذين يموتون بسبب الاهمال.

ساعدي ذوي الارادات الطيّبة، المؤمنين بابنك فادي الانسان، ليعلنوا **إنجيل الحياة**، بفرح وامتنان طوال حياتهم، وأن **يشهدوا له** بشجاعة وثبات من أجل بناء حضارة الحقيقة والمحبّة، لمجد الله الخالق والمحبّ للحياة، آمين (صلاة للبابا يوحنّا بولس الثاني).

# مولد يوحنا المعمدان

## الرحمة والانصاف أساس السلام

من إنجيل القدّيس لوقا ١/ ٥٧-٦٦

قال لوقا البشير: تمّ زمان أليصابات لتلد، فولدت ابناً. وسمع جيرانها وأقاربها أنّ الربّ قد عظّم رحمته لها، ففرحوا معها. وفي اليوم الثامن جاؤوا ليختنوا الصبيّ، وسمّوه باسم أبيه زكريّا. فأجابت أمّه وقالت: «لا! بل يُسمّى يوحنّا!». فقالوا لها: «لا أحد في قرابتك يدعى بهذا الاسم». وأشاروا إلى أبيه ماذا يريد أن يسمّيه. فطلب لوحاً وكتب: «إسمه يوحنّا!». فتعجّبوا جميعهم. وانفتح فم زكريّا، وانطلق لسانه، وجعل يتكلّم ويبارك الله، فاستولى الخوف على جميع جيرانهم، وتحدّث الناس بكلّ هذه الأمور في كلّ جبل اليهوديّة. وكان من سمع بذلك يحفظه في قلبه قائلاً: «ما عسى هذا الطفل أن يكون؟». وكانت يد الربّ حقّاً معه.

***

الله يتمّ وعده، الذي أعلنه في بشارة الملاك لزكريّا: يوحنّا يولد، الشعب يفرح، ورحمة الله تتجلّى، والمولود يعطى اسمه، والنطق يعود لزكريّا. هذه كلّها علامات لعظمة هذا الصبيّ. الله أمين في وعده وعهده، فعندما يعد يفي. إنّه **إنجيل الرحمة**. نصلّي في المزمور ١٠٥: "احمدوا الربّ إلهنا وادعوا باسمه، انشدوا له وافتخروا باسمه القدّوس. هو الربّ إلهنا **يتذكّر للأبد**

**عهده:** الكلمة التي أوصى بها إلى ألف جيل، العهد الذي قطعه مع ابراهيم، والقسم الذي أقسمه لاسحق، والذي جعله فريضة ليعقوب وعهداً ابديّاً لشعبه" (مز ١٠٥/١-١٠).

## ■ أوّلاً، انجيل رحمة اللّه

### ١. إنجيل الرحمة

اعتلن **إنجيل الرحمة** بمولد يوحنّا وباسمه الذي يعني **اللّه رحوم** "يهوحنان". وهو اعتلان يشمل تجليّات رحمة اللّه في العهد القديم، ويوحنّا آخر أنبيائه، ويفتتح تجلّياتها في العهد الجديد، ويوحنّا رسوله الأوّل. تجلّى اللّه الرحوم في المسيح وبواسطته، وجسّد المسيح الرحمة في شخصه، وكأنّه ألبسها شخصه. لقد أصبح هو الرحمة، فمن رآها فيه، تجلّى له الآب بصورة خاصّة على أنّه "غنيّ بالرحمة" (أفسس ٢/٤؛ البابا يوحنّا بولس الثاني: في الرحمة الالهيّة، ٢). والربّ يسوع جعل الرحمة مسلكاً جوهريّاً ورسالة في حياة الانسان وطوّبه عليها: "**طوبى للرحماء فإنّهم يُرحمون**" (متّى ٥/٧).

**مريم،** في بيت يوحنّا، أنشدت "رحمة اللّه من جيل إلى جيل" (لو ١/٥٠)، مستبقة اختبارها لها عندما شاركت في كشف رحمة اللّه ونشرها بتضحية قلبها مع ابنها المصلوب، وبقبول سرّ الفداء الالهيّ، حيث التقت العدالة الالهيّة السامية والمحبّة، فكانت الرحمة التي هي "**القبلة المطبوعة على جبين العدالة**" (مز ٨٥/١١). ولهذا لُقّبت مريم، أمّ اللّه، "**بأمّ الرحمة وسيّدة الرحمة وأمّ المحبّة الرحيمة**" (في الرحمة الالهيّة، ٩). ولهذا، لا سلام في داخل الانسان وبين الناس ولا غفران، بدون عدالة ملطفة بالرحمة، أي بدون إنصاف. عندما نقول **عدالة** نعني التساوي في الحقوق والواجبات. وعندما

نقول **رحمة** نعني مشاعر الانسانيّة والشفقة واحترام الشخص البشريّ وكرامته والمغفرة. العدالة والرحمة مجتمعتان تشكّلان **الانصاف**.

لقد طبع "إنجيل الرحمة" **القوانين الكنسيّة** بالانصاف، حتّى أنّها تخضع كلّها لقاعدة عامّة تنيرها: "**خلاص النفوس يجب أن يكون دائماً في الكنيسة الشريعة الأسمى**" (ق ١٤٤٠). كلّ قانون في الكنيسة ينبغي أن يكون في خدمة التدبير الالهيّ الذي يخلص كلّ إنسان بالمسيح. فالانسان هو طريق الكنيسة الأوّل والأساسيّ وغايتها الأولى، لأنّه مفتدى بدم المسيح. (البابا يوحنا بولس الثاني: فادي الانسان، ١٤).

لفظة "**انصاف**" تعني في الكتاب المقدّس **رحمة اللّه وحنانه** تجاه الانسان. وتعني **أمانته** لهما، مهما ابتعد عنه الانسان أو أساء إليه أو أنكره: "الربّ إله رحيم ورؤوف، طويل الأناة كثير الرحمة والوفاء، يحفظ الرحمة لألوف الأجيال، ويحتمل الاثم والمعصية والخطيئة، ولكنّه لا يترك شيئاً من دون عقاب" (خروج ٣٤/-٧). تصلّي الكنيسة: "الربّ رؤوف رحيم طويل الأناة كثير الرحمة، لا على الدوام يخاصم ولا للأبد يحقد ولا على حسب خطايانا عاملنا. بل كارتفاع السماء عن الأرض عظمت رحمته على الذين يتقونه" (مز ١٠٣/-١١). ويؤكّد **أشعيا غفران اللّه** المرتبط بعدله: "لذلك ينتظر الربّ المناسبة ليرحمكم، لأنّه إله عدلٍ لجميع الذين ينتظرونه" (اش٣٠/١٨).

بولس الرسول ينطلق من "**إنصاف المسيح**" (٢ كور ١٠/١)، الظاهر في وداعته وحلمه وهو ملك السماوات (فيليبّي ٢/-١١)، ويدعو كلّ صاحب سلطة أن يتّصف بالانصاف (أعمال ٢٤/٤). بولس نفسه يصف الانصاف بأنّه "عدالة طبيعيّة" بمعنى الشريعة المكتوبة في الضمائر بمعزل عن الدين:

"فالوثنيّون الذين بلا شريعة، إذا عملوا، بحسب الطبيعة، ما تأمر به الشريعة، كانوا شريعة لأنفسهم، هم الذين لا شريعة لهم، فيدلون على أن ما تأمر به الشريعة من الأعمال مكتوب في قلوبهم، وتشهد لهم ضمائرهم وأفكارهم، فهي تارة تشكوهم وتارة تدافع عنهم" (روم ٢/١٤-١٥).

لهذا **أوصت الكنيسة دائماً القضاة** بأن يتحلّوا بالانصاف كصفة ضروريّة للقيام بواجباتهم في تطبيق الشرائع وتفسيرها. فالانصاف يفترض المحبّة، وهذه تمكّن القاضي من أن يجعلها الروح في قراراته، ويتجنّب الحرف الذي يقتل، ويأخذ بعين الاعتبار الشخص البشريّ ومقتضيات وضعه وظروفه. هذا الانصاف يحمله عادة على تطبيق القانون وتوزيع العدالة بأكثر إنسانيّة وتفهّم (البابا بولس السادس، في خطابه لقضاة الروتا الرومانيّة، ٨ شباط ١٩٧٣). وأوصت الكنيسة أيضاً **المشترع** بالاستناد إلى الانصاف في صياغة القوانين وتفسيرها وتطبيقها، من أجل تلطيف شدّة القانون، بحيث يأتي ملائماً للحالات الراهنة، مستلهماً روح الرحمة والعطف والمبادىء الخلقيّة والقيم التي تشكل الأساس لقيام أيّ نظام اجتماعيّ على المستوى المحليّ والدوليّ (البابا يوحنّا بولس الثاني، رسالة إلى المؤتمر القانونيّ السادس عشر في جامعة اللاتران بروما، في ٢١ اذار ٢٠٠٢، الفقرة ٥- ٦).

**في هذا الضوء ندرك** الظلم الكبير والضرر في الحياة الاجتماعيّة والوطنيّة، عندما يسيّس القضاء أو عندما يمارسه الحكم الديكتاتوريّ والتوتاليتاريّ. وندرك أيضاً أبعاد "**إنجيل الرحمة**" المعلن يوم مولد يوحنّا المعمدان.

### ٢. التربية على الرحمة والانصاف كأساس للسلام

العائلة هي المدرسة الأساسيّة للتربية على الرحمة والإنصاف، لأنّ في

عائلة زكريّا وأليصابات ويوم مولد يوحنّا اعتلن إنجيلهما. "فلّما" ولدت أليصابات ابناً، سمع جيرانها وأنسباؤها أنّ اللّه أكثر رحمته لها ففرحوا معها، فكان **إنجيل الرحمة**. ولمّا طلب زكريّا لوحاً وكتب: "اسمه يوحنّا، انفتح للحال فمه ولسانه، وتكلّم ممتلئاً من الروح القدس وبارك اللّه" (أنظر نشيده: لو ١/٦٧-٧٩)، فكان الانصاف.

في العائلة يجد الأفراد أوّل تلقين للفضائل الاجتماعيّة التي تنعش حياة المجتمع وتعمل على تطويره. عندما يعيش أفراد العائلة في شركة الحياة وتقاسم الخيرات، يتوفرّ للاولاد **الأسلوب التربويّ** الأكثر واقعيّة. وفوق ذلك يشكّل اختبار الشركة والتقاسم المساهمة المهمّة والأساسيّة في أنسنة المجتمع. وعندئذ تتطوّر العلاقات بين أعضاء الجماعة العائليّة على أساس الكرامة الشخصيّة والاستعداد السخيّ للخدمة المجرّدة والتضامن العميق (ص٤٣٥).

الرحمة والانصاف ينبعان من فضيلتين أساسيّتين، المحبّة والعدالة اللتين تثمران سلاماً.

**السلام هو ثمرة المحبّة** وفعلها الخاصّ والمميّز. فلأنّ اللّه محبّة، هو إله السلام؛ ولأن محبّة المسيح بلغت ذروتها في صليب الفداء، فالمسيح أمير السلام. من يحبّ يزرع السلام.

**والسلام ثمرة العدالة** (أشعيا ١٧/٣٢)، لأنّ هذه تشمل كلّ مساحات الشخص البشريّ، فتؤمّن كلّ ما هو متوجّب له، وتضمن احترامه في كرامته، وتوجّه العيش معاً إلى الخير العام، وتعزّز حقوق الانسان. وبذلك تبني مجتمعاً سليماً، وتضع الأسس لانماء الأفراد والشعوب إنماءً شاملاً.

هذا السلام، بمفهومه اللاهوتيّ والاجتماعيّ، **أعلنه يوحنّا المعمدان**

ويناضل في سبيله، عندما كان يدعو الشعب إلى التوبة ويحرّضهم على إعطاء ثمار تليق بها، وعندما كان ينادي بتقويم سبل اللّه في برّية هذا العالم (متّى ٣/٢ و٣ و٨). وبهذا تحقّقت نبوءة أبيه زكريّا يوم مولده: "سينير الجالسين في الظلمات وظلال الموت، ويقود خطانا في طريق السلام" (لو ١/٧٩).

## ■ ثانياً، أعياد هذا الأسبوع

**تحتفل الكنيسة بعيد الحبل بلا دنس** (٨ كانون الأوّل)

عندما تكوّنت مريم في حشا أمّها حنه بعد أن حبلت بها من زوجها يواكيم، عصمها اللّه منذ اللحظة الأولى من خطيئة آدم التي يرثها كلّ مولود لامرأة، والمعروفة **بالخطيئة الأصليّة**. ثمّ في حياتها الخاصّة "عصمت" نفسها من أيّ خطيئة فعليّة. هذه العقيدة أعلنها الطوباويّ البابا بيّوس التاسع في ٨ كانون الأوّل ١٨٥٤، وأيّدتها مريم الكليّة القداسة لبرناديت في ظهورات لورد، بعد أربع سنوات، في ١١ شباط ١٨٥٨، فلمّا سألت الصبيّة هذه "المرأة الفائقة الجمال" عن اسمها، أجابت: "أنا الحبل البريء من الدنس".

من سفر التكوين الى رؤيا يوحنّا يظهر "**سرّ المرأة**"، التي هي مريم، سرّ شخصها ورسالتها، ومعه ينكشف تصميم اللّه الخلاصيّ تجاه البشريّة (أمّ الفادي، ٤٧).

**في سفر التكوين** تظهر **المرأة**، رمز العذراء مريم، في عداوتها للحيّة - الشيطان، وفي اتّحادها بالمسيح الفادي ونسله: "واجعل عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها: فهو يسحق رأسك وأنت تصيبين عقبه" (تك ٣/١٥). **وفي رؤيا يوحنّا** تظهر **المرأة** في شخصها ورسالتها: "وظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة ملتحفة بالشمس والقمر تحت قدميها، وعلى

رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً، حاملٌ تصرخ من ألم المخاض، وضعت ابناً ذكراً فخُطف إلى حضرة اللّه من وجه التنين العظيم الذي ألقي الى الارض (بموت المسيح وقيامته)، فغضب على المرأة ومضى يجارب سائر نسلها الذين يحفظون وصايا اللّه، وعندهم شهادة يسوع المسيح، واقفاً على رمل البحر" (رؤيا ١٢). مريم هي، وفق هذه الرؤيا، ممتلئة نعمة بالتحافها الشمس، وباسطة ملكها على الخلق أجمع بارتفاعها فوق القمر، وأسمى من الملائكة بإكليلها المرصّع، وشريكة الفداء بآلام المخاض، وقاهرة الشيطان - التنّين العظيم، وتشفع بإخوة ابنها على شطّ هذا العالم.

عند دخول **مريم بيت** أليصابات، وابن اللّه المتجسّد جنين في حشاها، تقدّس يوحنّا وغسّل من الخطيئة الأصليّة، وامتلأت أليصابات من الروح القدس وتنبّأت عن الأمّ والجنين الذي في حشاها (لو ١/٣٩-٤٥). وعندما ولد يوحنّا، ومريم ما زالت هناك، امتلأ زكريّا أبوه من الروح القدس وتنبّأ بدوره عن ابنه الذي أرسله الربّ الاله افتقاداً لشعبه، وقياماً لعهد خلاص معه من جميع الأعداء والمبغضين، وأداة رحمة، وفقاً لوعده لأبي الشعوب ابراهيم (لو ١/٦٨-٧٤).

**الحدث الأساس** كان انتصار المرأة، مريم حوّاء الجديدة، على الشيطان. وهو انتصار تحقّق يوم تكوّنت مريم في حشا أمّها معصومة من الخطيئة، استباقاً لاستحقاقات من سيكون ابنها، الفادي الالهيّ، وتدشيناً لهذا الانتصار الدائم الذي سيحقّقه المخلّص في الجنس البشريّ بواسطة مريم. في الواقع كان يوحنّا أوّل المنتصرين وهو في بطن أمّه. وهو بدوره، كأوّل رسول في العهد الجديد المسيحانيّ، عهد انتصار النعمة، سيبدأ منذ مولده بأن "ينمو ويتقوّى بالروح القدس" (لو ١/٨٠).

بفضل امتلاء مريم من النعمة والروح القدس، أصبحت "بريئة من دنس الخطيئة الأصليّة، وبالتالي **شريكة الفداء** بانتصارها على الحيّة" (تك ١٣/٥) وعلى التنين (رؤيا ١٢)، **ووسيطة الخلاص** التي تحمل يسوع إلى البشر وتحملهم إليه، وفي كلّ ذلك هي "أيقونة الروح القدس"، وصورة الكنيسة الشاهدة للرحمة والممارسة لها في أسرار الخلاص، ولاسيّما في المعموديّة والتوبة والقربان.

وتصنع الكنيسة تذكار **قدّيسين شهدوا لانجيل يسوع المسيح**، إنجيل الرحمة والمحبّة.

**القدّيسة برباره الشهيدة** (٤ كانون الأوّل)

استشهدت سنة ٢٣٥ بقطع رأسها في عهد الوالي الرومانيّ مركيانوس. هي في الأصل وثنيّة من عائلة غنيّة، اهتدت للايمان بالمسيح واعتمدت وأمرت خدّام بيتها بتحطيم تماثيل الآلهة الأصنام، ونذرت بتوليتها للربّ يسوع، وراحت تشهد له، وتتحمّل ما أنزل بها والدها الوثنيّ والوالي الرومانيّ من آلام، وكان المسيح يشفيها ويبدّد جراحها وآثارها عن وجهها.

**القدّيس سابا** (٥ كانون الأوّل)

راهب ناسك وكاهن رقد بالربّ سنة ٥٣٢ في ضواحي أورشليم. امتاز بممارسة التقشّف والصلاة والتسامي بالفضائل. أقبل عليه الرهبان والنسّاك، فبنى لهم ديراً وأنشأ مناسك وبيوتاً لخدمة المرضى والفقراء بفضل ما سلّمته أمّه من مال بعد موت والده. انتدبه بطريرك أورشليم إلى الملك البيزنطيّ في القسطنطينيّة للتوسّط ورفع الظلم، فكان يلقى كلّ تجاوب وتكريم بفضل مهابته ووقاره.

### القدّيس أمبروسيوس أسقف ميلانو (٧ كانون الأوّل)

ولد في فرنسا حيث كان والده والياً. وعادت به أمه إلى روما حيث ربّته تربية مسيحيّة صالحة مع شقيقته وشقيقه. دخل سلك الكهنوت وحاز ثقافة فلسفيّة ولاهوتيّة رفيعة، وأصبح أسقف ميلانو، فرعى شؤونها بالعدل والإستقامة. على يده ارتدّ أغسطينوس إلى التوبة. جمع بين فضيلتي التواضع والشجاعة، ولم يكن يهاب أحداً من عظماء الدنيا أيّاً كان في الدفاع عن الحقّ والعدل.

منع الملك تيودوسيوس دخول الكنيسة وحضور القدّاس بسبب قتله أبرياء في تسالونيكي قائلاً له: "لا يجوز لك، أيّها الملك، أن تدخل بيت اللّه بيدين ملطّختين بدم الأبرياء، ما لم تتقدم من سرّ التوبة وتعوّض عن الضحايا وعن إثمك".

ولمّا تحقّق الأسقف توبته مدّة ثمانية أشهر في قصره محروماً، أذن له بدخول الكنيسة وحضور الذبيحة الالهيّة، فكان التأثّر العميق بادياً على وجه الملك والشعب.

وامتاز أمبروسيوس بمحبّته للفقراء والمحتاجين، وكان شغوفاً بالعبادة للعذراء مريم. فألّف نشائد عديدة بمديحها.

## ■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تستعرض الخطّة الراعويّة **علامات أخرى للرجاء**، استكمالاً للتفكير معاً في النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: **"كنيسة الرجاء"**.

### ١. جاذبيّة الكنيسة (فقرة ٢٢)

من علامات الرجاء في حياتنا اليوم جاذبيّة الكنيسة بفضل قديّسيها الذين أتمّوا ارادة اللّه في مساعيهم ومشاريعهم، وصمدوا بوجه المصاعب والمحن والاضطهادات، وبفضل الأمانة للمسيح وانعكاس وجهه.

تظهر جاذبيّة الكنيسة في كونها تستقطب الشبّان والفتيات لتكريس حياتهم للمسيح والكنيسة، في الحياة الكهنوتيّة والرهبانيّة؛ وتغذّي المؤمنين بما تقدّم لهم في صلواتها وليتورجيّتها؛ وتعزّز نهضة روحيّة على مستوى الشبيبة في الانتساب إلى الأخويّات ومختلف الحركات والمنظّمات الرسوليّة، وفي القيام بنشاطات متنوّعة في إطار الرعيّة والأبرشيّة والمجتمع.

وتبقى الكنيسة، بفضل رعاتها، ملاذاً ومرجعاً يهرع إليه المؤمنون لسماع كلام الحقّ، وللدفاع عن الانسان وحقوقه، وكرامته، وللذود عن سيادة الوطن وشرفه.

### ٢. توق إلى التجدّد (فقرة ٢٣)

ومن علامات الرجاء هذا التوق إلى التجدّد الذي نشهده على المستوى الشعبيّ وبخاصّة على مستوى الشبيبة، التوّاقين إلى حياة روحيّة اصيلة على خطى القدّيسين اللبنانيين شربل ورفقا ونعمة اللّه.

تقتضي الخطّة الراعويّة إيجاد السبل لتعزيز هذا التجدّد وجعله شمولياً.

### ٣. مبادرات تضامن (فقرة ٢٤)

في قلب محنة الحرب والهجرة والتهجير، سطعت علامة رجاء على الصعيد الاجتماعيّ في مبادرات التضامن التي قام بها أفراد ومنظّمات

ومؤسّسات. وكانت مشاريع وحملات تبرّع شملت المدارس والجامعات والرعايا. وبسبب هذا الوعي، راح المربّون يوجّهون الشبيبة إلى نشاطات تطوّعيّة استكمالاً لتنشئتهم.

تسعى الخطّة الراعويّة إلى رسم مساحات للتضامن، بحيث يشعر الجميع أنّنا مترابطون بعضنا ببعض، وأنّنا مسؤولون كلّنا عن كلّنا. فلا بدّ من تنظيم خدمة المحبّة والتضامن، وتعزيز حضارة التقاسم.

***

**صلاة**

أيّها القدّيس يوسف، حارس يسوع وعريس مريم البتول، لقد انصرفت بكليّتك إلى خدمة الكنزين الأغليين، يسوع ومريم، بالعمل اليدويُ والصلاة، بالمحبّة والتعب. اليك نلجأ لتعيننا في تحمّل مسؤوليّاتنا في العائلة والكنيسة والمجتمع. هب لنا الادراك أنّنا لسنا لوحدنا في العمل والمسعى، فنعرف كيف نكتشف حضور يسوع إلى جانبنا، ونقبله بالكلمة والنعمة، ونشهد له في المحبّة التي تطبع شؤوننا الزمنيّة. أعطِ كلّ مسيحيّ مخلص، حيثما يوجد، أنّ يتقدّس نشاطه بالمحبّة والصبر والعدالة والخير، فتنزل على عالمنا غزيرة عطايا اللّه الذي منه كلّ صلاح وخير، له المجد إلى الأبد، آمين (من صلاة الطوباويّ البابا يوحنّا الثالث والعشرين).

الأحد ١٧ كانون الأوّل ٢٠٠٦

# البيان ليوسف

## اللّه في كشف دائم لمقاصده الخلاصيّة

من إنجيل القدّيس متّى ١/ ١٨-٢٥

قال متّى الرسول: أمّا ميلاد يسوع المسيح فكان هكذا: لما كانت أمّه مريم مخطوبة ليوسف، وقبل أن يسكنا معاً، وجدت حاملاً من الروح القدس. ولمّا كان يوسف رجلها بارّاً، ولا يريد أن يشهّر بها، قرّر أن يطلّقها سرّاً. وما إن فكّر في هذا حتى تراءى له ملاك الربّ في الحلم قائلاً: «يا يوسف بن داود، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك، فالمولود فيها إنّما هو من الروح القدس. وسوف تلد ابناً، فسمّه يسوع، لأنّه هو الذي يخلص شعبه من خطاياهم». وحدث هذا كلّه ليتمّ ما قاله الربّ بالنبي: «ها إنّ العذراء تحمل وتلد ابناً، ويدعى اسمه عمّانوئيل، اي اللّه معنا». ولمّا قام يوسف من النوم، فعل كما أمره ملاك الربّ وأخذ امرأته. ولم يعرفها، فولدت ابنه. وسمّاه يسوع.

***

الملاك الذي بشّر زكريّا ومريم في اليقظة، هو إيّاه بشّر يوسف في الحلم. هكذا تكتمل البشارات الثلاث التي أوحى اللّه فيها ذاته المتجليّة في الكلمة المتجسّد يسوع المسيح، وكشف سرّ الانسان كمعاون لعمل اللّه الخلاصيّ في شخص يوحنّا المعمدان ومريم ويوسف، وأبان أنّ العائلة هي المكان الذي يتواصل فيه الوحي وإعلان مقاصد اللّه.

## ■ أوّلاً، مضامين النصّ الانجيليّ

### ١. تكامل البشارات الثلاث

**أوحى اللّه** ذاته بشكل متكامل وكشف سرّ الانسان:

**في البشارة لزكريّا بمولد يوحنّا** (لو ١/٥-٢٥)، **أوحى اللّه ذاته** أنّه صادق في الوعد، ومستجيب لصلاة الأبرار، ومفتقد شعبه السائر في ظلمات هذه الدنيا، وإله غنيّ بالرحمة. **وكشف سرّ الانسان** بشخص يوحنّا المعمدان، هو "الصوت الذي يسبق الكلمة ويعبّر عنها" (القدّيس أغسطينوس)، والبشير الناطق بكلام اللّه، والفجر الذي يعكس اقتراب طلوع الشمس، والسابق الذي يمهّد طريق المسيح إلى القلوب والعقول.

**في البشارة لمريم بتجسد ابن اللّه وأمومتها له** (لو ١/٢٦-٣٧)، **أوحى اللّه ذاته** بشخص المسيح أنّه إله واحد مثلّث الأقانيم: آب خالق بحبّه، وابن مخلّص بتجسّده، وروح قدس محي ومقدّس بحلوله، وأنّ المسيح كلمة اللّه المتجسّد يوطّد في الأرض ملكه الدائم إلى الأبد، هو ملكوت اللّه الظاهر في الكنيسة السر والشركة والرسالة، مبتدئاً في التاريخ على الأرض ومكتملاً بالأبديّة في السماء. **وكشف اللّه سرّ الانسان** بشخص المرأة مريم التي هي زوجة تحبّ، وأمّ تعطي الحياة، وعذراء طاهرة تقدّم ذاتها بسخاء وتجرّد من دون حساب، وأمّ نقيّة روحيّة تشفع وتحمي وتواكب الحياة البشريّة من البداية حتى النهاية، وأنثى تؤنسن المجتمع وتنعش البيت كما الروح ينعش الجسد.

**في البشارة ليوسف بأبوّته ليسوع المخلّص وببتوليّة مريم خطّيبته** (متى ١/١٨-٢٥)، **أوحى الله** ذاته أنّه، بشخص الابن الذي يصبح إنساناً اسمه في التاريخ يسوع، أي "الله الذي يخلّص شعبه من خطاياه"، يتضامن مع كلّ

إنسان في شتّى مراحل حياته، ويحضر بقربه في كلّ ظروفه وحالاته بكلمته ونعمته ومحبّته الى منتهى الدهر، لكونه "عمّانوئيل- إلهنا معنا". **وكشف سرّ الانسان** بشخص يوسف الذي هو زوج أمين للوعد يتعهّد شريكة الحياة بإخلاص ويحمي كرامتها، وأب محبّ يتفانى بالعمل في إعالة الأسرة ورعاية الحياة البشريّة، ورجل مسؤول يحافظ على الكنزين: الأمّ وابنها، ومعطيهما هويّة عائليّة واسماً في سجلّ العائلة البشريّة، ومربٍّ لابنه بالمثل والعمل.

### ٣. الحبل بلا دنس الأساس البعيد للبيان ليوسف

احتفلت الكنيسة في الأسبوع الماضي بعيد الحبل بلا دنس الذي يأتي بمثابة أساس للبيان ليوسف، وبمثابة تكامل مع البشارة لمريم.

البراءة التي أعلن بها الطوباويّ البابا بيّوس التاسع عقيدة الحبل بلا دنس في ٨ كانون الأوّل ١٨٥٤، وعنوانها: "**اللّه غير المدرك**" (Ineffabilis Deus)، قالت: "إنّ اللّه غير المدرك اختار مرّة منذ البدء وقبل الدهور أمّاً لابنه الوحيد الذي سيولد منها بالجسد وهو المولود من قلب الآب مساوياً له في جوهر الألوهة، وجعلها فوق جميع الخلائق، متقدّمة على الملائكة وجميع القدّيسين، وأغناها بغزارة المواهب الفائضة من كنز الألوهة، وحرّرها من كلّ دنس خطيئة وجمّلها بكمال البراءة والقداسة، وعصمها من وصمة الخطيئة الأصليّة ونصرها على الحيّة القديمة، وزيّنها ببهاء القداسة الكاملة". ويضيف البابا في براءته: "لمجد الثالوث الأقدس، ولاكرام لائق بالعذراء والدة الاله، ولتعزيز الايمان الكاثوليكيّ والدين المسيحيّ، إنّا بسلطان سيّدنا يسوع المسيح والرسولين بطرس وبولس وبسلطاننا نحدّد ونعلن **العقيدة بأنّ العذراء مريم الكليّة الطوبى**، بنعمة خاصّة وامتياز من اللّه القادر على

كلّ شيء، **حفظت من كلّ دنس الخطيئة الأصليّة منذ اللحظة الأولى للحبل بها**، استباقاً لاستحقاقات المسيح يسوع مخلص الجنس البشريّ. إنّها عقيدة موحاة من اللّه، ينبغي على جميع المؤمنين الايمان بها بثبات وشكل دائم".

في البيان ليوسف انكشف الوحي الالهّي بشأن عقيدة الحبل بلا دنس بطريقة غير مباشرة.

**مريم زوجة** يوسف، التي لم تنتقل بعد إلى بيته ولم تساكنه، هي العذراء الحبلى من الروح القدس بيسوع "الاله الذي يخلّص شعبه من خطاياه". **المرأة العذراء** نبوءة نجدها في الصفحة الأولى من سفر التكوين، حيث تظهر مع ابنها بدون رجل: "أجعل عداوة بينكِ (الحيّة القديمة - الشيطان) وبين المرأة، بين نسلكِ ونسلها، هو يسحق رأسكِ، وأنت تترصّدين عقبه" (تك ٣/١٥). يكشف أشعيا مضمون النبوءة: "يؤتيكم الربّ آية، ها إنّ العذراء تحبل فتلد ابناً وتدعو اسمه عمّانوئيل" (أشعيا ٧/١٤). **ونجد رموزها العديدة** في كتب العهد القديم: **العلّيقة المتّقدة** التي رآها موسى تلتهب ولا تحترق، وكان منها نداء اللّه لخلاص شعبه (خروج ٣/١-١١) ؛ **عصا هارون** التي ابتلعت عصيّ سَحَرَة مصر التي إنقلبت تنانين (خروج ٧/١٢)؛ **جزّة جدعون** التي ملأها الندى (قضاة ٦/٣٨)؛ **العروس البستان المقفل والينبوع المختوم** (أناشيد ٤/١٢).

كانت مريم الأمّ العذراء تحفظ في صميم قلبها **الرغبة في تكريس ذاتها للّه وحده تكريساً كاملاً**، بحيث تقف ذاتها كليّاً له وحده، كما نفهم من سؤالها للملاك: "كيف يكون هذا وأنا لا أعرف رجلاً" (لو ١/٣٤). لكنّ اللّه سبق وكرّسها له في اللحظة الأولى للحبل بها، تكريساً عصمها من خطيئة

آدم الأصليّة. واليوم يحقّق رغبتها في تكريس بتوليّتها له بصيرورتها حصراً أمّاً لابن اللّه بفعل الروح القدس (البابا يوحنّا بولس الثاني: حارس الفادي، ١٨). أمومتها لابن اللّه بالجسد هي ثمرة تكريسها المزدوج المصدر: تكريس من اللّه وتكريس منها.

**مريم زوجة يوسف هي المرأة الحامل بفعل الروح القدس**: "لا تخف يا يوسف أن تأخذ مريم امرأتك، لأنّ الذي ولد فيها هو من الروح القدس" (متّى ١/٢٠). لقد رأها يوحنّا الرسول في بهاء سرّها ورسالتها كأمّ المسيح الاله وأمّ جسده السريّ، الكنيسة: "ظهرت آية عظيمة في السماء: امرأة ملتحفة بالشمس، والقمر تحت قدميها، وعلى رأسها إكليل من اثني عشر كوكباً، حاملٌ تصرخ من ألم المخاض. وظهرت آية أخرى: تنّين كبير أشقر له سبعة رؤوس وعشرة قرون... وقف أمام المرأة التي توشك أن تلد، حتى إذا وضعت ولدها ابتلعه" (رؤيا ١٢/١-٤).

رؤيا يوحنّا ترجمت نبوءة سفر التكوين (٣/١٥)، وافتتحت نبوءة العهد الجديد: "يا امرأة هذا ابنك" (يو ١٩/٢٦)، وهي أمومة مريم بالنعمة للكنيسة، جسد المسيح السريّ، وللجنس البشريّ؛ وكشفت أنّ الكنيسة هي على صورة مريم، عذراء وأمّ، أمّ ومعلّمة؛ وأظهرت بُعدها النهيويّ - الاسكاتولوجيّ، أعني انتصار الكنيسة الدائم على التنّين وسائر قوى الشرّ: "أبواب الجحيم لن تقوى عليها" (متّى ١٦/١٨)، وهي قوى الشر "القائمة على رمال بحر هذا العالم، تحارب سائر نسل المرأة الذين يحفظون وصايا اللّه، والذين لهم شهادة يسوع" (رؤيا ١٢/١٧-١٨).

**في لوحة البيان ليوسف**، انكشف سرّ الرجل في عمل اللّه الخلاصيّ، إلى جانب المرأة. حاول يوسف أنّ يخلي سبيل مريم سرّاً (متّى ١/١٩)، بعد

أن قرّر انسحابه لئلاّ يعرقل الخطّة الالهيّة التي باتت تتحقّق في مريم. لكنّه أدرك أن الخطّة الالهيّة تشمله هو أيضاً كزوج لمريم وأبٍ شرعيّ ليسوع ومربٍّ له.

فاللّه يريده، بقوّة العهد الزوجيّ، شريكاً لمريم في كرامتها السامية، ورفيقاً لحياتها، وشاهداً لبتوليّتها، وحارساً لشرفها. ويريده أباً لابنه الالهيّ، لا بالانجاب، بل بإعطاء الاطار البشريّ لأسرة ابن اللّه. فهو الأب بالاصالة البشريّة وحامل كلّ دور الأب في العائلة. ويدعوه إلى كمال حبّه الزوجيّ لمريم، مجدّداً إيّاه بالروح القدس، فوهب يوسف كلّ ذاته وحياته وعمله لمريم، وحوّل دعوته البشريّة لتأسيس عيلة إلى تقدمةً ذاته وقلبه وجميع طاقاته وبذلها في خدمة المخلّص المولود في بيته (حارس الفادي، ٨ و١٠ و٢١). هكذا، بطاعة الايمان أخذ يوسف مريم إلى بيته واحترم تكرسّها المطلق للّه "فلم يعرفها، وولدت ابنها البكر" (متّى ١/٢٥).

## ٢. القدّيس يوسف معلّم ثقافة السلام

عاش يوسف البار في **مخافة اللّه**، ساعياً إلى مرضاته، ما جعله في حالة إصغاء دائم لما يقول الربّ ويوحي، في اليقظة وفي الحلم. فاتّصف **بالحكمة** التي مكّنته النظر إلى إحداث حياته من منظار اللّه: "لمّا قام من نومه، صنع كما أمره ملاك الرّبّ، فأخذ مريم امرأته إلى بيته، ولم يعرفها، فولدت ابنها البكر، يسوع". إنّها **ثقافة السلام**.

لقد حمى يوسف كرامة مريم خطيبته البريئة، وهي البتول الحبلى بيسوع بقوّة الروح القدس، من دون أن يشكّ بشأن حبلها. جابه النزاع بتجنّب اللجوء إلى القضاء، وفكّر بتخلية مريم سرّاً. هذا الموقف يشكّل الأساس في بناء السلام. جميع القوانين تدعو إلى الحلول السلميّة مثل المصالحة

والتحكيم والتسوية، قبل الذهاب إلى المحاكمة القضائيّة البغيضة. لم يشكّ يوسف ببراءة مريم، فسعى إلى حمايتها.

السلام يوجب حماية الأبرياء، على مستوى الأفراد والشعوب. في كثير من الظروف السكّان المؤمنون يُضربون ويُستهدفون في النزاعات المسلحة. يُقتلون ويُهجرون من بيوتهم وأراضيهم بطريقة وحشيّة. وتُعطّل مصالحهم وتُخرّب مؤسّساتهم، وتقطع طرقاتهم، وتُدمّر جسور معابرهم. هذا ما عشناه أخيراً في لبنان في الحرب المدمّرة التي فرضت عليه طوال ٣٣ يوماً في تمّوز - آب ٢٠٠٦. إنّ الشرع الدوليّ الانسانيّ يقضي بحماية الأبرياء، فيجب احترامه. كم العالم بحاجة إلى أنسنة!

ونحن أيضاً المؤتمنين على السلام، عطيّة اللّه للبشريّة بشخص يسوع المسيح، الذي نستعدّ لاستقباله في قلوبنا، مدعوّون إلى التشبّه بفضيلتي القدّيس يوسف البتول، الحكمة ومخافة اللّه. **بالحكمة** نستلهم أنوار الروح القدس لننظر إلى أحداث حياتنا وإلى الأشخاص من منظار اللّه، بروح الحنان والانصاف. **وبمخافة اللّه** نسعى في كلّ موقف وقرار وعمل إلى مرضاة اللّه، مدركين أنّنا اليه تعالى نسيء عندما نرتكب الاساءة الى الانسان. الحكمة ومخافة اللّه تحميان الأبرياء، وتبنيان ثقافة السلام.

## ■ ثانياً، وجوه عاشت في الحكمة ومخافة اللّه

من بين القدّيسين المعاصرين الجدد، نذكر وجهين من العلمانيين المؤمنين بالمسيح، بلغا إلى القداسة من خلال نشاطهما الزمنيّ في الطبّ والادارة المدنيّة، وعزّزا ثقافة السلام.

### القدّيس جوزبّي موسكاتي (Giuseppe Moscati) (١٨٨٠-١٩٢٧)

أعلنه قدّيساً البابا يوحنّا بولس الثاني. هو طبيب ورئيس قسم في مستشفى مدينة نابولي. تربّى في عائلة مسيحيّة حقّة، اختبر الألم الخلاصيّ بوفاة الوالد عندما كان طالباً جامعيّاً، وبوفاة شقيق له بعمر ٣٢ سنة بداعي المرض. عاش الدعوة إلى القداسة في حياته العلمانيّة، وقال عنه البابا يوحنّا بولس الثاني إنّ هذا القدّيس يدعو العلمانيين إلى اعتبار دعوتهم إلى القداسة كأبناء للكنيسة.

### الطوباويّ ألبرتو مارفيلّي (Alberto Marvelli) (١٩١٨-١٩٤٦)

أعلنه البابا يوحنّا بولس الثاني طوباويّاً في ٥ أيلول ٢٠٠٤. تربّى في عائلة من ستة أولاد، وانتمى إلى منظّمة العمل الكاثوليكيّ، فإلى الحزب الديموقراطيّ المسيحيّ في إيطاليا، وانتخب عضواً في مجلس بلديّة مدينة ريميني (Rimini). خدم المحبّة أثناء الحرب الكونيّة الثانية اتّخذ مواقف إيمانية، وجعل من القدّاس اليوميّ ينبوع نشاطه الكنسيّ والاجتماعيّ والسياسيّ مقتنعاً بضرورة العيش بشكل كامل كابن للّه في التاريخ. توفيّ بحادث سير، وهو بعمر ٢٨ سنة.

## ■ ثالثاً، الخطة الراعويّة

في زمن المجيء والميلاد، وهو زمن الرجاء، تواصل الخطّة الراعويّة التفكير معاً، على مستوى الجماعات في الكنيسة والمجتمع، حول "**كنيسة الرجاء**" وهو عنوان النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، فنفكّر سويّة في **علامات الرجاء**.

### ١. الرسالة في المحيط المشرقيّ ( فقرة ٢٥)

يذكّرنا النصّ المجمعيّ أنّ للمسيحيين في هذا الشرق، الذي تدين أكثريّة سكّانه بالدين الاسلاميّ، رسالة لها جذورها التاريخيّة ومبرّراتها، ولو كانت محفوفة بالأخطار. إنّ حضورهم هو للشهادة والرسالة والخدمة. هذا ما ردّده بطاركة الشرق الكاثوليك في رسائلهم الراعوية المشتركة. لهذه الثلاثة كان خيارهم في هذا الشرق، والتزامهم بالعيش المشترك القائم على الاحترام والحوار والتعاون لبناء وطن يسوده الحقّ والعدل.

تقتضي الخطّة الراعويّة من الجماعات اتّخاذ مبادرات عمليّة لأداء الشهادة والقيام بالرسالة وتأدية الخدمة، في ضوء إنجيل اليوم.

### ٢- وعي المسيحيين العوام دورهم في حياة الكنيسة ورسالتها (فقرة ٢٦)

إنّ هذا الوعي آخذ في التنامي، ولاسيّما على مستوى الشبيبة والمرأة. يشير النصّ المجمعيّ إلى مساهمة الأخويّات والمنظّمات الرسوليّة، ومعاهد التثقيف الدينيّ، ووسائل الاعلام الدينيّة، في تنامي هذا الوعي.

تقتضي **الخطّة الراعويّة** إيجاد السبل لتعزيز الانتماء الكنسيّ، على مستوى المشاركة في حياة الكنيسة ورسالتها، والتشجيع على القيام بالمهمّات الكنسية على صعيد الرعيّة والأبرشيّة واللجان الأسقفيّة الراعويّة. يبقى القدّيس يوسف البتول النموذج والمثال.

***

**صلاة**

أيّها القدّيس يوسف، شفيع الكنيسة، أنت العامل الصامت في كرم الربّ، من أجل حراسة الكنزين الأغليين مريم ويسوع، مساهماً في حياة ورسالة الكنيسة الناشئة في الناصرة، بارك كنيستنا المحليّة، في الرعيّة والأبرشيّة والوطن، اعضدها دائماً وسِرْ بها إلى الأمام في طريق الأمانة للانجيل. أعطِ أبناءها وبناتها نعمة الالتزام في حياتها ورسالتها، على مثالك. ساعدنا لكي نصغي إلى إلهامات الروح. إحمِ السلام في العالم، هذا السلام الذي يستطيع وحده ضمانة ترقّي الشعوب، وتحقيق الآمال البشريّة. نسألك ذلك من أجل خير البشريّة ورسالة الكنيسة ومجد الآب الذي اختارك والابن الذي شرّفك بأبوّته والروح القدس الذي قاد خطاك وقراراتك، للاله الواحد الحقّ كلّ مجد وإكرام. آمين (مقتبسة من صلاة البابا بولس السادس).

الأحد ٢٤ كانون الأوّل ٢٠٠٦

# نسب يسوع

## أنسنة الحياة البشريّة والمجتمع

### من إنجيل القدّيس متّى ١/١-١٧

قال متّى الرسول: كتاب ميلاد يسوع المسيح، إبن داود، إبن ابراهيم: ابراهيم ولد إسحق، إسحق ولد يعقوب، يعقوب ولد يهوذا وإخوته، يهوذا ولد فارص وزارح من تامار، فارص ولد حصرون، حصرون ولد آرام، آرام ولد عميناداب، عميناداب ولد نحشون، نحشون ولد سلمون، سلمون ولد بوعز من راحاب، بوعز ولد عوبيد من راعوت، عوبيد ولد يسّى، يسّى ولد داود الملك.

داود ولد سليمان من امرأة أوريّا، سليمان ولد رحبعام، رحبعام ولد أبيّا، ابيّا ولد آسا، آسا ولد يوشافاط، يوشافاط ولد يورام، يورام ولد عوزيّا، عوزيّا ولد يوتام، يوتام ولد أحاز، آحاز ولد حزقيّا، حزقيّا ولد منسّى، منسّى ولد آمون، آمون ولد يوشيّا، يوشيّا ولد يوكنيا وإخوته، وكان السبي إلى بابل.

بعد السبي إلى بابل، يوكنيا ولد شألتيئيل، شألتيئيل ولد زربابل، زربابل ولد أبيهود، أبيهود ولد إلياقيم، إلياقيم ولد عازور، عازور ولد صادوق، صادوق ولد آخيم، آخيم ولد إليهود، إليهود ولد إليعازر، إليعازر ولد متان، متان ولد يعقوب، يعقوب ولد يوسف رجل مريم، التي منها ولد يسوع، وهو الذي يدعى المسيح.

فجميع الأجيال من ابراهيم إلى داود أربعة عشر جيلاً، ومن داود إلى سبي بابل أربعة عشر جيلاً، ومن سبي بابل إلى المسيح أربعة عشر جيلاً.

***

نسب يسوع إلى العائلة البشريّة يعني أنّ ابن اللّه، الكلمة الالهيّ، صار إنساناً بين الناس، مواطناً في هذا العالم، خاضعاً للشريعة، لكنّه **مخلّص العالم**. نسبه يبيّن مسيحانيّته: فهو "**مشتهى الأمم**" الذي انتظرته الشعوب وتاقت إليه وصلّت: "ذابت نفسي شوقاً إلى خلاصك" (مز ١١٨/٨١). الأسماء المدوّنة في شجرة نسب يسوع ترمز إلى كلّ الشعوب في كلّ حالاتها: المؤمنة والوثنيّة والبارّة والخاطئة. هذا يعني أنّ يسوع المسيح هو الألف والياء، وقلب التاريخ، ومحور البشريّة. من سبقه ذاب في انتظار مجيئه، ومن تلاه يذوب في انتظار تجلّيه. فمنذ البدء إلى منتهى الأزمنة، لم يعرف الانتظار أيَّ توقّف إلاّ في المرحلة التي عاشها المسيح على الأرض برفقة تلاميذه. فيحقّ لجسد المسيح بكامله، وهو يئنّ في هذه الحياة، أن يرتّل مع صاحب المزامير "تذوب نفسي إلى خلاصك، واترجّى أقوالك، "ذلك أنّ" في المسيح قال اللّه لنا كلّ شيء" (القديس يوحنا الصليبي).

كونه مخلّص العالم، فهو يعيد إليه بهاء الخلق، ويعيد إلى الانسان إنسانيّته.

## ■ أوّلاً، مفهوم نسب يسوع

### ١. يسوع ابن ابراهيم وابن داود

يفتتح متّى الرسول إنجيله هكذا: "نسب يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم" (١/١)، وينهي بالقول "ويعقوب ولد يوسف زوج مريم التي وُلد منها يسوع، الذي يقال له المسيح" (متّى ١/١٦). أربعة أسماء تحدّد هوية يسوع: ابراهيم وداود ويوسف ومريم.

**ابراهيم** يعني وعود اللّه له التي تحقّقت في المسيح: **فابراهيم** هو أبو المؤمنين، وأبو أمّة تحافظ على فكرة الاله الحقّ وعبادته ومنها يخرج خلاص

الجنس البشريّ. **المسيح** هو رأس البشريّة المفتداة، وهو علّة الخلاص الوحيدة للجنس البشريّ بكامله. من ابراهيم ونسله الذي يبلغ ذروته في المسيح، ينتشر الخلاص المسيحانيّ الى جميع الشعوب: "وأنا أجعلك أمّة كبيرة وأباركك وأعظّم اسمك، وتكون بركة لجميع أمم الأرض" (تك ١٢/١-٢). وهكذا يستمرّ ويتوضّح وعد الله لأبوينا الأوّلين: "واجعل عداوة بينك (الحيّة - الشيطان) وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها، فهو يسحق رأسك وأنت تصيبين عقبه" (تك ٣/١٥). هو أوّل إعلان للخلاص الذي تحقّق في مريم، حوّاء الجديدة، وفي المسيح. يعتبر **ابراهيم** كالأساس في بنيان تاريخ الخلاص، **ويسوع** حجر الزاوية .

**داود** هو الملك التيوقراطيّ بامتياز، الشاعر والنبيّ. رجل حسب قلب الله (١ صموئيل ١٣/١٤)، ورمز المسيح الذي سيولد من نسله ويُعرف بأنّه "ابن داود"". فيه تمتّ المواعيد لداود على لسان ناتان النبيّ: "اذا تمّت أيّامك واضطجعت مع آبائك، أقيم من يخلفك من نسلك الذي يخرج من صلبك، وأنا أثبّت عرش ملكه إلى الأبد" (٢ صموئيل ٧/١٢-١٣).

**يوسف ومريم** بزواجهما البتوليّ هما والدا المسيح، ابن الاله المتجسّد، الذي هو الوعد لابراهيم ولداود، ومحقّق هذا الوعد بشخصه التاريخيّ وبجسده السرّي الذي هو الكنيسة.

المراحل الثلاث في لوحة نسب يسوع تدلّ إلى أنّه محور تاريخ الخلاص:

**في المرحلة الأولى** من ابراهيم الى داود، كان الوعد لابراهيم (٢٠٠٠ سنة قبل المسيح) وتواصل مع داود من سنة ١٠٤٢ الى ٩٧٢ ق م. في **المرحلة الثّانية** من داود إلى سبي بابل كانت حملات نبوكدنصر ملك

الأشوريين ضدّ يهوذا وأورشليم ما بين ٥٩٧ و٥٨٢، وكان نفي الشعب الى بابل، وقد عاتبه اللّه على خيانته للعهد. ولكن في الواقع، ظلّ الربّ في وقت المحنة حاضراً، واستمر بوفائه العجيب يعمل على انهاض شعبه من عثرته، كما وعد على لسان ارميا: "اجعل نظري على أبناء يهوذا الذين أرسلتهم من هذا المكان إلى أرض الكلدانيين لخيرهم، واجعل عينيَّ عليهم لخيرهم، وأرجعهم إلى هذه الأرض، وأبنيهم ولا أهدمهم، وأغرسهم ولا أقتلعهم، وأعطيهم قلباً ليعرفوا أنّي أنا الربّ، ويكونون لي شعباً وأكون أنا لهم إلهاً، لأنّهم يرجعون إليّ بكلّ قلوبهم" (ارميا ٢٣/٥-٧). وفي **المرحلة الثالثة** من سبي بابل إلى المسيح، اكتملت كّل الوعود وتحقّقت في المسيح، كغاية لكلّ شيء.

### ٢. أنسنة الانسان بالفداء والخلاص

بزواج يوسف ومريم البتوليّ انتمى ابن اللّه المتجسّد إلى العائلة البشريّة، وبالاحصاء الذي أجري لسكّان الأرض في عهد أغسطس قيصر، أحصي يسوع المسيح في الأسرة البشريّة (لو ٢/١-٧). لقد حمل للبشريّة **الأنسنة الأصيلة**، وما زال يؤنسن كلّ أبعاد حياتها: الاقتصاد، السياسة، الثقافة، العائلة، المجتمع، التربية، الاعلام. نستند في هذا العرض إلى محاضرة للكردينال بول بوبار (Poupard) رئيس المجلس الحبريّ للثقافة، "**أنسنة جديدة للالف الثالث**": ألقاها في مؤتمر الأونسكو الدوليّ (٣-٤ ايار ١٩٩٩).

**الأنسنة** (Humanisme) هي أنّ كلّ إنسان محبوب من اللّه ومدعوّ ليصبح دائماً أكثر "على مثال صورة ابنه" (روم ٨/٢٩). كلّ تعليم الكنيسة الاجتماعيّ يدعو إلى تعزيز **الأنسنة الكاملة**: **إنّها** انفتاح الانسان على المطلق الذي

يشكلّ دعوة الحياة البشريّة (البابا بولس السادس: ترقّي الشعوب، ٤٢)؛ وهي تغني الكرامة البشريّة إذا توفّرت لدى كلّ إنسان، عندما تعلن له الكنيسة خلاص اللّه، وتقدّم له الحياة الالهيّة، وتنقلها إليه بواسطة الاسرار الخلاصيّة، وتوجّه حياته بوصايا حبّ اللّه والقريب (البابا يوحنّا بولس الثاني: السنة المئة، ٥٥)؛ وتثمر ثقافة جديدة للحياة، عندما يستنير الانسان بجدّة الانجيل، فيكتشف في ضوئه، بالعقل والاختبار، معنى كيانه ووجوده، ويدخل في حوار مع المؤمن وغير المؤمن (إنجيل الحياة ٨٢)، فيحقّق جميع الناس ملء دعوتهم لأن يصيروا "شركاء في الميراث والجسد والوعد في يسوع المسيح حسب البشارة" (أفسس ٣/٦)، "ويصبحوا الانسان الراشد، ويبلغوا القامة التي توافق كمال المسيح" (أفسس ٤/١٣).

### أنسنة الاقتصاد

الانسان في نظرة ماركس هو المنتج والمستهلك. إنّها نظرة تحطّ من كرامته، فتهدم الرجل والمرأة في طبيعتهما العميقة. ندّد البابا لاوون الثالث عشر، في رسالته العامّة "الشؤون الحديثة (١٨٩١)، باستغلال الانسان للانسان استغلالاً يرفع من شأن المادّة ويحطّ من قدر الانسان من خلال عمله بالذات". إنّنا نرى الطبيعة تتلوث والانسان يتشوّه. وعندما يتحوّل الانسان الى مجرّد قدرة اقتصاديّة، يصبح شيئاً مجرّداً من الشخصيّة، وبالتالي ليس أخاً، بل يصبح وحشًا للانسان، حسب المقولة الوثنيّة القديمة. من هنا التفاوت الاجتماعيّ المتنامي الذي يجعل الأغنياء أكثر غنى والفقراء أكثر فقراً.

### أنسنة السياسة

السياسة تحديداً هي خدمة الخير العام، وحسب تعبير البابا بيّوس

الثاني عشر هي "حقل المحبّة الأوسع". أصبحت الحقل المقفل للأنانيّات المقتدرة التي تسحق ضعف الضعفاء، وباتت ممارسة السلطة حكراً لفئات أو مدن أو دول. وإذا بالمواطنين، المنتزعة حقوقهم الأساسيّة، يعيشون في خيبة مرّة، على الرغم من إعلان الشرعة العالميّة: "إن النّاس يولدون ويمكثون أحراراً ومتساوين في حقوق الانسان".

### أنسنة الثقافة

الثقافة في الأساس هي روح شعب: إنّها من حياة الانسان ومن صنعه ومن أجله. هي كيفيّة عيشه وتفكيره، ونوعيّة وجوده، وطريقة تواجده في مكان وبيئة محدّدين. يعيش الإنسان حياة إنسانيّة حقّة بفضل الثقافة. أمّا اليوم، فأصبحت الثقافة المسيطرة، التي يسمّونها بفخر الحداثة، خليطاً من التكنولوجيا والاستهلاكية والسعي الى اللذة. إنها انتصار روح الفرديّة، والسعي الجنونيّ إلى الكسب أكثر، بدون أيّ اهتمام بالصيرورة. إنّها فصل لذّة الجنس عن فرح الابوة والامومة. نحن امام اولاد بدون حب، وامام حب بدون اولاد.

### أنسنة العائلة

العائلة قلب المجتمع ومهد الانسانيّة. "قل لي ما عائلتك أقول لك من أنت". لا يكفي أن تكون ابن رجل وامرأة، بل أن تعرف وتشعر بأنّك محبوب كثمرة حبّهما، الذي هو عطيّة من اللّه. كثيرون من الأولاد يموتون من اليتم على أنواعه، كموت أحد الوالدين أو انفصالهما. "لا أحد يستطيع أن يعيش بدون حب"، كما يؤكّد البابا يوحنّا بولس الثاني في رسالته "فادي الانسان". يموت رجال ونساء هذا الزمن لأنّهم غير محبوبين: فوسائل منع الحمل والاجهاض والاباحيّة الجنسيّة بكلّ أشكالها والخلاعة والمخدّرات،

كلّها تستصرخ فقدان الحبّ. الأنسنة الجديدة هي ثمرة نداء المسيح في الانجيل: "أحبّوا بعضكم بعضاً كما أنا أحببتكم" (يو ١٣/٣٤).

### أنسنة المجتمع

الانسان كائن شخصيّ واجتماعيّ. أنا وأنت نصبح نحن: أشخاص، عائلات، رابطات، أحزاب سياسيّة، نقابات، فرقاء عمل... نحن متكاملون في جسد واحد (١ كور ١٢/١٢-١٨). كما الحجارة في البناء تتصدّع بدون الاسمنت، كذلك الناس في المجتمع يتفكّكون بدون الحبّ. نبع الانسان الاجتماعيّ الذي لا ينضب هو في الثالوث القدوس: فالآب ليس أباً إلاّ في الابن، والآب والابن متّحدان في روح الحبّ.

### أنسنة التربية

لا يعيش الانسان بفضل غريزته بل بالتربية. الانسان كائن سريع العطب. فلكي يندمج في المجتمع، ويشكّل في صرحه حجراً، يحتاج الى تربية، تكسبه المعرفة وحسن العيش، وتقنيّات ووسائل للعمل، وطرقاً وأفكاراً وصوراً، وقيماً روحيّة وإنسانيّة وإجتماعيّة وأسباباً للعيش. النهج التربويّ مريض، لأنّ المجتمع لا يحبّ المعلمين، ولأنّ المعلّمين لا ينقلون معنى الحياة والحبّ، معنى العمل والمستقبل، معنى السلطة والمعرفة، معنى ينشّىء أشخاصاً بملء شخصيتهم.

### أنسنة الاعلام

وسائل الاعلام هي وسائل للتواصل البشريّ إذ "لا أحد جزيرة" (Thomas Merton). نعاني اليوم من هجوم صور تهدم الثقافات وتحطّ من قدسيّة القيم. لدينا تقنيّات رائعة، لكنّها مبتذلة في مضامينها المؤسفة: تبثّ

هاجس الجنس والعنف والطلاق. فلا بدّ من ردّة فعل واعتراض على هذا الوضع الذي يجرّد الثقافة من حضارتها والانسان من إنسانيّته.

**يقيننا** أنّ إنسان اليوم آخذ في الانحطاط منذ قرّر أن يعيش مستقلاً عن الله، وأن تجدّده يأتي من عودته إلى الجذور، إلى المسيح الذي "يبيّن تماماً الانسان لذات، ويجعله يكتشف سموّ دعوته. ففي المسيح وحده يستنير لغز الانسان وسرّ الوجود" (الكنيسة في عالم اليوم ٢٢).

**هذه الأنسنة تشكّل جوهر ثقافة السلام.**

## ■ ثانياً، الخطّة الراعويّة

في ضوء مسيرة الأجيال نحو المسيح الذي يوحّدها بشخصه، وهو "الألف والياء، البداية والنّهاية، الأوّل والأخير" (رؤيا ٢٢/١٣)، تواصل الخطّة الراعويّة التفكير معاً في **علامات الرجاء** التي يقدّمها المجمع البطريركيّ المارونيّ في نصّه الأوّل: "**كنيسة الرجاء**".

### ١. التقارب المسكونيّ ( فقرة ٢٧)

من علامات الرجاء أنّ المسيح يجتذب أبناء الكنائس إلى سلوك الطريق نحو وحدتهم بالمسيح. فقد قامت مبادرات متنوّعة هدفت إلى تعزيز التواصل بين المسيحيين، وبثّ روح المحبّة والتعاون فيما بينهم، وإزالة نقاط سوء التفاهم والأحكام المسبقة. ذلك على مستوى السلطات الكنسية والشعب.

تقتضي **الخطّة الراعويّة** من الجماعات في الرعايا والمجتمع اتّخاذ مبادرات عمليّة لتشديد أواصر الوحدة بين المسيحيين، وللقيام بأعمال ونشاطات لعيش الشهادة معاً لرسالة المسيح الواحدة ولقيم إنجيله.

### ٢. مريم العذراء حاملة الرجاء (فقرة ٢٨)

وضع المسيحيّون عامّة والموارنة خاصّة رجاءهم في شخص العذراء مريم، ونظروا إليها كعلامة رجاء تقودهم. وهتفوا إليها: "يا ام اللّه، يا حنونة، يا كنز الرحمة والمعونة. انت ملجانا وعليك رجانا. وإن كان جسمك بعيداً منّا، صلواتك هي تصحبنا".

تقتضي **الخطّة الراعويّة** إظهار علامات الرجاء بشخص مريم في ليتورجيّا القدّاس والصلوات والزيّاحات، وتعزيز التعبّد للسيّدة العذراء، سيّدة لبنان، التي تضمن حماية هذا الوطن، هي التي من على تلّة حريصا تبسط يديها عليه مملوءة نعماً وبركات سماويّة. ولا بدّ من المحافظة على التقليد المسيحيّ والمارونيّ بإعطاء البعد المريميّ للصلاة في العائلة والجماعات. إنّ صلاة المسبحة التأمليّة تبقى الصلاة الفضلى التي تطبع حياة الأفراد والجماعات بالقيم الانجيليّة.

***

### صلاة

في هذا الأحد الأخير من مسيرتنا نحو ميلاد الربّ يسوع، الذي يجتذب الأجيال والشعوب ويوحّدهم، نصلّي صلاته الأخيرة من أجل وحدة المؤمنين به:

"أيّها الآب، مجّد ابنك بإعطاء الحياة الأبديّة لكلّ من أعطيتهم له. والحياة الأبديّة هي أن يعرفوك أنّك أنت الاله الحقيقيّ وحدك، ويعرفوا الذي أرسلته، يسوع المسيح. إحفظهم باسمك ليكونوا واحداً كما نحن واحد. أنا ألقيت عليهم كلمتك، فأبغضهم العالم، لأنّهم ليسوا من العالم، كما أنّي انا

لست من العالم. أنا لا أصلّي لتخرجهم من العالم، بل لتحفظهم من الشرير. قدّسهم بحقك، فإنّ كلمتك هي الحقّ. كما أرسلتني إلى العالم، أنا أيضاً أرسلتهم إلى العالم. ليكونوا مقدّسين في الحقّ. ليكونوا كلّهم واحداً، كما أنت فيّ يا أبي. ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا، ليؤمن العالم أنّك أنت أرسلتني، وأنّك أحببتهم كما أحببتني. أيّها الآب، أريد أن يكون الذين وهبتهم لي، هم أيضاً معي، حيث أكون، ليشاهدوا مجدي الذي وهبتنيه قبل إنشاء العالم. آمين" (انجيل القديس يوحنا ١٧/١-٣، ٢٤،٢١،١٩،١٤،١١).

الاثنين ٢٥ كانون الأوّل ٢٠٠٦

# ميلاد الربّ يسوع

## المسيح يقود التاريخ البشريّ نحو الأنسنة والسلام

من انجيل القدّيس لوقا ٢/١-٢٠

«قال لوقا البشير: في تلك الأيّام، صدر أمر من أغوسطس قيصر بإحصاء كلّ المعمورة. جرى هذا الإحصاء الأوّل، عندما كان كيرينيوس والياً على سوريا. وكان الجميع يذهبون، كلّ واحد إلى مدينته، ليكتتبوا فيها. وصعد يوسف من الجليل، من مدينة الناصرة، إلى اليهوديّة، إلى مدينة داود تدعى بيت لحم، لأنّه كان من بيت داود، وعشيرته، ليكتتب مع مريم خطيبته، وهي حامل. وفيما كانا هناك، تمّت أيامها لتلد، فولدت إبنها البكر، وقمّطته، وأضجعته في مذود، لأنّه لم يكن لهما موضع في قاعة الضيوف.

وكان في تلك الناحية رعاة يقيمون في الحقول، ويسهرون في هجعات الليل على قطعانهم. فإذا بملاك الربّ قد وقف بهم، ومجد الربّ أشرق حولهم، فخافوا خوفاً عظيماً. فقال لهم الملاك: لا تخافوا! فها أنا أبشّركم بفرح عظيم يكون للشعب كلّه، لأنّه ولد لكم اليوم مخلّص، هو المسيح الربّ، في مدينة داود. وهذه علامة لكم: تجدون طفلاً مقمّطاً، مضجعاً في مذود!». وانضمّ فجأة إلى الملاك جمهور من الجند السماويين يسبّحون اللّه ويقولون: «المجد للّه في العلى، وعلى الأرض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر».

ولمّا انصرف الملائكة عنهم الى السماء، قال الرعاة بعضهم لبعض: «هيّا بنا إلى بيت لحم، لنرى هذا الأمر الذي حدث، وقد أعلمنا به الربّ». وجاؤوا

مسرعين، فوجدوا مريم ويوسف والطفل مضّجعاً في المذود. ولمّا رأوه أخبروا بالكلام الذي قيل لهم في شأن هذا الصبيّ. وجميع الذين سمعوا، تعجّبوا ممّا قاله لهم الرعاة. أمّا مريم فكانت تحفظ هذه الأمور كلّها، وتتأمّلها في قلبها. ثمّ عاد الرعاة وهم يمجّدون اللّه ويسبّحون على كلّ ما سمعوا ورأوا، حسبما قيل لهم».

***

لوحة الميلاد تكشف أنّ اللّه يقود مجرى التاريخ. فالبشريّة في مسيرة خلاص شخصيّ وجماعيّ يشمل جميع الوقائع الزمنيةّ. الكنيسة تحمل إنجيل هذه البشرى السارّة، وتشهد له في حياة أبنائها وبناتها ومؤسّساتها.

## ■ أوّلاً، مضامين لوحة الميلاد الانجيليّة

### ١. اللّه يقود مجرى التاريخ

حدث الميلاد يظهر أنّ اللّه هو الذي يقود مجرى التاريخ، بحيث يتحقّق في واقعاته تصميم الخلاص. بمناسبة الاحصاء العالميّ يحصل ميلاد الربّ في بيت لحم، فتتمّ **نبوة ميخا** التي قالها قبل الميلاد بسبعماية سنة عن "الحامل" التي تلد في بيت لحم من "يقف ويرعى شعب اللّه بعزّة الربّ، وبعظَمة اسم الربّ الاله، ويتعاظم الى أقاصي الأرض" (ميخا ٥/١-٣). إنّ الذي أمر بالاحصاء، هو المتسلّط على العالم، أغسطوس قيصر، لكنّ المولود الوضيع في بيت لحم هو سيّد السماء والارض، ابن اللّه الذي صار إنسانًا، كما أعلن الملاك للرعاة: "أبشّركم بفرح عظيم، يكون للعالم كلّه: لقد ولد اليوم لكم المخلّص الذي هو المسيح الرب، في مدينة داود" (لو ٢/١٠-١١). داود هو رمز هذه الملوكيّة من جوانب ثلاثة: الجانب البيولوجيّ: يوسف ومريم هما من سلالة داود، والمولود الالهيّ "من زرع

داود في الجسد" (روم ١/٣) يحصى في هذه السلالة؛ الجانب الجغرافيّ: بيت لحم هي مدينة داود؛ الجانب الاجتماعيّ: فقر منود بيت لحم لا قصور أورشليم التي هي مدينة داود بامتياز: "أنت، يا بيت لحم، أصغر عشائر يهوذا، ولكن منك يخرج من يكون متسلّطاً على إسرائيل" (ميخا ٥/١).

وتتحقّق **نبوة أشعيا**، السابقة للميلاد هي أيضاً بسبعماية سنة: "يؤتيكم الربّ نفسه آية: ها إنّ العذراء تحبل فتلد ابناً وتدعو اسمه عمّانوئيل" (اشعيا ٧/١٤). فيستعمل لوقا عن قصد لفظة "خطيبة يوسف حبلى" (لو٢/٥)، على الرّغم من المساكنة الزوجيّة حسب الأصول القانونيّة منذ ستّة أشهر. هذه للدلالة على أنّ مريم هي عروسة الروح القدس، "قوّة العليّ التي ظللتها" (لو ١/٣٥)، لا يوسف، وإنّها العذراء الامّ، وإنّ يوسف زوجها الشرعيّ هو أبو يسوع بالشريعة لا بالطبيعة.

ولدت البتول "**ابنها البكر**". لفظة "بكر" تعني المولود الأوّل الذي لا يعقبه إخوة، بل الذي ينبغي أن "يقدّم للربّ فدية وولاء للربّ الذي حرّر شعبه" (خروج ١٣/١-١٦). وسيقدّم هذا البكر نفسه للآب على الصليب ذبيحة فداء عن البشريّة جمعاء. ومعه "كبكر بين إخوة كثيرين" (روم ٨/٢٩) يبدأ شعب اللّه الجديد خلقاً جديداً يدشّن الأزمنة الجديدة للعهد المسيحانيّ. إنّه "بكر الآب" أي "ابن اللّه الوحيد" (يو ١/١٨؛ ١يو ٤/٩)، الذي صار ابن البتول بالجسد البشريّ، "ليكون، وهو صورة اللّه الذي لا يرى، بكر جميع الخلائق"، (كولسي ١/١٥)، و"ليكون، وهو الذي كان قبل الكلّ وبه كل شيء كوّن، رأس الكنيسة والأوّل والبكر القائم من بين الأموات" (كولسي ١/١٧-١٨).

لقد بدت **علامات الخلاص** في البتول الأمّ التي تلد بدون وجع المخاض، هي التي سافرت طوال خمسة أيّام من الناصرة إلى بيت لحم

(١٥٠ كلم)، وهي التي، وحدها وبدون مساعدة من احد، "ولدت ابنها البكر ولفته بالقماطات ووضعته في مذود"، فتكلّلت بمجدين: البتولية والأمومة الالهيّة. كما ظهرت **علامات الفداء** في فقر المولود الالهيّ ووداعته، وقد وُضع في مذود للبهائم، هو "الذي سيخلي ذاته آخذاً صورة عبد، ويطيع حتى الموت على الصليب" (فيلبّي ٢/٧-٩).

## ٢. مسيرة خلاص البشريّة

عندما ولد يسوع في بيت لحم كان ظهور ملائكيّ في سمائها، بمثابة **ليتورجيّة سماويّة** احتفلت بالحدث الذي "يسير بالأزمنة إلى تمامها" (أفسس ١/١٠)، ماسكاً زمام ماضي البشريّة والكون وحاضرها ومستقبلها حتى نهايتها الاخيرة (Eskaton). "فالمسيح المولود هو هو أمس واليوم وإلى الأبد" (عبر ١٣/٨). وقد أنشد جنود السماء: "المجد للّه في العلى وعلى الأرض السلام، للناس الذين يحبّهم" (لو ٢/١٤)، محتفلين بذلك الذي تنبّأ عنه **أشعيا**: "الشعب السائر في الظلمة أبصر نوراً عظيماً... وفّرت للامة الفرح... لانه قد ولد لنا ولد واعطي لنا ابن، فصارت الرئاسة على كتفه. دُعي اسمه عجيباً مشيراً، إلهاً جبّاراً، أبا الأبد، رئيس السلام، لنموّ الرئاسة ولسلام لا انقضاء له، على عرش داود مملكته، ليقرّها ويوطّدها بالحقّ والبرّ من الآن وإلى الأبد. غيرة الربّ تصنع هذا" (اش ٩/١-٢؛٥-٦). إنّ **ليتورجيا الأرض** في الكنائس تواصل هذا الاحتفال بالحدث الخلاصيّ. والناس ذوو الارادة الحسنة يلتزمون بعمل الخلاص على اختلاف مستوياته: الروحيّة والثقافيّة، الاجتماعيّة والاقتصاديّة، السياسيّة والانمائيّة.

بلغت البشرى إلى **الرعاة**، وهم رمز الناس المهمّشين والفقراء والمستضعفين والأخيرين في الفئات الاجتماعيّة والرحّل وغير المستقرّين،

سواء على الصعيد الماديّ أم الرّوحي أم الخلقيّ أم الإجتماعيّ؛ هؤلاء الذين قال عنهم الفادي الالهيّ يوم أعلن رسالته في مجمع الناصرة: "روح الربّ عليّ مسحني وأرسلني لأبشّر المساكين" (لو ٣/١٨). وقد أظهر تضامنه الحسّي والمعنويّ والاجتماعيّ معهم بولادته في مذود لعدم وجود موضع له حيث نزل والداه (أنظر لوقا ٢/٧). لهؤلاء قال الملاك: "أبشّركم بفرح عظيم" هو ميلاد من يأتي ليحمل لهم التحرير والخلاص. كانت البشرى لشعب زمانه المنتظر بشوق هذا التحرير الخلاصيّ، وهي "للعالم كلّه" ولكلّ شعب يتلقّى في أي زمان هذا النداء ويسعى إلى عيشه. لفظة "ابشّركم" تعني "أنقل إليكم خبراً مفرحاً". هذا ما تعنيه لفظة "إنجيل" ومنها "الأنجلة"، لا بالمعنى السلبيّ الذي تأخذه اليوم لفظة "تبشير"، أي "اقتناص" الناس لدين او مذهب لغايات سياسيّة أو مصالح بشريّة واجتماعيّة.

**رسالة الكنيسة** هي "الأنجلة"، أعني نقل بشرى الخلاص لجميع الناس، والشهادة لهذا الخلاص في نشاطاتها ومؤسّساتها الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والانسانيّة، والحكم الأدبيّ على كل أداء بشريّ زمنيّ، بما فيه الأداء السياسيّ في ما يتعلّق بالخلاص لجميع الناس في مختلف مضامينه، من دون أن تتدخّل الكنيسة في "تقنيّات" هذا الأداء أو تتلوّن بأيّ لون سياسيّ حزبيّ أو فئويّ.

نسمع اليوم من يقول: "على الكنيسة ألاّ تتعاطى الشأن السياسيّ". هؤلاء يخلطون من جهة بين المبادىء التي تعلنها الكنيسة والتقنيّات التي يمارسها السياسيّون؛ ومن جهة ثانية لا يريدون تطبيق المبادىء على ممارستهم، فينحرفون عن الخير العامّ وكرامة الانسان وحقوقه، وعن العدالة الاجتماعيّة والوفاق، وعن كرامة شعب ومصلحة وطن ودولة. فلا بدّ من التعاون المخلص بين السلطة السياسية والكنيسة.

إنّها بشرى - **أنجلة دائمة:** "اليوم ولد لكم المخلص" (لو ٢/١١). إنّه يوم اللّه الذي يصبح يوم الانسان، اليوم الخلاصيّ والنهيويّ: بداية العهد المسيحانيّ الذي انتهت معه مسيرة التحضير الطويلة في العهد القديم، وبداية الزمن الأخير والحاسم لخلاص جميع الناس. اليوم، دخل في التاريخ عالمُ اللّه النهائيّ، لا بالمفهوم السياسيّ والقوميّ، بل بمفهوم الخلاص المسيحانيّ. فاللّه وحده الربّ، ولا إله سواه: "أنا الأوّل وأنا الآخر، ولا إله غيري (اشعيا ٤٤/٦). توجّهوا إليّ فتخلّصوا يا جميع أقاصي الأرض" (اشعيا ٤٥/٢٢). ويجيب الشعب بصلاة المزمور: "أنصرنا يا إله خلاصنا إكراماً لمجد اسمك، وأنقذنا واغفر خطايانا من أجل إسمك" (مو ٧٩/٩). وعندما سأله الرسل في آخر لحظة، قبيل صعوده إلى السماء: "أفي هذا الزمن تعيد المُلك إلى إسرائيل"؟ (اعمال ١/٦)، صحّح نظرتهم وآمالهم، وحدّثهم عن مملكته الروحيّة وقوّتها: "الروح القدس ينزل عليكم، فتنالون قوّة وتكونون لي شهوداً حتى أقاصي الأرض" (اعمال ١/٨).

**مملكته ذات سلطان كهنوتيّ وخلاصيّ.** فالمولود، كما أعلنه الملاك، هو "المسيح الربّ"، لفظة "**مسيح**" تعني ذاك الذي مُسح كاهناً ونبيّاً وملكاً، وأصبح ينبوع المسحة الكهنوتيّة والنبويّة والملوكيّة لشعب اللّه الجديد، الذي قبل بدوره هذه المسحة بالمعموديّة، باب الأسرار كلّها. الكنيسة تعمل بسلطان هذه المسحة المثلّثة، وتشهد لمفاعيلها.

لفظة "**الرب**" تشمل الألوهة وسلطان المسيح الخلاصيّ. ففي المفهوم البيبليّ، لقب "الربّ" المتّصل باللّه يعني دائماً وفي أن الألوهة والعمل الخلاصيّ. أمّا الكنيسة فهي "اداة الخلاص الشامل"، بفضل حضور اللّه فيها وعمله بواسطتها.

### ٣. مسؤوليّة المخلّصين

تلّقى "رعاة بيت لحم" خبر الحدث والوحي، وقالوا بعضهم لبعض: "هلمّ بنا إلى بيت لحم لنرى الحدث الذي أخبرنا به الربّ" (لو ١/١٥). فأسرعوا إلى المكان، ورأوا الحدث، وأخبروا عن الوحي الذي قيل لهم عن الطفل (لو ٢/١٦-١٧). "فحفظته مريم في قلبها" وأضحت قدوة لكلّ نفس تصغي وتتأمّل في كلمة اللّه، وتتعمّق في الإيمان أكثر فأكثر. نحن مدعوّون لنصغي مثل مريم والرعاة، ونؤمن بما نسمع ونعلن بدورنا الخبر. فكلّ خبر من عند اللّه سارّ. ولذا ينبغي أن نقبله في القلب ونعلنه بالكلمة والعمل. هذا ما جرى مع الرعاة الذين واصلوا نشيد الملائكة، إذ "رجعوا وهم يمجّدون اللّه ويسبّحون" (لو ٢/٢٠). فكانوا أوّل المستودعين بشرى المخلص، وأوّل المعلنين الفرحين للبشرى، وأوّل الممجّدين للّه والمسبّحين "على كلّ ما سمعوا ورأوا".

عندما دخل البكر إلى العالم، سجدت له جميع ملائكة اللّه (عبرانيين ١/٦). وفي الأرض سجد له يوسف، وسجدت مريم لمن ولدت، وسجد رعاة بيت لحم، وسيسجد المجوس من المشرق. هكذا تلتقي ليتورجيّا السماء وليتورجيّا الأرض. ويلتقي اللّه والبشر، والربّ والرعاة، في من هو إله حقّ وإنسان حقّ. بهذا يتمجد اللّه في السماء ويحلّ السلام في الأرض.

### ٤. لوحة الميلاد إنجيل الأنسنة والسلام

بميلاد ابن اللّه إنساناً، عاد لكلّ إنسان بهاء إنسانيّته، ومنح اللّه العالم هبة السلام، وأعطى معنى للحياة البشريّة وللوجود التاريخيّ.

"**يسوع ابن يوسف من الناصرة**" (يو ١/٤٥) هكذا أحصي السيّد المسيح مخلّص العالم في أوّل إحصاء للعالم المعروف. إنّه ينتمي إلى الجنس

البشريّ، إنساناً بين الناس، مواطناً في هذا العالم، خاضعاً للشريعة، لكنّه مخلّص العالم.

**أوريجانس** يفسّر المعنى اللاهوتيّ لإحصاء يسوع المسيح: "أحصي مع الجميع، فاستطاع أن يقدّس الجميع. مع كلّ الأرض اكتُتب في الاحصاء، فقدّم للأرض الشركة معه. كتب كلّ أناس الأرض في كتاب الأحياء، بحيث أنّ من يؤمن به يُحصى في السماء مع القدّيسين حول من له المجد والسلطان إلى دهر الدهور" (حارس الفادي، ٩).

**أنشد الملائكة** ليلة ميلاده: "المجد للّه في العلى، وعلى الارض السلام، والرجاء الصالح لبني البشر".

**المجد للّه:** "مجد اللّه الإنسان الحيّ" يقول القدّيس إيريناوس. ابن اللّه المتجسّد هو هذا الانسان الحيّ، وقد "صار بكراً لاخوة كثيرين"، على ما كتب القدّيس بولس إلى أهل روما، "لكي يكونوا على مثال صورة هذا الابن" (روم ٨/٢٩). وهكذا يكون كلّ إنسان "مجد اللّه الحيّ". هذه هي **الأنسنة الجديدة.**

كتب خادم اللّه البابا يوحنّا بولس الثاني في رسالته العامّة الأولى "فادي الانسان":

"لقد نفذ المسيح، فادي العالم، إلى سرّ الانسان ودخل قلبه" (فقرة ٨). وتابع من تعليم المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني "أنّ المسيح آدم الجديد، بإظهاره سرّ الآب ومحبّته، كشف بجلاء الإنسان للإنسان عينه وأبان له سموّ دعوته. إنّ سرّ الانسان لا يتّضح إلاّ في سرّ الكلمة المتأنّس. ذاك الذي هو صورة الآب غير المنظور (كولسي ١/١٥) هو عينه الانسان

الكامل الذي أعاد إلى أبناء آدم الشبه الالهيّ الذي شوّهته منذ ذاك الحين الخطيئة الأولى. ولمّا كان قد اتّخذ الطّبيعة البشريّة من دون أن يذيبها فيه، فقد رفعها بالفعل ذاته إلى مقام عظيم. لأنّه هو ابن اللّه الذي بتجسّده قد انضمّ نوعاً ما إلى كلّ إنسان. لقد اشتغل بيدي انسان، وفكرّ بعقل انسان، وعمل بإرادة إنسان، وأحب بقلب إنسان. لقد ولد من عذراء وصار حقّاً واحداً منا مشابهاً لنا في كلّ شيء ما عدا الخطيئة" (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٢). إنّه **الانسان الجديد**، فادي الانسان.

"**السلام على الأرض**": عندما يستعيد الانسان انسانيّته، أي صورة اللّه فيه، يعيش بسلام مع الخلق أجمع. فالسلام مع اللّه سلام مع الخليقة كلّها. و"المسيح سلامنا" (أفسس ١٤/٢). لقد "بشر بالسّلام الأباعد والأقارب" (أفسس ١٧/٢)، و"حقّق السلام بدم صليبه" (كولسي ١ /٢٠). السلام عطيّة من اللّه، وقد ائتمننا عليها. لكنّ السلام هو "ثمرة العدالة" (اشعيا ١٧/٣٢)، وهو "انماء الانسان والمجتمع الذي اصبح الاسم الجديد للسلام" (البابا بولس السادس: ترقي الشعوب،٨٧).

"**الرجاء للبشر**": أعطى ابن اللّه المتجسّد معنى لحياة الانسان ووجوده. الرعاة جاؤوا مسرعين ورأوا مريم ويوسف والطفل في المذود. ولمّا رأوا آمنوا بما قيل لهم من الملائكة، وأخبروا بما قيل لهم عن الطفل، ورجعوا مهلّلين فرحين يمجّدون اللّه ويسبّحونه على كلّ ما سمعوا ورأوا (لو ١/١٦-٢٠). ما ينقص الناس بالاكثر، بل ما يحتاجون اليه، ليس فقط الوسيلة للعيش، بل الاسباب للعيش. ينقصهم الرجاء، والرجاء هو أن نؤمن ان للحياة معنى. التزامنا، في الألف الثالث، أن نعطي الناس أسباباً للعيش.

## ■ ثانياً، الخطّة الراعويّة

مع ميلاد الربّ يسوع تنتهي الخطّة الراعويّة من التأمّل معاً في موضوع "**كنيسة الرجاء**"، وهو مضمون النصّ الأوّل من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ. وقد بلغنا إلى "**آفاق الرجاء**" (الفقرات ٢٩-٣٠).

ذروة الرجاء تجسّد ابن اللّه ليكون "عمانوئيل" - اللّه معنا، الذي وعد الكنيسة بأنّ "أبواب الجحيم، قوى الشرّ، لن تقوى عليها" (متّى ١٦/ ١٨). الرجاء التزام، والالتزام برهان على مصداقيّة الرجاء.

الرجاء، في خطّتنا الراعويّة، هو التزامنا جميعاً ككنيسة في متابعة المسيرة المجمعيّة بتقبّل التّعليم وتطبيق التوصيات، بالاتّكال على الرّوح القدس الذي يقود الكنيسة إلى كل حق وخير وجمال. إن العمل الكنسيّ المشترك يتطلّب تضحيات جمّة، منها التخلّي عن الأنانيّات بكلّ أشكالها، وتبنّي الموقف الذي أوصى به الربّ يسوع: "الكبير فيكم فليكن خادم الجميع، ومن فقد نفسه من أجلي، حفظها لحياة الأبد".

بعد التأمّل معاً في كنيسة الرجاء طوال زمن الميلاد، يدعونا النصّ المجمعيّ أن نقول لابن اللّه المتجسّد في مغارة بيت لحم، ما قاله له تلميذا عمّاوس، يوم قيامته: "إبقَ معنا يا ربّ" (لو ٢٤/ ٢٩). لكنّه هو يقول لنا: **أبقوا أنتم معي**، "لأنّكم بدوني لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً" (لو ١٥/ ٥). هذه هي دعوة المستقبل التي تعيدنا الى عمق هويّتنا، وتجدّد حاضرنا، وتحقّق حضورنا الفاعل في عالم اليوم.

***

**صلاة**

**ليلة الميلاد، يُمّحى البغضُ. ليلة الميلاد، تُزهر الأرضُ**

**ليلة الميلاد، تدفنُ الحربُ. ليلة الميلاد، ينبتُ الحب.**

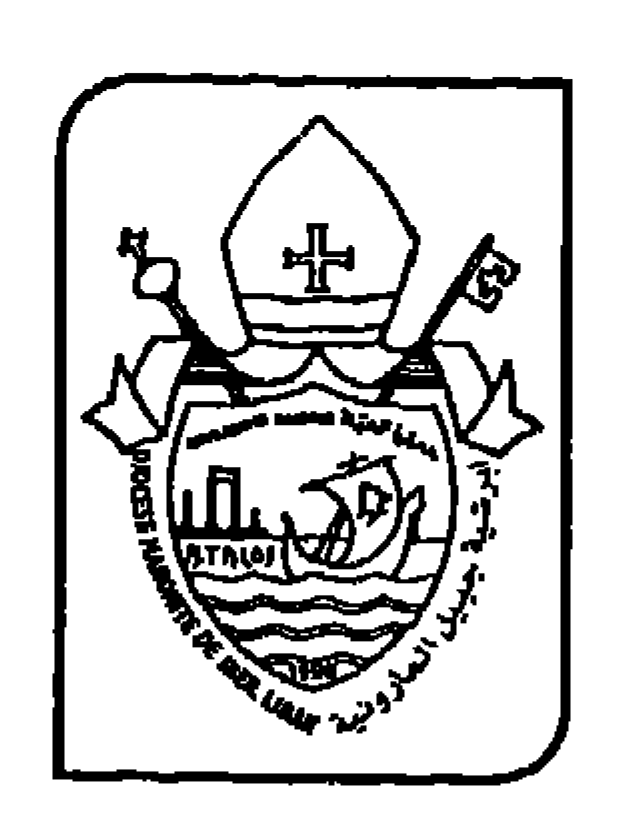
عندما نسقي عطشان كأس ماء، نكون في الميلاد.

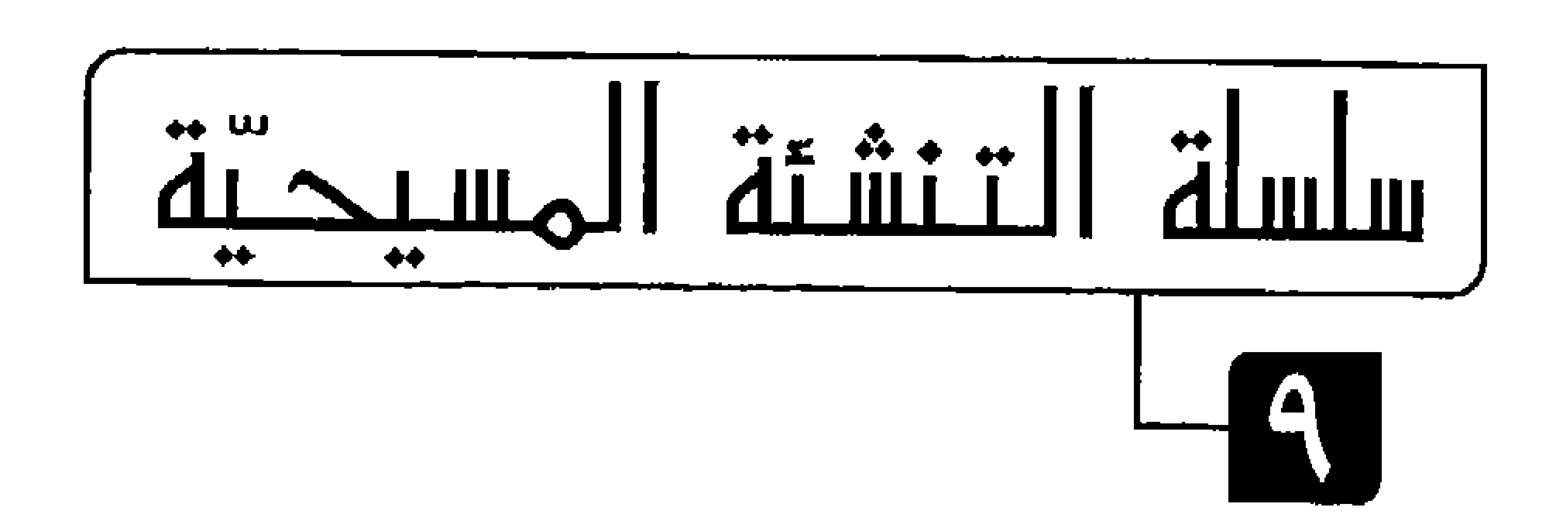
عندما نكسو عرياناً ثوبَ حبٍّ، نكون في الميلاد.

عندما نكفكفُ الدموعَ في العيون، نكون في الميلاد.

عندما نفرشُ القلوبَ بالرجاء، نكون في الميلاد.

***






## ليملأ سلام المسيح قلوبكم

(كولوسي ٣/ ١٥)

# زمن الدِّنح أو الغطاس

✤ ٢٠٠٧ ✤

بشـــاره الـــراعي

مطـران جبيــل

NDU PRESS

منشورات

جامعة سيّدة اللويزة

# تقديم

ليلة ميلاد الاله، إبن الله، إنساناً متّخذاً في التاريخ اسم يسوع المسيح، أنشد الملائكة "المجد لله في العلى وعلى الأرض السلام والرّجاء الصالح لبني البشر" (لو٢/١٤). فظهر مجد الله بشخص يسوع المسيح، على أن يظهر في كلّ إنسان حيّ مستنير بسرّ الكلمة المتجسّد. لكنّ هذا المجد وهذه الاستنارة لن يتمّا، ما لم "**يملأ سلام المسيح قلوب البشر**" (كولسي ٣/١٥). أمّا الرجاء فهو أنّ سلام المسيح سيملأ القلوب، وسيستعيد الانسان بهاء صورة الله فيه، فيسطع من خلاله مجد الله في العالم.

إنّ العدد التاسع من سلسلة التنشئة المسيحيّة **لزمن الدّنح أو الغطاس** يكشف سرّ المسيح وسرّ الانسان. ويعطي لمحة عن وجوه من البشر القدّيسين، الذين "ملأ سلام المسيح قلوبهم"، فكانوا فاعلي سلام على أرضنا، وتلألأ فيهم مجد الله. ويكرّس للخطّة الراعويّة النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: "**هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**"، من أجل تقبّل هذا النصّ، والعمل معاً على تطبيقه في حياة الأفراد والجماعات.

نأمل في أن تبلغ التنشئة المسيحيّة هدفَها الأخير، وهو "**أن يملأ سلام المسيح قلوب جميع الناس**".

**† بشاره الراعي**
مطران جبيل

الأحد ٣١ كانون الأوّل ٢٠٠٦

# أحد وجود الربّ في الهيكل

## العائلة مكان تجلّيات الله

من إنجيل القدّيس لوقا ٢/٤١-٥٢

كان أبوا يسوع يذهبان كلّ سنة في عيد الفصح، إلى أورشليم. ولمّا بلغ يسوع اثنتي عشرة سنة، صعدوا معاً كما هي العادة في العيد. وبعد أنقضاء أيّام العيد، عاد يوسف ومريم، وبقي الصبيّ يسوع في اورشليم، وهما لا يدريان. وإذ كانا يظنّان أنّه قي القافلة، سارا مسيرة يوم، ثمّ أخذا يفتّشان عنه بين الأقارب والمعارف. ولم يجداه، فعادا إلى أورشليم يفتّشان عنه. وبعد ثلاثة أيّام، وجداه في الهيكل جالساً بين العلماء، يسمعهم ويسألهم. وكان جميع الذين يسمعونه منذهلين بذكائه وأجوبته. ولمّا رآه أبواه بهتا، وقالت له أمّه: "يا بُنيّ، لماذا فعلت بنا هكذا؟ فها أنا وأبوك كنّا نطلبك متوجّعين!". فقال لهما: "لماذا تطلبانني؟ ألا تعلمان أنّه ينبغي أن أكون في ما هو لأبي؟". أمّا هُما فلم يفهما الكلام الذي كلّمهما به. ثُمّ نزل معهما، وعاد إلى الناصرة، وكان خاضعاً لهما. وكانت أمّه تحفظ كلّ هذه الأمور في قلبها. وكان يسوع ينمو في الحكمة والقامة والنعمة عند الله والناس.

***

في حدث ضياع يسوع ووجوده في هيكل أورشليم وكلماته، وهو في الثانية عشرة من العمر، كان اعتلان لبنوّة يسوع الالهيّة، واستباق لسرّ الفصح، الآلام والموت والقيامة. وفي عودة يسوع مع والديه إلى الناصرة

ونهج حياته تنكشف قيمة الأسرة وقدسيّتها. يضفي هذا الحدث على بداية السنة الجديدة، التي يسبقها بيوم واحد، قيمة خاصّة، يبرزها موضوع نداء قداسة البابا لليوم العالميّ للسلام في أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧ : "الشخص البشري: قلب السلام".

## ■ أوّلاً، مضمون الانجيل

### ١. الحدث وإيحاءاته

كانت الشريعة اليهوديّة تقضي بالصعود إلى أورشليم ثلاث مرّات في السنة للمشاركة في احتفالات الفصح والعنصرة والمَظالّ (خروج٢٣/١٤-١٧؛٣٤/١٨-٢٣) : **الفصح** او عيد الفطير يحتفل به في ١٤ نيسان؛ **والعنصرة** أو عيد الحصاد أو الأسابيع، بعد سبعة أسابيع أو خمسين يوماً من الفصح لختام الحصاد ولذكرى قبول شريعة الله في سيناء؛ **والمظالّ** أو عيد الأكواخ في ختام موسم القطاف في الخريف.

لكنّ الشريعة كانت تستثني من هذا الإلزام من ليسوا قادرين لأسباب قاهرة مثل طول المسافة والحالة الشخصيّة والعمر. **فلا يوسف** كان ملزماً بالذهاب إلى أورشليم بسبب المسافة بين الناصرة وأورشليم التي تستدعي ثلاثة أيّام سفر، فيما الشريعة تحدّد الالزام ضمن مسافة يوم واحد، أي ٣٠ كلم؛ **ولا مريم** لكونها امرأة؛ **ولا يسوع** لأنّه دون الثالثة عشرة من العمر الذي تحدّده الشريعة للالزام. ومع هذا كانت عائلة الناصرة "**تذهب إلى اورشليم كل سنة في عيد الفصح**"، **بداعي التقوى**، فالروح القدس "يهبّ حيث يشاء"، ولكنْ لا ضدّ الشريعة بل فوق الشريعة، **وبداعي تربية** يسوع على حفظ الشريعة بإشراكه في الحفلات الطقسيّة والموجبات الدينيّة، قبل بلوغ السنّ الملزمة.

تسبب **ضياع يسوع** بألم شديد لأبيه وأمه دام ثلاثة أيّام: "ها أنا وأبوك كنّا نبحث عنك بغمّ شديد". فتذكّرا نبوءة سمعان الشيخ لمريم عندما قدّما الطفل للربّ في هيكل أورشليم في اليوم الأربعين لمولده: "أما أنتِ، فيجوز قلبكِ رمح" (لو٢/٣٥). هذه مرحلة أخرى من مراحل **المشاركة في آلام الفداء**، بعد حالة الفقر والحرمان في الميلاد، والهرب إلى مصر ليلاً وخوف ومشقّات وهواجس، ثمّ العودة إلى البيت المهجور في الناصرة (متّى٢/١٤-٢٣). لقد أدخلهما يسوع في تصميم الآب الخلاصيّ: "اما تعلمان أنّه ينبغي لي أن أكون في ما هو لأبي".

**لمّا وجداه في الهيكل** بين العلماء يسمعهم ويسألهم **اندهشا كما اندهش** جميع الذين كانوا يسمعونه. كان علماء الشريعة يعرضون الكتب المقدّسة على الشعب، رجالاً ونساءً وأولاداً، أيّام السبت والأعياد الكبرى، معتمدين أسلوب **السؤال والجواب**. فكان الانذهال من حكمة الفتى يسوع: **فهو حكمة الآب المتجسّدة**، وكأنّه بدأ نشاطه المسيحانيّ بكلّ نجاح. فستقول عنه يوماً الشرطة التي كُلّفت القبض عليه وأحجمت: "لم يتكلّم قط إنسان، كما يتكلّم هذا الرجل" (يو٧/٤٦).

**الهيكل حيث** وجداه هو المكان الذي تحفظ فيه الحكمة. فتمّت فيه كلمة يشوع بن سيراخ، قالها قبل ٢٠٠ سنة من ميلاده: "أنا الحكمة من فم العليّ خرجت، قبل الدهور ومنذ البدء خلقني وإلى الدهور لا أزول. في هيكل قدسه أمامه خدمت. فتأصّلت في شعب مجيد. كالأرز في لبنان ارتفعت، وكالسرو في جبال حرمون وكغراس الورد في أريحا" (ابن سيراخ ٢٤/٣ و٩-١٤). في بيت الله، الكنيسة، نصغي إلى الحكمة الالهيّة، إذ يقول القارىء في الطقس البيزنطيّ: "الحكمة فلننتصب ونصغ". وعند دخول بيت الله والاستعداد للاصغاء يقول الكاهن في الطقس المارونيّ: "دخلت بيتك يا

الله، وفي هيكلك سجدت". لفظة هيكل، في السريانيّة - الآرامية "**بيما**"، تعني المكان الذي تعلن منه كلمات الحكمة الالهيّة، القراءات والكرازة. والسجود يعني **الاصغاء بالروح والحق**" (يو ٤/٢٣)، فيقف الشعب وتضاء شمعتان؛ ويعني انحناء الجسد أمام الربّ، وخضوع العقل للحقيقة الموحاة، واعتراف اللسان، والتزام الارادة، وتعظيم القلب لعجائب الله، والاشادة بحبّه: "كونوا في السكوت لأنّ الانجيل المقدّس يتلى الآن عليكم، فاسمعوا ومجّدوا واشكروا كلمة الله الحيّ". لكنّ الهيكل الحجريّ المخصّص للّه رمز لجسد المسيح: "أهدموا هذا الهيكل وأنا أرفعه في ثلاثة أيّام" (يو٢/١٩)، ولهيكل الله الذي حجارته الحيّة هم المؤمنون: "**أنتم هيكل الله** لأن روح الله ساكن فيكم" (١ كور ٣/١٦).

**إنّ جواب يسوع**: "أما تعلمان أنّه ينبغي عليّ أن أكون في بيت أبي"؟ يشكّل ظهوراً إلهياً، إذ يعلن الصبيّ يسوع وعيه الشخصيّ "إنّه ابن الله" ويعترف بلسانه ما سبق واعلنه الملاك لمريم (لو ١/٣٢). فحدّد الفرق بين أبيه بالطبيعة الالهيّة الذي هو الله ويدعوه "**أبي**"، وأبيه بالشريعة الذي هو يوسف وتقول عنه مريم "**أبوك**". وفي جوابه أعلن وعيه لرسالته الالهيّة، وكشف القيمة الأوّليّة لطاعته للآب الذي هو فوق كلّ سلطة بشريّة أخرى، وأكّد أنّ إرادة الله تفوق كلّ روابط الدم: "من يعمل بمشيئة الله هو أخي وأختي وأمّي" (مر ٤/٣٥). سيقول جبران خليل جبران: "أولادكم أبناء الحياة". هذا يعني، في ضوء جواب يسوع، أنّ لكلّ ولد دوراً في تصميم الآب الازليّ، سيّد الحياة والتاريخ، وأنّ الحياة العامّة تفصل الأولاد عن وصاية والديهم عند بلوغهم الثامنة عشرة من العمر. وهكذا يصبحون في "بيت الآب" لا في بيت والديهم، في عالم الله الفسيح لا في حدود النسب والأسرة الصغيرة. **إنّه العبور** من الخاصّ إلى العامّ، ثمّ من البيت الأرضيّ

إلى بيت الآب في السماء، **وهو** العبور **الاخير**: "إن كان بيتنا الجسديّ الذي في الأرض ينحلّ، فإنّ لنا بنياناً من الله، بيتاً لن تصنعه الأيدي، أبدياً في السماء" (٢ كور ٥/١). ألمهمّ أنْ نحسن العبور في هذه الدنيا وفي الآخرة. **وحده يسوع المسيح هو طريق العبور**.

أمّا "**القيمة النبويّة**" للحدث ولكلمات يسوع والايحاءات، فلم يفهمها يوسف ومريم، لكنّهما قبلاها بايمان ليتعمّقا فيها، وسيكتشفانها شيئاً فشيئاً مع الزمن: "كانت أمه تحفظ كلّ هذه الكلمات في قلبها". إنّ أحداث الحياة أسرار ينبغي أن نقبلها ونقرأها في ضوء الانجيل.

## ٢. استباق الفصح

كان الحدث والكلمات صورة للفصح الأخير، وهو "عبور يسوع من هذا العالم إلى الآب" (يو ١٣/١) بآلامه وموته والقيامة، بعد العبور الأوّل من الآب إلى العالم بتجسّده: "والكلمة صار بشراً وحلّ بيننا، فرأينا مجده، المجد الذي له من الآب، كابن وحيد مملوء نعمة وحقّاً (يو ١/١٤). كلّ عناصر الحدث تدلّ إلى فصح المسيح وتستبقه.

أورشليم هي مكان آلام المسيح وموته وقيامته. **الهيكل** هو مكان الاحتفال بالفصح، الذي ينتهي دوره مع قيام هيكل جسد المسيح السرّيّ الذي هو الكنيسة، ومكان الاصغاء والعبور. **زمن التواجد في الهيكل** كان في عيد الفصح اليهوديّ. **ثلاثة أيّام من الضياع** رمز لثلاثة أيّام يسوع في حالة الموت. **البحث عنه بغمّ شديد** هو أوّل "سيف" جاز في نفس مريم ويوسف، وجعلهما شريكين في آلام الفداء لخلاص البشر، وسيبلغ ذروته في مريم على أقدام الصليب. **أولى كلمات يسوع** "ينبغي أن أكون في بيت أبي" (لو ٢/٤٩) تستبق **آخر كلماته** على الصليب: يا أبتِ بين يديك أستودع

روحي" (لو ٢٣/٤٦). وهي تعلن عودته ومكوثه الدائم في "بيت الآب". **عدم فهم يوسف ومريم** لجواب يسوع اختبار للايمان المتألّم في مسيرة رسالة المشاركة في الفداء، التي بدأت مع فقر بيت لحم واضطهاد هيرودوس الوحشي، وأنضجت إيمانهما وحبّهما. حفظ **الكلمات في قلب مريم** هو رمز لحبّة الحنطة التي تموت في الأرض لتعطي ثمراً كثيرا" (يو ١٢/٢٤)، هذا الحفظ جعل مريم ترتقي أكثر في فهم تصميم الله الخلاصيّ الفائق الطبيعة.

**لكنّ يسوع عاد فوراً معهما** من "بيت أبيه" في هيكل أورشليم إلى بيت أبيه في النّاصرة. وهذا دليل على القيمة النبويّة للحدث ولكلماته. فبعد الفسحة الزمنيّة لفهمها وللنضوج في مسيرة الايمان والمشاركة في رسالة الفداء، عاد يسوع إلى حياته الخفيّة، "خاضعاً لهما" بانتظار بدء رسالته العلنية.

في كلّ هذا اعتلان **لسرّ التقوى العظيم**، سرّ المسيح، الذي تجلّى بالجسد، وتبرّر بالروح، وأُعلن عنه على أنّه حامل الخلاص، وآمن به العالم أنّه مرسل من الآب، الذي أصعده إلى السماء (١ تيم ٣/١٦). **إنّه سرّ التجسد والفداء** وفصح المسيح التامّ الذي يحرّرنا من الخطيئة، وينتصر على "سرّ الاثم"، ليبعث في نفوسنا حركة توبة وارتداد، ويفتديها ويقودها إلى المصالحة. "سرّ التقوى" هذا يعني السلوك المسيحيّ القائم على التقوى والمحبّة (أنظر الارشاد الرسوليّ للبابا يوحنا بولس: في المصالحة والتوبة، ١٩-٢١).

### ٣. الأسرة منبت السلام

في عائلة الناصرة، وعلى مدى ثلاثين سنة، كان يسوع "ينمو في القامة والحكمة والنعمة أمام الله والناس" (لو ٢/٥٢). ينمو في بشريّته خاضعاً لأبيه

وأمّه، محاطاً بعاطفتهما وحبّهما الشديدين وقدوة حياتهما في العمل والصلاة والتأمّل في أسرار الله الخفيّة. كان **ينمو بالقامة** يوماً بعد يوم من تعب يوسف ومريم ومن عمله اليوميّ في النجارة، **وبالحكمة** باكتساب المعرفة والخبرة والفضائل الانسانيّة والاجتماعيّة من خلال التربية الوالديّة، **وبالنعمة الالهيّة** بامتلائه من الروح القدس من خلال الصلاة والتزامه الفرائض الدينيّة في كلّ يوم سبت.

في هذا دليل قاطع أنّ الانسان لا يستطيع أن ينمو بكلّيته، في الجسد والنفس والأفكار والأفعال من دون العيش في هذه المدرسة الطبيعيّة الأولى و"الكنيسة المنزلية" التي هي العائلة. أمّا المدرسة والرعيّة والمجتمع فكلّها تأتي في المرتبة الثانية، وفقاً لمبدأ الاستنابة، بحيث تسقي ما تكون الأسرة قد غرست، وتعتني به. في العائلة تتهيّأ دعوة الحياة وتنكشف مشاريع الله، تحت سهر الأب ونظر الأمّ، وعناية الاثنين، وخضوع الولد لهما.

تنبع **ثقافة السلام** من العائلة حيث يلقى الشخص البشريّ احترام كرامته التي طبعها الله فيه، عندما خلقه على صورته ومثاله (تك ١/٢٦-٢٧). تحتفل الكنيسة في اليوم الأوّل من كانون الثاني ٢٠٠٧ باليوم العالميّ الستين للسلام. وقد وجّه قداسة البابا بندكتوس السادس عشر في المناسبة نداء بعنوان: "**الشخص البشري: قلب السلام**". وأكّد أنّ كلّ تعدٍّ على الشخص البشريّ تهديد للسلام، وأنّ كلّ تهديد للسلام تهديد لحقيقة الشخص والله. إنّ احترام كرامة الشخص البشريّ شرط أساسيّ للسلام في العائلة البشريّة".

ويشير قداسته إلى ثلاثة تتهدّد العائلة اليوم: **إيديولوجيات التعصّب** الماديّ والدينيّ التي تفرض مفاهيم مقيتة عن الانسان والله والواقع

الاجتماعيّ؛ **والعلم والتكنولوجيا**، وبخاصّة ما يتعلّق بطبّ الحياة، اللذين يُستخدمان لغاية أنانيّة في الترقّي وهناء العيش، بدلاً من خدمة خير البشريّة العامّ؛ **ونشر أنماط حياة** غير مرتّبة ومضادّة للكرامة البشريّة التي تضعف القلوب والأرواح حتى إطفاء التوق إلى تعايش منظّم وسلميّ.

كلّ هذه تشكّل تهديداً للبشريّة؛ ذلك أنّ السلام يكون في خطر عندما تفقد الكرامة البشريّة احترامها، وعندما لا يبحث المجتمع عن الخير العامّ. فلا بدّ للكنيسة من أن تعلن إنجيل الحياة الذي يؤكّد محوريّة الإنسان في الكون ومحوريّة محبة الله للبشريّة، وأن تعمل على تعزيز أنسنة شاملة ومتضامنة تسعى إلى إنماء كلّ إنسان وكل الناس (البابا بولس السادس: ترقي الشعوب).

نقرأ في مستهلّ الرسالة العامّة "**السلام على الارض**" للبابا الطوباويّ يوحنّا الثالث والعشرين أنّ "الانسان الشخص هو في أساس النظام الإلهيّ للسلام" (فقرة ١). تضعه كرامته في موقع متفوّق على الاشياء والمؤسّسات وفي علاقة مساواة جوهريّة مع الأشخاص الآخرين، أيّاً كان عرقه أو جنسه أو لغته أو دينه أو أصله القوميّ والاجتماعيّ. هذه الكرامة الشخصيّة الكيانيّة هي منبع الحقوق الانسانيّة، ما يجعل الانسان الشخص صاحب حقوق وحامل حقوق، يتعيّن على الآخرين إقرارها ورعايتها.

كلّ انتهاك لكرامة الشخص البشريّ في كيانه وحقوقه تهدّد السلام وسط العائلة البشريّة. وكلّ تعزيز لكرامة الشخص البشريّ تعزيز لثقافة السلام.

### ■ ثانياً، وجه قدّيس عزّز كرامة الشخص وخير العائلة

**القدّيس Maximilien Kolbe** راهب فرنسيسكانيّ بولونيّ، قدّم نفسه فدية عن زوج وربّ عائلة هو فرنسوا Gajowniczek، في ٣١ تمّوز ١٩٤١،

في سجن Auschwitz في بولونيا. فرنسوا هذا كان بين المئتي ألف شخص الذين شاركوا في احتفال تقديس الأب Maximilien في ١٠ تشرين الأوّل ١٩٨٢.

أوقف الأب كولب بتاريخ ١٧ شباط ١٩٤١ في غرفة ديره على يد أربعة عسكريين من النازيين Gestapo، ورُمي في سجن Pawiak، في وارسو، مع اربعة كهنة فرنسيسكان من الدير نفسه، دير Nie pokanov. وبعد تعذيبه، نقل إلى معسكر (Auschwitz) في تمّوز ١٩٤١ بتهمة أنّ الدير استقبل ألفي يهوديّ ولاجئين آخرين هربوا من وجه النازيين، وكان الأب كولب يعتني بهم.

كان بعمر ٤٧ سنة، حاملاً شهادة دكتورا في الفلسفة، مؤسّس رسالة الحبل بلا دنس في بولونيا، وهي جماعة صلاة وعمل نشر، وله محطّة إذاعيّة. في السجن الذي كان يضمّ ٦٠٠ سجين في القسم ١٤، حيث وُجد، خلعت عنه وعنهم الكرامة الشخصية ليصبحوا أعداداً، فكان يحمل الرقم ١٦٦٧٠. على باب السجن كانت الكتابة: "**العمل يحرّر**". إنّه عمل الاشغال الشاقّة. وكان عمله أن يحمّل ويفرّغ الشاحنات بجثث القتلى، إلى فرن الحريق، ومنه. لكنّ رسالته كانت الصلاة الدائمة وتشجيع الأسرى وتثبيتهم في الرجاء بأنّ الله يسهر عليهم في سجن العذاب.

في ٣١ تمّوز ١٩٤١ ضاع أحد المساجين، فحكم على عشرة بالموت جوعاً وعطشاً، كان بينهم فرنسوا Gajowniczek. وإذ كان يبكي مفكّراً بزوجته وأولاده الذين سيتركهم يتامى، تقدّم مكسيميليان كولب وأدّى التحيّة للضابط، فقال له هذا الأخير بنبرة: "ماذا يريد هذا الخنزير البولونيّ؟" فأجاب: أنا كاهن كاثوليكيّ بولونيّ، أريد أن أحلّ محلّ هذا الرجل الذي له

زوجة وأولاد". وبعد صمت وجيز قال الضابط للرجل: "اخرج". وأخذ الأب كولب محلّه. نقل العشرة إلى القسم ١١ المخصّص للتحقيقات والقتل. فأُدخل العشرة عراة إلى غرفة مساحتها ٩ أمتار، فيها دلو صحيّ فقط. وعندما أغلق الحارس الباب عليهم قال لهم: "ستيبسون هنا كالزهر".

في هذه الغرفة كان الأب كولب يشجّعهم ويرتّل، وهم يردّدون معه بقوّة اليأس. بعد ١٤ يوماً لم يبق سوى أربعة أحياء يصارعون الجوع والعطش ومن بينهم الأب كولب، فأنهوا بإبرة سامّة في ١٤ آب ١٩٤١ ليلة عيد انتقال السيّدة العذراء إلى السماء. يقول الأب Szweda: "عندما فتحت باب الغرفة وجدت الأب مكسيمليان، كأنّه حيّ، وجهه مشعّ وعيناه مفتوحتان ومصوّبتان إلى نقطة معيّنة، وكأنّه في حالة انخطاف. إنّه مشهد لن أنساه أبداً". طوّبه البابا بولس السادس **معترفاً** في ١٧ تشرين الأوّل ١٩٧١، وأعلن قداسته **شهيداً** البابا يوحنّا بولس الثاني في ١٠ تشرين الأوّل ١٩٨٢.

### ■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

لا بدّ من التذكير أنّ الخطّة الراعويّة موجّهة، فضلاً عن الأفراد إلى الجماعة الرّعائيّة وإلى المجالس واللّجان في الرّعايا، وإلى العائلة والجماعة الديريّة، إلى الاخويّات والمنظّمات الرسوليّة، إلى النوادي وسائر الجماعات على أنواعها. هذه تجتمع لتفكّر سويّة، ولتتّخذ مبادرات عمليّة تطبيقيّة.

تتمحور الخطّة الراعويّة طوال زمن الغطاس والتذكارات حول النّص الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: "**هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**".

١. يُبرز هذا النصّ العناصر التي تكوّن **هويّة الكنيسة المارونيّة**، والتي في

ضوئها تنجلي دعوتها وتتجدّد رسالتها. هذه العناصر تؤلّف مجتمعة **التراث الحيّ** الذي يعطي الكنيسة المارونيّة **خصوصيّتها**، ضمن الكنيسة الجامعة، في عيش سرّ الخلاص بيسوع المسيح والشهادة له في النطاق الانطاكيّ وبلدان الانتشار. **الغاية الأولى** من إبراز الهويّة هي الأمانة لسرّ الخلاص هذا الذي منه تنطلق وعليه تُبنى هويّتنا المسيحيّة؛ **والغاية الثّانية** إعادة نظر شاملة في شؤون كنيستنا من أجل تجديدها وانطلاقتها المستقبلية (فقرة١)؛ **والغاية الثالثة** تنشئة الموارنة المنتشرين في بلدان العالم على هويّتهم وصون وحدتهم وحفظهم من الذوبان والتشتّت، وتأوين عناصر هويّتهم لتتلاءم مع ثقافات الشعوب التي ينتمون إليها (فقرة ٤).

٢. **الكنيسة البطريركية المارونيّة** هي قبل كلّ شيء **تحقيق لسرّ الكنيسة** الواحدة، الجامعة، المقدّسة، الرسوليّة، حيثما ينوجد أبناؤها وبناتها، من أجل الشهادة على إيمانهم الرسولي وقيمهم الإنجيليّة. وبالتّالي هي عمل الله الآب الخلاصيّ بواسطة ابنه يسوع المسيح وبفعل روحه القدّوس، وليست وليدة اعتبارات ثقافيّة أو قوميّة أو سياسيّة بحتة (فقرة ٢).

٣. إنّ عناصر هويّة الكنيسة المارونيّة **مشتركة في جوهرها بين الكنائس الأنطاكيّة السريانيّة**، ولو أخذت من الزمن طابعاً مارونيّاً. ولهذا كنيستنا **ملتزمة في الحركة المسكونيّة** من أجل الشركة التّامة بين الكنائس في الحقيقة والمحبّة (أفسس ٤/١٥)، وفي سبيل تعزيز الحضور الشاهد معاً في هذا الشرق وفي العالم، أمانة "لدعوة المعلّم الالهيّ" (فقرة ٣).

٤. العنصر الأوّل من هويتنا المارونيّة هو **اسم موارنة**. إنّه مأخوذ من **اسم القديس مارون** المتوفّى حوالى سنة ٤١٠، شفيع كنيستنا الذي ابتكر طريقة نسكيّة فريدة من نوعها لعيش إيمانه بالمسيح وقيم الإنجيل، على جبل قورش، في المنطقة الجغرافيّة من الامبراطوريّة الرومانيّة المسمّاة

سورية الأولى. يرجّح من علم الآثار أنّ مارون تنسّك في قلعة كالوتا في جبل سمعان، على مسافة ٣٠ كلم من مدينة حلب، وأنّ جثمانه وضع في مدينة براد القريبة من قلعة كالوتا. أمّا طريقته النسكيّة فقوامها العيش في العراء. نجد سيرة حياته في كتاب تيودوريطس أسقف قورش آنذاك بعنوان: "تاريخ أصفياء الله". واسم موارنة يرجع ايضاً إلى **الدير الذي بُني على اسم مارون**، بُعيد مجمع خلقيدونيا (٤٥١) في منطقة أفاميا الكائنة في سورية الثانية. يُعتبر دير مار مارون بحقّ **مهد الكنيسة المارونيّة** الذي في كنفه وحوله نشأت بطريركيّة مستقلّة بين نهايات القرن السابع والنصف الأوّل من القرن الثّامن (فقرة ٦).

***

## صلاة

أيّها الله الآب، نشكرك على عائلة الناصرة المقدّسة، عائلة يوسف ومريم ويسوع، وقد أردت أن تكون عائلاتنا على مثالها. نشكرك على العائلة التي أعطيتناها، لكي نقبل منك فيها الحبّ كلّ يوم: به ننمو ونتعاون ونتصالح، وبه نشهد لحبّك الذي خلقت به كلّ حياة وتعتني بكلّ إنسان.

نشكرك أيضاً على جماعتنا المسيحية، في الرعيّة وفي الأبرشيّة، وعلى أنّك تجعل علامات محبّة يسوع حاضرة في الكلمة والأفخارستيّا والمحبة الأخويّة. إجعل عائلاتنا شبيهة بالكنيسة أكثر فأكثر: في إيمانها بك، وفي قبول كلمة يسوع كما قبلتها مريم، وفي الطاعة لالهاماتك في حياة كلّ يوم مثل يوسف. لك المجد، أيّها الاب، مع ابنك الوحيد وروحك القدّوس إلى الابد، آمين ( من كتاب الكردينال كارلو- ماريا مارتيني: عند الفجر أبحث عنك).

# الأحـد الأوّل بعد الدّنح وعيد الغطاس

## ظهور الله بالمسيح والشهادة له

من إنجيل القدّيس يوحنّا ١/٢٩-٣٤.

في الغد (بعد شهادة المعمدان) رأى يوحنّا يسوع مقبلاً إليه، فقال: "ها هو حملُ الله الذي يرفع خطيئة العالم. هذا هو الذي قُلتُ فيه: يأتي ورائي رجلٌ قد صار قُدّامي، لأنّه كان قبلي. وأنا ما كنتُ أعرفه، لكنّي جئت أعمّد بالماء لكي يظهر هو لاسرائيل". وشهد يوحنّا قائلاً: "رأيت الرّوح نازلاً كحمامة من السّماء، ثمّ استقرّ عليه. وأنا ما كنت أعرفه، لكنّ الذي أرسلني أعمّدُ بالماء هو قال لي: من ترى الرّوح ينزل ويستقرّ عليه، هو الذي يُعمد بالرّوح القدس. وأنا رأيت وشهدت أنّ هذا هو ابن الله".

***

هذه الشهادة التي أعطاها يوحنّا عن يسوع أتت غداة اعتماده في نهر الأردن، كما يرويها القدّيس لوقا في إنجيله الذي نقرأه في عيد الغطاس (لو ٣/١٥-٢٢). يقول لوقا الانجيليّ: "لمّا اعتمد الشعب كلّه، اعتمد يسوع ايضاً. وفيما كان يصلّي، انفتحت السماء ونزل عليه الرّوح القدس في صورة جسديّة بشكل حمامة، وجاء صوت من السماء يقول: أنت هو ابني الحبيب، بك رضيت" (لو ١/٣٤).

من هذين النصّين نستمدّ العنوان: **ظهور الله بالمسيح والشهادة له.**

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. ظهور الله بالمسيح

الله غير المنظور ظهر للبشر في تجسّد ابن الله، الكلمة **الالهيّ**، بالميلاد، الذي أخذ اسماً هو يسوع المسيح، أي ابن الله الذي كرّسه الاب بمسحة الروح القدس في بشريّته وأرسله إلى العالم (**المسيح**)، لكي يخلّصه من خطاياه (**يسوع**). ويوم تقدّم يسوع ليقبل معموديّة يوحنّا، وهو في الثّلاثين من العمر، ظهر للمجتمع ببنوّته لله وبرسالة الفداء، على ما شهد يوحنّا: إنّه ابن الله وحمل الله الذي يحمل خطيئة العالم. وظهر أيضاً الله الثالوث: **الآب** بالصوت، **والابن** بشخص يسوع، **والروح القدس** بشكل حمامة. هذا الظهور يسمى باللّفظة السريانيّة "**الدِّنح**"، من فعل "دناح" ( دِنِحو)، توازيها اللّفظة اليونانيّة "**ثيوفانيا**"، ظهور الله، واللّفظة اللاتينيّة "**أبيفانية**". "**الدّنح**" مرتبط بظهور ابن الله يوم ميلاده متجسّداً، وبظهور الثّالوث الالهيّ يوم معموديّة يسوع المعروفة بعيد **الغطاس**. هذه اللفظة عربيّة، وتعني النزول في الماء للاعتماد.

بسبب هذا التمازج بين الظهور والاعتماد، الدّنح والغطاس، كانت الكنيسة الجامعة، حتى منتصف القرن الرابع، تعيّد في الشرق والغرب عيد الميلاد في ٦ كانون الثاني. أمّا اليوم فتحتفظ به كنيستا الأرمن الأرثوذكس والأقباط الأرثوذكس. وبعد منتصف القرن الرابع، فصلت الكنيسة العيدين، فأصبح عيد الميلاد في ٢٥ كانون الأوّل، استبدالاً لعيد الإله الوثنيّ "الشمس"، لأنّ يسوع هو الشمس الجديدة للعالم، وأصبح عيد الغطاس في ٦ كانون الثاني.

**ليس ظهور الله حدثًا جديدًا. ففي العهد القديم،** ظهر الله من خلال علامات خارجيّة، وظهورات ملموسة، وأحداث كونيّة: **"العلّيقة المتّقدة"** التي ترمز إلى قداسة الله المطلقة وقد رآها موسى (خروج ٣/١-١٢)؛ **"العمود من غمام** في النهار **ومن نار** في الليل" الذي يسير أمام الشعب نهاراً وليلاً عند خروجهم من أرض مصر (خروج ٢١/٣-٢٢)، وهو يرمز إلى الله الحاضر بنوره؛ **الرّعود والبرق والغمام** الكثيف على الجبل" التي حدثت عندما أبرم الربّ عهده مع الشعب القديم في سيناء مظهراً مجده وقدرته (خروج ١٩/١٦-١٩).

**أمّا في العهد الجديد،** فكان ظهور الله بالجسد البشريّ في الميلاد، عندما "صار كلمة الله بشراً وسكن بيننا، ورأينا مجده الذي له من الآب، كابن وحيد ملؤه النعمة والحق" (يو ١/١٤). رآه الرّعاة والمجوس فآمنوا. ثمّ ظهر يوم اعتماده على يد يوحنّا فادياً للبشر، متضامناً مع الخطأة في توبتهم، لا في خطيئتهم. وظهر ثالوثاً قدّوساً بمناسبة معموديّة يسوع. وظهر السيّد المسيح إلهاً وإنساناً في التجلّي على جبل طابور أمام ثلاثة من تلاميذه (متّى ١٧/١-٨)، وقد بان وجهه كالشمس وثيابه بيضاء كالنّور، مشاركاً كليّاً في مجد أبيه الإلهيّ (٢ بطرس ١/١٦-١٨).

في حياتنا اليوميّة، يظهر حاضراً بجوهره في الأفخارستيّا، حيث يحوّل الخبز إلى جسده والخمر إلى دمه. وانطلاقاً من هذا الحضور الدائم في القربان، يظهر **حاضراً** أيضاً في **الكنيسة**، كما يعلّم آباء المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني، "وبنوع خاصّ في **الأفعال الليتورجيّة**؛ وحاضراً في **ذبيحة القداس**، سواء بشخص الكاهن ام تحت اشكال الخبز والخمر؛ وحاضراً بنعمته وقدرته في **الاسرار**، فهو الذي يجريها بشخص الكاهن؛ وحاضراً **في كلامه** لأنّه هو الذي يتكلّم عندما نقرأ الكتب المقدّسة؛ **وحاضراً في الكنيسة**

**عندما تصلّي وتسبّح:** "حيث يجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي، أكون هناك بينهم" (متّى ١٨ / ٢٠) (دستور في الليتورجيّا المقدّسة، ٧).

## ٢. العادات المسيحيّة في عيد الغطاس

عبّر المسيحيّون عن عقيدة ظهور الربّ في الغطاس **بتقاليد وعادات شعبيّة وكنسيّة مختلفة.**

**شعبيّاً**، عبّروا عن قيمة العيد، بإقبال ربّات البيوت على إعداد أطعمة وحلويات خاصّة به مثل الزّلابية والعوّام والمعكرون، ويسمّونها "بركة العيد". وعبّروا عن حضور الربّ معهم في هذا العيد بالسهر حتّى منتصف اللّيل، وإضاءة القناديل والأنوار وفتح الأبواب مشرّعة للدّلالة أنّ المسيح الربّ سيمّر في منتصف اللّيل على المنازل، ويقول: "دائم دائم"، ويلقي البركة؛ وعند منتصف الليّل كانت العائلة تركع وتصلّي وتنشد أنشودة روحيّة لتنال بركة المسيح لدى مروره، ومن هنا الاحتفال بالقدّاس في منتصف الليل أو ليلة العيد. وكانوا يعتقدون أن الاشجار تركع للمسيح عند مروره ما عدا شجرة التوت المتكبرة، لذلك كانوا يأخذون من جذوعها شظايا لمواقدهم في تلك الليلة عقاباً لها على كبريائها. وفي ليلة الغطاس تطوف ربّة البيت على ما عندها من مؤن وتحركها بيدها وتقول: "دائم دائم"، اعتقاداً منها أنّ البركة تحلّ فيها فتزداد. وكان الله يستجيب لهذا الدعاء والاعتقاد مفيضاً النعم والبركات.

**كنسيّاً**، كان الكهنة في القديم يحتفلون بالقدّاس صباح العيد على عين القرية ليتبارك ماؤها ويُطرد روح الشرّ منها، كما تباركت مياه الأردن بنزول الربّ يسوع إليها. وكان الناس يأخذون من هذا الماء إلى بيوتهم، يستحمّون به فيبعد عنهم الأضرار، ويسقون مرضاهم منه لينالوا به الشفاء، والحبالى

لتسهيل الولادة، ويرشّون منه لطرد الحشرات وإبطال أذاها. ولمّا بطلت العادة نشأت عادة حمل الماء في قوارير إلى الكنيسة لمباركته في القدّاس، وجرت عادة زيارة الكهنة للمنازل ورشها بالماء المبارك. ثمّ كان الماء المبارك بشكل دائم في جرن صغير على مدخل الكنيسة للتبريك.

**وكنسياً** أيضاً يؤثّر المؤمنون تقديم أطفال لقبول سرّ العماد، في عيد الغطاس، تبرّكاً بتذكار معموديّة الربّ يسوع، ويضربون المثل: "يلّي ما عنده معمود يعمّد لو في الغطاس عود". ومن هنا العادة أنّهم عندما يحملون قارورة ماء إلى الكنيسة، يضعون فيها عوداً أخضر من زهرة أو غصن شجرة، يصلّي عليها الكاهن وتحفظ في المنزل للتبريك بها عند الحاجة.

## ٣. الشهادة ليسوع المسيح

كانت ليسوع شهادة الآب والروح القدس يوم اعتماده، كما رأينا، وكان "ظهور" سرّه وسرّ الله الواحد والثّالوث. وكان في إنجيل عيد الغطاس شهادة ليوحنّا المعمدان الذي كان الشعب يسأله هل هو المسيح أي الملك القوي والسياسيّ المنتظر، فشهد يوحنّا أنّ يسوع هو أقوى منه، وسيعمّد لا بالماء، كعلامة خارجيّة للتوبة، بل بالروح القدس والنار (لو ٣/١٥-١٦)، مشيراً بذلك إلى حلول الروح القدس بألسنة من نار يوم العنصرة. إنّ المسيح يعمّد المؤمن بواسطة ماء المعموديّة، والروح القدس "يمسح" المعمّد، ويختمه بختم لا يُمحى (٢ كور ١/٢١-٢٢) ويجعل منه هيكلاً روحيّاً، إذ يملأه من حضور الله ويجعله متّحداً بيسوع. عن كل معمّد يردّد الآب من السماء: "أنت ابني الحبيب، عنك رضيت"، فيصبح ابناً للّه بالابن الوحيد، ويستطيع أن يتبنّى قول يسوع: "روح الربّ عليّ: مسحني وأرسلني..." (لو ٤/١٨).

المعموديّة عطيّة مجانيّة من الله للإنسان، يقدّم له فيها البنوّة الإلهيّة بالمسيح، الإبن الوحيد الأزليّ وفادي الإنسان: "لسنا نحن أحببنا الله بل هو الذي أحبّنا وأرسل ابنه كفّارة عن خطايانا" (يو ٤/ ١٠). ولهذا السبب درجت الكنيسة على تعميد الاطفال، على إيمانها وإيمان أهلهم. كذلك هي معموديّة البالغين مجّانيّة ولا تنسّينا أنّ "الله أحيانا هو، لا بأعمال برّ عملناها، بل بمراحمه، بعماد الولادة الثّانية وتجديد الروح القدس الذي أفاضه علينا غزيراً بيسوع المسيح مخلّصنا، لنتبرر بنعمته، ونصير وارثين، بواسطة رجاء الحياة الأبديّة" (تيطس ٣/٥-٧).

ويشهد يوحنّا المعمدان أنّ عهداً جديداً يبدأ مع يسوع. إنّه نقطة الفصل، فهو مخلّص وديّان. يعتمد يوحنّا صورة البيدر (لو ٣/١٧) التي اعتمدها الأنبياء: **إرميا** عن أورشليم التي رفضت الربّ وارتدّت إلى الوراء: "فمددت يدي عليك واتلفتك، فقد مللت العفو عنك، وذرّيتكم بالمذراة عند أبواب الأرض" (إرميا ١٥/٦-٧). **وأشعيا** عن الذين نبذوا شريعة الله: "كما يلتهم لهيب النار القشّ، هكذا يفنون" (أش ٥/ ٢٤)، وغيرها. وهذا ما تنبّأ عنه سمعان الشيخ، قائلاً لمريم: "ها إنّه جعل لسقوط كثير من الناس وقيام كثير منهم، وآية معرّضة للرفض" (لو ٢/ ٣٤).

وشهد يوحنا أنّ يسوع هو "حمل الله الذي يحمل خطيئة العالم" (يو ١/ ٢٩) أي إنّه فادي الإنسان. هذه إشارة إلى موت يسوع التكفيريّ، على صورة **حمل الفصح** (خروج ١٢/ ١-١٤؛ ٢١-٢٨) التي يعود إليها يوحنّا الإنجيلي عند موت يسوع على الصليب: "لن يُكسر له عظم" (يو ١٩/ ٣٦)؛ وبولس الرّسول يقول: "إنّ فصحنا هو المسيح الذي ذُبح لأجلنا" (١ كور ٥/ ٧)، وسيراه يوحنّا في رؤياه: "مستحقّ هو الحمل الذبيح أن يأخذ

على عاتقه خطايا الناس فيكفّر عنها، والذي مع أنّه بريء يقرّب نفسه تقدمة حمل ليزيلها" (اشعيا ٥٣).

## ■ ثانياً، معموديّة ملوك وشعوب

معموديّة المسيح بالماء والروح هي باب الخلاص، انفتح أمام أفراد وشعوب، نذكر اليوم **معموديّة أمير كييف – Kiev فلاديمير ومعموديّة روسيا سنة ٩٨٨.**

كانت روسيا وثنيّة. والأمير فلاديمير كذلك، فاعتمد هو والشعب على يد اليونانيّين، بعد أن أرسل بعثة من عشرة حكماء للاطّلاع على الطّقوس والعبادات في بلغاريا لدى المحمديّين، وفي ألمانيا المسيحيّة، وفي القسطنطينيّة لدى الروم، قبل انشقاق الشرق سنة ١٠٥٤. غير أنّ المسيحيّة كانت قد دخلت جزئياً روسيا على يد القدّيسين كيرللس وميتوديوس من بلغاريا، اللذين بشّرا في أوروبا الوسطى في القرن السابق.

أعجبت البعثة بالطقس اليونانيّ، وقالوا: "لم نعرف إذا كنّا في السماء أم على الأرض. فلا يوجد على الأرض مثل هذا المنظر وهذا الجمال، ونحن عاجزون عن وصفه. إنّما نعرف فقط أن هناك يسكن الله مع الناس، وأنّ طقسهم يفوق أيّاً آخر في جميع البلدان". لقد دوّن أحد الرّهبان هذه الشّهادة في "أحداث الأزمنة الغابرة" بعد جيل ونصف.

كان للأمير فلاديمير خمس نساء وثمانماية متسرّية. فتركهنّ كلّهنّ لكي يتزوّج حنّة الأميرة البيزنطيّة، كشرط وضعه فلاديمير للامبراطور باسيليوس الثاني الذي طلب مساندته العسكريّة في حرب الامبراطوريّة البيزنطيّة ضدّ بارداس فوكاس (Bardas Phocas) في Crimée، بينما اشترط الامبراطور باسيليوس من جهته على الأمير فلاديمير أن يقبل سرّ المعموديّة، وكان ذلك

سنة ٩٨٧. وما شجّعه على المعمودية جدّته الأميرة Olga التي اتّجهت إلى القسطنطينيّة في منتصف القرن العاشر.

بعد أن اعتمد فلاديمير في ٦ كانون الثاني ٩٨٨، اعتمد أهل Kiev جَماعيّاً في مياه Dniepr، في الأشهر اللاحقة. لقد افتدت الأميرة حنّة، التي تزوجّها، خطاياه الكثيرة بسخائها. في عهده وبنتيجة اعتماده وزواجه استقرّت المسيحيّة في روسيّا، وبنيت الكنائس. وهو نفسه بنى سنة ٩٩٦ كنيسة أم الله في كييف. وسمّيت "كنيسة العُشر"، لأنّه خصّص لها عُشر مداخيله.

الكنيسة الروسيّة تعتبر فلاديمير قدّيساً منذ أواخر القرن الثالث عشر. أما الكنيسة الكاثوليكيّة فلا، بسبب عدم وجود عجائب. كانت وفاته سنة ١٠١٥، وظل اسمه متناقلاً من جيل إلى جيل، لا بفضل فتوحاته العسكريّة، بل بفضل اكتسابه النفوس بارتداده إلى المسيحيّة.

## ■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تواصل الخطّة الراعويّة التفكير معاً في النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وعنوانه: **هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**. ونفكّر اليوم بعنصرها الثاني: إنّها **كنيسة أنطاكيّه سريانيّة ذات تراث ليتورجيّ خاصّ** (فقرة ٧-١٣).

١. كون كنيستنا **أنطاكيّة**، فإنّها تحمل أمانة مثلّثة: **للهويّة المسيحيّة** "ففي أنطاكية دُعي التلاميذ لأوّل مرّة مسيحيّين" (اعمال ١١/٢٦)، **للوحدة الكاملة** مع خليفة بطرس وكنيسة روما لأنّ في أنطاكية أنشأ بطرس الرسول كرسيّه الأوّل، **وللنّفحة الرسوليّة** لأنّ الكنيسة الأنطاكيّة نشأت من تبشير الرسل، فانفتحت على الأمم (فقرة ٧).

أمّا ميزتها من أنطاكيّتها فهي الوحدة في الإيمان والشركة ضمن تعدّديّة ثقافية وحضاريّة. هذه التعدّدية ذات وجهين: **التيّار الآرامي السريانيّ** الطاغي في المدن الداخليّة والأرياف، **والتيّار الهلّينيّ** المسيطر على بعض المدن الساحليّة (فقرة ٩). بفضل هذا التنوّع الحضاريّ واللغويّ نشأت **كنائس محليّة**، لكلٍّ منها طابعها الخاصّ، إنّما مع المحافظة على الشركة والوحدة: "كان الذين آمنوا جماعة واحدة، يجعلون كلّ شيء مشتركاً بينهم... وكانوا قلباً واحداً ونفساً واحدة" (أعمال ٢/٤٤؛٤/٣٢). وظهرت هذه الشركة والوحدة في مجمع أورشليم (أعمال ١٥/١-٢٩). وكانت قاعدتهم لاهوت جسد المسيح الواحد والمتعدّد الاعضاء (١ كور ١٢/١٢-٣٠). وقد أبرز القدّيس اغناطيوس الانطاكيّ لاهوت الكنيسة المحليّة التي تتكون حول سرّ الافخارستيّا، ويضمن الأسقف وحدتها (فقرة ٩-١٠).

وتجلّت الشركة والوحدة **في النظام الأسقفي المجمعيّ** الذي هو في أساس النظام البطريركيّ. واصبح **السينودس البطريركيّ** المكان الذي تعتلن فيه الشركة بين الكنائس المحليّة من خلال ممارسة المجمعيّة الأسقفيّة بروح التّشاور في الشؤون المشتركة واتّخاذ القرارات المناسبة (فقرة ١١).

٢. كون الكنيسة المارونيّة **ذات تراث ليتورجيّ خاصّ هو السريانيّ**، فإنّها تنتمي إلى عائلة الكنائس ذات التّراث السريانيّ في فرعيه الغربيّ والشرقيّ. إنّه تراث لاهوتيّ وروحيّ وليتورجيّ علّمته مدارس أنطاكية والرُّها ونصيبين اللاهوتيّة. وتجلّى على الصّعيد الليتورجيّ بالصّلوات الشعريّة التي نظمها لاهوتيّون شعراء أمثال: القدّيس أفرام (٣٧٣+)، والقدّيس يعقوب السروجي (٥٢٦+)، وبلاي (٤٣٢+) وسواهم.

يشكّل هذا التراث السريانيّ المصدر الأساس للصلوات المارونيّة ويتميز بثلاثة: الطابع المريميّ، والدعوة إلى التوبة، ورجاء ملاقاة العروس السماويّ في نُهية الزمن (فقرة ١٢).

تقتضي **الخطّة الراعويّة** وعي هذا التراث السريانيّ المشترك، والنهل من روحانيّته، والعمل على نبش كنوزه، بهدف تعزيز رسالة كنيستنا، وتأوينها في ضوء خصوصيّتها (فقرة ١٣).

***

**صلاة**

أيّها الآب السماويّ، نسألك باسم يسوع أن ترسل إلينا روحك القدّوس الذي يسبر أعماق الإنسان ويعرف ما في داخله، لكي يعطينا القدرة على معرفة ذواتنا، كما تعرفنا أنت، ونعرف هويّة كنيستنا ودعوتها ورسالتها. فنعكس وجهها في مجتمعنا ونلتزم برسالتها في خدمة الإنسان والشّعوب بتثمير تراثها الروحيّ والاجتماعيّ والثقافيّ، لك المجد أيّها الآب على محبتك، وأيّها الابن على نعمتك، وأيّها الروح القدوس على أنوارك. آمين.

# الأحـد الثانـي بعد الدّنح

## سرّ المسيح يكشف سرّ الإنسان

من إنجيل القدّيس (يوحنّا ١/٣٥-٤٢)

في الغد أيضاً كان يوحنّا هو واثنان من تلاميذه. ورأى يسوع ماراً فحدّق إليه وقال: "ها هو حملُ الله. وسمع التلميذان كلامه، فتبعا يسوع. والتفت يسوع، فرآهما يتبعانه، فقال لهما: "ماذا تطلبان؟" قالا له: "رابّي، أي يا معلّم، أين تقيم؟". قال لهما: "تعاليا وانظرا". فذهبا ونظرا أين يقيم. وأقاما عنده ذلك اليوم، وكانت الساعة نحو الرابعة بعد الظهر. وكان أندراوس أخو سمعان بطرس أحد التلميذين اللذين سمعا كلام يوحنّا وتبعا يسوع. ولقي أوّلاً أخاه سمعان، فقال له: "وجدنا مشيحا، أي المسيح. وجاء به إلى يسوع، فحدّق يسوع إليه وقال: "أنت هو سمعان بن يونا، أنت ستدعى كيفا، أي بطرس الصخرة".

***

جرى هذا الحدث غداة اعتماد يسوع في نهر الأردن على يد يوحنّا المعمدان. فسُمّي اعتماده **بالغطاس**، للدلالة إلى نزوله في الماء وسكبه عليه. وفي المناسبة اعتلن سرّ يسوع أنّه "ابن الله"، وظهر الله في حقيقته أنّه ثالوث قدّوس: الآب بالصوت، والابن بشخص يسوع، والروح القدس بشكل حمامة، فسمي الحدث **بالدنح**، وهي لفظة سريانيّة تعني "الظهور".

وجاءت شهادة يوحنّا المعمدان عن يسوع، في إنجيل اليوم، لتكمل اعتلان سرّه أنّه "**حمل الله**"، وأضافت شهادة تلميذه أندراوس أنّه "**المسيح**". فكان أن انكشف في ضوء سرّ المسيح سرُّ الانسان.

## ■ أوّلاً، مضمون النصّ الانجيليّ

### ١. حمل الله

سار يسوع في موكب الخطأة الطالبين "معموديّة يوحنّا للتّوبة" (مر ١/ ٤)، هو الذي لم يعرف خطيئة. وقد سأل يوماً: "من منكم يستطيع أن يبكّتني على خطيئة؟" (يو٨ /٤٦). وسيقول عنه بولس الرّسول: "هو مجرّب في كلّ شيء مثلنا، ما عدا الخطيئة" (عبرانيين ٤/١٥). ونقول في القدّاس المارونيّ: "واحد ظهر على الارض بلا خطيئة هو ربّنا يسوع المسيح، غفران جنسنا العظيم". هذا لا ينفي أنّ سيّدتنا مريم العذراء الكليّة القداسة هي أيضاً ظهرت من دون خطيئة، لكنّ الذي عصمها من خطيئة آدم الأصليّة هو الله باستحقاقات من سيكون ابنها يسوع المسيح، ابن الله المتجسّد، وعصمتها النعمة الالهيّة من كلّ خطيئة شخصيّة بتجاوبها الكامل معها، فكانت الأمّ القدّوسة للابن القدوس، فادي الإنسان ومخلّص العالم.

لكنّ يوحنّا المعمدان، الممتلىء من الرّوح القدس، رأى فيه "**حمل الله**" الذي يدشّن رسالة الفداء، هو الذي قال أنّه أتى "ليبذل نفسه فدىً عن الكثيرين" (مر١٠/٤٥). بهذه الكلمة استبق معمودية الدم بموته على الصليب، تكفيراً عن خطايانا وغفراناً عنها، وستكتمل معموديّته بقيامته التي تفجّرت منها الحياة الإلهيّة في المؤمنين. المعموديّة بحدّ ذاتها عبور فصحيّ بالموت والقيامة: الموت عن حالة الخطيئة، والقيامة إلى حالة النعمة.

شهادة يوحنّا المعمدان عن يسوع "حمل الله" هي **شهادة نبويّة**: ففيما

سماّه أشعيا النّبي "عبد يهوه" أو "خادم الله المتألم"، وشبّهه بحمل صامت يساق إلى الذبح، ولا يفتح فاه، وهو يحمل خطايا الكثيرين ويشفع في معاصيهم" (أشعيا ٥٣/٧ و١٢)، اعتبره يوحنّا المعمدان هذا الحمل الفصحيّ إيّاه، المرموز إليه بحمل الفصح اليهوديّ (خروج ١٢/٢). سيقول عنه فيما بعد بولس الرسول: "لقد ذُبح حمل فصحنا وهو المسيح" (١ كور ٥/٧)، و"لم يُكسر له عظم" (يو ١٩/٣٦)، كما ترسم الشريعة بالنسبة إلى حمل الفصح اليهوديّ (خروج ١٢/٤٦).

**حمل الله** يعني **الفادي الالهيّ** الذي أرسله الله، فأتمّ بموته وقيامته الفداء، و"اشترانا بثمن دمه الغالي، لكي لا نصير عبيداً لأحد" (١ كور ٦/٢٠؛ ٧/٢٣)، مكتسباً الخلاص لجميع الناس، وباعثاً فينا قوّة الرجاء الذي لا يُقهر، والذي يعضدنا في تعزيز العدالة والسلام، ويمكّننا من الانتصار على الشرّ بالخير (روم ١٢/٢١)، وعلى بناء عالم أفضل. هذا الحمل الفادي الالهيّ يسميّه بولس الرسول "**سرّ التقوى**" (١ تيم ٣/١٦) الذي "يرفع"، يزيل، "**سرّ الاثم** الحاضر والفاعل في العالم" (٢ تسا ٢/٦-٧)، ويعطي الانسان ما يكفيه من الطاقات لمقاومة سرّ الاثم، الذي يسمّيه الربّ يسوع "أبواب الجحيم" (متّى ١٦/١٨) وقداسة البابا بندكتوس السادس عشر "قوى الظلمة" (المقابلة العامّة في ٢٢/١١/٢٠٠٦). ذلك بفضل اتحاد المسيح بكلّ إنسان، وهو اتّحاد تمّ بتجسّد ابن الله والفداء بموته، والتبرير بقيامته، وبحلول الروح القدس الذي يملأ العالم (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٢؛ حكمة ١/٧).

في زمن يتفشّى فيه "سرّ الاثم" ويكثر الشرّ والقتل والحقد، وتتسع رقعة العداوات والانقسامات، ويؤثر الناس والمسؤولون لغة العنف والحرب والترهيب، من الضرورة ان نوجّه العقل والارادة والقلب إلى المسيح الربّ الذي هو وحده فادينا، فادي الإنسان، وأن نتلّمس وجهه لأنّ فيه وحده

الخلاص، لكونه "ابن الله الذي تأنّس من أجلنا ومن أجل خلاصنا" (قانون الايمان). إنّه حاضر في الكنيسة التي هي جسده، ويعمل بواسطتها وهو رأس هذا الجسد؟ "الكنيسة هي في المسيح كالسّر، أي هي علامة الاتحاد الحميم بالله وأداته، وهي كذلك علامة وحدة الجنس البشريّ كلّه وأداتها (الدستور العقائديّ: في الكنيسة، ٥). هذه الشركة العاموديّة مع الله والأفقيّة مع جميع الناس، هي ثمرة الفداء بدم "الحمل الالهيّ"، وهي رسالة الكنيسة في عالمنا.

## ٢. المسيح

"وجدنا المسيح! (يو ١/٤١). هذه شهادة أندراوس أحد تلميذَي يوحنّا المعمدان اللذين تبعا يسوع، أعطاها لأخيه سمعان - بطرس، بعد أن قضى النهار معه بصحبة تلميذ آخر. إنّه وجه جديد من شخصيّة يسوع يضاف إلى كونه "حمل الله"، فهو "**المسيح**" الذي، حسب اللفظة الآرامية، "مسحه الله بالروح القدس" (أعمال١٠/٣٨)، وكرّسه لرسالة الفداء، نبيّاً وكاهناً وملكاً بامتياز، لكونه "ابن الله"، بشهادة يوحنا المعمدان أمام التلميذين (أعمال ١/٣٤). لقد جرت "مسحة التكريس" ساعة قبوله المعموديّة على يد المعمدان، إذ انفتحت السماوات، وحلّ عليه الروح القدس بشبه حمامة، وأعلنه الآب بالصوت: "أنت ابني الحبيب، بك سررت" (لو ٣/٢٢).

شهادة **أندراوس** مكتَسبة من "إقامته مع يسوع طوال النهار"، بفضل الروح القدس الذي ناله هو أيضاً بنتيجة هذه "الإقامة". فمن يلتقي يسوع بإيمان ينال هبة الروح القدس. في الواقع، أندراوس رجل إيمان ورجاء. بتتلمذه ليوحنا كان يبحث بشوق عن المسيح ويشارك شعبه في رجاء انتظاره. فما أن سمع من المعمدان أنّ يسوع هو "حمل الله"، حتى سار وراءه وتبعه، فكان المدعو الأوّل. ولما اكتشف المسيح، صار رسوله فأخذ

أخاه سمعان وجاء به إلى يسوع. "أندراوس" اسم يوناني اللفظة، تكرّمه الكنيسة البيزنطية بلقب بروتوكليتوس- Proto'klitos الذي يعني "المدعوّ الأوّل".

ثمّة **رابط عضوي** بين لقبي يسوع الجوهريين: **حمل الله والمسيح**. فيسوع هو مرسل الآب، "**مسحه**" مالئاً بشريته من الروح القدس، **وأرسله** ليبذل نفسه **فدىً عن الكثرين** (متّى ٢٠/٢٨). لفظة مسيح تنطوي في آن على الارسال والفداء. وهكذا تكتمل شهادتا يوحنّا المعمدان وأندراوس: "يسوع هو ابن الله المرسل بمسحة الروح القدس لفداء العالم".

**٣. سرّ الانسان: حبّ وطاعة**

يسوع المسيح، هذا "النور الذي ينير كلّ إنسان آتٍ إلى العالم" (يو ١/٩)، عندما يدعو إنساناً "ليأتي وينظر"، كما دعا التلميذين (يو ١/٣٩)، يكشف ذاته لهذا المدعو، ويكشف له سرّ الإنسان. لقد كشف يسوع نفسه لأندراوس، فعرفه أنّه "المسيح"، وكشف لسمعان بن يونا، شقيق أندراوس الذي اقتاده إلى يسوع، دعوته في الحياة، فحوّل اسمه من سمعان إلى بطرس أي الصخرة. وبعد أيّام، "فيما كان يسوع سائراً على شاطىء البحر، رأى سمعان وأندراوس يلقيان الشباك في الماء، فقال لهما: إتبعاني، أجعلكما صيادَي البشر! وللحال تركا شباكهما وتبعاه" (مر ١/١٦-١٨).

**حبّ وطاعة**، هذه هي قصّة الإنسان مع الله. **أحبّ** أندراوس يسوع، على شهادة المعمدان، وتبعه مع التلميذ الآخر، ومكث عنده طوال النهار، وفهمه على حقيقته أنّه "المسيح". وعندما دعاه ليتبعه نهائيّاً **أطاع** النّداء وترك كلّ شيء وتبعه. كذلك سمعان أخوه **أحبّ** يسوع وجاء يبحث عنه، على شهادة أندراوس، فبادره يسوع بأنه يعرفه ويعرف اسمه وبدّله إلى "بطرس-

الصخرة". ولمّا مرّ به يسوع على شاطىء البحيرة وقال له: "إتبعني"، **أطاع** وترك الشباك وتبعه.

يقول **الطوباويّ شارل دي فوكولد** إنّ حياتنا "سير على دروب الله غير المتوقّعه". فعندما يأتي الله في حياتنا، من خلال أيّة حالة أو ظرف، و"يأمر"، ينبغي أن نطيع. ولكنّ الذي يطيع هو من تعوّد على محبّة الله. لبّى سمعان وأندراوس دعوة يسوع في لحظة، وتركا كلّ شيء وتبعاه (لو ٥/١١)، لأن حياتهما السابقة كانت مبنيّة على حبّ في القلب للّه، وتعوّدا، دونما شكّ، أن يقولا "نعم" في كلّ لحظة. المحبة أساس الطاعة الأصيلة والسخيّة التي تنفي كلّ شعور بالعبوديّة. ألم يقل الربّ يسوع: "من يحبنّي يحفظ وصاياي!" (يو ١٤/١٥). وأعطانا المثل بنفسه: "أتيت لأصنع مشيئة الآب الذي أرسلني" (يو ٦/٣٨). قبل ساعات من تسليم ذاته للصّلب فدى عن البشريّة جمعاء، قال: "ينبغي أن يعرف العالم أنّني أحبّ الآب، وأنّني أعمل بما أوصاني به" (يو ١٤/٣١). هذا هو الرباط بين المحبّة والطاعة.

إنّ للّه تدبيراً لكلّ واحد منّا في تاريخ الخلاص، ما يعني أنّ له دوره الخاصّ في تتميم إرادة الله عبر التاريخ. ولهذا علّمنا الربّ يسوع في صلاة الأبانا أن نقول: "لتكن مشيئتك". لا يوحي لنا الله إرادته بظهور ملاك أو بصوت واضح وصريح، بل نكتشفها نحن بالصلاة وسماع كلامه في الكتب المقدّسة، واستلهام الروح القدس، وقراءة علامات الأزمنة، وتسليط أنوار الكلمة، يسوع المسيح، على هذا الحدث أو ذاك في حياتنا اليوميّة. الله يقود خطانا بواسطة رسول هو كلّ حدث يوميّ أو ظرف. يقول **الطوباويّ الأخ شارل**: "لندع ذواتنا بين يدي الله بأمانة وحبّ وطاعة كبيرة، ليقودنا إلى حيث يشاء". **والأخت الصغيرة مدلين** كانت تردّد: "أخذني الله بيده، فتبعته

بطاعة عمياء". هذه حال الرسولين أندراوس وسمعان-بطرس في انجيل اليوم.

مع الله نعيش يوماً بيوم، ولحظة بلحظة، متممين إرادته، كيفما تجلّت، فنكون في سلام داخلي عميق. نخطط للمستقبل بإرادتنا التي تتكيّف وفقاً لإرادة الله، الذي غالباً ما يأتي بمبادرات تخالف مشاريعنا، وتقتضي تبديل اتجاهها.

## ■ ثانياً، وجوه من كبار الدنيا نالوا ثمار الفداء

ثمار الفداء جارية في التاريخ مذ رُفع يسوع عن الأرض، وراح يجتذب كلّ إنسان (راجع يوحنا ١٢/٣٢). إنّها جارية بواسطة المعموديّة، هذا الخلق الجديد بالمسيح، الذي شمل ملوكاً وشعوباً، ما جعل المسيحية تنتشر وتشكل حضارة الشعوب. رأينا في الأسبوع الماضي انتشار المسيحيّة في روسيا بواسطة معمودية فلاديمير أمير كييف، ومعمودية شعبها. ونستعرض اليوم معمودية كلوفيس Clovis (٤٩٥-٥١١) أوّل ملوك فرنسا الفرنج (٤٨١)، جرمانيّ الأصل ووثنيّ.

سعى الأساقفة الفرنج إلى أن يتزوج كلوفيس من كلوتيلد الكاثوليكية، وهي من أسرة ملوكية، فكان أن اجتذبته إلى الايمان المسيحيّ الكاثوليكيّ في بلد كانت فيه بدعة آريوس تنسحب على الغالبيّة. في حربه ضد الألمان التجأ إلى إله كلوتيلد، وقطع وعداً بأن يعتمد إذا نصره على أعدائه، فكان الانتصار العجيب. وفيما راح يتردد بين اعتناق الآريوسية أو الدين الكاثوليكي، دبّرت كلوتيلد لقاء بين كلوفيس ومطران Reims الأسقف ريمي لمناقشة العلاقة بين اللاهوت والسياسة. وإذ ظلّ كلوفيس متردّداً، أشارت إليه جنفياف النبيّة حامية باريس أن يقوم بزيارة إلى ضريح القدّيس

مرتينوس في Tours. فوجد مدينة تحوّلت إلى مركز روحيّ كبير حيث يجتمع جماهير المؤمنين في يوم عيده، ١١ تشرين الثاني. وصل إليها كلوفيس في تلك المناسبة من سنة ٤٩٩. ورأى هناك حول ضريح القديس ومزاره كل أنواع البؤس في مملكته بأعداد كبيرة من العرج والعميان والمصابين بشتّى الاعاقات، وشاهد العديد من الشفاءات. فكان له وحي إلهيّ جديد، اجتذبه إلى الله الكلّيّ القدرة. فأدرك أنّ قوة الله ليست بالجيوش المنتصرة، بل برحمته. طلب المعموديّة وقبلها في عيد الميلاد سنة ٤٩٩ في Reims، مع ٣٠٠٠ مقاتل من حرسه الخاصّ. وقال الكلمة الشهيرة: "**ليس من السهل أن يتفلّت أحد من يد الله**". فسلّم ذاته للربّ وتركه يحوّله من عمق أعماقه.

بفضل المعموديّة تبدّلت طريقة حكم الملك كلوفيس، وحقق الانتصارات في حروبه، واعتنى عناية كبيرة بتجنيب المدنيين وتحرير أسرى الحرب. فنال من أمبراطور الشرق الروماني، أنستاز Anastase، لقب حامي الارث الرومانيّ الروحيّ والزمنيّ. وبطلب من كلوفيس وقبيل وفاته انعقد مجمع Orléans سنة ٥٠٠، الذي أصلح العادات ووحّد الشعوب الفرنسيّة الرومانيّة، وعزّز الدين المسيحي، وصحّح الممارسات الجرمانيّة القائمة على القوّة والعنف.

شكّل كلوفيس نموذجاً للأجيال ومرجعيّة وملكاً كبيراً ترك إرثاً مسيحيّاً عظيماً. بمعموديّته بدّل المستقبل، إذ معه انتهت سلسلة الملوك الفرنج الوثنيّين. وهكذا أمكن بارتداد رجل تغييرُ وجه شعب، وطبعُ تاريخٍ برجاء ونور عظيمين.

ما أحوج وطننا وهذه المنطقة من العالم إلى ارتداد ملوك ورؤساء، لكي تسلم الشعوب وينبثق فجر السلام!

## ■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تتناول الخطّة الراعويّة النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: **هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**. نفكرّ معاً في العنصر الثالث من هويّتها، وهو أنّها **كنيسة خلقيدونيّة** (الفقرات ١٤-١٧).

١. هي **خلقيدونيّة**، نسبة إلى مجمع خلقيدونيا، المجمع المسكونيّ الرابع المنعقد سنة ٤٥١، والذي أثبت أنّ المسيح هو في طبيعتين كاملتين إلهيّة وإنسانية، متّحدتين بشخص ربّنا يسوع المسيح. وبهذا تأكيد على إنسانيّة السيّد المسيح وعلى حقيقة التجسّد والخلاص. هذا الإيمان اعترف به رهبان دير مار مارون، مهد الكنيسة المارونيّة.

**الميزة الأولى** التي ينبغي وعيها والشهادة لها في حياتنا هي **الأمانة لسرّ التدبير الخلاصيّ**، الذي وضعه الله بالمسيح للبشريّة جمعاء (فقرة ١٤).

٢. وكون كنيستنا خلقيدونيّة، فقد بدأ ظهورها لأوّل مرّة في **اتّحادها مع كرسي بطرس في روما**، لأنّ العقيدة التي أعلنها المجمع قد حدّدها البابا لاوون الكبير في الرسالة الموجهة سنة ٤٤٩ إلى فلافيانوس، بطريرك القسطنطينيّة، بشأن الطبيعتين في المسيح، خلافاً للقائلين بأنّ فيه طبيعة واحدة بعد التجسّد، حيث تتلاشى الانسانيّة في الألوهيّة، وهذا يؤدّي إلى إفراغ حدث التجسّد من معناه الخلاصيّ.

**الميزة الثانية** في حياتنا وشهادتنا هي **الأمانة لمفاعيل سرّ التجسّد** عبر

اتّحادنا بالله في المسيح بواسطة سرّ الافخارستيا: "وحّدت يا ربّ لاهوتك بناسوتنا، وناسوتنا بلاهوتك، حياتك بموتنا وموتنا بحياتك. أخذت ما لنا وأعطيتنا ما لك، لتحيينا وتخلّصنا، لك المجد إلى الأبد" (نافور القدّاس المارونيّ، فقرة ١٥).

٣. الهويّة الخلقيدونيّة هي الأساس لدعوة الكنيسة المارونيّة ورسالتها؛ أعني لأن **تعيش روحانيّة التجسّد** في بيئتها اللبنانيّة والمشرقيّة. فيسعى أبناؤها مع شركائهم في المصير، من مسيحين ومسلمين، إلى العمل معاً من أجل ترقّي الإنسان والمجتمع، ثقافيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً وسياسيّاً. وبذلك يستعيد الانسان بهاء صورة الله فيه، المتجلّية في شخص المسيح، ويحافظ على كرامته ويعزّزها (فقرة ١٧).

***

## صلاة

أيّها الربّ يسوع، أعطنا أن ندرك كلّ يوم أنّك تدعونا إلى مدرستك، حيث نتعلّم من شخصك وأقوالك وأفعالك أن نشهد للقيم الروحيّة والخلقيّة في بيئتنا، قيم الطيبة والجودة والاستقرار. علّمنا أن نكون حاضرين بقرب العائلات التي تعاني من التعب والمرض والفقر والخلافات، لنزرع فيها الوئام والطمأنينة والسلام. علّمنا كيف نجعل عائلاتنا مدرسة إيمان وتجرد ونشاط، فتكون في خدمة العائلة الوطنيّة الأكبر، لك المجد مع الآب والروح القدس، إلى الأبد، آمين.

الأحد ٢١ كانون الثاني ٢٠٠٧

# الأحد الثالث بعد الدّنح

## حياة المسيح فينا

من إنجيل القدّيس يوحنّا ٣/١-١٦

كان إنسان من الفرّيسيين، اسمه نيقوديموس، رئيساً لليهود. هذا جاء ليلاً إلى يسوع وقال له: "رابي، نحن نعلم أنّك جئت من الله معلّماً، لأنّه لا أحد يقدر أن يصنع الآيات التي أنت تصنعها ما لم يكن الله معه". أجاب يسوع وقال له: "الحقّ الحقّ أقول لك: لا أحد يقدر أن يرى ملكوت الله ما لم يولد من جديد". قال له نيقوديموس: "كيف يقدر إنسان أن يولد وهو كبير في السنّ؟ هل يقدر أن يدخل ثانية حشا أمّه ويُولد؟". أجاب يسوع: "الحقّ الحقّ أقول لك، لا أحد يدخل ملكوت الله ما لم يولد من الماء والروح. مولود الجسد جسد، ومولود الروح روح. لا تَعجبْ إن قلت لك: عليكم أن تولدوا من جديد. الريح تهبّ حيث تشاء، وأنت تسمع صوتها، لكنّك لا تعلم من أين تأتي ولا إلى أين تمضي. هكذا كلُّ مولود من الروح". أجاب نيقوديموس وقال له: "كيف يمكن أن يصير هذا؟". أجاب يسوع وقال له: "أنت معلم إسرائيل وتجهل هذا؟ الحقّ الحقّ أقول لك، نحن ننطق بما نعلّم، ونشهد بما رأينا، وأنتم لا تقبلون شهادتنا. كلّمتكم في شؤون الأرض ولا تؤمنون، فكيف تؤمنون إذا كلّمتكم في شؤون السماء؟ ما من أحد صعد إلى السماء إلاّ الذي نزل من السماء، أي إبن الانسان. وكما رفع موسى الحيّة في البريّة، كذلك يجب أن يُرفع ابن الانسان، لكي تكون لكلّ مؤمن به حياة أبديّة. هكذا أحبّ الله العالم، حتى إنّه جاد بابنه الوحيد، لكي لا يهلك أيّ مؤمن به، بل تكون له حياة أبديّة".

## ■ أوّلاً، مضمون النصّ الانجيليّ

كشف الربّ يسوع لنيقوديمس، الفريّسيّ والرئيس اليهوديّ، جوهر رسالته وغايتها، أعني خلق الانسان من جديد بولادته الثانية من الماء والروح بواسطة المعموديّة. هذه الولادة الثانية تدخله من جديد في شركة اتّحاد بالله عاموديّاً، وفي شركة الوحدة مع الجماعة المؤمنة في الكنيسة أفقيّاً. هذا ما عناه الربّ يسوع بقوله لنيقوديمس: "إنْ لم يولد الانسان من الماء والروح، لا يستطيع أن يدخل ملكوت الله" (يو٣/٥).

### ١. الولادة الثانية من الماء والروح

الولادة الثانية من الماء والروح تتمّ بواسطة المعموديّة التي تشرك المعمَّد في موت المسيح وقيامته: "بالموت" عن الخطيئة و"القيامة" إلى الحياة الجديدة بالروح القدس. هذه الولادة الثانية هي الخلق الجديد (٢ كور ٥/١٧) الذي يعيد للانسان بهاء طبيعته الأولى المخلوقة على صورة الله، والتي خسرها بخطيئة آدم وحوّاء. فانكسرت الشركة مع الله وبين الناس، كما يصفها سفر التكوين في فصوله الأولى.

لفظة **معموديّة**، حسب الأصل اليونانيّ من فعل baptizein، تعني الغطس أو النزول في الماء ثمّ النهوض منه. النزول والنهوض هما رمز الموت والقيامة. فالماء المتفجّر من الأرض يرمز إلى الحياة، وماء البحر يرمز إلى الموت ويمثّل سرّ الصليب. من هذه الرموز نفهم أنّ المعموديّة تعني الشركة مع المسيح في موته (كتاب التعليم المسيحيّ، ١٢٢٠).

الربّ يسوع نفسه استعمل لفظة "**معموديّة**" عندما تكلّم عن سرّ آلامه وموته مع يعقوب ويوحنّا ابنَي زبدى، إذ سألهما: "أتستطيعان أن تشربا الكأس التي أنا أشربها، وأن تصطبغا الصبغة التي أنا أصطبغها؟"

(مر١٠/٣٨). فأصبح الماء مجرّد رمز للموت والحياة، أمّا من يحقّق الولادة الثانية أو الخلق الجديد، فهو الروح القدس محقّق ثمار الفداء. وكانت العلامة النبويّة في الدم والماء اللذين سالا من جنب يسوع المطعون بالحربة وهو ميت على الصليب، وكانا صورة المعموديّة والأفخارستيّا، سرّي الحياة الجديدة (يو ١٩/٣٤). هذه هي "شهادة الروح والماء والدم. والثلاثة هم في واحد" (١ يو٥/٨). هذا الواحد هو المسيح.

كانت المعموديّة موجودة قبل المسيح، وهي معموديّة التوبة التي مارسها يوحنّا المعمدان. وكانت معموديّة رمزيّة بالماء. لكنّ غفران الخطايا أتى من بعد تحقيق سرّ الفداء بموت المسيح وقيامته. ومن بعده سلّم الربّ الرسل، كهنة العهد الجديد، سلطان الحلّ من الخطايا: "خذوا الروح القدس، من غفرتم له خطاياه غُفرت، ومن حفظتم عليه خطاياه حُفظت" (يو٢٠/٢٣)، وسلطان تعميد المؤمنين: "أُمضوا الآن وأَعلنوا الانجيل لكلّ الأمم، وعمدّوهم باسم الآب والابن والروح القدس، (متى٢٨/١٩)، وأضاف الربّ: "هذا ما كتب: على المسيح أن يتألمّ ويقوم في اليوم الثالث من بين الأموات. وباسمه ينادى بالتوبة وبغفران الخطايا في جميع الشعوب" (لو٢٤/٤٦-٤٧)، وختم: "من يؤمن ويعتمد يخلص، ومن لا يؤمن يُدان" (مر١٦/١٦).

الولادة الثانية من الماء والروح **تأتي من موت المسيح**: "لقد مات من أجلنا، به افتُدينا، وبه خَلُصنا". هذا ما يؤكّده القدّيس أمبروسيوس (راجع كتاب التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٢٢٥). وقد أعطانا الربّ يسوع نموذجاً عن هذه الولادة الجديدة في "حبّة الحنطة التي إذا وقعت في الأرض وماتت، أتت بثمر كثير" (يو ١٢/٢٤). أمّا في إنجيل اليوم فالحقيقة أكّدها بهذا الكلام: "كما رفع موسى الحيّة في البريّة، هكذا ينبغي أن يُرفع ابن

الانسان، حتى لا يهلك كلّ من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديّة" (يو ٣/١٣-١٥).

## ٢. الدخول في ملكوت الله

**ملكوت الله هو الكنيسة**، التي "هي زرعه وبدايته في العالم" (الدستور العقائديّ: في الكنيسة،٥)، على أن يكتمل في نُهية الأزمنة في السماء. ونعني بالكنيسة "المسيح الكليّ" أي: المسيح، وأعضاء جسده جماعة المؤمنين به. ملكوت الله هو الاتّحاد القائم بين الله والناس، فظهر أوّلاً في شخص المسيح، الاله والانسان، وفي أقواله وأمثاله ومعجزاته، وتكوّن بشكل منظور في الكنيسة المؤلّفة من العنصرين الالهيّ والبشريّ، برباط الروح القدس (المرجع نفسه).

**الدخول** في هذا الاتّحاد بالله الثالوث يتمّ بواسطة الايمان بالمسيح، والمعموديّة التي هي بمثابة **الباب** إلى الحياة بالروح، أعني التحرّر من الخطيئة، والولادة من جديد كأبناء للّه، والانتماء العضويّ إلى جسد المسيح، والاندماج في سرّ الكنيسة والشركة في رسالتها. ولذا تكون المعموديّة **البابَ إلى سائر الأسرار** التي لا ينالها سوى الذين اعتمدوا، أي الذين أصبحوا أغصاناً في كرمة المسيح (يو ١٥/١-٨) وبالتالي تصل اليهم المائيّة الروحيّة التي تنبع من الأسرار، أعني هبة الروح القدس وغذاء جسد الربّ وغفران الخطايا ونعمة الشفاء ومسؤوليّة الخدمة والرسالة.

فالأسرار السبعة تحتوي، بالنسبة إلى الحياة الجديدة الروحيّة، على الولادة والنموّ، وعلى الشفاء والرسالة، تماماً كما تقتضي الحياة الطبيعيّة. ولذا تقسم الأسرار إلى ثلاث مجموعات: أسرار النشأة والتنشئة (المعموديّة والميرون والقربان)، وأسرار الشفاء (التوبة ومسحة المرضى)،

وأسرار الخدمة والشركة ( الكهنوت والزواج). لكنّها تشكّل معاً وحدة عضويّة، يحتلّ فيها سرّ الأفخارستيّا مكاناً فريداً، لكونه "سرّ الأسرار"، فهي كلّها مرتّبة إليه كإلى غايتها، كما يقول القدّيس توما الأكويني (كتاب التعليم المسيحيّ، ١٢١٠-١٢١١).

## ٣. الحياة في المسيح والسلام

الدخول في ملكوت الله هو في الجوهر **الحياة في المسيح**، بل **حياة المسيح فينا**. كما الكرمة تعطي ماويّتها للأغصان فتثمر ثمارها، كذلك هي حياة المسيح القائم من الموت تجري فينا فنعمل أعماله بأعمالنا. يا للمسؤولية! ويا للشرف! القدّيس بولس عاش هذا الواقع وعبّر عنه بالقول: "أنا أحيا، ولكن لا أنا الذي يحيا، بل هو يسوع الذي يحيا فيّ" (غلا ٣/ ٢٠).

ناجى **الطوباويّ الأخ شارل دي فوكولد** الربّ بهذه الصلاة: "أنت تسكن في النفس الأمينة يا ربّ. تصبح كأنّك نفس هذه النفس، نعمتك تعضدها في كلّ شيء، وتقودها في كلّ شيء، وتنير عقلها، وتوجّه إرادتها، ليست هي التي تعمل، بل أنت تعمل فيها". ويضيف: "يسوع الحيّ في النفس المؤمنة إنّما يستعملها ليمجّد الله ويقدّس الناس. إنّ الربّ يطلب منّا أن ندعه يواصل فينا الحياة التي بدأها على الأرض. فلندعه يعيش فينا".

لقد ردّد آباء الكنيسة أنّ "الله صار إنساناً لكي يصير الانسان الله". ذلك أنّ الانسان أصبح بالمعموديّة والأسرار سكنى الله الحيّ، وحامل المسيح **(Christophore)**، الذي تتفجّر حياته فينا.

"**المسيح سلامنا**" (أفسس ٢/ ١٤). عندما يسكن المسيح فينا نصبح فاعلي سلام وبالتالي أبناء للّه (متّى ٥/ ٩) بالابن الوحيد، وتصبح حياتنا انعكاساً لقلب المسيح ولسلامه. هذا السلام، وصفه الطوباويّ البابا يوحنّا

الثالث والعشرون في رسالته العامّة "السلام على الأرض": بأنّه **السلام مع الله** في إتمام مشيئته، **والسلام مع البشر** في احترام حقّ كلّ واحد منهم، لكونه مختوماً بوجه العليّ (مز ٤/٧)، **والسلام في العائلة** حيث الأزواج يعاونون الله في نقل الحياة، وحيث ينمو البنون حول المائدة كأغراس الزيتون (مز ١٢٨/٣)، **والسلام في قلب الأمم**، حيث يسهر المسؤولون السياسيّون على تعزيز الخير العامّ وحسن التنظيم لحياة المواطنين، **والسلام في العلاقات بين الشعوب** بروح الصدق والتضامن والتعاون ونبذ سوء الفهم والوعيد (رسالة فصحيّة في ١٣ نيسان ١٩٦٣).

## ■ ثانياً، جسد المسيح الواحد وانقسام الكنائس

يبدأ في ١٨ كانون الثاني، عيد قيام كرسيّ بطرس في روما، أسبوع الصلاة من أجل وحدة المسيحيين. يجب التمييز بين تنوّع الكنائس في وحدة شركة الايمان والعقيدة، والانشقاقات التي تكسر هذه الوحدة- الشركة.

في الكنيسة الجامعة المقدّسة الرسوليّة يوجد تنوّع الطقوس أو الكنائس، وهي: الطقس الرومانيّ في كنيسة روما، أو الكنيسة الغربيّة، وطقوس الكنائس الشرقيّة وهي، الطقس الأنطاكيّ، والطقس البيزنطيّ أو القسطنطينيّ، والطقس الاسكندريّ، والطقس الكلدانيّ، والطقس الأرمنيّ.

"الطقس- Rite" يعني التراث الليتورجيّ واللاهوتيّ والروحيّ والتهذيبيّ المتّسم بثقافة الشعوب وظروفها التاريخيّة، ويُعبّر عنه بالطريقة التي تعيش بها الايمان كلّ كنيسة متمتّعة بحكم ذاتيّ (مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة، ق ٢٨).

هذا التنوّع يشكّل ثروة وغنى للكنيسة الجامعة، ويجعلها مزيّنة كعروس مهيّأة لعريسها.

أمّا الكنيسة الواحدة القائمة حول خليفة بطرس على كرسي روما ونائب السيّد المسيح والمعروفة بالكنيسة الكاثوليكيّة فمنقسمة، وفيها انشقاقات توالت عليها في حقبات تاريخيّة متنوّعة.

١. **الكنيسة الأشوريّة أو كنيسة الشرق** انشقّت عن الكنيسة الكاثوليكيّة في أعقاب مجمع أفسس المنعقد سنة ٤٣١ الذي أثبت أنّ ابن الله، يسوع المسيح، إله كامل وإنسان كامل، وأنّ العذراء مريم هي والدة الاله. هذه الكنيسة تعترف بمجمعي نيقية الأوّل (٣٢٥) الذي أثبت أنّ الابن له ذات الجوهر الذي هو للآب، والقسطنطينيّة الأوّل (٣٨١) الذي أثبت أنّ الروح القدس له الجوهر نفسه الذي للآب والابن.

٢. **الكنائس الشرقيّة الأرثوذكسيّة**، وهي القبطيّة والسريانيّة والأرمنيّة، انشقّت عن الكنيسة الكاثوليكيّة في أعقاب مجمع خلقيدونيا (٤٥١)، الذي أثبت أنّ في الابن طبيعتين كاملتين إحداهما إلهيّة والثانية بشريّة في أقنوم واحد. تعترف هذه الكنائس بالمجامع المسكونيّة الثلاثة الأوّلى: نيقية الأوّل، وأفسس، والقسطنطينيّة الأوّل.

٣. **كنائس الروم الأرثوذكس** التي تتبع الطقس القسطنطينيّ أو البيزنطيّ. انشقّت عن الكنيسة الكاثوليكيّة في سنة ١٠٥٤ لأسباب تختصّ أساساً بسلطة قداسة البابا. إنّها تعترف بالمجامع المسكونيّة السبعة الأوّلى، إضافةً إلى الأربعة المذكورة: القسطنطينيّ الثاني (٥٣٧) الذي شرح وثبّت تعاليم المجامع السابقة، والقسطنطينيّ الثالث (٦٨١) الذي أثبت أنّ في الابن مشيئتين إحداهما إلهيّة والثانية بشريّة في أقنوم واحد،

والنيقاويّ الثاني (٧٨٧) الذي أثبت تكريم الصليب وأيقونات الطوباويّة مريم العذراء والقدّيسين.

٤. **الكنائس البروتستنتيّة** التي انشقّت عن الكنيسة الرومانيّة مع مرتين لوثير Luther (١٤٨٣-١٥٤٦). بدأ في ألمانيا الاصلاح الدينيّ المعروف بالبروتستانتيّة وانفصل عن الكنيسة الرومانيّة سنة ١٥١٧ في شأن الغفرانات وسلطة البابا والتبتّل واكرام القدّيسين والمطهر والقدّاس. وتواصلت حركة الاصلاح البروتستانتيّة مع يوحنّا كلفين-Calvin (١٥٠٩-١٥٦٤) في فرنسا وسويسرا.

٥. **الكنيسة الأنغليكانيّة** التي انفصلت عن كنيسة روما سنة ١٥٣٥ مع الملك هنري الثامن (١٤٩١-١٥٤٧)، بسبب رفض البابا كليمنضوس السابع إبطال زواجه. تُسمى أنغليكانيّة بالنسبة إلى مذهب الدولة في إنكلترا.

**الصلاة من أجل وحدة المسيحيين** تواصل صلاة الربّ يسوع: "ليكونو واحداً، يا أبتِ كما نحن واحد. أنت فيَّ وأنا فيهم. ليكونوا واحداً فينا ليؤمن العالم أنّك أنت أرسلتني، وأنّك أحببتهم كما أحببتني" (يو ١٧/٢٢-٢٣).

يواكب الصلاة أعمال لجان مسكونيّة تعمل على مستوى عالميّ واقليميّ مثل اللجنة المسكونيّة الدوليّة ومجلس الكنائس العالميّ ومجلس كنائس الشرق الأوسط. وقد تحقّق الكثير من **الاتفاقات المسكونيّة** بين الكنيسة الكاثوليكيّة وهذه الكنائس. وتقتضي الصلاة من أجل الوحدة التزاماً روحيّاً قوامه ارتداد القلب والتجرّد والتواضع، والتزاماً بقداسة الحياة بالعيش وفقاً لروح الانجيل، والتزاماً بمواصلة الصلاة الفرديّة والعموميّة المشتركة لطلب نعمة الوحدة (متّى ١٨/٢٠).

## ■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تجمع الخطّة الراعويّة الهيكليّات الرعويّة، مجالسَ ولجاناً ومنظّماتٍ رسوليّةً، فضلاً عن العائلة والجماعة الديريّة وسائر المؤسّسات والأندية، لتفكّر معاً وتأخذ المبادرات العمليّة. تتناول اليوم العنصر الرابع من هويّة كنيستنا أنّها "**بطريركيّة ذات طابع نسكيّ ورهبانيّ**" (الفقرات ١٨-٢٢)، كما يبيّنه النصّ المجمعيّ الثاني وهو بعنوان: هويّة **الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**.

١. إنّها كنيسة **بطريركيّة** تكوّنت في كنف دير مار مارون بين نهايات القرن السابع والنصف الأوّل من القرن الثامن. فبرز الموارنة جماعة كنسيّة مستقلّة ضمن الكرسيّ الأنطاكيّ، **مميّزة بطابع نسكيّ ورهبانيّ** أثّر في روحانيّتها وتنظيمها الكنسيّ. تقتضي **الخطّة الراعويّة** إبراز هذا الطابع وهذا الأثر، وإيجاد السبل لتأوينه (فقرة ١٨).

٢. غير أنّ **للطابع النسكيّ الرهباني بُعدَه الراعويّ**. فدير مار مارون، ومثله سائر الأديار وما حولها من جماعات مسيحيّة، كانت في الهيكليّة الأنطاكيّة من خلال الأسقف رئيس الدير. في القرن السادس، وقبل إنشاء البطريركيّة، أسندت الكنيسة الأنطاكيّة إلى "رئيس دير الطوباويّ مارون" مهمّة أكسرخوس لأديار سوريا الثانية، كرقيب عليها ووسيط بينها وبين البطريركيّة من جهة والأمبراطور من جهة ثانية (فقرة ١٩). وظهر هذا البعد الراعويّ للطابع الرهبانيّ في سلسلة البطاركة- الرهبان مع القدّيس يوحنّا مارون، البطريرك الأوّل، وقد تواصلت دونما انقطاع حتى القرن السابع عشر. وكان الرهبان، بعد سيامتهم الأسقفيّة، يستمرّون في الحالة الرهبانيّة التي اعتنقوها، وكانت كراسيهم تُدعى

حتّى يومنا "أدياراً" (فقرة ٢٠). كما يظهر في الاسكيم الرهبانيّ الذي يتّشح به الأسقف، راهباً كان أم أبرشيّاً (فقرة ٢١).

إنطلاقاً من هذا الطابع الرهبانيّ، عُرفت الكنيسة المارونيّة بجماعة ديريّة كبيرة هي "**رعيّة البطريرك**"، تمحورت حول دير الكرسيّ البطريركيّ، ورأت في الجالس عليه "**الأب والرئيس**" والحافظ لوحدتها.

إنّ **الخطّة الراعويّة** تقتضي اتّخاذ مبادرات لتوطيد عرى الوحدة حول شخص البطريرك في الشؤون الروحيّة والراعويّة والاجتماعيّة والوطنيّة، جرياً على عادة كنيستنا من جيل إلى جيل. وتقتضي أن تحافظ الكراسي الأسقفيّة على الصلاة الخورسيّة وممارسة الأصوام وبساطة الحياة والعناية بالأرض (فقرة ٢٢).

***

**صلاة**

نصلّي مع الربّ يسوع:

"أيّها الآب القدّوس، احفظ باسمك الذين وهبتهم لي. ليكونوا واحداً كما نحن واحد. لا تخرجهم من العالم، بل احفظهم من الشرّير. أيّها الآب، قدّسهم بحقّك، فأنّ كلمتك هي الحقّ. كما أرسلتني إلى العالم، انا أيضاً أرسلهم إلى العالم. ولأجلهم أقدّس ذاتي، ليكونوا هم ايضاً مقدّسين بالحقّ، ويكونوا واحداً كما نحن واحد، أنا فيك وأنت فيّ، ليكونوا هم أيضاً فينا، آمين". (يوحنّا ١٧).

الأحد ٢٨ كانون الثاني ٢٠٠٧

# أحد الكهنة

## الأمانة والحكمة في ممارسة السلطة

من إنجيل القدّيس لوقا ١٢/٤٢-٤٨

"من تُراه الوكيل الأمين الحكيم الذي يُقيمه سيّده على خَدمه ليعطيهم حصّتهم من الطعام في حينها؟ طوبى لذلك العبد الذي، متى جاء سيّده، يجده فاعلاً هكذا! حقّاً أقول لكم: إنّه يُقيمه على جميع مقتنايته. أمّا إذا قال ذلك العبد في قلبه: سيتأخّر سيّدي في مجيئه، وبدأ يضرب الغلمان والجواري، يأكل ويشرب ويسكر، يجيء سيّد ذلك العبد في يوم لا ينتظره، وفي ساعة لا يعرفها، فيفصله، ويجعل نصيبه مع الكافرين. فذلك العبد الذي عرف مشيئة سيّده، وما أعدّ شيئاً، ولا عمل بمشيئة سيّده، يضرب ضرباً كثيراً. أمّا العبد الذي ما عرف مشيئة سيّده، وعمل ما يستوجب الضرب، فيضرب ضرباً قليلاً. ومن أعطي كثيراً يُطلب منه الكثير، ومن ائتُمن على الكثير يُطالب بأكثر".

***

تبدأ مع هذا الأحد أسابيع التذكارات الثلاثة: تذكار الكهنة، الأبرار والصدّيقين، والموتى المؤمنين، الذين سبقونا إلى بيت الآب. **التذكار** يعني ذكرهم بالصلاة تشفّعاً واستشفاعاً، والاقتداء بمثلهم. أمّا **التذكار بامتياز** فنجده في سرّ **الأفخارستيّا**. عندما نحتفل بالقدّاس، نحيي تذكار موت المسيح وقيامته، بحيث تتحقّق الآن عمليّة فدائنا أعني استمراريّة موته على

الصليب فداءً عنّا، وقيامته من بين الأموات لتبريرنا، واستمراريّة وليمة جسده ودمه في العشاء الفصحيّ للحياة الالهيّة التي تجري فينا (الرسالة العامّة للبابا يوحنّا بولس الثاني الكنيسة من الأفخارستيّا،١١ و١٢)؛ في إطار هذا التذكار نذكر كلّ أبناء الكنيسة وبناتها الأحياء والأموات.

إنجيل اليوم ينطبق على الكهنة المقامين في الدرجة المقدّسة وعلى جميع المعمّدين الذين أصبحوا منتمين إلى الكهنوت العامّ، وعلى كُلّ مسؤول في الأسرة والمجتمع والوطن. إنّه إنجيل الأمانة للمسؤوليّة والحكمة في السلطة: "من تراه الوكيل الأمين الحكيم" (لو١٢/٤٢). يأتي كلام الربّ يسوع في معرض الحديث عن السهر لبناء ملكوت الله في مدينة الأرض، وهو ملكوت المحبّة والعدل والخدمة والاخاء: "لا تخف أيّها القطيع الصغير، فقد سُرّ أبوكم أن يعطيكم الملكوت" (لو١٢/٣٢)، ويدعو إلى الاهتمام بشأن هذا الملكوت كغاية، نسعى إليها عبر تأمين حاجات الحياة في هذه الدنيا: "أطلبوا أوّلاً ملكوت الله وبرّه، والباقي يزاد لكم" (لو١٢/٣١).

### ١. الكاهن

الكاهن في الكنيسة رجل إئتمنه الربّ يسوع على إعلان الانجيل بالكرازة والتعليم (الخدمة النبويّة أوالتعليم)، وعلى توزيع النعمة الالهيّة والحياة الجديدة بالاحتفال بأسرار الخلاص وإحياء العبادة الالهيّة (الخدمة الكهنوتيّة أو التقديس)، وعلى بناء جماعة المحبّة والمصالحة والتضامن (الخدمة الملوكية او التدبير). يؤدّي الكاهن هذه الخدمة المثلّثة بشخص المسيح وباسمه، هو الذي أشركه في كهنوته ووكّله على أسرار الله (١كور٤/١). عليه أن يكون "الوكيل الأمين الحكيم" بوصفه: **وكيلاً** يصنع ما صنع المسيح، ويمارس السلطات نفسها، فهو خادم ليسوع المسيح، وبه ومعه ومن أجله

يصبح خادم الناس". ومطلوب من الوكيل أن يكون **أميناً** لشخص المسيح الذي يمثّله: فبقدر ما يكون الكاهن مرتبطاً بالمسيح يكون قادراً على خدمة الجميع، وأن يكون **حكيماً** ينظر من منظار المسيح إلى حاجات الذين أوكلوا إلى خدمته، وهم بنو بيت الله، ليعطيهم في حينه طعام الكلمة والنعمة والمحبّة. الأمانة والحكمة لا تنفصلان عن كيان الكاهن المكرّس للخدمة (مجلس بطاركة الشرق الكاثوليك: رسالة راعويّة إلى الكهنة، ١٠).

**الكهنوت مسؤوليّة** يؤدّي عنها الكاهن حساباً أمام الله: "فمن استُودع كثيراً يُطلب منه أكثر ممّا في يده" (لو١٢/٤٨). أمّا إهمال الخدمة فيستوجب القصاص: "أمّا الخادم الذي يعرف مشيئة سيّده، ولم يهيّء له بحسب مشيئته يضرب كثيراً" (لو١٢/٤٧).

روح الخدمة الكهنوتيّة **المحبّة الراعويّة**. ليس الكاهن مجرد موظّف، ولا يمكن تقليص خدمته إلى نواحيها الوظيفيّة والطقوسيّة.

إنّ **مهمّته الأساسيّة** رعاية الايمان في نفوس الناس: يثقف الايمان ويربيّه في المؤمنين بالتعليم والعمل الكرازيّ في رعيّته؛ يزور كأب جميع أبناء رعيّته في بيوتهم، ويلتقيهم في واقع حياتهم الزوجيّة والعائليّة والاجتماعيّة؛ يحيط أسرار الخلاص، ولاسيّما المعموديّة والقربان والزواج، بعمل راعويّ تحضيريّ وتثقيفيّ وأدائيّ يساعد على إدراك معانيها في حياة المؤمنين، فلا يكون السّر مجرّد عادة اجتماعيّة، بل يكون عملاً إيمانيّاً ينال منه المؤمن ثماره الروحيّة.

ويدرك ما للعلمانيين من دور في حياة الكنيسة ورسالتها، فيشجّع ويبارك كلّ المواهب والوظائف التي يوزّعها الروح على المؤمنين لبناء الكنيسة، ويوليهم الثقة الكافية ويحمّلهم المسؤوليّات اللازمة في خدمة

الكنيسة بمقدار ما عندهم من خبرة ومعرفة وغيرة، من خلال المجلس الرعائيّ والهيكليّات القانونيّة والمنظّمات الرسوليّة، تحقيقاً للشركة في الايمان والرسالة.

يعتبر أنّ **الفقراء والصغار** هم في عهدته بصورة خاصّة، فيحوطهم بالعناية والمحبّة، ويكشف لهم عن قيمة حالتهم في سرّ آلام المسيح، ويعمل جاهداً مع أبناء رعيّته على الاهتمام بهم وتقديم العون الماديّ والروحيّ والمعنويّ لهم واخراجهم من فاقتهم، "هم الذين لبسوا وجه المسيح وأضحوا أحبّاء الله"؛ يعتبر نفسه خادماً لجميع الناس ولكلّ إنسان في رعيته، أيّاً كان دينه أو طائفته أو انتماءاته الاجتماعيّة أو السياسيّة، ذلك أنّ محبة الله ترسله إلى كلّ من يلتقيه من خلال يومه وعمله، ليكون أداة نعمة الله للجميع؛ يجتهد في بناء السلام والاستقرار في محيطه، فخدمته تشمل الشأن العامّ أيضاً في كلّ ما يؤمّن حقوق الإنسان والإستقرار السياسيّ والعدل والسلام.

كلّ هذه المسؤوليّات التي يحملها الكاهن تستمدّ حافزها وقوّتها من "**المحبّة الراعويّة**" على مثال السيّد المسيح، الكاهن الأسمى والراعي الصالح الذي "يبذل حياته في سبيل الخراف" (يو١٠/١١؛ راجع رسالة البطاركة إلى الكهنة، ٣٠-٤١).

### ٢. المعمّدون العلمانيّون

المسيحيّون العائشون في العالم مؤتمنون هم أيضاً على "طعام المسيح كوكلاء يعطونه لبني بيت الله": فبفضل المعموديّة اتّحدوا بالمسيح وأقيموا شعباً لله، وجُعلوا شركاء في وظائف المسيح النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة (**هويّة الوكيل**)، دعوا، حسب حالة كلّ واحد منهم، لقبول الكلمة والنعمة والمحبّة، والشهادة لها في محيطهم بالمسلك والقول والمبادرات؛ وهي

رسالة أسندها الله إلى الكنيسة لاتمامها في العالم (**خدمة الوكيل**). من هذه الهويّة والخدمة تتحدّر حقوق وواجبات، تشكّل مسؤوليّة المؤمنين المسيحيين العائشين في العالم، يمارسونها في الكنيسة-السرّ، والكنيسة-الشركة، والكنيسة-الرسالة.

أ- **في الكنيسة - السرّ**، لهم **حقّ** الاتّحاد بالله، وعليهم **واجب** السعي إلى هذا الاتّحاد وعيشه من خلال سماع كلام الله وحفظ وصاياه، والمصالحة معه بتوبة القلب، والاغتذاء بجسد الربّ ودمه، والصلاة الشخصيّة والجماعيّة. هذا على صعيد الهويّة والكيان. أمّا على صعيد الرسالة، فالواجب هو المساهمة في بناء الكنيسة، جسد المسيح السريّ، من خلال سعيهم إلى الكمال المسيحيّ ليبلغوا مقدار قامة المسيح (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٠٤٥).

ب- **في الكنيسة - الشركة**، لهم **الحقّ** في الانتماء الكامل إليها، وعليهم **واجب** المحافظة على الشركة بالمسلك الملائم للحالة المسيحيّة من خلال معرفة العقيدة، والعيش الخلقيّ بموجب حقائق الايمان، بطرح السؤال الدائم: بماذا أؤمن؟ وماذا يجب أن أعمل؟

ج- **في الكنيسة - الرسالة**، لهم **الحقّ** وعليهم الواجب بالمشاركة في رسالة الخلاص، والقيام بها تجاه جميع الناس من كلّ زمان ومكان. هو **حقّ** أولاهم إيّاه الربّ يسوع بحكم مسحة المعموديّة، لا ينتزعه منهم أحد، **وواجب** ملزمون به لا يمكنهم التخلّي عنه (راجع القوانين ١٢، ١٣، ١٤، ٤٠٦).

إنّ المسيحيين العائشين في العالم **موكّلون هم أيضاً**، بحكم اندماجهم في الكهنوت العامّ، على الرسالة المنوطة بكلّ الشعب المسيحيّ، وهي أن

يبثّوا الروح الانجيليّة في النظام الزمنيّ أي في النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ والتشريعيّ والاداريّ والثقافيّ، كما وفي الحياة الزوجيّة والعائليّة وتربيّة الأولاد. وبهذا يؤدّون خدمة حقيقيّة للانسان والمجتمع الوطنيّ (الدستور العقائديّ في الكنيسة،٣١؛ رجاء جديد للبنان، ١١٢). **عليهم أن يتّصفوا بالأمانة والحكمة**، لكونهم "في الخطّ الأماميّ من حياة الكنيسة، التي تصبح بواسطتهم العنصر الحيويّ في بنية المجتمع البشريّ. وبالتالي لا ينتسبون فقط إلى الكنيسة، بل هم الكنيسة (البابا بيّوس الثاني عشر، راجع العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٩).

**٣. رجال السياسة: خدمة الخير العامّ وقضيّة السلام**

رجال السياسة هم الوكلاء بامتياز، الذين أوكل الله إليهم أن يعطوا "الطعام لبني بيته"، على المستوى الزمنيّ.

**إنّهم وكلاء الله**، "لأنْ لا سلطة إلاّ من الله. والسلطات القائمة، هو الذي وضعها لخدمة الخير" (روم ١٣/١-٣). ولكنْ إذا تجاوزت السلطة السياسيّة حدودها، وانتهجت سياسة الظلم والكيد والاستبداد والتسلّط والاستضعاف وتغليب المصالح الخاصّة على الصالح العامّ، فيحقّ للمواطن **اعتراض الضمير**، لأنّ "الطاعة للّه أولى من الطاعة للناس" (أعمال ٥/٢٩).

**الطعام المؤتمنون عليه هو الخير العامّ** الذي من أجله وُجدت السلطة السياسيّة، وهو مبرّر وجودها. إنّه يشمل مجمل الأوضاع الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والوطنّة والخلقيّة التي تمكّن الناس والعائلات والمجموعات من تحقيق ذواتهم تحقيقاً أكمل (الكنيسة في عالم اليوم، ٧٤). وتؤمّن هذه الأوضاع من خلال مهامّ ثلاث: **تنظيم الحياة العامّة** في مقتضياتها اليوميّة في خدمة العدالة التي تخلق أوضاع مساواة وتكافؤ فرص

بين المواطنين، وتعمل على ألاّ يصبح الأغنياء أكثر غنى والفقراء أكثر فقراً؛ وفي تعزيز التضامن الذي ينتصر على أنانيّة الأشخاص والدول (البابا يوحنّا بولس الثاني، خطاب إلى البرلمانيين ورؤساء الحكومات، ١٠/١١/٢٠٠٠). **وتنظيم الدولة: داخيّاً**، بحسن الادارة وتنقيتها من الفساد ووضع المخطّطات في ميادين الاقتصاد والاجتماع والتشريع والثقافة الرامية إلى تأمين حقوق المواطنين الأساسيّة، **وخارجيّاً** بإبرام اتفاقات مع الدول توفّر مصالح البلاد وشعبها. **وتعزيز محبّة الوطن** بالمحافظة على قيمه وتراثه وكرامة شعبه، وعلى سيادته واستقلاله وحريّة قراره، وبتحقيق آمال ابنائه وتطلّعاتهم وإزالة هواجسهم ودرئهم ممّا يتهدّدهم من أخطار.

يخون رجال السياسة وكالتهم، واللهُ سيّدُهم، كلّ مرّة يجعلون السياسة، هذا الفنَّ الشريف، مجرّدَ وسيلة لتأمين المصالح الخاصّة على حساب الصالح العامّ، ولبلوغ غايات انتخابية وكسب الأنصار والاحتفاظ بالسلطة واختلاس أموال الدولة، وما هو أسوأ.

إنّ وكالتهم معطاة لهم من السيّد المسيح "**امير السلام**" (أشعيا٩/٦)، لكي يخدموا قضيّة السلام من خلال توجيه أفكارهم وعنايتهم وقواهم لتعزيز الخير العامّ للجميع. فبدونه يكون السلام كلمة جوفاء. ولا سلام يبلغ إليه العمل السياسيّ ما لم يكن مؤسّساً على **الحقيقة**، ومستنيراً بمبادىء **العدالة**، ومنطقيّاً بروح **المحبّة**، ومتمّماً **بحريّة** (البابا يوحنّا الثالث والعشرون: السلام على الأرض، ١٦٧).

## ■ ثانياً، ختام أسبوع الصلاة من أجل وحدة المسيحيين

في هذا الأسبوع يقع عيد **ارتداد بولس الرسول** (٢٥ كانون الثاني)، وفيه اختتام أسبوع الصلاة من أجل وحدة المسيحيين.

كان ارتداد شاول إلى المسيحيّة سنة ٤٣ عندما أبرق حوله نور من السماء أسقطه أرضاً، وسمع صوتاً يقول له: شاول شاول، لماذا تضطهدني؟ فقال له: من أنت؟ فأجاب: أنا يسوع الذي أنت تضطهده، وكان شاول متوجّهاً إلى دمشق ليسوق موثوقين إلى أورشليم أتباع يسوع المسيح. فتحوّل شاول من مضطهد للكنيسة إلى بولس رسول يسوع المسيح (أعمال الرسل ٩/١-٢٢).

بدأ **أسبوع الصلاة** من أجل وحدة المسيحيين في الثلاثينات من القرن الماضي، أي منذ سبعين سنة، مع الأب بول Couturier الفرنسيّ في ليون، بنتيجة الحوار المسكونيّ الذي قاده الكردينال Mercier رئيس أساقفة Malines-Bruxelles، وبتشجيع من البابا بيوّس الحادي عشر. من أجل وحدة المسيحيين، ترك الكردينال Mercier هذه الوصيّة الروحيّة التي تبقى الأساسَ للصلاة والعمل المسكونيّ: "لكي نتوحّد يجب أن نتحابّ، ولكي نتحابّ يجب أن نتعارف، ولكي نتعارف يجب أن نذهب الواحدُ إلى ملاقاة الآخر".

تجدر الاشارة إلى أنّ مبادرة الصلاة من أجل وحدة المسيحيين بدأها سنة ١٩٠٨، في عهد البابا بيوس العاشر، أبوان من الكنيسة الأنغليكانيّة، هما سبنسر جونس ولوي-بول واتسون.

في سنة ١٩٤٨ أُنشىء **مجلس الكنائس العالميّ** في أمستردام. وسنة ١٩٦٠ أسّس البابا يوحنّا الثالث والعشرون أمانة سرّ وحدة المسيحيين في الكوريا الرومانيّة. وفي سنة ١٩٦١ شارك **أوّل مراقبين كاثوليك** في أعمال مجمع الكنائس العالميّ في اجتماع نيو دلهي. وجاءت وثيقة المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني "القرار في الحركة المسكونيّة" في ٢١ تشرين

الثاني ١٩٦٤، الذي استُهلّ بهذه الكلمات: "إنّ العمل على إعادة الوحدة بين جميع المسيحيين هو إحدى الغايات الرئيسيّة للمجمع المقدّس المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني. وفي ٢٥ اذار ١٩٩٣ أصدر المجلس الحبريّ لتعزيز وحدة المسيحيين "الدليل لتطبيق المبادىء والقواعد حول الحركة المسكونيّة"، وهو معروف **"بالدليل المسكونيّ"** الذي وُضع نصّه الأوّل سنة ١٩٧٠، وأعيد النظر فيه بعد صدور مجلّة الحقّ القانونيّ للكنيسة اللاتينيّة (١٩٨٣)، ومجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة (١٩٩٠)، وكتاب التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة (١٩٩٢).

نشكر الله على ما تمَّ إنجازه بشأن الحوار اللاهوتيّ المسكونيّ على مستوى الشرق الأوسط، فنذكر:

١٩٧١: الإتّفاق الكريستولوجيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة السريانيّة الأرثوذكسيّة، الذي وقّعه البابا بولس السادس والبطريرك مار اغناطيوس يعقوب الثالث. ثمّ توسّع فيه سنة ١٩٨٤ البابا يوحنّا بولس الثاني والبطريرك مار أغناطيوس زكّا الأوّل عيواص.

١٩٧٣: الحوار اللاهوتيّ الرسميّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة القبطيّة الأرثوذكسيّة بعد زيارة البابا شنوده الثالث للفاتيكان.

١٩٩٣: وثيقة اللجنة المشتركة الدوليّة للحوار اللاهوتيّ بين الكنيسة الكاثوليكيّة وكنيسة الروم الأرثوذكسيّة في ختام اجتماع دير البلمند. وفيها مبادىء إكليزيولوجيّة وقواعد راعويّة.

١٩٩٤: الاعلان الكريستولوجيّ المشترك بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأشوريّة الموقّع من البابا يوحنا بولس الثاني والبطريرك مار دنخا الرابع.

١٩٩٦: الاعلان المشترك بين الكنيسة الكاثوليكيّة والكنيسة الأرمنيّة الأرثوذكسيّة، الموقّع من البابا يوحنّا بولس الثاني والكاثوليكوس كاريكين الأوّل.

ولا بدّ من التنويه بالحوار الجاري في إطار مجلس كنائس الشرق الأوسط، وقد وضعت دراسات وأبحاث حول أربعة مواضيع: لغة عربيّة مشتركة لسرّي الثالوث الأقدس والتجسّد؛ انبثاق الروح القدس من الآب والابن؛ قانون الايمان النيقاويّ-القسطنطينيّ؛ والنصّ الموحّد للصلاة الربيّة "الأبانا".

## ■ ثالثاً، الخطة الراعوية

تواصل الخطّة الراعويّة في هذا الأسبوع التفكير معاً حول ما جاء في النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: **هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**، وبوجه التحديد العنصر الخامس المكّون للهويّة وهو أنّ الكنيسة المارونيّة في **شركة تامّة مع الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ**.

١. الكنيسة المارونيّة منذ نشأتها "جماعة خلقيدونيّة"، ومنذ تكوينها كنيسة بطريركيّة في أواخر القرن السابع وأوائل القرن الثامن، كانت **متّحدة اتّحاداً تامّاً بكرسي روما** حول شخص خليفة بطرس ونائب السيّد المسيح. وحافظت على هذا التقليد حتّى يومنا، بفضل استقلاليّتها وابتعادها عن النزاعات اللاهوتيّة بين اللاتين واليونان حول طبيعة الكنيسة وبنيتها التي أدّت إلى الانشقاق الكبير سنة ١٠٥٤، وبفضل إيمانها بسرّ التجسّد وفق الصيغة الخلقيدونيّة (فقرة ٢٩).

تسعى **الخطّة الراعويّة** إلى إيقاظ الوعي لما للكنيسة المارونيّة من دور

مسكونيّ، بحكم حالة الشركة مع الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ والتراث الأنطاكيّ المشترك، في سبيل استعادة الوحدة في الكنيسة الجامعة من خلال الشركة التامّة بين الكنائس (فقرة ٣٠). وتفكّر الجماعات الرعويّة في مبادرات لتنشيط العمل المسكونيّ على مستوى الصلاة معاً إفراديّاً وعموميّاً، والتعارف، والشهادة للإيمان المسيحيّ، والتعاون في الحقل الاجتماعيّ والانمائيّ والثقافيّ والخلقيّ (راجع القرار في الحركة المسكونية، ١٢؛ والدليل المسكوني، ٥).

٢. كان للشركة التامّة بين الكنيسة المارونيّة والكنيسة الرومانيّة آثار إيجابيّة مهمّة، ساعدتها على تأدية رسالتها في محيطها بحيويّة وفعاليّة. تسعى الخطّة الراعويّة إلى اكتشاف هذه الآثار في ضوء النصّ المجمعيّ:

أ- الانفتاح على الغرب والافادة من مقدراته العلميّة والفكريّة منذ تأسيس مدرسة روما سنة ١٥٨٤، لتعريف الغرب على الشرق، ولتعزيز النهضة الثقافيّة في الشرق.

ب- بلورة هويّة لبنان الفريدة القائمة على التعدّديّة الثقافيّة (فقرة ٣١).

ج- الاستفادة من المجمع الفاتيكانيّ الثاني، الذي يشكّل ربيع الكنيسة، لإطلاق **ورشة التّجديد** في كنيستنا على مختلف الأصعدة. وقد ساعد عليها بالأكثر السينودس من أجل لبنان في الإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان"، والمجمع البطريركيّ المارونيّ (فقرة ٣٣).

تقتضي **الخطّة الراعويّة**، في ضوء هذه الأحداث الكنسيّة الثلاثة، رسم خطة لرسالة كنيستنا في لبنان، والعالم العربيّ، مع تحديد تطلّعاتها.

د- ولما كان المجمع الفاتيكاني الثاني قد تعمّق في **المفهوم اللاهوتيّ للكنيسة-الشركة**، مستعيداً التقليد البيبليّ والآبائيّ المشترك بين الشرق والغرب في الألفيّة الأولى، تقتضي **الخطّة الراعويّة** تعزيز الحوار والتعاون بين الكنائس الكاثوليكيّة ومع الكرسيّ الرسولي من أجل خدمة رسوليّة أشمل وأنجح (الفقرة ٣٤).

***

**صلاة**

نصلّي مع الربّ يسوع:

"أيّها الآب القدّوس، إنّ الذين وهبتهم لي، قد وهبتهم المجد الذي أعطيتني، ليكونوا واحداً كما نحن واحد. أنا فيهم وأنت فيّ، ليكونوا كاملين لواحد، ليعلم العالم أنّك أنت أرسلتني، وأنّك أحببتهم كما أحببتني. أيّها الآب أريد أن يكون الذين وهبتهم لي هم أيضاً معي، حيث أكون ليشاهدوا مجدي الذي وهبتنيه. لقد عرّفتهم اسمك وسأعرّفهم أيضاً، حتى أن ذاك الحبّ الذي أحببتنيه يكون فيهم، وأكون أنا فيهم. آمين (يوحنّا ١٧).

الأحد ٤ شباط ٢٠٠٧

# أحد الأبرار والصدّيقين

## إنجيل المحبّة والسلام ورسالة العائلة

من إنجيل القدّيس متّى ٢٥/٣١-٤٦

قال الربّ يسوع: "متى جاء ابن الإنسان في مجده، وجميع الملائكة معه، يجلس على عرش مجده. وتجمع لديه جميع الأمم، فيميّز بعضهم عن بعض، كما يميّز الراعي الخراف من الجداء. ويقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله. حينئذ يقول الملك للّذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المعدّ لكم منذ إنشاء العالم؛ لأني جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني، وكنت غريباً فآويتموني، وعرياناً فكسوتموني، ومريضاً فزرتموني، ومحبوساً فأتيتم إلي. حينئذ يجيبه الأبرار قائلين: يا ربّ، متى رأيناك جائعاً فأطعمناك، أو عطشاناً فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك، أو عرياناً فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضاً أو محبوساً فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: الحقّ أقول لكم: كلّ ما عملتموه لأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فلي عملتموه! ثمّ يقول للّذين عن شماله: إذهبوا عنّي يا ملاعين، إلى النار الأبديّة المعدّة لإبليس وجنوده؛ لأنّي جعت فما أطعمتموني، وعطشت فما سقيتموني، وكنت غريباً فما آويتموني، وعرياناً فما كسوتموني، ومريضاً ومحبوساً فما زرتموني! حينئذ يجيبه هؤلاء أيضاً قائلين: يا ربّ، متى رأيناك جائعاً أو عطشان أو غريباً أو مريضاً أو محبوساً وما خدمناك؟ حينئذ يجيبهم قائلاً: الحقّ أقول لكم: كلّ ما لم تعملوه لأحد هؤلاء الصّغار، فلي لم تعملوه. ويذهب هؤلاء إلى العذاب الأبديّ، والأبرار إلى الحياة الأبديّة".

***

في تذكار الأبرار والصدّيقين تقرأ الكنيسة **إنجيل "المحبّة والسلام** الذي عاشوه، والذي سندان عليه. ولهذا سُمّوا أبراراً وصدّيقين لأنّهم ينعمون بمشاهدة وجه الله، الذي هو محبّة، في مجد السماء، ومن بينهم من رفعتهم الكنيسة على المذابح مثل القدّيس شربل والقدّيسة رفقا والقدّيس نعمة الله. ونأمل أن يُرفع على المذابح أيضاً المكرّم الأب يعقوب حدّاد الكبوشي، وخادم الله البطريرك اسطفان الدّويهي، والأخ اسطفان نعمه من الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة، الذين تجري دعاوى تطويبهم حاليّاً لدى الكرسي الرسوليّ في روما.

## ■ أوّلاً، شرح النصّ الإنجيليّ

### ١. في المحتاج يتجلّى وجه المسيح

يستعمل الربّ يسوع صيغة المتكلّم ليقول: "كنت جائعاً، عطشاناً، غريباً، عرياناً، مريضاً، محبوساً... فكلّ ما صنعتموه إلى أحد إخوتي هؤلاء الصّغار فإليّ صنعتموه" (متّى ٢٥/٣٥-٣٦، ٤٠). إنّه يتماهى مع كلّ محتاج ماديّاً وروحيّاً ومعنويّاً، في الحالات الستّ المذكورة. كلّها تقتضي منّا مواقف **محبّة وخدمة**: نحبّهم ونخدمهم **إذا كانت فينا محبّة الله**، ذلك أنّ "المحبة هي من الله. فمن يحبّ هو مولود من الله، ومن لا يحبّ لا يعرف الله" (١يو ٤/٧-٨). نحبّهم ونخدمهم **إذا كان فينا إيمان ملتزم بالأعمال**: "إذا كان أخ أو أخت عريانين، وليس لهما قوت يوم، وقال لهما أحدكم: "إذهبا بسلام واستدفئا واشبعا"، ولم تعطوهما حاجة الجسد، فماذا انتفعا؟ كذلك الإيمان وحده، بدون أعمال، ميت" (يعقوب ٢/١٥-١٧).

**محبّة الله تدفع إلى الخدمة وتولّد السلام في قلب الإنسان**، أيّاً كان، لاعتباره في كرامته كشخص وابن مخلوق على صورة الله. المحبّة تتجاوز

أفق الأخوّة في الإيمان، لأنّ "كلّ إنسان هو أخي"، وبخاصّة من كان فقيراً، ضعيفاً، متألماً، مظلوماً، فتعرف المحبّة أن تكتشف فيه وجه المسيح ووجه الأخ وتحبّه (في وظائف العائلة المسيحية، ٦٤). هذه الصّفحة الإنجيليّة هي **إنجيل الشركة** (المحبة) **والتّقاسم** (الخدمة). مع **الغريب والمريض والسجين** ندخل في **شركة** شخصيّة، قائمة على الاستضافة والزيارة والحوار، مع ما يرافقها من مشاعر إنسانية وعلاقة مودة واحترام وتفهّم وإصغاء. أمّا **الجائع والعطشان والعريان: فنتقاسم معه** ما لدينا من خيرات ومواهب وإمكانيّات، "لأنّ خيرات الأرض معدّة لجميع الناس".

الشركة والتقاسم، في هذا المفهوم، يسمّيان "**المسألة الاجتماعيّة**" الهادفة إلى **إنماء الإنسان والمجتمع**، إنماءً أصيلاً يحترم الشخص البشريّ ويعزّزه في كلّ حالاته الاجتماعيّة والاقتصاديّة كجائع وعطشان وعريان ومريض، وفي حالاته الروحيّة والثقافيّة والإنسانيّة كغريب وسجين (البابا يوحنّا بولس الثاني: في الشأن الاجتماعيّ، ١ و٣٤). هذا الانماء الأصيل والشّامل هو الاسم الجديد للسلام ( البابا بولس السادس: "ترقي الشعوب"، فقرة ٨٧).

والمسألة الاجتماعيّة **قضيّة خلقيّة** تلزم الضمير الذي هو مصدر كلّ قرار. إنّها موجب خلقيّ يطاول القرارات الشخصيّة والقرارات الحكوميّة، وهي **واجب تضامن** يعني "الشعور بالمسؤوليّة تجاه الأكثر ضعفاً والاستعداد لمقاسمتهم ما نملك، لا مجرد شعور بالشفقة سطحي وعابر، بل يعني قراراً حازماً وثابتاً بالعمل من أجل الخير العامّ الذي هو خير الجميع وخير كلّ واحد، ذلك أنّنا كلّنا مسؤولون عن كلّنا" (الاهتمام بالشأن الاجتماعي، ٣٨). التّضامن يساعدنا على **رؤية الآخر**، شخصاً كان أم شعباً أم أمّة، لا كأداة أو سلعة تُستعمل بل "كشبيه بنا وعون لنا" (تكوين ٢/١٨ و٢٠)، فلا استغلال ولا استضعاف ولا تدمير.

والتضامن **فضيلة مسيحيّة** مصدرها الحبّ الذي يميّز تلاميذ المسيح (يو١٣/٣٥). إنها تتخطّى الذّات وترى في الإنسان ليس فقط كائناً بشريّاً له حقوقه ومساواته الأساسيّة، بل صورة الله الحيّة، المفتداة بدم المسيح، والمقدّسة بالروح القدس، ولهذا يُحبّ ولو كان عدوّاً (الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ، ٤٠)، كما **السلام هو ثمرة العدالة** (أشعيا ٣٢/١٧) وثمرة الإنماء (البابا بولس السادس)، كذلك هو **ثمرة التّضامن** (البابا يوحنّا بولس الثاني، المرجع نفسه، ٣٩).

على العدالة الاجتماعيّة وإنماء الإنسان والمجتمع والتّضامن مع الأكثر ضعفاً وحاجة، سنُدان، في ضوء إنجيل اليوم: "كلّ ما لم تصنعوه لإخوتي هؤلاء الصّغار فلي لم تفعلوه، فاذهبوا عنّي يا ملاعين" (متّى ٢٥/ ٤٠-٤١).

**٢. العائلة ضحية اساسية**

"للجوع والعطش والعري والغربة والمرض والسجن" **ضحيّة واحدة أساسيّة هي العائلة**، لأنّ بإصابة أعضائها تصاب هي. ومتى أصيبت العائلة يصاب المجتمع والوطن، وتصاب الكنيسة.

العائلة هي خليّة المجتمع القائم على الشركة بين الأشخاص وتقاسم الخيرات، وفيها يختبر الفرد الشّركة والتقاسم ويتدرّب عليها، وتلعب العائلة دوراً كبير الأهميّة في الحياة الاقتصاديّة. بما أنّ الانسان فرد حيّ في المجتمع، نستطيع القول أنّ الإنسان "عائلة": يولد في عائلة، يؤسّس عائلة، يستهلك في عائلة. لذلك لا يجوز إنكار البعد الإجتماعيّ وتعظيم الفرد، ولا التّركيز على المجتمع وسحق الشخص. في كلا الحالين تبقى الأسرة هي إيّاها الضحيّة. **ينبغي أن يكون الاقتصاد عائليّاً**. أعني أن تكون غايته خير العائلات وازدهارها وسلامها. إنّ مجتمعاً بدون عائلة محكوم عليه بالموت. فالعائلة، بحكم تأسيسها، تسبق كلّ مجتمع وكلّ عمل اقتصادي. وهذا البعد

الاجتماعيّ-الاقتصاديّ للعائلة شكّل موضوع اللقاء العالميّ الثّالث للعائلات في ريودي جنيرو سنة ١٩٩٧، وكان بعنوان: "**العائلة بشرى سارّة للألفيّة الثالثة**". في التوصيات الختاميّة لهذا المؤتمر تبيّنت العائلة أنّها بشرى سارّة **للحياة**، تحميها وتعزّزها منذ اللحظة الأولى للحبل بها وحتّى آخر نسمة منها؛ وإنّها بشرى سارّة **للفقراء** بتثمير قدرات الأرض لعيشهم الكريم لا بالحدّ من النسل عبر الاجهاض والتعقيم ووسائل منع الحبل؛ وإنّها بشرى سارّة **للشبيبة** بتعزيز حاضرها وضمانة مستقبلها كقوى حيّة وتجدّديّة في المجتمع والوطن والكنيسة، فهي "إكليل الزواج" وخميرة البشريّة، فلا تُهمل؛ وإنّها بشرى سارّة **للعالم** تحمل إليه إنجيل الحبّ والحياة، وتبني جماعة الوحدة والسّلام، وتطبعه بثقافة المسامحة والتّضامن؛ وإنّها بشرى سارّة **للكنيسة**، لأنّها "الكنيسة البيتيّة" الأولى التي تتلقّى الإنجيل وتعلنه، وفيها تبدأ شركة الأشخاص مع الله وفيما بينهم بالصّلاة والحوار، وفيها يتمّ تقاسم الخيرات والمواهب.

إنّ الفساد المستشري في لبنان على صعيد السّياسة والإدارة والرّقابة والقضاء والانتخابات النيابيّة، وهذا الإمعان في تسخير المؤسّسات والشّأن العامّ للمصالح الفرديّة والفئويّة وما يخلّف كلّ ذلك من أزمات إقتصاديّة واجتماعيّة تولّد البطالة والهجرة والانحرافات الخلقيّة، إنّما يضرب العائلة في صميمها. وباتوا يتحدّثون عن "**ثقافة الفساد في لبنان**" (مقال للدكتور سليم الحصّ في النهار ٤ شباط ٢٠٠٣). هذا أمر مخزٍ وجرم كبير بحق العائلة، لا يجوز أن يتمادى فيه المسؤولون أو يتغاضوا عنه، وإلاّ زادوا من عدد الجائعين والعطشى والفقراء والمرضى والغرباء في أرضهم والمحرومين والمساجين.

**العائلة وحدها حفظت لبنان** عندما تفكّكت الدّولة وتشرّد المجتمع

بالتهجير. **والعائلة وحدها كفيلة،** إذا حافظت على هويّتها وأدّت رسالتها كبشرى سارّة، بأن تعيد بناء الأسرة الوطنيّة اللبنانيّة. هذا يقتضي تنشئة لها من الكنيسة، وحماية من الدولة، والتزاماً من قبلها بالصلاة لتعيش ما يجب أن تكون.

### ٣. إنجيل السلام

إنجيل الدينونة يؤكّد أنّنا سنُدان في الآخرة على السّلام الذي وطّدناه أو لم نوطّده في إخوتنا الصغار: الجائع والعطشان والغريب والعريان والمريض والسجين. ذلك أنّنا، عندما نعتني بهم ماديّاً أو روحيّاً أو معنويّاً ونلبّي حاجاتهم، إنّما نضع السلام في قلوبهم، ونرمّم روابط الأخوّة معهم، ونصبح أبناء الله حقاً، على ما يقول الرب يسوع في إنجيل التطويبات، دستور الحياة البشريّة: "طوبى لفاعلي السلام، فإنّهم أبناء الله يُدعون" (متّى ٥/٩).

**السلام ثمرة العدالة.** والعدالة تقتضي أن نعطي هؤلاء "الاخوة الصّغار" حقوقهم. ليست محبّتهم شأناً اختياريّاً بل هي واجب، إذ عليك أن تعطيهم حقوقهم، وإلاّ قتلتهم.

يذكّرنا البابا الطوباويّ يوحنّا الثالثُ والعشرون، في رسالته العامّة "السلام على الأرض"، بأنّ السلام الحقيقيّ هو القائم على نظام إلهيّ، وضعه الله لخلقه وكتبه في طبيعة الإنسان، وأنّ الشخص البشريّ هو في أساس هذا النّظام (فقرة ١).

نقرأ في هذه الرّسالة "إنّ كلّ إنسان هو شخص، أي ذو طبيعة مزيّنة بالعقل والإرادة الحرّة. ولذا، هو صاحب **حقوق وواجبات** تنبع مباشرة من صميم طبيعته، ولا تقبل أيّ تنازل عنها" (فقرة ٩). ما هو حقّ لي هو واجب

عليك. وما هو حقّ لك هو واجب عليّ. إنجيل الدينونة يكشف حقوق إخوتنا الصغار وواجباتنا تجاههم. هذه الحقوق النّابعة من صميم طبيعتهم وحالة جوعهم وعطشهم وغربتهم وعريهم ومرضهم وأسرهم، هي الحقوق الأساسية التي تسردها الرسالة البابويّة "السلام على الأرض".

**للإنسان الحقّ** في الحياة وفي السّلامة الجسديّة، وفي أسباب المعيشة اللائقة، ومنها المأكل والملبس والسّكن والرّاحة والعناية الطبيّة، والخدمات الاجتماعيّة الضروريّة المستوجبة للفرد من الدولة. وبناء عليه، فإنّ **للانسان الحقّ** في التمتّع بالعون في حال المرض أو الإعاقة أو العجز أو الترمّل أو الشيخوخة أو البطالة، أو في حال أي افتقار آخر إلى الأسباب الضروريّة في ظروف خارجة عن إرادته (فقرة ١١).

إعطاء الانسان حقوقه واجب تمليه العدالة وتحرّكه المحبة، فيرسي السلام في داخل الإنسان، ويوطّد السلام الاجتماعيّ. على هذا سنُدان.

## ■ ثانياً، أبرار عاشوا إنجيل المحبّة والعدالة والسلام

نذكر وجهاً مشرقاً من لبنان هو المكرّم **الأب يعقوب حدّاد الكبّوشي** (أوّل شباط ١٨٧٥-٢٦ حزيران ١٩٥٤) مؤسّس جمعيّة راهبات الصّليب الفرنسيسكانيّات. سلك طريق القداسة على خطى شفيعه القدّيس فرنسيس الأسّيزي، رسولاً للمحبّة على كلّ جبهاتها، مواجهاً آلام الناس الحسيّة والنفسيّة والمعنويّة، مكرّساً كلّ وقته وطاقاته ومواهبه وعلمه وديناميّته الراعويّة للتخفيف من أوجاع الأجساد والنّفوس. اليوم، وقد أصبحت دعوى تطويبه في مرحلتها الأخيرة، مرحلة درس الأعاجيب، نصلّي لكي يتمجّد الله برفعه قدّيساً على مذابح الكنيسة.

بعد نشاط واسع في الرهبنة الكبوشيّة، انطلق إلى رسالة خدمة المحبّة

والرّحمة على تلّة الصّليب في جلّ الديب، حيث رفع الصليب كأساس لهذه الرّسالة الاجتماعيّة والكنسية والراعويّة العظيمة، ووضع الحجر الأساس سنة ١٩٢١، وبنى مزار سيّدة البحر. بالاتكال على العناية الإلهيّة باشر أوّلاً خدمة الكهنة العجزة في دير الصليب سنة ١٩٢٦. وبموهبة خاصّة من الروح القدس أسّس جمعيّة راهبات الصليب ١٩٣٠، ليتمكّن من خدمة "الاخوة الصغار" في تنوّع حاجاتهم. فأنشأ في حياته العديد من المؤسّسات. وأكملت الجمعيّة من بعده إنشاء مؤسّسات أخرى على مختلف الأصعدة.

- **الاستشفاء** من الأمراض الجسديّة والعقليّة والعصبيّة ومن الاعاقات: مستشفى دير القمر للبنات المعوقات ١٩٣٣، مستشفى السيّدة انطلياس للعجزة والأمراض المزمنة ١٩٤٦، مستشفى الدوره ١٩٤٨، مستشفى الصليب للأمراض العقليّة والأطفال والأولاد المعوّقين ١٩٥١، دار المسيح الملك للكهنة المرضى والمسنّين ١٩٥٢، بيت سلطانة الحبل بلا دنس للبنات المعوّقات في اجدبرا ١٩٧٧، دير سيّدة الزروع للمسنّين في شليفا ١٩٨٩، مؤسّسة للمعوّقين في حلبا ١٩٩٢، بيت العناية الإنسانيّة للعجزة في الاردن ١٩٩٥.

- **التعليم والتّربية** في المدارس ودور الأيتام: مدرسة مار فرنسيس جلّ الديب ١٩١٩، التي أصبحت في مكان آخر من جلّ الديب مدرسة فال بيرجاك ١٩٧٩، مدرسة راهبات الصّليب برمانا ١٩٥٠، مدرسة راهبات الصّليب حراجل ١٩٥٧، ثانويّة مار فرنسيس غزير ٢٠٠٣.

- **الرسالة والخدمة الراعويّة:** بيت مار مخايل-بشعله ١٩٧٧، مركز سيّدة البير للرياضات، بيت سيّدة الورديّة للرسالات-حلبا ١٩٩٢، بيت بتدّين اللقش- جزّين ١٩٩٥، بيت مار الياس-كفرتيه ١٩٩٩.

- **التنشئة الرهبانيّة:** دير سيّدة البير في بقنّايا للمبتدئات والراهبات الناذرات ١٩٤١؛ دير الرئاسة العامة في بقنّايا، الوكالة الرهبانيّة في روما ١٩٧٦.

- **خدمات كنسيّة واستشفائيّة واجتماعيّة** في مؤسّسات خاصّة: السفارة البابويّة في لبنان ١٩٤٣، السفارة البابويّة في سوريا ١٩٧٤، ميتم زغرتا ١٩٧٥، بيت الكهنة للعجزة في المعادي، مصر ١٩٨٨، ميتم الفرنسيسكان في القدس ١٩٩٣، دير القدّيسة لوسيّا في الاسكندريّة، مصر ١٩٩٦.

تعدّ جمعيّة الراهبات حاليّاً ٢٤٤ راهبة، و٢٠١٠ موظّفين وتشمل خدمتهم حسب أمكنة المؤسّسات: ١٥٣٠ مريضاً ومعاقاً، ٧٠٠ عجوز، ١٧٠ حالة اجتماعيّة، ٣٠٠ مريض، ٣٢٠٠ تلميذ.

**سرّ الأب يعقوب حداد الكبوّشي**، المعروف "بأبونا يعقوب" سرّ حبّة الخردل، وهي أصغر الحبوب، التي تصبح شجرة كبيرة تعشعش فيها طيور السماء. بها يشبّه الربّ يسوع ملكوت السماء.

**إنّه رجل الصليب ورسوله** وحبيبه. إنّه قلب ملتهب حبّاً بالصّليب، وعطوف على تعساء الأرض وحنون على الخطأة، وشامل بؤس الانسانيّة جمعاء فوق فوارق الدّين والجنس والانتماء. شعاره: "لنتشبّه بالينبوع. إنّه لا يسأل العطشان: قل لي قبل أن أسقيك من أيّ بلد أنت؟".

**إنّه رجل الرجاء بالله**، لا ينتظر أيّة مكافأة على الأرض، لأنّ الله وحده يكفيه. وكان يردّد: "كلّ ما تزرعه على الأرض، تحصده في الأبديّة".

**إنّه رجل الإيمان**، سعى، في مؤسّساته ونشاطاته الروحيّة وتنقّلاته الرسوليّة، إلى تعزيز الإيمان في القلوب، وبخاصّة بواسطة العائلة، وشهود

الإيمان العلمانيّين الذين يعيشون الإنجيل بالتزام، ولاسيّما بواسطة رهبنة مار فرنسيس الثالثة. وكان يقول بمرارة ومسؤوليّة: "لبنان المزروع بألوف القصور، يزداد جمالاً في الظاهر، أمّا نفوس سكّانه فتفقد إيمان أجدادها أكثر فأكثر. فيجب تخليص الإيمان المهدّد".

### ■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

إنّ الخطة الراعويّة، عبر الهيكليّات في الرعايا والمنظّمات والحركات والمجالس واللجان، وعبر العائلة والمدرسة والجماعة الديريّة، والنّوادي، تواصل التّفكير معاً في مضمون النصّ المجمعيّ المارونيّ الثّاني، وعنوانُه: "**هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها**"، وتتوقّف بوجه التّحديد عند العنصر السّادس المكوّن لهويّتها، أعني: **إنّها كنيسة متجسّدة في بيئتها اللبنانيّة والمشرقيّة وفي بلاد الانتشار**.

١. **أن تكون كنيسة متجسّدة في بيئتها**، هذا يعني اثنين: نفح قيم الإنجيل في الثّقافة والحضارة المحليّتين؛ وخدمة تدبير الله الخلاصيّ لكلّ النّاس في الزّمان والمكان (فقرة ٣٦).

**الدعوة** هي أن تكون الكنيسة حاضرة وفاعلة في بيئتها من خلال أبنائها وبناتها ومؤسّساتها. أمّا الرّسالة فتتمحور حول الإنسان، أيّ إنسان، وتتّجه إلى بناء مجتمع يؤمن بكرامة الإنسان، ويحفظ حقّه في الاختلاف الدينيّ والثقافيّ للشّهادة على الحريّة، ويصون حقوقه السياسيّة الأساسيّة. تكلّلت هذه المسيرة بإعلان دولة لبنان الكبير سنة ١٩٢٠، الذي أصبح جمهوريّة مستقلّة سنة ١٩٤٣. لم تشأه الكنيسة يوماً "وطناً للمسيحيّين"، بل وطناً لجميع أبنائه، المسيحيّين والمسلمين، على قدم المساواة والاحترام المتبادل.

ترمي **الخطّة الراعويّة** إلى إيجاد المبادرات لتحقيق هويّة لبنان الحقيقيّة التي أطلقها البابا يوحنّا بولس الثاني: "لبنان أكثر من بلد. إنّه رسالة حرّيّة، ونموذج في التعدّدية للشرق كما للغرب" (فقرة ٣٨).

٢. **بحكم كون الكنيسة متجسّدة في بيئتها**، تقتضي الخطّة الراعويّة أن يجدّد الموارنة إيمانهم برسالتهم الكنسيّة النابعة من "تدبير الله الخلاصيّ". فإنّهم مرسلون إلى العالم، مزوّدين بقوّة الروح ليحملوا بشرى الخلاص بيسوع المسيح (فقرة ٣٩). وفي الواقع، هكذا فعلوا عندما أمّوا جبال لبنان مع تلاميذ مار مارون، وفي طليعتهم ابراهيم القورشيّ وسمعان العاموديّ في القرن الخامس (حاشية ٢٤).

تقتضي **الخطّة الراعويّة** أن يواصل الرّهبان والرّاهبات والعلمانيّون الشهادة الرساليّة، وإيجاد السّبل لها في الرّعايا وفي أماكن وجودهم (فقرة ٤٠). هذه الشّهادة تعني أنّ كنيستنا ليست من أجل ذاتها، بل تسعى لتكون حاضرة في بيئتها، ومتعاونة مع شركائها في المصير الواحد على إرساء أسس المجتمع التعدّدي، ومساهمةً في ترقّي الشخص البشريّ والمجتمع، من خلال النّشاطات التربويّة والثقافيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والاعلاميّة (فقرة ٤١).

***

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، أعطنا النّعمة وفضيلة العطاء بسخاء لنساعد "إخوتنا الصغار"، من أيّ لون أو دين أو جنس أو من أيّ انتماء كانوا. ضعنا على طريق الفقراء والضعفاء والمهملين، واجعلنا نشعر بمسؤوليّتنا عنهم،

لاخراجهم من حالة بؤسهم، فندرك في قرارة نفوسنا "أنّ في العطاء فرحاً أكثر ممّا في الأخذ". لك المجد مع أبيك المبارك وروحك الحيّ القدوس إلى الأبد، آمين.

الأحد ١١ شباط ٢٠٠٧

# تذكار الموتى المؤمنين

## خيرات الأرض معدّة من الله لجميع الناس

من إنجيل القدّيس لوقا ١٦/١٩-٣١

قال الربّ يسوع: "كان رجل غنيٌّ يلبس الأرجوان والكتّان النّاعم، ويتنعّم كلّ يوم بأفخر الولائم. وكان رجل مسكين اسمه لعازر مطروحاً عند بابه، تكسوه القروح. وكان يشتهي أن يشبع من الفتات المتساقط من مائدة الغنيّ، غير أنّ الكلاب كانت تأتي فتلحس قروحه. ومات المسكين فحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم. ثم مات الغنيّ ودفن. ورفع الغنيّ عينيه، وهو في الجحيم يقاسي العذاب، فرأى إبراهيم من بعيد، ولعازر في حضنه. فنادى وقال: يا ابتِ إبراهيم، إرحمني، وأرسل لعازر ليبلّ طرف إصبعه بماء ويبرّد لساني، لأنّي متوجّع في هذا اللّهيب. فقال إبراهيم، يا ابني تذكّر أنّك نلت خيراتك في حياتك، ولعازر نال البلايا. والآن هو يتعزى هنا، وأنت تتوجّع. ومع هذا كلّه، فإنّ بيننا وبينكم هوّة عظيمة ثابتة، حتّى إنّ الذين يريدون أن يجتازوا من هنا إليكم لا يستطيعون، ولا من هناك أن يعبروا إلينا. فقال الغنيّ: أسألك إذاً، يا أبتِ، أن تُرسل لعازر إلى بيت أبي، فإنّ لي خمسة إخوة، ليشهد لهم، كي لا يأتوا هم أيضاً إلى مكان العذاب هذا. فقال إبراهيم: عندهم موسى والأنبياء، فليسمعوا لهم. فقال: لا، يا أبت إبراهيم، ولكن إذا مضى إليهم واحد من الأموات يتوبون. فقال له إبراهيم: إن كانوا لا يسمعون لموسى والأنبياء، فإنهم، ولو قام واحد من الأموات، لن يقتنعوا!".

***

تقاسم خيرات الدّنيا هو المحبّة التي سندان عليها، لأنّها طريقنا إلى الله عبر الأخوة الفقراء ماديّاً وروحيّاً وثقافيّاً وإنمائيّاً ، المتمثّلين بلعازر. أمّا الغنى فعطيّة من الله، إذا حصل بالوسائل الشرعيّة والخلقيّة المباحة، والغنيّ هو وكيل الله على ملك هو للّه، مطلوب منه أن يتقاسمه مع "الاخوة الصغار" في مفهوم الإنجيل (متّى ٢٥/٣٥-٤٠). أمّا الغنيّ المستغني عن الله والاخوة، العابد صنم نفسه، المتمثّل بالغنيّ في النصّ الانجيليّ، فطريقه إلى النّار الأبديّ.

تذكر الكنيسة اليوم، وطوال الأسبوع، الموتى المؤمنين الذين عاشوا فضيلة الفقر الإنجيليّ، وأولئك الذين تقاسموا مع الاخوة المعوزين خيرات الدّنيا المعدّة من الله لجميع الناس. وتصلّي من أجل المعذّبين في المطهر استعداداً لمشاهدة وجه الله في سعادة السماء، وتطلب شفاعة الذين ينعمون بالمجد الأبديّ. وأجلّ صلاة هي تقديم ذبيحة القدّاس من أجلهم، والقيام بأعمال المحبّة والرّحمة، والالتزام بتوبة القلب والأمانة وأفعال التقشّف في سبيلهم.

## ■ أوّلاً، شرح الإنجيل

### ١ . الدينونة الخاصّة وتقاسم خيرات الدّنيا

على تقاسم خيرات الدّنيا مع الاخوة المعوزين سنُدان.

يؤكّد النصّ الانجيليّ أنّ كلّ إنسان، عندما يموت، يخضع **لدينونة خاصّة** حول إيمانه وأعماله. كانت دينونة الغنيّ عقاباً في جهنّم النار: "مات الغنيّ وقبر، فكان في الجحيم يقاسي العذاب" (لو ١٦/٢٢-٢٣). أمّا دينونة لعازر فكانت ثواباً في النّعيم: "مات لعازر المسكين فحملته الملائكة إلى حضن ابراهيم" (لو ١٦/٢٢). فيما الجسم يرقد في التّراب، على رجاء القيامة، تطير

النّفس الخالدة إلى أمام عرش الديّان، "فينال كلّ إنسان في نفسه الخالدة ثوابه أو عقابه الأبديّ منذ لحظة موته بدينونة خاصّة تكشف حياته أمام نور المسيح" (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكية، ١٠٢٢).

**ليس هلاك الغنيّ من غناه.** فخيرات الدّنيا المشروعة هبة وبركة من الله، **بل هلاكه من طمعه، واستعباده لصنم ماله ومقتناه**، واستغنائه عن الله وبالتالي عن المحبّة التي أغلقت قلبه ويده عن لعازر الفقير المطروح على باب داره. مشكلته أنّه عَبَدَ المال لا الله، وينبّهنا السيد المسيح: "لا يقدر أحد أن يعبد ربّين: الله والمال. فإمّا يبغض الواحد ويحبّ الآخر، أو يلازم الواحد ويرذل الآخر" (متّى ٦/٢٤). مأساته أمام الله هي في عبادة صنم نفسه ووثن خيراته. أمّا أمام نفسه "فكان يتنعم كلّ يوم بأفخر الولائم" (لو ١٦/١٩). المهم هو المصير الأبديّ لا اللحظة العابرة، مهما طال العمر: "تذكّر أنّك نلت خيراتك في حياتك ولعازر بلاياه. والآن هو يتعزّى هنا، وأنت تتعذّب" (لو ١٦/٢٥).

**تقاسم خيرات الدّنيا** طريقنا إلى الله، وواجب نؤدّي الحساب عنه. علّم آباء الكنيسة القدّيسون بشكل ثابت: أنّ "ما يفيض عنك ليس لك، فلا تستطيع أن تجعل نفسك مالكاً له" (غريغوريوس النيصي)، وأنّه "لا يحق لك أن تستعمل مالك كمتمتّع به على هواك بل كموكّل عليه" (باسيليوس الكبير). في ضوء هذا التعليم، كانت دينونة الغنيّ الصارمة على أنّه نسي لعازر ونبذه، في حين أنّه شريك له في خيراته، كان ينبغي عليه أن يردّ له ما هو أصلاً حقّ له عليه، لأنّ الغنيّ وكيل اللّه على ملك هو للّه (المطران جورج خضر: شهوة المال، في "النهار" ٣١/١/٢٠٠٤). خيرات الدّنيا معدّة من الله لجميع الناس، من يمتلكها شرعيّاً هو موكّلٌ عليها من العناية الإلهيّة ليستثمرها لخيره وخير غيره من الناس بدءاً من الأقربين (الكنيسة في عالم اليوم، ٦٩؛ التعليم

المسيحيّ، ٢٤٠٣-٢٤٠٤). الأخ المحتاج الذي نتقاسم معه خيراتنا **يحرّرنا** من التعلّق المفرط بها تعلّقاً يحجب عنّا رؤية وجه الله. "الفقير يشفيك من الداء الذي فيك، فإن بذلت له مالك بحبّ كان طبيبك" (المطران جورج خضر، في المقالة المذكورة). لو فعل الغنيّ ذلك لما كان هلك إلى الأبد. لقد أدرك هو غلطته الكبيرة، فتوسّل إلى ابراهيم "ليرسل لعازر إلى إخوته الخمسة ليشهد لهم، كي لا يأتوا هم أيضاً إلى مكان العذاب هذا" (لو ١٦/٢٧-٢٨).

في صلاة الأبانا نصلّي: "**أعطنا خبزنا كفاف يومنا**" هذا نداء إلى المؤمنين لكي لا يتعلّقوا بشكل مفرط بوسائل العيش، ولكي لا يستأثروا بها لخيرهم فقط، ولكي يحملوا مسؤوليّة الجائعين والمحتاجين، على اختلاف حاجاتهم. تعلّم الكنيسة أنّ هذا الطلب، الذي علّمنا إيّاه الربّ، وما فيه من مسؤوليّات، لا ينفصل عن تعليمه في مثل لعازر والغنيّ (لو ١٦/١٩-٣١)، والدينونة العظمى (متّى ٢٥/٣١-٤٦)، حيث ينكشف الموقف الشخصيّ من المحتاجين والتضامن مع العائلة البشريّة (التعليم المسيحيّ، ٢٨٣١).

**دينونة لعازر** كانت له ثواباً بالخلاص الأبديّ، لأنّه "نال في هذه الدنيا بلاياه"، وارتضى حالته بصبر "مطروحاً عند باب الغنيّ، مشتهياً بقناعة ان يملأ بطنه من الفتات المتساقط من مائدة الغنيّ"، منفتحاً على رحمة الله التي كان ينبغي أن تظهر في رحمة ذاك الغنيّ. ولذلك "عندما مات، حملته الملائكة إلى حضن ابراهيم" (لو ١٦/٢٠-٢٢).

إنّه من "**صغار الانجيل**" الذين يجعل الربّ يسوع ذاته حاضراً فيهم بنوع خاصّ؛ وهو مثل الأطفال الذين قال عنهم الربّ: "من قبل طفلاً مثل هذا باسمي، فقد قبلني" (متّى ١٨/٥)؛ وفيه يتواصل فقر المسيح الذي **يحرّر** الانسان من شهوات العالم الثلاث: شهوة الجسد، وشهوة العين، وكبرياء

الغنى (يو ٢/١٦). فالمسيح "المولود في مغارة، عاش فقيراً وظلّ عرياناً على الصليب" (القديسة كلير). وبذلك كان "حبّة الحنطة التي وقعت في الأرض وماتت، فأعطت ثمراً كثيراً" (يو ١٢/٢٤)، أي جماعة المؤمنين التي هي الكنيسة.

**هذه قيمة آلام المتألّمين الصابرين،** من فقر وجوع وعري وحرمان، من ألم وإعاقة وثقل سنين، من ظلم واستبداد واستضعاف، من انتهاك كرامة وحقوق، من اضطهاد وإساءة وتهميش. إنّ من يخدمهم إنّما يكرّم آلام المسيح الخلاصيّة، ويرمّم روابط الأخوّة، ويبني صرح العدالة والسلام. عندما حمل المسيح آلام البشريّة، مطيعاً حتى الموت على الصليب لخدمة الفداء (أنظر فيليبي ٢/٨)، فقد أنارها بنور قيامته.

## ٢. القديس مارون وتقاسم خيرات الدنيا

عاش القدّيس مارون في القسم الثاني من الجيل الرّابع، ومات حوالى سنة ٤١٠، وقد اتّبع نهج فقر المسيح وتقاسمه خيرات السماء والأرض مع الناس. نصلّي في القدّاس متذكّرين هذا التقاسم: "وحّدت يا ربّ لاهوتك بناسوتنا، وناسوتنا بلاهوتك، حياتك بموتنا وموتنا بحياتك. أخذت ما لنا وأعطيتنا ما لك، لتحيينا وتقدّسنا، لك المجد إلى الأبد، (نافور القدّاس الماروني).

هكذا **مارون النّاسك اعتزل الدنيا ووقف ذاته على الله** وخدمة إنجيل الخلاص. عاش في الهواء الطلق، على قمّة جبل في القوشيّة، قرب أنطاكية، يبدو أنّها قلعة كالوته حيث ابتنى كوخاً على أنقاض هيكل قديم كان لعبادة الأوثان، فحوّله مكاناً لعبادة الإله الحقيقيّ، الواحد والمثلّث الأقانيم، بالصّلاة

والأصوام والاماتات. أعطى ذاته كلّها لله قرباناً روحيّاً، فملأه الله من ذاته، **وكان التّقاسم بين مارون والله.**

امتلأ **مارون من قداسة الله،** فكتب إليه البطريرك القدّيس يوحنّا فم الذهب ما بين سنة ٤٠١ و٤٠٧ من منفاه خارج كرسيّه في القسطنطينيّة، رسالة مؤثّرة عنوانها: "من يوحنّا فم الذهب إلى مارون الكاهن والنّاسك"، جاء فيها: "حتّى ولو كنّا بعيدين عنك بالجسد، فإنّنا نواصل التّفكير في نشاطاتك، فنطمئنّ ونحصل على الكثير من التّعزية، ونحن هنا في المنفى. وجلّ ما نطلب منك أن تصلّي لأجلنا" (Migne ، ٥٢ عمود ٦٣٠ الرّسالة ٣٦). **إنّه تقاسم الصّلاة والتّعزية.**

**وأفاض الله على مارون هبة الشفاء من أمراض الجسد والنفس،** على ما كتب تيودوريطس مطران قورش في كتابه "التاريخ الدينيّ"، فذاع صيته في كلّ مكان، واستجلب إليه الجموع من كلّ ناحية. فكانت الحُمّى تنطفىء على ندى بركته، والأمراض تشفى. وكان يستأصل البخل من واحد، والغضب من آخر، والأهواء المفرطة من هذا، والعدوانيّة من ذاك. يعلّم الواحد طرق العفّة، والآخر سُبل العدل، والآخر قواعد القناعة. يصلح الانحرافات، ويشدّد عزائم المتكاسلين. والدواء واحد: ففيما يعالج الأطبّاء كل داء بدواء، خاصّ، كانت صلاته العلاج للأمراض كلّها (التاريخ الدينيّ ١٦/٣). ويضيف الأسقف: "كانت لمارون معرفة عميقة بالنفس البشريّة". يقول البطريرك اسطفان الدويهي أنّ هذه المعرفة العميقة اكتسبها مارون من ثقافته في مدرسة أنطاكية، حيث ربطته صداقة عميقة بيوحنّا فم الذهب، ومن تمرّسه في التأمّل والصّلاة والاتّحاد بالله.

كان مارون "**حبّة حنطة**" ماتت على جبل قورش، فأثمرت، كما يقول

الأسقف تيودوريطس، بستاناً مزهراً في القورشيّة. هذا البستان هو دير مار مارون الشّهير على ضفاف العاصي، قرب أفاميا المعروفة اليوم "بقلعة المضيق". وهو اليوم الكنيسة المارونيّة، التي تواصل بأبنائها وبناتها نهج القدّيس مارون. نذكر من بينهم القديس شربل والقدّيسة رفقا والقدّيس نعمة الله والطوباويّين الاخوة الشهداء المسابكيّين. ونذكر من دعاوى تقديسهم جارية لدى الكرسيّ الرسوليّ وهم: المكرّم الأب يعقوب حدّاد الكبوشي، وخادم الله البطريرك أسطفان الدويهي، وخادم الله الأخ اسطفان نعمه الراهب اللبنانيّ المارونيّ. كما تواصل كنيستنا في مؤسّساتها الكنسيّة تقاسم خيرات السماء والارض.

### ٣. تقاسم خيرات الأرض أساس السّلام

**"عندهم موسى والأنبياء فليسمعوا لهم"** (لو ١٦/٢٩).

"موسى وأنبياء" اليوم هم الكنيسة برعاتها ومؤمنيها المخلصين الذين يشهدون لحقيقة الانسان وكرامته ومعنى الوجود وكيفيّة استعمال خيرات الدنيا. إنّ **للكنيسة عقيدة اجتماعيّة** ضمّنتها ما اقتبست من الانجيل والتّقليد الرسوليّ والوحي الالهيّ حول حقيقة الانسان ومقتضيات العدل والسّلام المتلائمة والحكمة الالهيّة، في اتجاهات ثلاثة: **المبادىء للتفكير** حول الانسان وحقوقه ومصيره وخلاصه، **ومقاييس الحكم الاخلاقيّ** على الأفعال الاقتصاديّة والسياسيّة والاجتماعيّة، من حيث صلاحها وشرها دون التطرّق لتقنيّاتها، **والتوجهات التطبيقيّة** من خلال ممارسة مختلف النّشاطات الزمنيّة على مستويات الحياة الوطنيّة كلّها.

إذا كانت خيرات الدّنيا معدّة من الله لجميع الناس، فلن يكون سلام عادل بين الناس والشعوب، ما لم يعطَ كلّ إنسان حقّه في العيش الكريم

الذي لا يقتصر على إعطائه صدقة زهيدة بل فرصة للعمل، ووسيلة لكسب الخبز بعرق الجبين، وإمكانيّة القيام بعمله على نحو حرّ.

تعلّم رسالة البابا الطوباويّ يوحنّا الثالث والعشرون "**السلام على الارض**" إنّ للإنسان حقّاً طبيعيّاً مزدوجاً: "أن تتوفّر له **فرصة للعمل**، وأن يتمكّن من **القيام بأعبائه على نحو حرّ**" (فقرة ١٨). يتحدّر من هذا الحقّ المزدوج حقّان آخران ملازمان: "الحقّ في ظروف عمل لا توهن القوى البدنيّة، ولا تمسّ الأخلاق، ولا تضرّ بنموّه الصحيح؛ الحقّ للنساء بظروف عمل تتناسب مع متطلباتهنّ وواجباتهنّ كزوجات وأمّهات (فقرة ١٩).

وبما أنّ العمل واجب على الانسان بحكم حقّه الطبيعيّ، فإنّ العدالة تقتضي من المسؤولين والقادرين أن يؤمّنوا له فرص العمل، وعندها يستتبّ السلام الاجتماعيّ. غير أنّ هذا السلام يكتمل ولا يكون منقوصاً، إذا توفّر للعامل حقّ طبيعيّ آخر تتكلّم عنه الرّسالة البابويّة وهو: "**الحقّ في بدل**، يُحدّد وفقاً لنواميس العدالة، يكفل له ولأسرته معيشة تليق بالكرامة الانسانيّة، مع الأخذ في الاعتبار طبعاً امكانيّات ربّ العمل (فقرة ٢٠).

ويتوطّد الاستقرار والطمأنينة في الحياة العائليّة، ويتعزّز السلام والازدهار في الجسم المدنيّ العامّ، عندما يتوفّر للانسان حقّ طبيعيّ آخر يضمن كرامة الشخص البشريّ ويساعده على التمرّس الحرّ بجميع مسؤوليّاته، وهو **الحق في الملكيّة الخاصّة** لخيرات الدّنيا ولوسائل الانتاج" (فقرة ٢١). ولكن لا بدّ من التّذكير بأنّ الحقّ في الملكيّة الخاصّة يتضمن، من ذات طبعه، موجباً اجتماعيّاً تجاه الاخوة المحتاجين (فقرة ٢٢).

إنّ مأساة الغنيّ، في اللوحة الانجيليّة، تعود إلى عدم إيفائه الموجب الاجتماعيّ تجاه لعازر الفقير والمعدم منتهكاً بذلك حقّه الطبيعيّ.

## ■ ثانياً، وجه من القدّيسين الذين عاشوا تقاسم خيرات الأرض

القدّيسون في غالبيّتهم تميّزوا بتقاسم خيرات الأرض. نذكر من بينهم القدّيس Martin de Tours الأسقف الشاهد لتقاسم الايمان بالانجيل وخيرات الدنيا. عاش في الجيل الرابع، لكنّ ذكره حي يجعله معاصراً لكلّ جيل.

هو في الأساس جنديّ. وذات ليلة كان عائداً على جواده، والبرد قارص للغاية، مسرعاً لبلوغ الدفء في ثكنته في Amiens، إذا به يجد إلى جانب الطريق فقيراً يرتجف من البرد، فترجّل وفكّر كيف يمكن أن يأوي إلى دفء فراشه وهذا المسكين يموت من البرد. فاستلّ سيفه وقطع رداءه الصوفيّ الأحمر واقتسمه مع الفقير وتابع سرعته.

وفيما كان نائماً استيقظ بذعر وخوف، إذ ظهر له المسيح على صورة الفقير الذي كان التقاه في الطريق، وقال له: أنت Martin، الذي تتعلّم أصول الدين، أنت مَن غطّيتني بردائك". وعند الفجر قرّر أن يكرّس حياته للمسيح. لم يكن معمّداً، لأنّ والده ضابط وثنيّ، فكان عليه أن يواصل التزامه بالجنديّة عشرين سنة. وفي الأربعين حقّق الوعد وتكرّس للمسيح ناسكاً، ورفض أن يكون شمّاساً كما كان يريد له القدّيس Hilaire مطران Poitiers. ولكن وفيما بعد طالب به الشعب وخطفه ليكون مطرانه في أبرشيّة Tours.

فرضي خاضعاً لارادة الله. إلاّ أنّه لم يعش في الكرسيّ الأبرشيّ، بل في غرفة متواضعة بقربه. وراح يحارب العبادة الوثنيّة ويبني الايمان المسيحيّ في النفوس. كان يردّد: "يجب أن تتفجّر قدرة الاله الحقّ بوجه الآلهة الوثنيين".

وهكذا بعد أن تقاسم رداءه مع الفقير، تقاسم إيمانه المسيحيّ وقيمه مع أبناء أبرشيّته.

## ■ ثالثاً، الخطّة الراعويّة

تستكمل الخطة الراعويّة وتنهي التفكير معاً في **"هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها"**، كما حدّدها النصّ الثاني من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، في عنصر الهويّة السادس الذي بدأناه الأحد الماضي: **كنيسة متجسّدة في بيئتها اللبنانيّة والمشرقيّة وفي بلدان الانتشار.**

١. البعد الرساليّ والتنشئة عليه ينبعان من صميم الكنيسة التي تتكون جماعتها عبر الاحتفال بسرّ الافخارستيّا، حيث يدخل أبناؤها وبناتها في شركة عضويّة مع المسيح ومع القريبين والبعيدين، فيوصي المجمع بتنشئة راعويّة متكاملة تعزّز الروح الرساليّة والالتزام بالشهادة للمسيح، ليس فقط في البيئة الخاصّة، بل في آفاق بشريّة جديدة أيضاً تفتقر إلى كلمة الانجيل (فقرة ٤٢). من الضرورة ان ترسم الخطّة الراعويّة، عبر الهيكليّات والجماعات، وسائل هذه التنشئة والمبادرات الرساليّة. ان ابرشيّة جبيل تحمد الله وتفتخر بأنّ كهنتها يقومون بخدمة الرسالات في كل من نيجيريا وكوتونو وسوريا وفرنسا (في جزيرة كورسيكا وأنجيه) وإيطاليا (في البانو) والسويد، والبرازيل (في ساوبولو) والولايات المتّحدة الأميركيّة (في ايستون). وهذا ما يدعو إليه النصّ المجمعيّ الثّاني (في الفقرة ٤٣).

٢. **البُعد الرساليّ ينفتح على النشاط المسكونيّ** الرامي إلى وحدة المسيحيّين. إنّ الكنيسة المارونيّة، بحكم ميزاتها الانطاكيّة السريانيّة

الكاثوليكيّة المشرقيّة، مدعوّة للرسالة المسكونيّة إلى جانب الكنائس الأخرى. يبقى على الخطّة الراعويّة أن تحدّد مجالات هذه الرسالة، انطلاقاً من البيئة الخاصّة الحقيقيّة (فقرة ٤٤). إنّ **الجماعات الراعويّة والهيكليّات** تجدّد التزامها بالحركة المسكونيّة التي تعهّدتها الكنيسة بوثائق رسميّة: قرار المجمع الفاتيكانيّ الثاني، في الحركة المسكونيّة؛ الرسالة العامة للبابا يوحنّا بولس الثاني: "ليكونوا واحداً" (١٩٨٥)؛ الرسالة الراعويّة الخامسة لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك: "الحركة المسكونيّة" (١٩٩٩) (فقرة ٤٥).

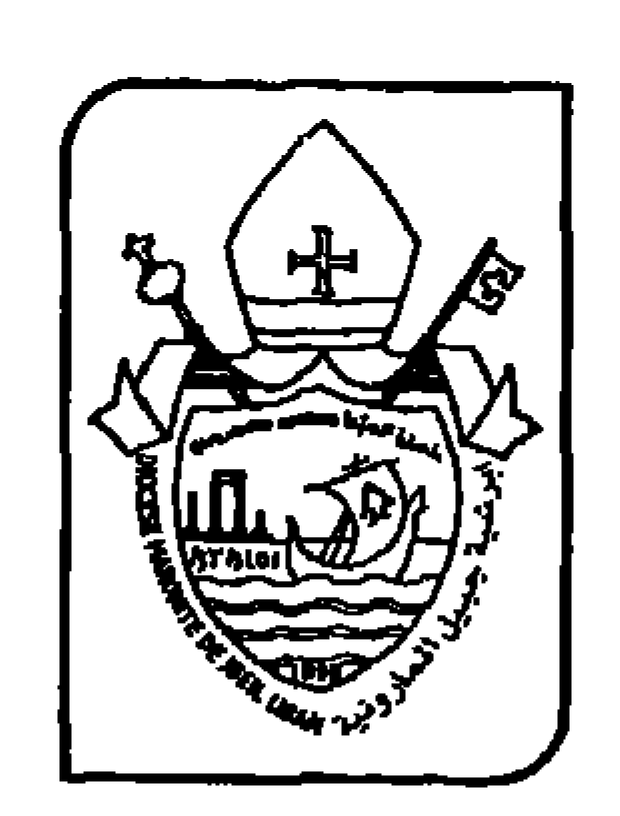
تعنى **الخطّة الراعويّة** بكيفيّة تأمين تنشئة مسكونيّة بالتعاون مع كليّات ومعاهد اللاهوت والعلوم الدينية، وبوعي التراث الأنطاكيّ المشترك وحفظه وتفعيله وانثقافه (الفقرتان ٤٧ و٤٨).

***

**صلاة**

نشكرك يا ربّ على أنّك أظهرت نفسك بحياتك وموتك، بكلامك وآياتك، بمجدك وقيامتك، وما زلت تظهر نفسك في سرّ الكنيسة، بأبنائها وبناتها ومؤسّساتها: تتكلّم بلسانهم، وتحب بقلوبهم، وتعطي بسخاء وجودٍ بأيديهم. في الكنيسة أنت تحيا، وفيها تبعث روحك، وعبرها تنشر كلمتك، وبخدمتها تشفي الجراح وتعزّي الآلام. من خلالها تبقى نور العالم ورجاء الشعوب. وحّدها، ربٍّ، في الحقيقة والمحبّة، واجعلها شاهدة لك من أجل قيام عالم أفضل. لك المجد إلى الأبد. آمين.

***



سلسلة التنشئة المسيحيّة

١٠

# السلوك اللائق بإنجيل المسيح

(فيليبّي ١/٢٧)

# زمن الصوم الكبير

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧


بشـــاره الــــراعي

مطـران جـبيـل



NDU PRESS

منشورات
جامعة سيّدة اللويزة

# تقديم

هذا العدد العاشر من سلسلة التنشئة المسيحيّة **لزمن الصوم الكبير** يدعو إلى "**سلوك لائق بانجيل المسيح**" (فيليبّي١/٢٧). فالصوم زمن التغيير في القلب، والتجدّد في المسلك، بفضل الصيام والتوبة وأعمال المحبّة والرحمة.

يعتمد العدد نهجًا من ثلاثة أقسام: شرح النصّ الانجيليّ، وتأمّلات في سرّ آلام المسيح ومراحل درب الصليب، وعرض مضمون النصّ الثالث من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وعنوانه: **حضور الكنيسة المارونيّة في النطاق الانطاكيّ**. هذا القسم الثالث يشكّل **الخطة الراعويّة** التي تدعو الهيكليّات الرعويّة: المجالس واللجان والمنظّمات الرسوليّة والجوقات وسائر التجمّعات الرعائيّة، وتدعو أيضًا الجماعات التربويّة والديريّة والأندية، لتقبّل النص المجمعيّ، أسبوعًا بعد أسبوع، ولاتّخاذ مبادرات تطبيقيّة.

نأمل أن يقدّم لنا هذا العدد من التنشئة المسيحيّة الوسيلة الهادية "**للوصول إلى الميناء**". في أحد الشعانين، بعد مسيرة أربعين يومًا من الصيام والتوبة والتصدّق، على هدي نور الكلمة الانجيليّة. وهكذا نلبّي دعوة بولس الرسول: "**أسلكوا كما يليق بانجيل المسيح**" (فيل ١/٢٧).

† **بشاره الراعي**
مطران جبيل

# أحد مدخل الصوم

## آية عرس قانا الجليل

## المسيح يبدّل وجه العالم عبر خدمة الكنيسة

### من إنجيل القدّيس يوحنّا ٢/١-١٢

قال يوحنّا الرسول: في اليوم الثالث، كان عرس في قانا الجليل، وكانت أمّ يسوع هناك. ودُعي أيضًا يسوع وتلاميذه إلى العرس. ونفد الخمر، فقالت ليسوعَ أمّه: «ليس لديهم خمر». فقال لها يسوع: «ما لي ولك، يا امرأة؟ لم تأتِ ساعتي بعد!». فقالت أمُّهُ للخدم: «مهما يقل لكم فافعلوه!». وكان هناك ستة أجران من حجر، معدّة لتطهير اليهود، يتّسع كلّ منها من ثمانين إلى مئة وعشرين ليترًا. فقال يسوع للخدم «إملأوا الأجران ماءً». فملأوها إلى فوق. قال لهم: «إستقوا الآن، وقدّموا لرئيس الوليمة». فقدّموا. وذاق الرئيس الماء، الذي صار خمرًا- وكان لا يعلمُ من أين هو، والخدمُ الذين استقوا يَعلمون- فدعا إليه العريس وقال لهُ: «كلّ إنسان يُقدّم الخمر الجيّد أوّلاً، حتّى إذا سكر المدعوّون، يقدّم الأقلّ جودة، أمّا أنت فقد أبقيت الخمر الجيّد إلى الآن!». تلك كانت أولى آيات يسوع، صنعها في قانا الجليل، فأظهر مجده، وآمن به تلاميذه.

***

تفتتح الكنيسة زمن الصوم بآية تحويل الماء إلى خمر كليّ الجودة، للدلالة أنّه زمن التحوّل والتغيير بنعمة المسيح الشافية وبكلامه المحيي

والمنير، وبهبة الروح القدس التي تسكب المحبّة في القلوب. أمّا الصوم، بالامتناع عن الطعام من منتصف الليل إلى الظهر، وما يرافقه من إماتات وصلوات وسماع لكلام الله وأعمال محبّة ورحمة، فهو السبيل والوسيلة لإعداد الذات للتحوّل والتغيير. أنْ تتمّ آية تحويل الماء إلى خمر في بداية حياة يسوع العلنيّة، وفي مناسبة عرس، فذلك يدلّ على أنّ المسيح آت لفعل خلق جديد، لترميم صورة الله في الانسان، وأنسنة المجتمع، وإعادة بهاء الخالق إلى خليقته؛ وبهذا يرسي أسس السلام. إنّ المسيح في هذا العمل يعيد حياة الشركة بين الناس والله، والمعروفة بملكوت المسيح الذي بدأ مع الكنيسة ليكتمل في نهاية الأزمنة. في عرس قانا ترتسم ملامح سرّ الكنيسة ورسالتها، وسرّ الزواج وكرامته.

## ■ أوّلاً، مضمون اللوحة الانجيليّة.

### ١. في آية قانا تجلّى سرّ ملكوت المسيح البادئ في الكنيسة

**" كان عرس في قانا الجليل، وكان يسوع وأمّه وتلاميذه هناك".**

**ملكوت المسيح** هو سرّ الله، الذي دخل، بواسطة الابن المتجسّد يسوع المسيح، إلى العالم المخلوق، إلى التاريخ الزمنيّ، ليصير معه حقيقة واحدة. هذا الملكوت بدأ مع الكنيسة كنواة له وتلألأ في عيون الناس في كلمات يسوع وأعماله وحضوره. الكنيسة هي "ملكوت المسيح" الحاضر سريًّا في هذا العالم (الدستور العقائديّ في الكنيسة ٤ و٥).

العرس في قانا هو المجال الأوّل، حيث بدأ يسوع الرسالة الموكولة إليه من الآب، وقد حانت ساعتها عند طلب أمّه: "ليس عندهم خمر". فأجرى الآية وأعلن البشرى الجديدة، أي حلول ملكوت الله الموعود في الكتب منذ

أجيال، "فأظهر مجده وأمّن به تلاميذه". بالحقيقة من يقبل كلام المسيح، يقبل الملكوت نفسه.

**عرس قانا صورة مصغّرة عن الكنيسة:** يسوع رأسها والتلاميذ نواتها، ومريم أمّها، والجماعة الحاضرة شعبها. الماء المحوّل خمرًا استباق للأفخارستيّا ولتحويل الخمر إلى دمه المراق لفداء البشر. العروسان أوّل كنيسة مصغّرة بيتيّة. العرس في قانا هو أوّل زواج كسرٌ بعد زواج يوسف ومريم. الخمرة الجيّدة هي الشريعة الجديدة، شريعة النعمة والمحبّة التي هي هبة المسيح للكنيسة بالروح القدس.

أ- **يسوع رأس الكنيسة وفاديها حاضر فيها** بشخصه وعطيّته، وهي متمثّلة بالتلاميذ في عرس قانا مع العروسين والمدعوّين. يواصل حضوره فيها جيلاً بعد جيل، عبر سرّ الأفخارستيّا بقوّة كلمته: "خذوا كلوا هذا هو جسدي، خذوا اشربوا هذا هو دمي"، وبقوّة الروح القدس الذي حلّ على الخبز والخمر، متزامنًا مع كلام الربّ على لسان الكاهن، فيحوّلهما إلى جسد المسيح ودمه، ويحوّل الجماعة إلى جسده السرّيّ: "وليأتِ روحك الحيّ القدّوس ويحلّ علينا وعلى هذا القربان، فيجعلَ بحلوله هذا الخبز جسدًا محييًا، وهذا الخمر دمًا محييًا، لمغفرة الخطايا والحياة الأبديّة لمن يتناولونه، ويثمر ثمر الأعمال الصالحة، ويثبّت الكنيسة المقدّسة على صخرة الإيمان" (نافور مار بطرس في القدّاس الماروني). من الأفخارستيّا ينتشر حضوره في الكنيسة والعالم بأشكال شتّى: في كلام الانجيل وتعليم الكنيسة، في صلاة الجماعة (متّى ١٨/٢٠)، في المحتاجين، الفقراء والمرضى والأسرى (متّى ٢٥/٣١-٤٦)، في الأسرار السبعة، في شخص الكاهن، خادم المسيح القيّم على

نعمة أسراره (١ كور ٤ /١) وسفيره المؤتمن على المصالحة مع الله (٢ كور ٥ /٢٠) (الدستور المجمعيّ في الليتورجيّا ٧).

ب- **مريم** أمّ يسوع وأمّ الكنيسة **حاضرة فيها** تشفع من أجل أعضاء جسد ابنها، البشر المفتدين بدمه: "ليس عندهم خمر". تلتمس تدخّل ابنها، الوسيط الوحيد بين الله والناس، هي التي جعلت نفسها "أمة الربّ"، المستعدّة لخدمة عطاءاته المجّانيّة، النابعة من استحقاقات المسيح ابنها. في وساطتها وتشفّعها تدعم اتّحاد المؤمنين المباشر بالمسيح: "إفعلوا ما يقول لكم". إنّ وساطتها مرتبطة بأمومتها الحاضرة، بدون انقطاع في الكنيسة، حضورَ الوسيط الذي يتشفّع. ولهذا تدعوها الكنيسة: "المحامية والمعينة والمغيثة والوسيطة" (الدستور العقائديّ في الكنيسة ٦٢). مريم الحاضرة في الكنيسة هي مثال الإيمان والمحبّة في اتّحادها الكامل بإرادة الآب، وعمل الفداء الذي يتمّه ابنها، وإلهامات الروح القدس، بل هي التحقيق النموذجيّ لسرّ الكنيسة (التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة ٩٦٧). وهي علامة رجاء أكيد وتعزية أمام شعب الله المسافر في هذا العالم وسط المحن والضيقات، وفي الوقت عينه تمثّل الكنيسة وتدشّن اكتمالها في مجد السماء (المرجع نفسه ٩٧٢).

"**ما لي ولك يا امرأة**" كلمة أظهرت شفاعة مريم التي لا تُردّ، تدخل في صميم تدبير الله الخلاصيّ، بفضل ما كانت تتميّز به من إيمان ورجاء ومحبّة: "إفعلوا ما يقوله لكم". ألم يمتدح السيّد المسيح إيمان المرأة الكنعانيّة، والمرأة النازفة، وقائد المئة، وأجرى المعجزات المطلوبة؟ سمّاها "**امرأة**" لا "أمّي"، ليعيدها إلى أساسها البيبليّ في سفر التكوين، إلى "المرأة" التي تعادي الشيطان - الحيّة والخطيئة

والشرّ، والتي ستعطي الحياة الجديدة بشخص الفادي ابنها (تك ٣/١٥). كما سيعيدها في إنجيل يوحنّا إلى "المرأة" التي تصبح أمّ جميع البشر المفتدين بذبيحة الصليب، الحاضرين بشخص التلميذ الطاهر يوحنّا (يو ١٩/٢٦)، وفي سفر الرؤيا إلى "**المرأة**" التي تحارب تنّين الشيطان والأشرار، لحماية أبنائها المسافرين في بحر هذا العالم، حافظين وصايا الله، ومؤدّين الشهادة ليسوع المسيح (رؤيا ١٢/١٧-١٨).

ج- **التلاميذ وإيمانهم بالمسيح** هم نواة الكنيسة: "أظهر لهم مجده فآمنوا به". الكنيسة هي مكان قبول الإيمان والتربية عليه. فهي تحفظ ذكرى كلمات المسيح، وتنقل من جيل إلى جيل إيمان الرسل. وكأمّ تعلّمنا نحن أبناءها لغة الإيمان، وتقودنا إلى فهمه وإلى العيش بمقتضاه. ولهذا يدعوها بولس الرسول "عامود الحقّ وأساسه" (١ تيمو ٣/١٥). هذا يعني أنّ الكنيسة هي باب الخلاص ومكانه وأداته، ذلك أنّ المسيح هو وسيط الخلاص وطريقه، وهو حاضر في الكنيسة جسده. ولهذا ردّد آباء الكنيسة "لا خلاص خارج الكنيسة". غير أنّ الذين يجهلون إنجيل المسيح والكنيسة عن غير خطأ من قبلهم، لكنّهم يبحثون عن الله بقلب صادق، ويسعون، بتأثير من نعمته، إلى العمل بشكل يرضي إرادته، كما يكشفها لهم ويمليها عليهم ضميرهم المستنير،.. هؤلاء يستطعون الدخول إلى الخلاص الأبديّ (الدستور العقائديّ في الكنيسة ١٦، التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة ٨٤٦-٨٤٨). أمّا الكنيسة فمن واجبها أن تعلن الانجيل إلى جميع الناس: "إنطلقوا إلى العالم كلّه، ونادوا بانجيلي في الخليقة كلّها... وهم خرجوا وبشّروا في كلّ مكان" (مر ١٦/١٥ و٢٠).

## ٢. سرّ الزواج وكرامته

**"أنت استبقيت الخمرة الجيّدة إلى الآن".**

الزواج في الأساس مؤسّسة إلهيّة مرتبطة بعمل الخلق: "خلق الله الانسان على صورته ومثاله: ذكرًا وأنثى خلقهم وباركهم وقال: "أنموا واكثروا واملأوا الأرض" (تك ١/٢٧-٢٨). **للزواج الطبيعيّ قدسيّة** تأتيه من أصله الإلهيّ، لأنّ الله أسّسه ونظّمه بشرائعه، ومن غايته المزدوجة: ارتقاء الزوجين إلى الله بالحبّ المتبادل والخدمة، وإنجاب أولاد على صورة الله معدّين لأن يعرفوه ويحبّوه ويمجّدوه، ويشاركوا في حياة الله بالنعمة وفي السعادة العظمى بالمشاهدة. كان الزواج الطبيعيّ ينعم بحضور الله الذي يعضد كلّ الأزواج، كيفما تزوّجوا، بالنعم الحاليّة التي تسند حبّهم وواجباتهم الزوجيّة والعائليّة. ولكن، بسقطة أبوينا الأوّلين، فَقَد الزواج هذه القدسيّة المتأتيّة من غايته، فكانت الشهوة والخيانة والدعارة والاتّهام والحقد والقتل.

بتجسّد ابن الله وموته وقيامته، أُعطيت **الشريعة الجديدة** "الخمرة الجديدة" التي رمّمت الصورة الإلهيّة في الانسان، بدءًا بالزواج؛ فأصبح الزواج المسيحيّ سرًّا بمعناه الحقيقيّ، أي علامة حسيّة ترمز إلى هبة الذات وإلى القدسيّة والنعمة بالمعنى الواسع، وعلامة أيضًا تُنتج النعمة التي تدلّ إليها بالمعنى الحصريّ. أصبح السرّ علامة ووسيلة لحضور الله الثالوث القدّوس الذي يقدّس الزوجين **بالنعمة المبرّرة**، معيدًا إليهما صورته وقداسته، جاعلاً إيّاهما على صورة الثالوث القدّوس في شركة الحياة والحبّ، وعلى صورة اتّحاد المسيح بالكنيسة، (أفسس ٥/٢٢-٢٣)، والذي يعضد الزوجين **بالنعم الحاليّة**، جاعلاً إيّاهما ثابتين في الحبّ النقيّ والعفيف، وفي الأمانة له، وفي ديمومة شركة الحياة معًا، وفي إنجاب البنين وتربيتهم، وفي تقديس الذات عبر الحياة اليوميّة الزوجيّة والعائليّة، بما فيها

من أفراح وأحزان، ونجاح وفشل، وسهولة وصعوبات، وصحّة ومرض، وحياة وموت.

**أوّل زواج مسيحيّ**، وبالتالي أوّل زواج كسرّ مقدّس، كان زواج يوسف ومريم، عندما أخذها يوسف إلى بيته، والربّ يسوع في حشاها (متّى ١-٢٤-٢٥). في عرس قانا الجليل تقدّس العروسان بحضور الربّ يسوع، وبالايمان الذي نتج عن الآية، وبالفرح الذي عمّ القلوب. هذا كلّه رمزت إليه "الخمرة الجيدة التي استبقيت...".

إنّ سرّ الكنيسة ورسالتها يتواصلان في "**الكنيسة البيتيّة المصغّرة**" التي هي العائلة (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ١١). هذا هو سرّها العظيم: إنّها على صورة اتّحاد المسيح، وتتّصف بالديمومة وعدم الانفصام واللاطلاق (متّى ١٩/٣- ٩؛ مر ١٠/٢-١٢)، وبالوحدة العضويّة بين الزوجين وتكاملهما في جسد واحد (متّى ١٩/٤-٦).

## ■ ثانيًا، زمن الصوم ومراحل درب الصليب

طوال زمن الصوم، فيما نحيي كلّ يوم جمعة ذكرى آلام الربّ يسوع لفدائنا، نتأمّل تباعًا في مراحل درب الصليب، هذه الممارسة التقويّة الغنيّة بالمعاني اللاهوتيّة والروحّية، استعدادًا لفصح الربّ بموته وقيامته.

**درب الصليب** استذكار الحبّ الكبير المتألّم، الذي عبر به السيّد المسيح الطريق إلى تقدمة ذاته ذبيحة فداء عن البشريّة جمعاء، فلا يستطيع أحد بعد الآن أن يقول "ما من أحد يحبّني"، لأنّ واحدًا، بالرّغم من كلّ شيء، أحبّه حتّى الدم والموت على الصليب. ولا أحد يستطيع أن يقول: "لا أحد يغفر لي بسبب شروري"، لأنّ ما من خطيئة، مهما كانت جسيمة، إلاّ ويغسلها دم المسيح. إنّ الخطيئة التي لا تغفر، ليست بيع المسيح بثلاثين

من الفضّة، بل اليأس العنيد حتّى النهاية من رحمة المسيح التي لا تعرف الحدود أو التحفّظات (الكردينال جوفاني كولومبو: "طريق المسيح وطريق الانسان" ص، ٨). درب الصليب هي مدرسة الحبّ والغفران.

**في المرحلة الأولى، يسوع يحكم عليه بالموت صلبًا**

**«قال لهم بيلاطس: «فما أصنع، إذًا، بيسوع الذي يدعى المسيح؟ فقالوا جميعهم: ليصلب، فقال لهم الوالي: وأيّ شرّ فعل؟ أمّا هم فازدادوا صياحًا وقالوا: ليصلب. ولمّا رأى بيلاطس أن ليس من جدوى، بل ازداد الهياج، أخذ ماءً وغسل يديه أمام الجميع وقال: أنا بريء من دم هذا الصدّيق، أنظروا أنتم»، فأجاب الشعب كلّه وقال: دمه علينا وعلى أولادنا. حينئذ أطلق لهم برأبّا، وجلد يسوع بالسياط، وسلّمه ليصلب** (متّى ٢٧/٢٢-٢٦).

خطأً يحكمون بالموت على القدّوس والبارّ والصادق. وفيما كانوا يحكمون عليه، كانوا في الوقت عينه يبرّئونه. **فيهوذا** الذي أسلمه قال: "خطئت بتسليمي دمًا زكيًّا" (متّى ٢٧/٤) . **بيلاطس** الذي أصدر الحكم بإعدامه صرخ: "أنا بريء من دم هذا الصدّيق". **قائد المئة** الذي رآه معلّقًا على الصليب اعترف: "بالحقيقة كان هذا الرجل ابن الله" (متّى ٢٧/٥٤).

**في المرحلة الثانية، يسوع يحمل صليبه**

**«سألهم بيلاطس: أأصلب ملككم.. فقال له عظماء الكهنة: ليس لنا ملك سوى القيصر. حينئذ سلّمه إليهم ليصلبوه. فأخذوا يسوع، وأخرجوه حاملاً صليبه إلى المكان المسمّى جلجلة»** (يو ١٩/١٥-١٧).

يسوع هو حمل الله حامل خطايا العالم. الصليب يمثّل خطايا جميع البشر، يحملها ليزيلها ويغسلها بنعمة الغفران المتفجّرة من دم المصلوب. إنّ ثقلها يفوق ثقل العالم الذي يسنده بقدرته الإلهيّة. الإله القدير يرتضي الذلّ ليرفع الإنسان من انحطاطه الخلقيّ والروحيّ والإنسانيّ. بحمل الصليب

يتضامن مع كلّ حاملي صلبان الحياة ليخفّف عنهم عبء الألم الروحيّ والمعنويّ والحسّيّ، وليعطي لآلامهم قيمة خلاصيّة، مشركًا إيّاهم في رسالة الفداء.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

في زمن الصوم الكبير نتقبّل معًا نصّ المجمع البطريركيّ المارونيّ الثالث، وهو بعنوان: **حضور الكنيسة المارونيّة في النطاق البطريركيّ**، في ضوء دعوتها ورسالتها التي تشكلّ هويّتها، كما يكشفها الملفّ المجمعيّ الأوّل بنصوصه الأربعة.

**الخطّة الراعويّة** تعني الهيكليّات القائمة في الرعيّة: المجالس واللجان والمنظّمات الرسوليّة والجماعات العائليّة والديريّة والجماعة الرعويّة. تجمعهم حول النصّ المجمعيّ لتقبّله أوّلاً، ثمّ للتفكير في ما يجب اتّخاذه من مبادرات عمليّة لتطبيقه.

تنحصر الخطّة الراعويّة لهذا الأسبوع في **مقدّمة النصّ** (الفقرات ١-٤).

١. شاءت العناية الإلهيّة لكنيستنا **حضورًا أصيلاً ومصيرًا** يندرجان في العالم العربيّ، لتبني حضارة المحبّة بالتلاقي والحوار مع المسلمين وأبناء هذه البقعة من العالم (فقرة ١). هذا الحضور يقتضي تفاعلاً بين المسيحيين والمسلمين، انطلاقًا من هويّتهم الحضاريّة المشتركة التي كوّنوها معًا؛ فإنّهم مسؤولون، بعضهم عن بعض، أمام الله والتاريخ، كما أكّد بطاركة الشرق الكاثوليك في رسالتهم الراعويّة لسنة ١٩٩١ (فقرة ٢).

٢. تقتضي الخطّة الراعويّة اتّخاذ مبادرات عمليّة **لتعزيز حوار الحياة** القائم على أربعة أسس، تشدّنا إلى مواطنينا المسلمين: الانتماء الوطنيّ الواحد، والأرض الواحدة، والهمّ الواحد، والمصير الواحد (فقرة ٢).

٣. الحضور المسيحيّ في هذا الشرق **عريق في القدم** على الصعيدين الدينيّ والثقافيّ، ويعني أن يكون المسيحيّون، وسط مجتمعهم، علامةً لحضور الله في عالمنا. علينا كمسيحيين أن نتجنّب نقيضين: **الانعزال** لأنّه يلغي رسالتنا، **والذوبان** لأنّه يقضي على هويّتنا. الحضور الأصيل يضمن الهويّة والرسالة معًا (فقرة ٣).

٤. حضورنا المسيحيّ في الشرق يقتضي منّا أن نتطلّع إلى **حوار** روحيّ وثقافيّ واجتماعيّ **مع يهود هذه المنطقة** ومع كلّ ذوي الإرادة الصالحة؛

**فندعو اليهود** إلى مسؤوليّتهم في إعادة السلام والعدل والاستقرار في مجتمعاتنا، وإلى الانفتاح على الشرق وتغيير نظرتهم إليه، بحيث يجدون مكانهم فيه على أسس جديدة.

**ونمدّ أيدينا إلى ذوي الإرادة الصالحة** لتعاون إنسانيّ صادق ومسؤول، بروح الأخوّة، وبالحوار وتبادل الخبرات في سبيل الخير العام (فقرة ٤).

***

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، إلهنا الكلّي القدرة، أنت الذي تحمل ثقل الكون، تحمل أيضًا ثقل خطايانا. فكما تعضد أجسادنا بعنايتك، كن أيضًا مخلّص نفوسنا بدمك الثمين المراق على صليب الفداء. لك المجد مع أبيك المبارك وروحك الحيّ القدّوس إلى الأبد، آمين (صلاة المكرّم الكردينال جون- هنري نيومن ١٨٠١-١٨٩٠).

الأحد ٢٥ شباط ٢٠٠٧

# الأحد الثاني من الصوم

## آية شفاء الأبرص

## الصوم زمن قبول محبّة الله ونشرها بالأعمال

### من إنجيل القدّيس مرقس ١/ ٤٠-٤٥

قال مرقس البشير: قام يسوع قبل طلوع الفجر، فخرج وذهب إلى مكان قفر، وأخذ يُصلّي هناك. ولحق به سمعان والذين معه، ووجدوه فقالوا له: «الجميع يطلبونك». فقال لهم: «لنذهب إلى مكان آخر، إلى القرى المجاورة، لأبشّر هناك أيضًا، فإنّي لهذا خرجت». وسار في كلّ الجليل، وهو يكرز في مجامعهم ويطرد الشياطين. وأتاه أبرص يتوسّل إليه، فجثا وقال له: «إن شئت، فأنت قادر أن تطهّرني!». فتحنّن يسوع ومدّ يده ولمسه، وقال له: «قد شئت، فاطهر!». وفي الحال زال عنه البرص، فطهر. فانتهره يسوع وصرفه حالاً، وقال له: «أنظر، لا تخبر أحدًا بشيء، بل إذهب وأرِ نفسك للكاهن، وقدّم عن طهرك ما أمر به موسى، شهادة لهم». أمّا هو فخرج وبدأ يُنادي بأعلى صوته ويذيع الخبر، حتّى أنّ يسوع لم يعد قادرًا أن يدخل إلى مدينة علانية، بل كان يقيم في الخارج، في أماكن مقفرة، وكان الناس يأتون من كلّ مكان».

***

آية شفاء الأبرص علامة مسيحانيّة: ابن الله المتجسّد، الطبيب الإلهيّ، يبحث عن الإنسان، كلّ إنسان، في عزلته ليخرجه منها بشفائه والعودة به

إلى حياة الجماعة. هذه هي الغاية من زمن الصوم الكبير، وهو رحلة صوم وصلاة وتصدّق نحو القيامة لحياة جديدة، بنعمة محبّة المسيح التي نقبلها وننشرها حولنا بشهادة حياتنا كما جرى للأبرص.

## ■ أوّلاً، معاني آية شفاء الأبرص

### ١. يسوع يبحث عن الأبرص

كانت الشريعة، في زمن يسوع، تقضي بأن يُقصى المصاب بالبرص عن الجماعة لسببين: لأنّ قروحه معدية، ولأنّ البرص عقاب إلهيّ على الخطيئة. إنّه بحسب الشريعة نجاسة معدية حسيًّا وخلقيًّا. يُنبذ الأبرص من الجماعة لحين شفائه وتطهيره الطقسيّ الذي يستلزم تقدمة عن الخطيئة، كما نقرأ في سفر الأحبار (الفصلان ١٣ و١٤). شفى يسوع الأبرص بكلمة، وأمره بالمثول أمام الكاهن ليعلن بسلطانه شفاءه، ويعيده إلى الجماعة سالمًا من نجاسته، وبتقديم القربان لله عن طهره للشهادة (مر ١/٤٢-٤٤).

لم يكن الأبرص عائشًا بين الناس، بل في مكان قفر. قضت الشريعة بأن "تكون ثيابه ممزّقة، وشعره مهدولاً، ويتلثّم على شفتيه وينادي: نجاسة نجاسة. وما دامت الإصابة فيه، يكون نجسًا. وعليه أن يقيم منفردًا، في خارج المحلّة" (أحبار ١٣/٤٥-٤٦). قَصَدَه يسوع إلى حيث يقيم. فلمّا رآه الأبرص، أتى إليه بثقة وشجاعة، ووقع على قدميه معلنًا إيمانه وملتمسًا الشفاء: "إذا شئت فأنت قادر أن تطهّرني" (مر ١/٤٠).

**الأبرص المنبوذ يشعر بأنّه متروك من الله والناس.** فكم ناجى الله بما ناجى يسوع أباه عندما نُبذ من الجميع، في بستان الزيتون، مردّدًا صلاة المزمور: "إلهي إلهي لماذا تركتني؟" (مر ١٥/٣٤؛ متّى ٢٧/٤٦؛ مر ٢٢/١).

في الرسالة بمناسبة الصوم لعام ٢٠٠٧، وهي بعنوان "**سينظرون إلى الذي طعنوا**" (يو ١٩/٣٧)، تكلّم قداسة البابا بندكتوس السادس عشر عن "**محبّة الله**" المعطاء، التي تبحث استئثاريًّا عن خير الآخر (agape)، والتي تتوق إلى الاتّحاد بالذي تحبّ، وترغب في امتلاكه (eros). هذا الأبرص المنبوذ أحبّه يسوع وأعاد إليه بهاء صورة الإنسان، بعد أن كان "يُستر الوجه عنه، ومزدرىً فلا يُعبأ به" (أشعيا ٥٣/٢). أحبّه وأعاد له الثقة بالنفس والسلام الداخليّ، وكرامة الشخص البشريّ ومكانه وسط الجماعة، من بعد أن "كان متروكًا ومزدرىً من الناس" (أشعيا ٥٣/٣).

هذه هي **محبّة الله الخلاصيّة** المتجلّية بشخص يسوع المسيح، ابن الله الذي تجسّد لكي يحمل إلينا، إلى جميع الناس، هذه المحبّة. إذا قبلها الإنسان وتجاوب معها يشفى من كلّ أنواع البرص، الحسّيّ والروحيّ والخلقيّ. وحدها المحبّة تشفي. وعندما يشفى الإنسان يصبح ملتزمًا بنقلها إلى الآخرين. الأبرص الذي شفي، خرج ينادي ويذيع خبر محبّة يسوع (مر ١/٤٥).

## ٢. الصوم الكبير زمن المحبّة والرحمة

اختبر **بولس الرسول** بدوره واقع الأبرص المنبوذ: "متروكًا في أخطار من اللصوص، وأخطار من بني قومي، وأخطار من الوثنيين... وأخطار من الأخوة الكذبة" (٢ كور ١١/٢٦).

كم من الناس **المنبوذين، المتروكين، المهملين: مرضى مزمنين** يعيشون الوحشة، **وأسرى مجهولين** في السجون بدون محاكمة، أو بدون سؤال عنهم، أو بدون معرفة مصيرهم أو مكان احتجازهم، **وفقراء وجياع** محرومين من لقمة العيش، **وأناس** يعانون أشدّ أنواع العذاب في مناقع

التعذيب، **وأشخاص** منتهكي الكرامة والحقوق بممارسة الظلم عليهم والغطرسة والاستضعاف. هؤلاء وأمثالهم أطلقوا بدورهم ويطلقون الصرخة عينها: "إلهي، إلهي، لماذا تركتني"؟

**شعبنا في لبنان** يختبر واقع النبذ: إنّه **منبوذ سياسيًّا** بحيث تمنع عليه المشاركة في الحياة العامّة بإرادة حرّة ومسؤولة، **ومحكوم عليه اقتصاديًّا** أن يعيش في حالة فقر وعوز وإفلاس لمصلحة غيره، **ومقصيّ اجتماعيًّا** عن حقوقه الأساسيّة، **ومحروم إداريًّا** من حقّه في الوظيفة والمنصب والتدرّج، على الرّغم من كفاءته ونجاحه، لدواعي المحسوبيّة والموالاة ومصالح أخرى خسيسة، **وممنوع ثقافيًّا من المحافظة** على هويّته اللبنانيّة وثقافته المتميّزة بالحريّات العامّة والديموقراطيّة التوافقيّة والتنوّع في الوحدة والمشاركة المنصفة في الحكم والإدارة.

**في الحقيقة لم يترك الله ذلك الأبرص.** بل كان معه، بمحبّته. ولهذا السبب عرفه الأبرص عندما رأى يسوع. عرفه بقلبه وبنور الايمان: "من رآني رأى الآب" (يو ١٤/٩). عرفه، لأنّ يسوع ذهب إليه، فتضامن معه، مستبقًا صيرورته مثله عندما سيحمل صليب الفداء وكلّ عاره وتتمّ فيه نبوءة أشعيا: "مزدرى ومتروك من الناس، رجل أوجاع، ومثل من يُستر الوجه عنه، مزدرى فلا نعبأ به. لقد حمل آلامنا واحتمل أوجاعنا، فحسبناه مصابًا ومضروبًا من الله ومذلّلاً. طُعن بسبب معاصينا، وسُحق بسبب آثامنا. نزل به العقاب من أجل سلامنا، وبجرحه شُفينا" (أشعيا ٥٣/٢-٥). إنّه متضامن مع كلّ متألّم، ومن خلاله يواصل آلام الفداء، وهو للجميع ينبوع الرجاء.

نقرأ في رسالة البابا بندكتوس بمناسبة الصوم: "**مسيرة الصوم** دعوة إلى كلّ إنسان ليخرج من ذاته ويدخل، بتسليم واثق، في قبضة محبّة الآب

الرحومة، مثل الأبرص الذي خرّ ساجدًا على قدمي يسوع (مر ١/٤٠).
"الصوم زمن قربانيّ نقبل فيه محبّة يسوع، ونتعلّم كيف ننشرها حولنا في كلّ حركة وكلمة: نفتح قلبنا على جراح الذين يتألّمون في كرامتهم البشريّة، ونندفع بمحبّة المسيح إلى محاربة كلّ أشكال الازدراء بالحياة واستغلال الأشخاص، وإلى التخفيف من مآسي العزلة والاهمال والحاجة للعديد من الأشخاص". ويختم قداسة البابا: "الصوم هو لكلّ مسيحيّ اختبار متجدّد لمحبّة الله التي تعطى لنا في المسيح، وهي محبّة توجب علينا أن نعطيها بدورنا لكلّ من يتألّم".

**إنّها المحبّة التي تصالح الإنسان مع أخيه الإنسان.**

شفى يسوع الأبرص حسيًّا وروحيًّا واجتماعيًّا، "فصالحه" مع ذاته ومع الله ومع المجتمع. عندما تحنّن عليه، مدّ يده ولمسه، وقال له: "لقد شئتُ فاطهَر"، وللوقت زال برصه وشفي (مر ١/٤١-٤٢). **صالحه مصالحة حسيّة** بتطهيره من برصه، **ومصالحة روحيّة** بإزالة خطيئته، وأمره أن يتمّ بدوره المصالحة الاجتماعيّة بتقديم القربان لله شهادة لشفائه، وبالحصول على حقّه في هذه المصالحة من الكاهن الذي سبق وأعلن نجاسته. هذا ما يجري عندما نتصالح مع الله بالتوبة والاعتراف.

**الصوم هو زمن المصالحة الشاملة**، زمن الشفاء؛ فالربّ هنا بنعمة الفداء لهذه الغاية. في كلّ يوم جمعة من زمن الصوم نحيي تذكار آلام الفادي، للدلالة أنّ شفاءنا ينبع من جرحه الخلاصيّ: "وبجرحه شُفينا" (أشعيا ٥٣/٥). كلّ واحد منّا يعاني من برص ما، روحيّ أو حسّيّ، معنويّ أو ماديّ، خلقيّ أو اجتماعيّ. وحده يسوع يأتي إلينا، متضامنًا معنا، شافيًا ومصالحًا، فنحمل هذه البشارة الجديدة للّذين ما زالوا في برصهم، كما فعل الأبرص.

هذا جرى لبولس الرسول: "في دفاعي الأوّل تركوني كلّهم. ولكنّ الربّ كان معي وقوّاني، لتُعلن البشارة عن يدي على أحسن وجه ويسمعها جميع الوثنيين، فنجوت من شِدق الأسد، وسينجّيني الربّ من كلّ مسعى خبيث، ويخلّصني فيجعلني لملكوته" (٢ طيم ٤/١٦-١٨). نأمل أن يأخذ الشعب اللبنانيّ في محنته هذا الموقف، ويصمد بقوّة الاقتناع.

### ٣. الحياة الوافرة بالمسيح أساس السلام

لم يكن المسيح، ابن الله المتجسّد، بعيدًا عن الأبرص، **بل جاء من أجله**، من أجل كلّ مجروح في نفسه وجسده وروحه، "ليصالحه" مع الله والناس والمجتمع. لقد تمّم المصالحة بتضامنه معنا في كلّ شيء، وتقديسه لكلّ حالة نحن فيها، وبإراقة دمه على الصليب فداءً عنّا: "أتيت لتكون لهم الحياة، وتكون وافرة" (يو ١٠/١٠).

**السيّدة Chiara Lubich**، مؤسّسة الفوكولاري، تعمّقت في سرّ الحياة الوافرة المعطاة لنا من آلام المسيح الخلاصيّة، فكتبت مخاطبة حبّ المسيح:

"لكي نكون في النور، جعلتَ نفسك أعمى.

لكي نكون في الوحدة، اختبرت الانفصال عن الآب.

لكي نمتلك الحكمة، جعلت نفسك "جاهلاً".

لكي نلبس البراءة، صرت "خاطئًا".

لكي نعيش في الرجاء، بلغت إلى حدّ اليأس.

لكي يكون الله فينا، اختبرته بعيدًا عنك.

لكي تكون لنا السماء، شعرت بالجحيم.

لكي تعطينا إخوة كثيرين على الأرض، أخليت السماء وعشت غريبًا ومزدرى على الأرض.

إنّك حقًّا الله، إلهنا، إله الحبّ اللامتناهي"!

كلّ هذا يدعى "**مصالحة**"، أي "حضارة المحبّة". نحن المؤمنين بالمسيح سفراء الله لها، على ما يقول بولس الرسول: "كلّ شيء صار جديدًا من الله الذي صالحنا مع نفسه بالمسيح، ووهبنا خدمة المصالحة، فنحن الآن سفراء المسيح، نسألكم أن تصالحوا الله لأجل المسيح" (٢ كور ٥/١٨و٢٠).

زمن الصوم يصالحنا مع الله بالتوبة إليه والاعتراف بخطايانا؛ ويدعونا لنكمّلها بالمصالحة مع الناس بمغفرة الاساءة ومعاملتهم بالرحمة والعدل، ومحبّتهم من كلّ القلب، وتجنّب الغضب والانتقام، والتحلّي بالقدرة على الصفح، والعمل على إحلال العدالة والسلام، ورفع الظلم والتعدّيات، واحترام حقوق الغير، وحفظ كرامتهم.

## ■ ثانيًا، زمن الصوم ومراحل درب الصليب

درب الصليب هو طريق التضامن الإلهيّ بالمسيح مع البشريّة، بل مع كلّ إنسان، في مسيرة هذه الدنيا وسقطاتها الروحيّة والمعنويّة والحسيّة. يسوع المسيح، ابن الله، المولود من امرأة، متضامن مع إخوته البشر، مع الإنسان المتألّم والتائه. يقطع معه الطريق الوعر حيث يسقط خاطئًا، مريضًا، فقيرًا، مظلومًا، مهجّرًا، معذّبًا، منفيًّا، مهمّشًا، أسيرًا، مستعبدًا، جريحًا. سقطات يسوع تحت ثقل الصليب ثلاث مرّات علامة لتضامنه مع كلّ إنسان يسقط في هذه الحالة أو تلك.

نبوءة أشعيا عن عبد الله المتألّم، كشفت هذا التضامن الإلهيّ مع الإنسان:

«مزدرىً ومتروك، رجل أوجاع. حمل آلامنا واحتمل أوجاعنا. طُعن بسبب معاصينا وسُحق بسبب آثامنا. نزل به العقاب من أجل سلامنا، وبجرحه شفينا» (أشعيا ٥٣/٢-٥).

### في المرحلة الثالثة، سقط يسوع للمرّة الأولى

تحت وطأة الظلم والتعب سقط. أسقطته خطايا البشريّة وشرورها. هو انتقام الشيطان - يقول المكرّم الكردينل جون نيومان في تأمّلاته بدرب الصليب. فالشيطان الذي سقط في البدء من السماء بحكم الخالق حكمًا عادلاً، انتقم من الله بإسقاط آدم وحوّاء في الفردوس، في خطيئة هي أساس كلّ سقطة يسقطها إنسان. وعندما صار ابن الله إنسانًا، وفي قبضة الشيطان، راح يحاول إسقاطه، فسقط يسوع من التعب سقوط المتضامن مع الإنسان، لا سقوط الخاطىء الذي يخالف إرادة الله.

### وفي المرحلة السابعة، سقط يسوع للمرّة الثانية

الشيطان الذي سقط مرّة ثانية عندما تجسّد ابن الله، حاول إسقاط يسوع، فجرّبه ثلاثًا في البريّة (متّى ٤/١-١١). لم يسقط يسوع بل الشيطان سقط بقوّة كلمة الله: "إليك عنّي يا شيطان، فإنّه مكتوب: للربّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد" (متّى ٤/١٠). هذا ما فعل الرسل عندما كانوا يخرجون الشياطين، وقال لهم يسوع: "رأيت الشيطان ساقطًا من السماء كالبرق" (لو ١٠/١٧-١٨). فانتقم إبليس وأسقط يسوع حسيًّا على الأرض مرّة ثانية.

### وفي المرحلة التاسعة، سقط يسوع للمرّة الثالثة

ويسقط يسوع تحت ثقل الصليب مرّة ثالثة، من دون أن يسقط روحيًّا أو معنويًّا. فكان آخر انتقام للشيطان، بعدما أدرك أنّه هو يسقط إلى الأبد بموت

المسيح وقيامته، كما أنبأ الربّ يسوع: "الآن يلقى أركون هذا العالم خارجًا. وأنا متى ارتفعت عن الأرض اجتذبت إليّ كلّ أحد" (يو ١٢/٣١-٣٢). بسقوط المسيح الثالث قبل أن يسلّم ذاته لصليب الفداء، كان تحرير البشر النهائيّ من سلطة الشيطان والخطيئة والشرّ: "فمن يؤمن به (وينظر إليه) لا يهلك، بل تكون له الحياة الأبديّة". مثلما كان اليهود ينظرون إلى الحيّة النحاسيّة ويشفون من لدغة الحيّة البرّية (يو ٣/١٤-١٥؛ سفر العدد ٢١/٩).

إنّ **قداسة البابا بندكتوس السادس عشر**، في رسالته إلى المؤمنين الكاثوليك في الشرق الأوسط (٢١ كانون الأوّل ٢٠٠٦) أبرز قيمة آلام الجماعات المسيحيّة في ضوء آلام المسيح، قال: "أليس نعمة أن نتمكّن من المشاركة في آلام المسيح، بانضمامنا إليه وهو يحمل على كتفه خطايانا ليكفّر عنا؟ ينبغي على الجماعات المسيحيّة الكاثوليكيّة التي تعيش غالبًا حالات صعبة، أن تدرك القوّة القديرة التي تأتي من آلالام التي تقبلها بمحبّة. بإمكان هذه الآلام أن تغيّر قلب الآخر وقلب العالم. إنّا نشجّع كلاًّ منكم أن يواصل بثبات طريقه الخاصّ، بالاعتماد على وعيه "الثمن" الذي افتداه به المسيح".

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

نواصل التفكير معًا في النصّ الثالث من المجمع البطريركيّ المارونيّ، وعنوانه: **حضور الكنيسة المارونيّة في النطاق البطريركيّ**، ونتناول تحديدًا **دعوتها في علاقتها بالاسلام في العالم العربيّ** (الفقرات ٥- ١١).

١. تزامنت نشأة الكنيسة البطريركيّة المارونيّة مع نشوء الاسلام، فعاشت معه محافظة على ذاتيّتها المارونيّة المتحرّكة بين قطبين: الأمانة لمارون، والأمانة للسدّة البطرسيّة الرومانيّة (البطريرك اسطفان الدويهي: تاريخ الأزمنة (فقرة ٥). كان لها معه أيّام عزّ وأيّام بؤس.

**يدعو المجمع البطريركيّ** إلى قراءة متأنّية وصريحة لخبرة الماضي المارونيّ-الاسلاميّ، من أجل تطهير الذاكرة والضمير، وإقصاء كلّ حقد مترسّب من موروث الماضي. هذا العمل يضع الأساس المتين لانطلاقة جديدة نحو بناء السلام الحقيقيّ، بطاعة متجدّدة لبهاء الحقيقة، وباحترام كرامة الآخرين وحقوقهم (فقرة ٦ و٧).

٢. تقرأ الجماعات الرعويّة حقبات الصدام والانفراج التي مرّت بها العلاقة المارونيّة-الإسلاميّة في العهود التالية: الأمويّ، والصليبيّ، والمملوكيّ، والعثمانيّ، وصولاً إلى الحرب اللبنانيّة الأخيرة ما بين سنة ١٩٧٥ و١٩٩٠ (الفقرات ٨-١١).

في كلّ هذه الحقبات حافظ الموارنة على الأغليين: إيمانهم الكاثوليكيّ مع الأمانة لمار مارون، وممارسة الحريّة؛ وهما متأصّلتان في أرض لبنان.

***

**صلاة**

أيُّها الربّ يسوع، بسقوطك ثلاثًا تحت الصليب، حررّتنا جميعًا من الخطيئة، نحن الذين سقطنا ببؤس تحت سلطانها. علّمنا أن نتألّم معك، وألاّ نخاف هجمات الشيطان والأشرار عندما تأتي نتيجة لمقاومتنا لها. إنّنا نكرّم آلامك، أيُّها المسيح، بتهيّب وخشوع، أنت الذي ارتضيت أن تكون ضحيّة الشرّير لتنقذنا من شرّه الأبديّ. لك المجد والشكر ولأبيك الذي أرسلك وروحك القدّوس الذي نفحتنا به للحياة الجديدة، آمين (صلاة الكردينال Newman).

# الأحد الثالث بعد الصوم

## شفاء النازفة

## شفاء الانسان الروحيّ أساس السلام

### من إنجيل القدّيس لوقا ٨/٤٠-٥٦

قال لوقا البشير: لمّا عاد يسوع، استقبله الجمع، لأنّهم جميعهم كانوا ينتظرونه. وإذا برجل اسمه يائيرس، وكان رئيس المجمع، جاء فارتمى على قدمي يسوع، وأخذ يتوسّل إليه أن يدخل بيته، لأنّ له ابنة وحيدة، عمرها نحو اثنتي عشرة سنة، قد أشرفت على الموت. وفيما هو ذاهب، كان الجموع يزحمونه. وكانت امرأة مصابة بنزف دم منذ اثنتي عشرة سنة، ولم يقدر أحد أن يشفيها. دنت من وراء يسوع، ولمست طرف ردائه، وفجأة وقف نزف دمها. فقال يسوع: «من لمسني؟». وأنكر الجميع. فقال بطرس ومن معه: «يا معلّم، إنّ الجموع يزحمونك ويضايقونك!». فقال يسوع: «إنّ واحدًا قد لمسني! فإنّي عرفت أنّ قوّة قد خرجت منّي!». ورأت المرأة أن أمرها لم يخفَ عليه، فدنت مرتعدة وارتمت على قدميه، وأعلنت أمام الشعب كلّه لماذا لمسته، وكيف شفيت للحال. فقال لها يسوع: «يا ابنتي إيمانك خلّصك، إذهبي بسلام!».

وفيما هو يتكلّم، وصل واحد من دار رئيس المجمع يقول: «ماتت ابنتك! فلا تزعج المعلّم!». وسمع يسوع فأجابه: «لا تخف! يكفي أن تؤمن فتحيا ابنتك!». ولمّا وصل إلى البيت، لم يدع أحدًا يدخل معه سوى بطرس ويوحنّا ويعقوب وأبي الصبيّة وأمّها. وكان الجميع يبكون عليها ويقرعون صدروهم. فقال: «لا تبكوا! إنّها لم تمت. لكنّها نائمة!». فأخذوا يضحكون

منه لعلمهم بأنّها ماتت. أمّا هو فأمسك بيدها ونادى قائلاً: «أيّتها الصبيّة، قومي!». فعادت روحها إليها، وفجأة نهضت. ثمّ أمر بأن يطعموها. فدهش أبواها، وأوصاهما يسوع ألاّ يخبرا أحدًا بما حدث.

***

اللقاء بيسوع يشفي. وهو لقاء إيمان الانسان بقدرة الله الشافية، ولقاء الرجاء الذي يتوق إليه كلّ إنسان. عندما فقدت المرأة، التي تعاني من نزف دمها منذ اثنتي عشرة سنة، أملها بالشفاء، وقد أنفقت كلّ مالها على الأطبّاء بدون جدوى، بحثت عن يسوع بإيمان فشفاها. إنّها تمثّل حالة كلّ إنسان يعاني من نزف روحيّ أو خلقيّ أو ماديّ، وحالة شعب ووطن يعانيان من نزف في القيم والمقوّمات والامكانيّات. تكشف اللوحة الإنجيليّة ملامح أسرار الخلاص.

## ■ أوّلاً، مضمون النصّ الانجيليّ

### ١. اللوحة الانجيليّة وملامح اسرار الخلاص

كان الجمع الغفير ينتظر يسوع لدى رجوعه لأنّه قبلة انتظار كلّ إنسان وشعب يؤمن به: "**تعال، أيّها الربّ يسوع!**" (رؤيا ٢٢/٢٠). المسيح، فادي الإنسان، حيّ وآتٍ أبدًا في حياتنا اليوميّة، كما وعد: "ها أنا آتٍ أجعل كلّ شيء جديدًا. أنا الألف والياء، الأوّل والآخر. أنا أعطي العطشان من معين ماء الحياة مجّانًا" (رؤيا ٢١/٥-٦). الايمان عطش إلى المسيح.

**يائيرس**، رئيس المجمع، "**عطش**"، آمن بيسوع فانتظر ووقع ساجدًا على قدميه متوسّلاً أن يأتي بيته ليشفي ابنته الصبيّة المشرفة على الموت. و"**عطشت**" إلى يسوع المرأة **النازفة** وانتظرته، و**آمنت** أنّها إذا استطاعت

لمس طرف ثوبه تشفي. العطش إلى يسوع المسيح هو عطش إلى الله الواحد والثالوث: **الآب** الذي يخلق ويحفظ بعنايته، **الابن** الذي يخلّص ويشفي، و**الروح القدس** الذي يشرك بالحياة الإلهيّة. بقوّة هذا الإيمان أقام يسوع ابنة يائيرس من الموت بندائه: "يا صبيّة قومي". فعادت روحها إليها، وللوقت قامت (لو ٨/٥٤-٥٥). وشفى المرأة النازفة بلمس طرف ثوبه: "وحالاً وقف نزف دمها" (لو ٨/٤٤).

**هذا الإيمان والخلاص متواصلان في أسرار الكنيسة السبعة.**

**تؤمن** الكنيسة أنّ الربّ يسوع أسّس الأسرار السبعة لتكون "**أداة**" لحضوره معنا ولعمل الله الثالوث فينا، و**علامة** لنعمة الخلاص ومنحًا لها. الأسرار هي: المعموديّة، التثبيت، القربان، التوبة، مسحة المرضى، الزواج، الكهنوت.

في إنجيل اليوم كانت "**الأداة**" لمس النازفة طرف ثوب يسوع، وذهاب الربّ إلى بيت يائيرس ومناداته الفتاة الميّتة: "يا صبيّة قومي". وكانت "**النعمة**" الشفاء من النزيف والقيامة من الموت. لا يستطيع أحد أن يقبل نعمة الخلاص والحياة الجديدة من دون **أداة** الأسرار.

**يسوع المسيح** هو **سرّ الخلاص بامتياز**، فمنه تتفجّر أسرار الخلاص السبعة. ببشريّته "كأداة" أنجز فعل الخلاص في النفوس، ويواصله بواسطة هذه الأسرار. و**الكنيسة** هي، في المسيح، نوعًا ما **سرّ**، أي العلامة والأداة في آن للاتّحاد العميق بالله ولوحدة الجنس البشريّ بأسره (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ١). **إنّها "أداة"** المسيح لفداء جميع الناس. وبهذا المعنى هي "سرّ الخلاص الشامل" (المرجع نفسه، ٤٨)، من خلالها وبواسطتها تظهر محبّة الله للبشر (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٧٧٤-٧٧٦).

الأسرار هي "**أسرار الإيمان**"، لأنّها تفترضه، وتغذّيه بكلماتها ورموزها وأفعالها وتقوّيه وتعبّر عنه (القرار المجمعيّ في الليتورجيّا، ٥٩). إيمان الكنيسة يسبق إيمان المؤمنين. عندما تحتفل بالأسرار، تعلن الايمان الذي قبلته من الرسل، وتقول: "**قاعدة الصلاة قاعدة الإيمان**"، بمعنى أنّ الكنيسة تؤمن كما تصلّي (التعليم المسيحيّ، ١١٢٤).

أعلن يسوع للمرأة النازفة التي شفيت بمجرّد لمس ثوبه: "**تشجّعي يا ابنتي! إيمانك أحياكِ، اذهبي بسلام**" (لو ٨/٤٨). من أجل هذا الاعلان سأل بالحاح: من لمسني؟ واحد لمسني لأنّ قوّة خرجت منّي. من "يلمس بإيمان" الأسرار يَنَلِ النعمة الإلهيّة التي تحملها، وهي قوّة تخرج من جسد المسيح الحيّ والمحيي. هكذا جرى مع الكثيرين من المرضى والمعذّبين حسب شهادة لوقا الإنجيليّ: "كان الجميع يطلبون أن يلمسوه، لأنّ قوّة كانت تخرج منه وتشفيهم جميعًا" (لو ٦/١٩). عندما جاء مرسلون من بيت يائيرس يقولون له: "إنّ ابنتك ماتت، فلا تتعب المعلّم"، فقال له يسوع الكلام عينه: "لا تخف! آمن فقط، وهي تحيا" (لو ٨/٤٩-٥٠).

والأسرار هي "**أسرار الخلاص**"، لأنّها ضروريّة لخلاص المؤمنين، إذ تمنحهم نعمة الحياة الإلهيّة بالروح القدس الذي يشفي ويبدّل قابليها بجعلهم شبيهين بابن الله في بشريّته (المرجع نفسه، ١١٢٩).

شفاء النازفة وقيامة ابنة يائيرس من الموت هما تعبير عن نعمة الأسرار. عندما نحتفل بالأسرار بإيمان، تعطينا النعمة التي تدلّ عليها وتعنيها. فللأسرار فاعليّة، لأنّ المسيح يعمل فيها: هو الذي يعمّد، هو الذي يعمل في كلّ سرّ لكي ينقل بواسطته النعمة التي يعنيها.

بهذا المعنى علّمت الكنيسة أنّ **الأسرار تعمل "بفعل المفعول"** أي بذات

الفعل المتمّم، أعني بقوّة فعل المسيح الخلاصيّ الذي تمَّ مرّة واحدة، وتحقّق بقوّة الروح القدس في كلّ مرّة نحتفل بسرّ. ليس برّ الإنسان الذي يمنح السّر أو يقبله هو الذي يحقّق مفاعيل السّرّ، بل قدرة الله؛ غير أنّ ثماره مرتبطة باستعدادات الشخص الذي يقبله (التعليم المسيحيّ، ١١٢٧-١١٢٨).

### ٢. نزيف القيم الانسانيّة والامكانات الوطنيّة والحقوق الأساسيّة وقضيّة السلام

كلّ إنسان يعاني من نزيف ما، **في جسده** من جرّاء مرض أو إعاقة أو ثقل السنين، **أو في نفسه** بسبب خطاياه المتراكمة التي تفقده القيم والفضائل الروحيّة والخلقيّة، **أو في روحه** بسبب الهموم والحزن والقلق والهواجس فيفقد الرجاء وينطوي على ذاته؛ بل **شعبنا ومجتمعنا والوطن** يعانون من نزف اجتماعيّ واقتصاديّ وسياسيّ، إلى جانب نزف القيم التي لا مجال لقيامة بدونها.

**ماليًّا**، الدين العامّ يتعاظم، والعجز يتفاقم، ومعظم واردات البلاد تذهب لتسديد جزء من فوائده، والضرائب حوّلت لبنان إلى جهنّم ضريبيّة وحياتيّة ومعيشيّة. **اقتصاديًّا**، الدورة الاقتصاديّة في جمود، والشلل يعمّ الصناعة والزراعة والتجارة. **اجتماعيًّا**، الفقر يتزايد، والدواء والأقساط المدرسيّة والجامعيّة ترتفع، وموجة الهجرة إلى الخارج تتكاثر. **إداريًّا**، الفساد يستشري على كلّ صعيد بفعل طوفان المال السياسيّ، والرشوة تشترط كلّ عمل إداريّ. **سياسيًّا**، ممارسة الديموقراطيّة تتلاشى، وآليّات المحاسبة والمساءلة تتعطّل: فلا المواطن يحاسب ويسائل نوّابه، ولا النوّاب الحكومة، ولا الحكومة الإدارة؛ والقضاء يتعرّض للضغوط السياسيّة؛ والحالة المذهبيّة والطائفيّة تتجذّر؛ والمؤسّسات الدستوريّة تتعطّل؛ والأحزاب والقوى السياسيّة تتفكّك وتتشرذم.

بنتيجة هذا النزيف في الامكانات الوطنيّة، تنزف حقوق الإنسان الأساسيّة المرتبطة بطبيعته البشريّة وبكرامة الشخص البشريّ، ويقوّض السلام. **من بين هذه الحقوق على المستوى الشخصيّ، الحقّ في الحياة والحقّ في الحريّة الدينيّة**.

أثار قداسة البابا بندكتوس السادس عشر هذين الحقّين في رسالته بمناسبة يوم السلام العالميّ، في أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧، وهي بعنوان: **الشخص البشريّ قلب السلام**. وقال: "على احترام حقوق الانسان يبنى السلام. فلا يحقّ لمن ينعم بالسلطة السياسيّة والاقتصاديّة والتكنولوجيّة أن ينتفع منها لينتهك حقوق الأشخاص الأقلّ حظًّا. إنّ واجب احترام كرامة الشخص البشريّ لا يسمح لأحد أن يتعاطى معه على هواه، لأنّ طبيعته تعكس صورة الخالق.

فلا بدّ من **احترام حقّه في الحياة** عبر كلّ مراحلها، ومن التنديد بكلّ أنواع الانتهاكات لها، ولاسيّما: النزاعات المسلّحة والارهاب والعنف والتجويع والتعذيب والاجهاض والاختبارات الطبيّة على الأجنّة والموت الرحيم. **هذه كلّها عمليّات اغتيال للسلام**، لأنّها ترفض الآخر وإقامة علاقات سلاميّة دائمة معه. ومن الواجب **أن يُحترم حقّه في الحريّة الدينيّة** والتعبير الحرّ عن إيمانه الشخصيّ. لكنّ هذا الحقّ منتهك بأشكال شتّى، مثل: منع التعبير العلنيّ والحرّ، واضطهاد المسيحيّين في بعض البلدان وممارسة العنف بحقّهم، وفرض دين واحد للدولة في بعض الأنظمة، والسخرية الثقافيّة المنظّمة للمعتقدات الدينيّة في الأنظمة اللامبالية بالدين. **هذه كلّها تعزّز ذهنيّة وثقافة منافية للسلام** (الفقرات ٤-٦).

وأضاف قداسة البابا: "**السلام الحقيقيّ والدائم** يفترض **احترام حقوق**

**الانسان** المتجذّرة في مقتضيات طبيعته. إنّها حقوق مطلقة، لكنّها تضعف إذا كان أساسها، الذي هو الشخص البشريّ، ذا مفهوم نسبيّ. هذا يعني أنّ الشخص هنا ينعم بجميع الحقوق، والشخص هناك لا ينعم بها كلّها أو يحرم منها، وفقًا للزمان والمكان (فقرة ١٢).

**ومن بين الحقوق الأساسيّة على المستوى الوطنيّ**، تذكر الرسالة العامّة "السلام على الأرض" الحقّ المرتبط بكرامة الشخص البشريّ، وهو الحقّ في المشاركة النشطة في الشؤون العامّة والمساهمة في الخير المدنيّ العامّ. فالانسان أبعد من أن يكون أداة في الحياة الاجتماعيّة وعنصرًا هامدًا فيها. إنّما هو، ويجب أن يكون مفعّلاً لها وأساسها وغايتها (فقرة ٢٦).

ويذكّر قداسة البابا بندكتوس السادس عشر، في "**رسالته إلى الأساقفة والكهنة والمؤمنين الكاثوليك في الشرق الأوسط**" (٢١ كانون الأوّل ٢٠٠٦) **بآفة الهجرة** التي تصيب المسيحيين بنوع خاصّ. ويحذّر من الوقوع في تجربتها، ومن الاستسلام والتشاؤم والاحباط والخوف. بل يدعو إلى الاعتماد على الرجاء المسيحيّ الذي لا يخيّب، لأنّه يقوم على حضور الربّ القائم من الموت، ومنه يأتي الالتزام بالإيمان وفاعليّة المحبّة (١ تسا ١/٣). ويشدّد على ضرورة حوار الحياة، الذي يتحوّل شيئًا فشيئًا إلى حوار ثقافيّ واجتماعيّ وسياسيّ.

## ■ ثانيًا، زمن الصوم ومراحل درب الصليب

درب الصليب هي درب كلّ إنسان، وبخاصّة درب كلّ تلميذ في مدرسة المسيح. هذا المعلّم قال: "من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه، ويحمل صليبه ويتبعني" (متّى ١٠/٤). فليتبعني دائمًا حتّى الجلجلة. قرب الصليب كانت مريم أمّه، أولى التلاميذ، وكان التلميذ الذي كان يسوع يحبّه. هناك أعطى

أمثولته السُّميا: "ما من حبٍّ أعظم من هذا، وهو أن يبذل الإنسان نفسه عن أحبّائه" (يو ١٥/١٣).

**في المرحلة الرابعة، يسوع يلتقي أمّه.**

هي مريم شريكة الفداء. لقد رافقت يسوع وشاركته في كلّ مراحل حياته: حملته إلى الهيكل وقدّمته لأبيه السماويّ، وهو ابن ثمانية أيّام؛ حملته على ذراعيها عندما سجد له المجوس؛ هربت به إلى مصر من وجه هيرودس؛ رافقته إلى هيكل أورشليم عندما بلغ الثانية عشرة وتألّمت شديد الألم لضياعه؛ عاشت معه ثلاثين سنة في الناصرة؛ شاركت معه في عرس قانا الجليل وتشفّعت لديه، فكانت معجزته الأولى بتحويل الماء إلى خمر؛ عندما انفصل عنها للكرازة بملكوت الله، لم تغب عنه، بل كثيرًا ما كانت تصغي إلى تعليمه مع الجماهير. وها هي على طريقه فيما كان يحمل صليبه ويعبر درب الألم الخلاصيّ نحو الجلجلة. عندما جعلها يسوع أمًّا للبشريّة المتألّمة بشخص يوحنّا، أصبحت رفيقة درب كلّ إنسان يتألّم: تقدّس آلامه وتعزّيه وتخفّف من أوجاعه.

**في المرحلة الخامسة، سمعان القيروانيّ يساعد يسوع في حمل الصليب**

**«وفيما كانوا منطلقين به، أمسكوا سمعان القيروانيّ، وكان راجعًا من الحقل، وجعلوا عليه الصليب ليحمله وراء يسوع»** (لو ٢٣/٢٦).

كان في استطاعة يسوع أن يحمل وحده الصليب، لو أراد. لكنّه سمح لسمعان أن يساعده، ليذكّرنا بواجب المشاركة في آلامه والمساهمة في عمل خلاصنا الشخصيّ وفداء العالم. إنّ استحقاقات يسوع غير متناهية؛ ومع ذلك يرتضي منّا، نحن شعبه، أن نضمّ إليها استحقاقاتنا. إنّ قداسة مريم

وآلامها ودماء الشهداء وصلوات القدّيسين وتقشّفاتهم، وأعمال كلّ المؤمنين الصالحة، تشارك في عمله الذي، في كلّ حال وحتّى من دون هذه المساهمات البشريّة، يبقى كاملاً. إنّه يخلّصنا بدمه، ويخلّصنا أيضًا بواسطتنا ومعنا (المكرّم الكردينال نيومان).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ الثالث من المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: **حضور الكنيسة المارونيّة في النطاق البطريركيّ.** ومن خلال التفكير معًا، نلتزم بمبادرات تطبيقيّة.

في إطار **خبرة الماضي المارونيّ - الاسلاميّ وثوابت التاريخ**، يقدّم لنا النصّ المجمعيّ وجهًا مشرقًا في مسار كنيستنا خلال الحقبتين العثمانيّة والحديثة، هو **النهضة المارونيّة الثقافيّة العربيّة والاجتماعيّة والسياسيّة** (الفقرات ١٤-٢٢).

١. بدأت طلائع النهضة المارونيّة الثقافيّة مع تلامذة المدرسة المارونيّة في روما سنة ١٥٨٤. فعزّزوا **علم الاستشراق في أوروبا**، ترجمة وطباعةً وتدريسًا وضبطَ محفوظات، حتّى قيل في الغرب "عالم كمارونيّ" (فقرة ١٥).

٢. قام الموارنة **بنهضة عربيّة مماثلة في جبل لبنان** عندما استقدموا سنة ١٦١٠ أوّل مطبعة في الشرق بالحرف السريانيّ إلى دير مار أنطونيوس قزحيّا، ثمّ تلتها أوّل مطبعة بالحرف العربيّ سنة ١٧٣٤ في دير مار يوحنّا الصابغ في الخنشاره على يد الشمّاس عبدالله الزاخر والأب اليسوعيّ بطرس فروماج. وعمّم المجمع اللبنانيّ المارونيّ المنعقد سنة ١٧٣٦ التعليم الشعبيّ المجّانيّ وتعليم البنات. وتأسّست

المدارس المارونيّة على النمط العربيّ، فكان أوّل معهد للتعليم العالي في مدرسة عين ورقة سنة ١٧٨٩، حيث دُرّست خمس لغات: العربيّة والسريانيّة واللاتينيّة والإيطاليّة والفرنسيّة (فقرة ١٥).

٣. وواصل الموارنة **النهضة الثقافيّة في جبل لبنان** بترجمة المصنّفات اللاهوتيّة والفلسفيّة والدينيّة المهمّة من اللاتينيّة إلى العربيّة خلال القرن الثامن عشر. وأدخلوا اللغة العربيّة إلى الوجدان الشعبيّ المارونيّ مع الرائد الأهمّ في النهضة العربيّة المطران جرمانوس فرحات (١٦٧٠-١٧٣٢)، واضع أوّل كتاب قواعد في اللغة العربيّة "بحث المطالب"، فكان هذا الأسقف المارونيّ الحلبيّ، من خلال مؤلّفاته ودواوينه الشعريّة، الساعي الأكبر إلى مؤالفة الإيمان المسيحيّ للثقافة العربيّة (فقرة ١٦). وهكذا مهّد الموارنة الطريق أمام عصر النهضة في العالم العربيّ الذي بدأ في مصر مع حملة بونابرت سنة ١٧٨٩. وكان للموارنة مساهمة واسعة في هذه النهضة (فقرة ١٧)، وفي ربط العالم العربيّ بالحداثة، فتوثّقت العرى بين الكنيسة المارونيّة والحضارة العربيّة (فقرة ١٨).

٤. **في عهد الإمارتين المعنيّة والشهابيّة**، قام الموارنة بنهضة سياسيّة واجتماعيّة، فتكوّن لهم في لبنان كيان سياسيّ شَراكيّ جيّد مع الدروز، بالتوازي مع كيانهم الكنسيّ الذي نظّمه المجمع اللبنانيّ (١٧٣٦). وفي **عهد المتصرفيّة**، ولاسيّما مع **قيام دولة لبنان الكبير**، كان إنجاز تاريخيّ في العالم العربيّ، هو قيام مجتمع مدنيّ مؤسّس على الحريّات العامّة، متعدّد الفئات الدينيّة، ضمن استقلاليّة سلطة الدولة عن الشرعين الإسلاميّ والمسيحيّ. وكان للبطريرك الياس الحويّك دور تاريخيّ في

**قيام النموذج اللبنانيّ الشراكيّ التوافقيّ الحرّ بين المسيحيّين والمسلمين** (فقرة ١٨).

٥. تُوّجت سلسلة النهضات الثقافيّة والسياسيّة والاجتماعيّة بقيام دولة لبنان المستقلّ على **ميثاق عيش مشترك** بين المسيحيّين والمسلمين ببعديه: الحريّة الكاملة للمواطنين الأفراد، والشراكة التعدّديّة التضامنيّة بين عائلات لبنان الدينيّة (فقرة ١٩). وبذلك دخل الموارنة في عهد جديد من تاريخ المسيحيّين والمسلمين هو "تجاوز العلاقة التصادميّة بين الإسلام والمسيحيّة، عمرها ما يزيد على الألف سنة. وبنوا نموذجًا لوطن، دعوته الحريّة في الحقيقة (فقرة ٢٠). وقام هذا النموذج على شراكتين بين المسيحيّين والمسلمين:

**شراكة الثقافة**، وعمادها الالتزام بمركزيّة اللغة العربيّة، وبتحديثها الدائم استنادًا إلى جذورها الحضاريّة السريانيّة واليونانيّة، وبتفاعلها مع اللغات الثقافيّة الحيّة المولّدة للحداثة.

و**شراكة المصير**، وقوامها الالتزام بنهائيّة الوطن اللبنانيّ وتأسيسه على مفاهيم الكرامة الإنسانيّة، وحقوق الإنسان الأساسيّة، وعلى الرفض النهائيّ لمقولة الأقليّة وللاحكام التسامحيّة في الذمّة (فقرة ٢٢).

***

**صلاة**

أيُّها الربّ يسوع، يا إلهنا المحبوب، علّمنا في هذا الصيام أن نتألّم معك، حبًّا بك ومن أجل فداء العالم. قدّس آلامنا باستحقاقاتك، وضمّ إليها دماء

الشهداء ودموع الأبرياء وأوجاع المتألّمين في الجسد والنفس والروح. إليك يا مريم أمّنا، نوجّه أنظارنا في الضيقات، فارشدينا إلى الثبات في الرجاء حتّى يتجلّى مجد ابنك القائم من الموت فينا وفي العالم. لك الاكرام والشكر، وللابن الوحيد السجود مع الآب والروح القدس، إلى الأبد، آمين (مقتبسة من صلاة المكرّم الكردينال نيومان).

الأحد ١١ آذار ٢٠٠٧

# الأحـد الرابع من الصوم

## مثل الابن الشاطر
## الخطيئة والتوبة والمصالحة

### من إنجيل القدّيس لوقا ١٥/١١-٣٢

«كان لرجل إبنان. فقال أصغرهما لأبيه: يا أبي، أعطني حصّتي من الميراث. فقسم لهما ثروته. وبعد أيّام قليلة، جمع الابن الأصغر كلّ حصّته، وسافر إلى بلدٍ بعيد. وهناك بدّد ماله في حياة الطيش. ولمّا أنفق كلّ شيء، حدثت في ذلك البلد مجاعة شديدة، فبدأ يُحسّ بالعوز. فذهب ولجأ إلى واحد من أهل ذلك البلد، فأرسله إلى حقوله ليرعى الخنازير. وكان يشتهي أن يملأ جوفه من الخرنوب الذي كانت الخنازير تأكله، ولا يعطيه منه أحد. فرجع إلى نفسه وقال: كم من الأجراء عند أبي، يفضل الخبز عنهم، وأنا ههنا أهلك جوعًا! أقوم وأمضي إلى أبي وأقول له: يا أبي، خطئت إلى السماء وأمامك، ولا أستحقّ بعد أن أدعى لك ابنًا، فاجعلني كأحد أجرائك! فقام وجاء إلى أبيه. وفيما كان لا يزال بعيدًا، رآه أبوه، فتحنّن عليه، وأسرع فألقى بنفسه على عنقه وقبّله طويلاً. فقال له ابنه: يا أبي، خطئت إلى السماء وأمامك، ولا استحقّ بعد أن أدعى لك ابنًا... فقال الأب لعبيده: أسرعوا، أخرجوا الحلّة وألبسوه، وأجعلوا في يده خاتمًا، وفي رجليه حذاء، وأتوا بالعجل المُسمّن واذبحوه، ولنأكل ونتنعّم، لأنّ ابني كان ميتًا فعاش، وضائعًا فوُجد. وبدأوا يتنعّمون. وكان ابنه الأكبر في الحقل. فلمّا جاء واقترب من البيت، سمع غناءً ورقصًا. فدعا واحدًا من الغلمان وسأله: ما عسى أن يكون هذا؟ فقال له: جاء أخوك، فذبح أبوك العجل

المسمّن، لأنّه لقيه سالمًا. فغضب ولم يرد أن يدخل. فخرج أبوه يتوسّل إليه. فأجاب وقال لأبيه: ها أنا أخدمك كلّ هذه السنين، ولم أخالف لك يومًا أمرًا، ولم تعطني مرّة جديًا لأتنعّم مع أصدقائي. ولكنْ، لمّا جاء ابنك هذا الذي أكل ثروتك مع الزواني، ذبحت له العجل المسمّن! فقال له أبوه: يا ولدي، أنت معي في كلّ حين، وكلّ ما هو لي هو لك. ولكنْ، كان ينبغي أن نتنعّم ونفرح، لأنّ أخاك هذا كان ميتًا فعاش، وضائعًا فوجد».

***

يسوع المسيح، المعلّم الإلهيّ، يكشف كرامة **الشخص البشريّ**، التي **يفقدها** الإنسان بخطيئته مبتعدًا عن الله مصدرها، **ويستعيدها** بعودته إليه **بالتوبة**، فيصالحه الله **ويلبسه** من جديد **حلّة البنين**. إنّه إنجيل الرحمة الإلهيّة والمصالحة في اتّجاهاتها الأربعة: مع الله، مع الذات، مع الأخوة، ومع الخليقة كلّها (البابا يوحنّا بولس الثاني: المصالحة والتوبة، ٨).

## ■ أوّلاً، شرح المثل الانجيليّ

### ١ .مثل الابن الشاطر محور آحاد الصوم

هذا المثل هو إنجيل الخطيئة والتوبة والمصالحة، يأتي في الأحد الرابع من الصوم. يتمحور حوله ثلاثة آحاد سابقة، وثلاثة لاحقة. الأحد **الأوّل**، في مدخل الصوم، هو **بمثابة مقدّمة**، وفيه تذكار تحويل الماء إلى خمر في عرس قانا الجليل، للدلالة أنّ الصوم الكبير هو **زمن التغيير**. فالذي حوّل الماء إلى خمر، وحوّل فيما بعد الخمر إلى دم المسيح، إنّما يريد أن يحوّل باطن الإنسان بإعطائه الحياة الجديدة بالروح القدس. **والأحد السابع**، الشعانين، هو **بمثابة هدف**، وفيه الوصول إلى الميناء بلقاء يسوع المسيح الخلاصيّ وبدء مسلك جديد، من خلال تذكار دخوله ملكًا فاديًا إلى مدينة أورشليم.

الأحدان الثاني والثالث قدّما آيتي **التغيير**: شفاء الأبرص والمرأة النازفة. البرص رمز الخطيئة التي تشوّه صورة الله في الإنسان، ونزيف الدم رمز انهيار القيم الروحيّة والخلقيّة والإنسانيّة والاجتماعيّة من جرّاء الخطيئة.

والأحدان الخامس والسادس سيقدّمان آيتي **المسلك الجديد**: شفاء المخلّع والأعمى؛ مَشْي المخلّع يرمز إلى التصرّف الجديد، وبصر الأعمى يرمز إلى الرؤية الجديدة. فالمخلّع هو رمز الخاطيء الذي تنشلّ فيه قوى الخير، والأعمى رمز الخاطيء الذي يتخبّط في ظلمة الشرّ.

هذه السلسلة المتكاملة من **التغيير والانطلاق**، بفضل نعمة المسيح، هي مسيرة طريق على مدى أربعين يومًا، تهيّئنا للفصح. هذا العبور من قديم الخطيئة إلى جديد النعمة، هو طريق صوم وصلاة وأعمال محبّة، يتخلّله جهاد ضدّ تجارب الشيطان على مثال الربّ يسوع في البريّة، حيث صام أربعين يومًا وانتصر على تجارب إبليس (متّى ٤/١-١١).

"**الوصول إلى الميناء**" يعني "بلوغ الشخص البشريّ إلى المعنى الحقيقيّ لوجوده: أي السلام والحبّ والفرح، عندما يتحرّر من عبوديّة الكذب والخطيئة، بفعل طاعة الإيمان التي تقوده إلى الحقيقة" (البابا بندكتوس السادس عشر، صلاة التبشير الملائكيّ في ٥ آذار ٢٠٠٦). لوحة الابن الشاطر تعني اكتساب قلب جديد وروح جديدة، من خلال الاهتداء إلى الله والتماس رحمته. لا تقف قيمة الصوم عند حدود ممارسات خارجيّة وطقوسيّة، بل تلج إلى عمق القلب الذي يقترب من الله، وبالتالي من الحقّ والبر والصلاح (يوئيل ٢/١٢-١٨).

**الوصول إلى الميناء** يقتضي نضالاً روحيًّا بسلاح الصوم والصلاة والتوبة

ضدّ الشرّ، وضدّ كلّ أنانيّة وبغض، بتواضع وصبر وثبات وسخاء. فيصبح المسيحيّون شهودًا ورسلاً للسلام، وقادرين على إعطاء جواب مسيحيّ بوجه العنف الذي يهدّد السلام في العالم. وهو جواب من يتبع المسيح على طريق الصليب والحبّ المتفاني، بحيث يلتزم بالمعركة ضدّ الشرّ بالخير، وضدّ الكذب بالحقيقة، وضدّ البغض بالحبّ" (البابا بندكتوس السادس عشر، عظة بدء الصوم، أوّل آذار ٢٠٠٦).

**٢. فقدان الكرامة البشريّة بالخطيئة**

يصف السيّد المسيح الحالة التي بلغ إليها الابن الأصغر، عندما ابتعد عن أبيه وبيته الوالديّ، وبذّر ما كان معه من مال، وافتقر، وجاع، وراح يشتهي أن "يملأ جوفه" ممّا تقع عليه يده، ولو "خرنوبًا تأكله الخنازير"، التي كان يرعاها لحساب أحد أبناء ذلك البلد، ولم يتمكّن منه. إنّه **وصف للكرامة المهدورة، ولميراث النعمة** والبرارة الأصليّة **الضائع** (الرحمة الالهيّة، ٥).

**«جمع ابنه الأصغر كلّ ما أصابه، وسافر إلى بلد بعيد».**

**الخطيئة هي قطع الإنسان علاقته البنويّة بالله** ليعيش خارج نطاق الطاعة له. هذا نوع من إنكار الله، والعيش كأنَّ الله غيرُ موجود، بل إزالته من الحياة اليوميّة. وهكذا يتضاءل مفهوم أبوّة الله وسلطانه على حياة الإنسان والمجتمع، فيرفض الإنسان كلّ علاقة بما يفوق الطبيعة البشريّة، بحجّة التوق إلى الاستقلال الشخصيّ، وينحرف وراء أمثلة مسلكيّة يفرضها التصرّف العامّ وتعرضها وسائل الاعلام، ولو رذلها الضمير الشخصيّ، ويبرّر ذاته من أيّة مسؤوليّة عن خطيئته وسوء مسلكه وشروره إذ يردّها إلى الأحوال السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة المأساويّة الضاغطة، وإلى ما

في المحيط الاجتماعيّ من أخطاء وذنوب؛ فيتلاشى تدريجيًّا الحسّ بالخطيئة ومعناها. والسبب الأساسيّ فقدان حسّ الله (المصالحة والتوبة، ١٨).

**«هناك بدّد ماله، عائشًا مبذّرًا».**

تبدأ الخطيئة في حركة مسلكيّة وفكريّة تتجاهل الله كليًّا، وتحصر همّها في العمل والانتاج، منجرفة في تيّار الاستهلاك والملذّات، غير آبهة بخطر "هلاك النفس". هذه **"الذهنيّة العلمانيّة"** تضعف حسّ الخطيئة، وحسّ إهانة الله. فيصل الإنسان إلى فقر روحيّ وإنسانيّ وخلقيّ، يحطّ من كرامته أمام الله وفي ميزان القيم الثابت، مهما علا شأنه الماليّ والاجتماعيّ، ومهما انتفخت جيوبه، أو مهما سمح لنفسه من حريّة يتخطّى معها حدود الحقيقة والصلاح والخلقيّة: "افتقر... وراح يرعى الخنازير... ويشتهي مأكلهم".

من المؤسف أنّ "الذهنيّة العلمانيّة" تنتشر وتنمو، بسبب **ثقافة اجتماعيّة** تُخرج الحريّة من حدود الحقيقة والصلاح، وترفض الاعتراف بأيّ نقص، وتنفي المسؤوليّة الشخصيّة عن أيّ شرّ وخطيئة، وترمي التبعيّة على المجتمع، معلنة البراءة الشخصيّة. من أسباب هذه "الذهنيّة" ما يسمّى **بالنسبيّة التاريخيّة**، وهي مسلكيّة تقول بأنّ القاعدة الأدبيّة هي نسبيّة، ولا قيمة مطلقة لها، وبأنّه لا يوجد أفعال غير جائزة بحدّ ذاتها، بمعزل عن الظروف والحالات الشخصيّة التي تتمّ فيها، فتهتزّ القيم الخلقيّة وتنهار، وتكون الخطيئة موجودة، لكنّ مرتكبها مجهول. أضف إلى كلّ ذلك **التربية الخاطئة المعطاة عبر وسائل الاعلام وفي العائلة** بما فيها من عنف وإباحيّة ولا إنسانيّة (المرجع نفسه).

### ٣. استيقاظ الضمير وطريق التوبة

**رجع إلى نفسه** وقال: "كم الآن من الأجراء في بيت أبي، يفضل الخبز

عنهم، وأنا أهلك لجوعي". هو صوت الضمير، هذا المخدع الداخليّ، أي قرارة النفس العميقة. الضمير هو هذا الحسّ الأدبيّ الذي يرشدنا إلى تمييز ما هو خير وما هو شرّ. إنّه كعين باطنيّة، وأداة للنفس بصيرة تقود خطانا إلى طريق الخير.

**الضمير** شريعة كتبها الله في قلب الإنسان، إذا خضع لها وجد كرامته فيها. وهو الهيكل الذي ينفرد فيه الإنسان إلى الله، ويسمع صوته الذي يدعوه أبدًا إلى حبّ الخير وعمله وإلى تجنّب الشرّ، ويدوّي في أذن قلبه: "إعمل هذا وتجنّب ذلك". الإنسان ملزم بطاعة هذا الصوت (الكنيسة في عالم اليوم، ١٦).

الابن الشاطر أطاع صوت ضميره. فكانت بداية التوبة، التي تعني حرفيًّا، حسب اللفظة اليونانيّة متانويا، انقلابَ النفس بالندامة واتّجاهَها إلى الله: رجع إلى نفسه، وقال: "كم أجير في بيت أبي... أقوم وأمضي إلى أبي". عودة إلى الذات وندامة على ما فعل، وقرار الرجوع إلى أبيه. هذه هي شروط التوبة الحقيقيّة والمصالحة.

**زمن الصوم** يدعونا إلى يقظة الضمير من خلال الأصوام والإماتات والصلوات وسماع المواعظ وأعمال المحبّة والرحمة. يدعونا إلى "فحص الضمير"، إلى مقارنة حياتي ومسلكي، مقارنة مخلصة صافية مع القيم الانجيليّة والشريعة الأدبيّة، مع المسيح عينه معلّمنا ومثالنا في الحياة، ومع الآب السماويّ الذي يدعونا إلى الخير والكمال. صوت الضمير يحملَني إلى الاقرار بالخطيئة: "إنّي خطئت". بعد هذا الادراك أندم على ما فعلت وعلى الحالة التي بلغت إليها. الندامة تعني رفض الخطيئة المرتكبة والحالة

التي أعيش فيها، رفضًا قاطعًا، جازمًا،.. وتعني القصد الثابت بعدم الرجوع إليها، وبتغيير الاتّجاه، مسلكًا وحياة.

### ٤. المصالحة واستعادة الكرامة

**«فنهض ومضى إلى أبيه...».**

هذا هو جوهر المصالحة: تنفيذ القرار بالعودة إلى الله وتغيير الاتّجاه. "عندما رآه أبوه، وكان بعيدًا، رحمه، وأسرع... وقبّله". في عمق الحبّ اللامتناهي "الذي يستر جمًّا من الخطايا" (١ بطرس ٨/٤)، تعاظمت ثقة الابن، فاعترف بخطيئته: "يا أبتِ، خطئت في السماء وأمامك". الاعتراف بالخطايا هو عمل أمانة وشجاعة، وعمل تسليم الذات إلى الرحمة الغافرة. اللقاء الحسّيّ مع الله يتمّ عبر وساطة الكنيسة، على يد الكاهن في سرّ التوبة، الذي هو، إلى جانب الأفخارستيّا، تحفة الحبّ الإلهيّ للإنسان، كلّ إنسان. هذا الاعتراف المدرك لشرّ الخطيئة ونتائجها جعل الابن التائب يفرض على نفسه التكفير عنها: "لست أهلاً لأن أدعى لك ابنًا. فاجعلني كأحد أجرائك" (لو ١٥/١٩).

لكنّ أباه لم يدعه يتلفّظ بكامل هذا التكفير. بل قاطعه مغدقًا عليه بفرح كبير كرامة الابن، التي فقدها بخطيئته: "أخرجوا الحلّة الفاخرة وألبسوه، وضعوا خاتمًا في يده، وألبسوه الحذاء". كلام الأب هذا هو كلام الله من خلال الكاهن الذي يعطي بشخص المسيح الحلّة السريّة. في سرّ المصالحة يعاد إلينا ميراث النعمة والبرارة الذي كان قد أُعطي لنا بالمعموديّة. فالتوبة معموديّة ثانية وولادة جديدة في البنوّة الإلهيّة. ويعود الإنسان المصالح فيصبح من جديد هيكل الروح القدس، ومستودع الحياة الإلهيّة، التي يشهد لها في المجتمع وينعش بها النظام الزمنيّ.

**المصالحة مع الله** هي في الوقت عينه **مصالحة مع الذات** باستعادة الكرامة المفقودة؛ **ومصالحة مع الأخوة**، الممثّلين في الابن الاكبر، لأنّ خطيئة أخيه أصابته هو أيضًا في الصميم كما أشار لأبيه: إصابته في أمانته على مدى السنين، وفي تضحياته، وفي كرامة البيت: "كم من السنين وأنا عابد لك، لا أخالف لك أمرًا، فلم تعطني جديًا أنعم به مع أصحابي. وابنك هذا، بعد أن بدّد مالك مع الزواني، وعاد، ذبحت له العجل المسمّن"؛ **ومصالحة مع الخليقة كلّها**، المدعوّة إلى وليمة العجل المسمّن "لتنعم وتفرح". إنّها **مصالحة مع الكنيسة** التي تؤهّل للمشاركة في وليمة القربان: جسد الربّ ودمه الذي فيه كلّ الكنوز الروحيّة، وهو رباط الوحدة والمحبّة بين أعضاء الجماعة.

## ■ ثانيًا، زمن الصوم ومراحل درب الصليب

آلام المسيح هي سرّ الحبّ الأعظم والألم الأكبر. مراحل درب الصليب تقدّم جوابًا على معضلاتنا وتساؤلاتنا العميقة، وتشجّعنا على الثبات في حياتنا اليوميّة وظروفها الصعبة، وتشعل في القلب شعلة الفرح في الحبّ والعمل. فالتأمّل أمام كلّ مرحلة يكشف جانبًا من تاريخ كلّ واحد منّا، وكأنّ المسيح طبع فيه جزءًا من تاريخه (الكردينال جوفانّي كولومبو: درب المسيح طريق الإنسان، ص ٩ و١١).

### في المرحلة السادسة، فيرونيكا تمسح وجه يسوع بمنديل

بادل يسوع عمل محبّة فيرونيكا بطبع وجهه على منديلها؛ فتعزّت عزاءً كبيرًا. بهذه المبادرة بيّن يسوع أنّ آلامه متواصلة في آلام أيّ إنسان يرفع نظره إليه. فأصبح لآلام الأبرياء قيمة خلاصيّة شخصيّة تندرج في عمليّة

الفداء العامّ: "إنّي أتمّ في جسدي ما نقص من آلام المسيح من أجل الكنيسة" (كول ١ / ٢٤).

لذا، يريد أن تظلّ آلامه مطبوعة في قلوبنا، أينما كنّا، لكي نشارك بوعي وإيمان في سرّ موته وقيامته، ونقتدي بسخاء حبّه الذي يتفانى ويثمر مثل حبّة الحنطة.

**في المرحلة الثامنة، نساء أورشليم يبكين على يسوع**

"وكان يتبعه كثيرون من الشعب، ونساء كنّ يندبنه، وينحن عليه. فالتفت يسوع إليهنّ وقال: يا بنات أورشليم لا تبكين عليّ، بل إبكين على أنفسكنّ، وعلى بنيكنّ لأنّه ستأتي أيّام يقال فيها: طوبى للعواقر وللبطون التي لم تلد، وللثدي التي لم ترضع. وحينئذ تبدأون تقولون للجبال: "أسقطي علينا"، وللتلال: "غطّينا" فإنْ كان هذا فعلُهم بالغصن الرطيب، فما يكون باليابس".

بهذه الكلمات يؤكّد الربّ يسوع أنّه يسلّم نفسه للموت طوعًا، من أجل إتمام إرادة الآب لخلاص جميع البشر، وأنّ آلامه البريئة وموته على الصليب مسؤوليّة في أعناقنا: إنّها من أجل خلاص كلّ واحد منّا بثمن دم كريم. وإنْ كان لا بدّ من بكاء، فليكن على الذين لا يهتدون إلى الخلاص بصليب المسيح: "لا تبكين عليّ، بل على أنفسكنّ وأولادكنّ". آلام المسيح دعوة إلى بكاء التوبة عن الخطايا والشرور، لأنّها تتسبّب في مظالم واعتداءات على الأبرياء كما على الأشرار، فلا بدّ من توبة وغفران: "فإن كان هذا فعلهم بالغصن الرطب، فما يكون باليابس؟".

**■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة**

نواصل التفكير معًا في النصّ الثالث من المجمع البطريركيّ المارونيّ

بعنوان: "حضور الكنيسة المارونيّة في النطاق البطريركيّ"، وتحديدًا في **موقف الكنيسة من العلاقات المسيحيّة - الإسلاميّة وحاضرها** (الفقرات ٢٨-٣٩).

١. المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني وضع الأسس للعلاقة الايجابيّة بين المسيحيّين والمسلمين. فأبرز الإعلان المجمعيّ "**علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحيّة**" العناصر المشتركة على المستوى العقائديّ بين الاسلام والمسيحيّة. ودعا إلى نسيان ماضي المنازعات والعداوات، والانصراف بإخلاص إلى التفاهم المتبادل، وإلى تعزيز العدالة الاجتماعيّة والقيم الخلقيّة والسلام والحريّات العامّة لفائدة جميع الناس (عدد ٣).

وفي الدستور العقائديّ "**في الكنيسة**"، أحلّت الكنيسة الدين الاسلاميّ في مكانة متقدّمة بين الأديان التوحيديّة غير البيبليّة، وأقرّت بخلاص الإنسان المسلم بيسوع المسيح، إذا عاش بوحي ضميره المستنير وأخلص العبادة للّه الخالق (عدد ١٦) (الفقرات ٢٨-٣٠).

٢. **المجلس الحبريّ للحوار مع الأديان** يعمل، مع لجنة خاصّة بتعزيز العلاقة مع المسلمين، على ترسيخ الحوار والتفاهم بين الديانتين في المسائل المشتركة، كالسلام والعدالة والحريّة وحقوق الانسان الأساسيّة. نشير هنا إلى الوثيقة التي وضعها هذا المجلس بالتعاون مع مجمع تبشير الشعوب، وهي بعنوان "**حوار وبشارة**"، تأمّلات وتوجيهات في سبيل الحوار بين الأديان والتبشير بالإنجيل سنة ١٩٩١ (الفقرتان ٣١-٣٢).

٣. خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني دفع إلى الأمام بالعلاقات الطيّبة بين

المسيحيين والمسلمين بكثير من المبادرات: الزيارة إلى المغرب ولقاؤه مع الشبّان والشابّات المسلمين (١٩٨٥)؛ الزيارة إلى مقام الأزهر في القاهرة (٢٠٠٠)؛ الزيارة إلى المسجد الأمويّ الكبير في دمشق (٢٠٠١)؛ الجمعيّة الخاصّة بسينودس الأساقفة من أجل لبنان ودعوة ممثّلين عن الطوائف الإسلاميّة للمشاركة فيه (١٩٩٥) وإصدار الإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان" (١٩٩٧)، والتشجيع على الحوار المسيحيّ-الإسلاميّ في لبنان والشرق العربيّ (عدد٩٣)؛ عظته للشعب اللبنانيّ في بيروت (١١ أيّار ١٩٩٧)، التي كشف فيها أهميّة لبنان ورسالته التاريخيّة: على أرضه يعيش معًا مؤمنون من مختلف الطوائف في سلام وإخاء وتعاون، ما يبيّن أنّه من الممكن احترام حقّ كلّ إنسان في الحريّة الدينيّة، وما يمكّن الجميع من الاتّحاد في محبّتهم لهذا الوطن (الفقرتان ٣٣-٣٤).

٤. **تورد الفقرات ٣٥ و٣٦ و٣٨ من النصّ المجمعيّ الثالث** مواقف كلّ من البطريرك بولس المعوشي والبطريرك نصرالله بطرس صفير بشأن العلاقة بين المسيحيّين والمسلمين في لبنان من ناحية حوار الحياة وميثاق العيش المشترك والحريّة الدينيّة والحقوق المدنيّة الأساسيّة، مع المحافظة على أغلى الأغليين: الإيمان بالله، والحريّة المسؤولة.

وتستشهد الفقرة ٣٧ بكلام للمرحوم الإمام محمّد مهدي شمس الدين وللرئيس الإيرانيّ السابق محمّد خاتمي، يقرّ بنموذجيّة لبنان في علاقة الشركة بين المسيحيين والمسلمين، وبمركزيّة لبنان للحوار المسيحيّ-الاسلاميّ الذي ينطلق منه إلى هذه المنطقة من العالم.

**صلاة**

أيُّها الربّ يسوع، إجعل وجهي مقبولاً دائمًا لديك، ومرضيًا لك. إنْ شوّهته الخطيئة، إغسلْه أنت بدمك الثمين واجعله منيرًا. أملْ نظرنا إليك بشكل دائم، وارفقنا أنت بنظرة منك كما نظرت إلى بطرس، يوم خانك، فندم وبكى. أعطنا نعمة صليبك وآلامك المرّة، وعزّنا بالطريقة التي تعرفها وفي الساعة التي تريدها. آمين (الكردينال نيومان).

الأحد ١٨ آذار ٢٠٠٧

# الأحد الخامس من الصوم

## شفاء المخلّع

## المسلك الجديد

### من إنجيل القدّيس مرقس ٢/١ - ١٢

عاد يسوع إلى كفرناحوم. وسمع الناس أنّه في البيت. فتجمّع عددٌ كبيرٌ منهم حتّى غصّ بهم المكان، ولم يبقَ موضعٌ لأحدٍ ولا عند الباب. وكان يخاطبهم بكلمة الله. فأتوه بمخلّع يحمله أربعة رجال. وبسبب الجمع، لم يستطيعوا الوصول به إلى يسوع، فكشفوا السقف فوق يسوع، ونبشوه، ودلّوا الفراش الذي كان المخلّع مطروحًا عليه. ورأى يسوع إيمانهم، فقال للمخلع: «يا ابني، مغفورة لك خطاياك». وكان بعض الكتبة جالسين هناك يفكّرون في قلوبهم: «لماذا يتكلّم هذا الرجل هكذا؟ إنّه يُجدّف! من يقدر أن يغفر الخطايا إلاّ الله وحده؟». وفي الحال عرف يسوع بروحه أنّهم يفكّرون هكذا في أنفسهم، فقال لهم: «لماذا تفكّرون بهذا في قلوبكم؟ ما هو الأسهل: أن يقال للمخلّع: مغفورة لك خطاياك، أم أن يقال: قمْ احمل فراشك وامش؟ ولكي تعلموا أنّ لابن الانسان سلطانًا أن يغفر الخطايا على الأرض»، قال للمخلّع: «لك أقول: قمْ احمل فراشك، واذهب إلى بيتك!». فقام في الحال وحمل فراشه، وخرج أمام الجميع، حتّى دهشوا كلّهم ومجّدوا الله قائلين: «ما رأينا مثل هذا البتّة!».

***

سماع كلام الله ولّد الايمان بقدرة المسيح الإلهيّة والمحبّة تجاه المحتاج لدى الرجال الأربعة الذين حملوا المخلّع إلى يسوع. وبرجاء وطيد ثقبوا السقف ودلّوا السرير الذي كان المخلّع عليه. الإيمان والمحبّة والرجاء، هذه ثمار سماع كلام الله، تقدّمها اللوحة الانجيليّة التي تنطبق على الأفراد والجماعة، مخلّعين كانوا أم حاملين المخلّع، فيما المسيح هو هو أمس واليوم وإلى الأبد (عبرانيّين ١٣/٨)، يغفر الخطايا ويشفي الأمراض ويقدّس الأوجاع.

## ■ أوّلاً، المفهوم اللاهوتيّ لنصّ الإنجيل

### ١. الإيمان من السماع

يؤكّد بولس الرسول أنّ الإيمان يولد من سماع كلام الله، وأن من يدعو باسم الله بايمان يخلص (روم ١٠/١٣ و١٧). إنّ الذين سمعوا كلام الله من فم يسوع في كفرناحوم ابتهلوا بالأعمال والمواقف من أجل المخلّع، فشفاه يسوع نفسًا وجسدًا: "لمّا رأى يسوع إيمانهم، قال للمخلّع: مغفورة لك خطاياك... قم احمل سريرك واذهب إلى بيتك" (مر ٢/٥ و١١).

بل **الكنيسة تولد من سماع كلام الله**: "اجتمع الكثيرون، وكان يلقي عليهم الكلمة" (مر ٢/٢). هكذا نشأت الكنيسة الأولى: "كانت كلمة الله تعلن وتنمو، وعدد التلاميذ يتكاثر في أورشليم، وكان كثير من شعب اليهود ينصاع للإيمان" (أعمال ٦/٧). لكنْ، ما يميّز كلام الله عن كلام البشر هو أنْ بكلام الله، على ما يقول بطرس الرسول، "تصير نفوسكم مقدّسة بالخضوع للحقّ، وتمتلىء بالمحبّة من دون محاباة، فتحبّون بعضكم بعضًا بقلب طاهر كامل، كأنّكم ولدتم ثانية بكلمة الله الحيّة الباقية إلى الأبد" (١ بطر ١/٢١). وسيقول القدّيس أغسطينوس: "كرز الرسل بكلام الحقّ وولّدوا الكنيسة".

**الإيمان يولّد الخلاص**، كما أكّد الربّ يسوع للمرأة النازفة: "تشجّعي يا ابنتي، إيمانك أحياك" (لو ٨/٤٨)، وللرسل الذين أرسلهم لينادوا بالانجيل في الخليقة كلّها: "فمن يؤمن ويعتمد يخلص، ومن لا يؤمن يهلك" (مر ١٦/١٦).

يقول آباء المجمع الفاتيكانيّ الثاني: "بقوّة الكلمة الخلاصّية، يستضيء الإيمان في قلب غير المؤمنين، ويغتذي في قلب المؤمنين، وتبدأ جماعة المؤمنين وتنمو. في إعلان سرّ المسيح بالكرازة الصريحة، أو بتعليم عقيدة الكنيسة، أو بمواجهة معضلات الزمن في ضوء المسيح، أو بشهادة ومثل حياتهم الذي يحمل على تمجيد الله، لا يعلّم رعاة الكنيسة حكمتهم الخاصّة، بل كلام الله؛ ويدعون الجميع بإلحاح إلى الارتداد والقداسة" (القرار في خدمة الكهنة وحياتهم الكهنوتيّة، ٤).

**الصوم الكبير** هو زمن سماع كلام الله والتوبة والتغيير الجذريّ في المسلك والأعمال. من واجب كلّ مؤمن أن يشارك في **الرياضة الروحيّة** التي تقام في رعيّته. إنّها وقفة مع الذات، نصغي فيها إلى كلام الله، فنفحص الضمير، ونكسر الرتابة، ونـنقّي الذاكرة بالمصالحة مع الله والأخوة والكنيسة، نستغفر ونغفر، ونقوم بتعبئة روحيّة للفكر والقلب والعلاقات. الرياضة خلوة مع الله، نناجيه في الصلاة، ونستلهم إرادته على هدي الروح القدس، ونلتزم بطاعتها والعمل على تتميمها في حياتنا وعملنا، متّبعين خطى الربّ يسوع بالأمانة لدعوتنا ورسالتنا.

### ٢. المخلّع يمثّل الأفراد والأسر والأوطان

عندما بادر يسوع بغفران خطايا المخلّع، أراد أن يبيّن أنّه "مخلّع" في نفسه وروحه بالخطيئة التي تخلّع العقل والإرادة والقلب: فالعقل المفطور

على الحقيقة ينحرف إلى الكذب، والإرادة الموجّهة إلى الخير تنزع إلى الشرّ، والقلب موطن الحبّ والحنان يتّسع للحقد والبغض. هذا النوع من **الشلل الروحيّ في داخل الإنسان**، على صورة المخلّع في جسده، عبّر عنه بولس الرسول بالقول: "الشريعة روحيّة، أمّا جسدي فمبيع للخطيئة. ولست أدري ماذا أفعل. فالشيء الذي أريده لا أفعله، والشيء الذي لا أريده فإيّاه أفعل. إذا فعلت ما لا أريده، أكون شاهدًا للشريعة أنّها حسنة. إذًا، لست أنا من يفعل الآن هذا، بل هي الخطيئة الساكنة فيّ... فما أتعسني إنسانًا، من ينقذني من جسد الموت هذا؟ أشكر الله بربّنا يسوع المسيح، فأنا الآن بضميري عبد لشريعة الله، وأمّا بجسدي فعبد لشريعة الخطيئة" (روم ٧/١٤-١٧، و٢٤-٢٥).

هذا الشلل العميق في داخل الانسان يؤدّي إلى **شلل في الأسرة والمجتمع والوطن**، يصفه الدستور المجمعيّ "الكنيسة في عالم اليوم" (عدد ٨). وترسم صورة مقلقة عنه الرسالة البابويّة "في الرحمة الإلهيّة": خطر وقوع نزاع مسلّح يؤدّي بقسم من الجنس البشريّ إلى إبادة ذاته لما تكدّس فيه اليوم من أسلحة نوويّة؛ خطر المدنيّة المطبوعة بطابع المادّة والفارغة من المشاعر الإنسانيّة، بالرّغم من التصريحات بشأن حقوق الإنسان، إذ يخشى أن تستعمل الأدوات الحربيّة من أجل مصالحها الماديّة؛ الخوف من إخضاع الأفراد والبيئات وسلبها الحريّة الداخليّة والقدرة على المجاهرة بالحقيقة والإيمان الداخليّ والقوّة على تلبية صوت الضمير الذي يرشد الانسان إلى الطريق القويم؛ القلق ممّا يمارس من تعذيب تلجأ إليه السلطة عن قصد وتصميم، وتستخدمه وسيلة للسيطرة والضغط السياسيّ، ويقوم به، دونما عقاب، الزبائن والأتباع؛ الإحساس ممّا يتهدّد الحياة بالقضاء قضاءً مبرمًا على ما هو من صميم كيان الإنسان، أي كرامته وحقّه في الحقيقة والحريّة؛

الفوارق الكبيرة بين الناس: جماعات يسعدون ويتمتّعون بفيض من الخيور ويشكون التخمة، ومئات الملايين يعيشون في فقر مدقع وشقاء، وغالبًا ما يموتون جوعًا؛ أنظمة فاسدة سياسيًّا واقتصاديًّا تحول دون خروج العائلة البشريّة من الحالة المخزية الظالمة (البابا يوحنّا بولس الثاني في الرحمة الإلهيّة، ١١).

**كذلك المجتمع والوطن اللبنانيّ** يعاني من شلل بسبب انتقاص السيادة والتدخّلات الخارجيّة الرامية إلى ازكاء التفرقة، وتعطيل الحياة السياسيّة والديموقراطيّة، وتعاظم الديون، وتكاثر أعداد الفقراء، وتزايد قطاع البطالة، وركود الانتاج الزراعيّ والصناعيّ وإغراقه في سوق السلع الخارجيّة.

وفيما يسعى الشعب اللبنانيّ وشبابه وذوو الإرادة الحسنة المحليّون والاقليميّون والدوليّون إلى التوسّط لشفائه من هذا الشلل، مثل الرجال الأربعة الذين حملوا مخلّع كفرناحوم إلى يسوع، نرى سيّئي النوايا وذوي المصالح الرخيصة والمأجورين والمستعبدين يحرّضون على التفرقة والانقسامات والتخوين للكلّ. لكنّ "الوطن لا يقوم ولا ينهض ولا يزدهر إلاّ بتضافر جهود جميع أبنائه. لكلّ دينه ومذهبه وطريقته ودعوته وعمله، ولكنّ الوطن، مثل الله، هو للجميع. فحذار الفتنة ومن يراهن عليها ليحول دون استعادة لبنان جميع مقوّماته من سيادة واستقلال. ولنتّقِ الله في هذا الوطن الفريد بين الأوطان" (البطريرك الكردينال مار نصرالله بطرس صفير).

### ٣. المسيح طبيب النفوس والأجساد

شفى يسوع الرجل المخلّع أوّلاً من شلل نفسه غافرًا خطاياه، ثمّ شفاه من شلل جسده، فكان الشفاء الثاني البرهان المنظور للأوّل. وهكذا أجاب على تساؤل الكتبة والفرّيسيين: "من يستطيع أن يغفر الخطايا غير الله

وحده؟"، مبيّنًا أنّ لابن الانسان، وهو ابن الله، "سلطانًا على الأرض ليغفر الخطايا" (مر ٢/٧ - ١٠). يسوع هو طبيب النفوس والأجساد، ويحمل سلطانًا مزدوجًا على شفاء الأجساد من عللها والنفوس من خطاياها، وقد أعطاه لكهنة العهد الجديد، ليمارسوه باسمه في الكنيسة. **فأسّس لهذه الغاية سرّي الشفاء: التوبة ومسحة المرضى** (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٤٢١ و١٤٤١).

**في سرّ التوبة**، ينال التائبون من رحمة الله مغفرة الإساءة التي ارتكبوها بخطاياهم تجاه الله والناس، وارتدّوا عنها نادمين. وهم يتصالحون مع الكنيسة التي جرحوها بخطيئتهم، هي التي تعمل بالمحبّة والصلاة والشهادة على توبتهم (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ١١).

مغفرة الخطايا تنبع من الله الثالوث: من الآب الغنيّ بالرحمة الذي يحقّقها بموت الابن وقيامته وبعطيّة الروح القدس للحياة الجديدة، كما يقول الكاهن، في إحدى صيغ الحلّ من الخطايا، عندما يمارس السلطان الإلهيّ المعطى له:

«ليشملك الله الآب برحمته: فبموت ابنه وقيامته تصالح الآب مع العالم، وأرسل روحه القدّوس لمغفرة الخطايا؛ وليعطك بواسطة خدمة الكنيسة الغفران والسلام. وأنا بالسلطان المعطى لي، إغفر جميع خطاياك، باسم الآب والابن والروح القدس».

**في سرّ مسحة المرضى**، عندما يصلّي الكاهن ويمسح المريض بالميرون المقدّس، تحمل الكنيسة كلّها المرضى إلى الربّ المتألّم والممجّد، كما فعل الرجال الأربعة الذين حملوا مخلّع كفرناحوم إلى يسوع، لكي يخفّف من آلامهم ويشركها بآلام الفداء لخير شعب الله ويخلّصهم من أمراضهم (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ١١).

في **المرض**، يختبر الإنسان محدوديّته ونهايته. قد يقوده المرض إلى الحسرة والانطواء على الذات، وفي الغالب إلى اليأس والتمرّد على الله. لكنّه يستطيع أيضًا أن يحمل الشخص إلى النضوج، ويساعده على تمييز ما ليس بجوهريّ في حياته، وعلى الالتفات إلى الجوهر. وغالبًا ما ينتج المرض البحث عن الله والعودة إليه، مثل فرنسيس الأسيزيّ واغناطيوس دى لويولا وسواهما.

لكلّ هذه الأسباب "افتقد الله شعبه" (لو ٧/١٦) بالمسيح الابن المتجسّد، بعد أن أعلن نفسه قديما لشعبه: "أنا الربّ طبيبك" (خروج ١٣/٢٠)، وعلى لسان أشعيا: "سيأتي وقت يغفر فيه الله لشعبه كلّ خطيئة ويشفي كلّ مرض" (أشعيا ٣٣/٢٤).

أشرك الربّ يسوع رسله، كهنة العهد الجديد، بخدمة الرحمة والشفاء، "فأرسلهم يكرزون بالتوبة، ويطردون الشياطين، ويمسحون المرضى بالزيت ويشفونهم" (مر ٦/١٢-١٣). وجدّد إرسالهم بعد قيامته: "باسمه يضعون أيديهم على المرضى فيشفون (مر ١٦/١٧-١٨). وقد أعطى الروح القدس بعضًا موهبة الشفاء لتظهر قدرة نعمة المسيح القائم من الموت (تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة، ١٥٠٦-١٥٠٨).

مارست الكنيسة الرسوليّة الأولى هذا السّر وفقًا لرتبة أعلنها **يعقوب الرسول**: "هل بينكم مريض؟ فليدعُ كهنة الكنيسة ليصلّوا عليه، بعد أن يمسحوه بالزيت باسم الربّ. فصلاة الايمان تشفي المريض، والربّ يقيمه. وإذا ارتكب خطايا، تُغفر له (يعقوب ٥/١٤- ١٥). لقد رأى التقليد في هذا الطقس واحدًا من أسرار الكنيسة السبعة (تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة، ١٥١٠).

### ٤. الشخص البشريّ قلب السلام

هذا عنوان رسالة البابا بندكتوس السادس عشر ليوم السلام العالميّ (أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧). ففقدان السلام يعني هذا الشلل الداخليّ في عمق الانسان الذي ينتج عنه الشلل الاجتماعيّ والوطنيّ.

**بالصوم والإماتات** نحرّر النفس والقلب من الانحرافات الشريرة ونجد السلام الداخليّ، **وبأعمال الرحمة والمحبّة** نرمّم روابط الإخوّة مع الناس، ونشدّد أواصر التضامن والتعاون، فنبني السلام الاجتماعيّ، القائم على العدالة وإنماء الشخص البشريّ والمجتمع إنماءً أصيلاً وشاملاً.

تكلّم قداسة البابا في الرسالة المذكورة عن "**إكولوجيا السلام**" التي تشمل الانسان وسائر الخلق. وقد رتّب الله كليهما، ووضع لهما هيكليّة تُسمّى **النظام الطبيعيّ** المميّز بالانسجام والتفاهم. هذه الاكولوجيا المزدوجة هي هبة من الله الخالق. ولذلك قيل: "سلام مع الله سلام مع الخليقة كلّها". ولمّا انتهك الانسان هذا النظام الطبيعيّ بخطيئته وشرّه وظلمه، عاد الله فافتداه من هذه الفوضى.

**الخلق والفداء هما أساس السلام**، ويدخلاننا في "قراءة عميقة لمعنى وجودنا على الأرض. نحن لا نعيش في عالم من دون معنى، لا عقلانيّ (irrationnel)، بل في عالم مبنيّ أساسًا على منطق خلقيّ، له قواعد للعمل البشريّ الفرديّ وللعلاقات المتبادلة بين الأشخاص، هي قواعد العدالة والتضامن والترابط، التي كتبتها الحكمة الإلهيّة في عمق ضمير الانسان" (الرسالة البابويّة ليوم السلام العالميّ).

**السلام هو مجموعة الخيرات** التي يوفّرها عمل الله للبشريّة جمعاء، ولكلّ إنسان بالخلق والفداء. إنّه في آن هبة ومهمّة: **هبة** نلتمسها بالصلاة

ونقبلها بشخص المسيح، "أمير السلام"؛ **ومهمّة** نقوم بها بشجاعة ومن دون ملل، وهي تصنع من كلّ شخص ذي إرادة حسنة "طريق سلام" (عظة البابا في قدّاس يوم السلام العالميّ في الأوّل من كانون الثاني ٢٠٠٧).

**السلام هو ذروة الخيرات الإلهيّة** التي يغدقها الله ببركته: "ليباركك الربّ، ويحفظك، ويكشف لك وجهه ويمنحك السلام" (سفر العدد ٦/٢٤-٢٦).

## ■ ثانيًا، زمن الصوم ومراحل درب الصليب

في آية شفاء المخلّع، تظهر إنطلاقة للانسان في مسيرة جديدة حسيّة وروحيّة، إذ شفاه يسوع نفسًا وجسدًا. لكنْ، هو الربّ نفسه يسير مع الانسان على دروب الحياة، كاهنًا وملكًا.

"**درب الصليب**" طريق كهنوتيّ وملوكيّ. من يسير في هذا الدرب لفداء البشر هو يسوع الذي مسحه روح الربّ كاهنًا وملكًا. لا يحمل على درب الجلجلة عصًا ولا ثيابًا كهنوتيّة. بل يعرف أنّ ملكوته يبدأ بالشكل الوحيد الممكن: إنّه يملك بقوّة الحبّ الآن ويبدأ كهنوته، حملاً وديعًا بريئًا، يقدّم ذاته ذبيحة تكفير عن خطيئة العالم (المكرّم الكاردينال Newman).

### في المرحلة العاشرة، يسوع يُعرّى من ثيابه

«وجاؤوا إلى المكان الذي يسمّى جلجلة، وتفسيره: جمجمة، وأعطوه ليشرب خمرًا ممزوجة مرًّا، فذاق ولم يرد أن يشرب. ولمّا صلبوه اقتسموا بالقرعة ثيابه، ليتمّ ما قيل بالنبيّ: «ثيابي اقتسموا بينهم، وعلى لباسي اقترعوا». وجلسوا هناك يحرسونه» (متّى ٢٧/٣٣-٣٦).

يسوع، الملك الأبديّ للأزمنة الجديدة، ينزع عنه الثوب الذي اقتضته

شريعة الطبيعة، بعد الخطيئة الأصليّة، لتستر عري الانسان وتخرجه من خجله. نزعه عنه ليلبس ثوب الكهنوت: "المحبّة حتّى النهاية" (يو ١٣/١)، "الحبّ الذي يستر الخطايا" (بطرس ٤/٨).

ينزع عنه الثوب الماديّ ليُلبس الانسان ثوب النعمة والبرارة، بثمرة موته على الصليب وقيامته المجيدة. يفتقر حتّى من الثوب الماديّ الضروريّ ليغني الانسان بالنعم الإلهيّة، عندما انطلق من بيته في الناصرة، لم يكن يملك شيئًا، فأعلن بداية ملكوت الله، والدخول إليه بالتوبة والإيمان بالإنجيل (مر ١/١٥).

هذا هو **نهج الكهنوت والملوكيّة**: تواضع وتفانٍ، فقر من الدنيا واغتناء بالله، حبٌّ يبذل بدون حساب.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تلتقي الهيكليّات الرعويّة: مجالس رعائيّة، منظّمات رسوليّة، لجان، جماعات عيليّة، أندية، جماعات تربويّة وديريّة، لمواصلة تقبّل النصّ الثالث من المجمع البطريركيّ المارونيّ، وعنوانه: **حضور الكنيسة المارونيّة في النطاق البطريركيّ**، وتحديدًا في القسم المختصّ **بالعلاقات المسيحيّة – الاسلاميّة في العالم العربيّ** بنواحيها السلبيّة من جهة والمقتضيات الضروريّة لتوطيدها من جهة ثانية (الفقرات ٤٠-٤٦).

١. يعاني الشرق العربيّ اليوم **مخاضًا حضاريًّا عميقًا**، كما يبدو في الظاهرات البارزة:

أ- **اليقظة الدينيّة**: تطغى على وجهها الإيجابيّ مظاهرُ التشدّد والتعصّب والعدوانيّة المقلقة. الأصوليّة البغيضة تشوّه الأصالة

المطلوبة. التديّن فضيلة، لكنّ التعصّب يشوّه الدين والانسان معًا (الفقرة ٤١).

ب- **رفض التنوّع** الدينيّ والثقافيّ والاتنيّ واللغويّ، **وتراجع في الانفتاح** والتآخي بين المختلفين دينًا واتنيّة وثقافة، وتقوقع وتحجّر واعتدائيّة، **وخلط بين الايمان والتعصّب الدينيّ**، وهما نقيضان: الأوّل إيجابيّ ومطلوب، والثاني سلبيّ وبغيض (الفقرة ٤٢).

ج- يرافق المدَّ الأصوليّ على المستوى السياسيّ والاجتماعيّ، غياب الحريّات السياسيّة، وانتهاك حقوق الإنسان المدنيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وقضايا سياسيّة مزمنة ومترابطة تؤثّر على المنطقة العربيّة كلّها، وهي: القضية الفلسطينيّة والمأساة العراقيّة والمسألة اللبنانيّة. فلا بدّ من التذكير أنّ الانسان هو المقياس والقيمة الأساسيّة للنظم السياسيّة والاجتماعيّة (الفقرة ٤٣).

٢. أمّا **المقتضيات** لتصحيح العلاقات وتوطيدها فهي:

أ- **الحوار الدائم** مع أهل الدين الاسلاميّ تعتبره الكنيسة المارونيّة والكنائس الأنطاكيّة واجبًا للدفاع عن حقوق الأفراد والجماعات التي هي الطرف الآخر لحقوق الله، والتي تشكّل الأساس للسلام.

ب- **حوار الأعمال** المعروف بمجال التعاون بين الأديان من أجل إنماء الانسان وتحريره. وهو حوار إلى جانب أشكال ثلاثة أخرى هي: حوار الحياة، وحوار المبادلات اللاهوتيّة، وحوار الاختبار الروحيّ. لقد توسّع في هذه الأشكال من الحوار المجلس الحبريّ

للحوار بين الأديان ومجمع تبشير الشعوب في وثيقتهما المشتركة: حوار وبشارة (١٩٩١)، عدد ٤٢ (الفقرة ٤٥).

ج- **حضارة الوجه**، وهو تعبير لبطاركة الشرق الكاثوليك، يعني حضارة التلاقي الودّي والتحاور الحقيقيّ والتخاطب المباشر. تقتضي هذه الحضارة استجلاء مفاهيم الكرامة الإنسانيّة والحريّة والمساواة، ووضعها موضع التطبيق بما يتّفق مع الشرعة الدوليّة المعروفة بالإعلان العالميّ لحقوق الانسان الصادر في ١٠ كانون الأوّل ١٩٤٨ عن منظّمة الأمم المتّحدة (الفقرة ٤٦).

***

**صلاة**

حرّرنا أيّها الربّ يسوع من مغريات الأرض، لنسعى إلى اكتساب القيم الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة، تعزيزًا لها. حقّق فينا حضارة الوجه التي تعكس جمال وجهك، وجه الحريّة والعدالة، المحبّة والسلام. أهّلنا لاحتمال كلّ شيء ينال من كرامتنا، لكي تَسلَم القيم ويتعزّز الخير العام. أعطنا أن نرتضي العار في هذه الدنيا، راجين ألاّ يسود وجهَنا الخجلُ في اليوم الأخير. لك المجد إلى الأبد. آمين.

# الأحد السادس من الصوم

## شفاء الأعمى

## بصيرة الروح وخلقيّة المسلك

### من إنجيل القدّيس مرقس ١٠/٤٦-٥٢

بينما يسوع خارج من أريحا، هو وتلاميذه وجمع غفير، كان برطيما، أي ابن طيما، وهو شحّاذ أعمى، جالسًا على جانب الطريق. فلمّا سمع أنّه يسوع الناصريّ، بدأ يصرخ ويقول: «يا يسوع ابن داود ارحمني!». فانتهره أناس كثيرون ليسكت، إلاّ أنّه كان يزداد صراخًا: «يا ابن داود ارحمني!». فوقف يسوع وقال: «أدعوه!». فدعوا الأعمى قائلين له: «ثق وانهض إنّه يدعوك». فطرح الأعمى رداءه ووثب وجاء إلى يسوع. فقال له يسوع: «ماذا تريد أن أصنع لك؟». فأجاب: «يا معلّم أن أُبصر». فقال له يسوع: «اذهب! إيمانك خلّصك». ولساعته أبصر وانطلق في الطريق.

***

إيمان الأعمى نور كشف له أنّ يسوع الناصريّ هو "ابن داود حامل الرحمة الإلهيّة"، فطلب أن يبصر، وكان له مبتغاه. كان الأعمى مبصرًا حقًّا ببصيرة العقل والقلب، واكتمل بصره بنور العينين، فتبع يسوع. أمّا المبصرون الذين انتهروه ليسكت عندما نادى "يا ابن داود ارحمني"، فكانوا "العميان" حقًّا، لأنّهم لم يعرفوا عن "ابن داود" سوى أنّه "يسوع الناصريّ".

كلّ فرد أو شعب أو مسؤول لا يرى الحقيقة، وتعميه مصالحه أو يضلّله مشيروه هو الأعمى بكلّ معنى الكلمة.

## ■ أوّلاً، معاني اللوحة الإنجيليّة

### ١. بصيرة الروح والعمى الحقيقيّ

**البصر الحقيقيّ هو البصر الداخليّ**، بصر العقل والقلب المستنيرين بالايمان. ولذا عمى العقل والقلب هو عمى الروح، الحقيقيّ؛ وهذا يسبّبه **الشكّ** الذي يهمل أو يرفض قبول الوحي الإلهيّ وتعليم الكنيسة، أو الذي يتردّد في الايمان أو لا يتجاوز الصعوبات الايمانيّة أو يستمرّ في حالة التشكيك. العمى الحقيقيّ إذاً هو الذي يتسبّب في الشرور والانحرافات الخلقيّة. فالايمان بالله هو النور الحقّ الذي يحرّر من الشرّ والانحراف. إنّ الوصيّة الأولى من وصايا الله العشر تأمر بالسهر على الإيمان بالله وحمايته من الشكّ والاهمال واللامبالاة والجحود والالحاد والرفض العنيد والتعلّق بأصنام الحياة: "أنا هو الربّ إلهك، لا يكن لك إله غيري" (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٠٨٧-٢٠٨٩).

**طيما الأعمى كان مبصرًا حقًّا**، لأنّه عرف يسوع على حقيقته ببصيرته الداخليّة. فعندما سأل المارّة عمّا يجري، قالوا: "يسوع الناصريّ يمرّ من هنا". أمّا هو فرأى أبعد، وراح يصرخ "يا ابن داود ارحمنيا"، هم انتهروه ليسكت. فازداد صراخًا: "يا ابن داود ارحمنيا"، فتوقّف يسوع، لأنّ اللقب والطلب أصاباه في الصميم. واستدعاه إليه، وكشف للجميع حقيقة إيمانه وبصيرته": ماذا تريد أن أصنع لك؟ - يا معلّم أن أبصرا- إذهب، إيمانك أحياك. فأبصر لساعته ومشى معه في الطريق.

**الإيمان هو البصر الحقيقيّ** الذي ينير الانسان في بحثه عن معنى الحياة

(التعليم المسيحيّ، ٢٦). حقائق الإيمان تنير العقل والقلب (المرجع نفسه، ٨٩). فالايمان ثقة بالنور الذي هو كلمة الله المتجلّية في شخص يسوع المسيح (يوحنّا ١/١ و٩). آية شفاء الأعمى علامة ودليل أنّ يسوع هو النور حقًّا. إنّها استعادة لعمل الخلق الأوّل: "في البدء كانت الأرض خاوية خالية، وعلى وجه الغمر ظلام، فقال الله: ليكن نور، فكان النور" (تكوين ١/١-٣). لا يعطي النور سوى من هو النور، يسوع المسيح الذي هو ضياء مجد الربّ (عبرانيين ١/٣).

**الربّ يأتي وسط الظلمة** الروحيّة والمعنويّة، الاقتصاديّة والسياسيّة، لكي يبدّدها بنوره. ولهذا يدعو في الانجيل إلى السهر واليقظة. فهو آتٍ اليوم وكلّ يوم وفي اليوم الأخير. هذه الدعوة إلى السهر تعني المحافظة على نور الايمان لئلاّ ينطفىء، فتبقى رغبة القلب مشتعلة: "وجهَك يا ربّ ألتمس" (مز ٢٧/٨).

**مصدر استنارة بصيرة الروح المعموديّة،** لما فيها من تعليم يتّصل بسرّ الولادة الجديدة من الماء والروح، والبنوّة الإلهيّة بالابن الوحيد. المعموديّة تمحو الخطيئة الأصليّة والخطايا الفعليّة. والمعَمَّد يتّصل بالعضويّة الحيّة في الكنيسة، جسد المسيح السرّي، وينخرط في مسيرة شعب الله. فالمعمّد الذي قبل الكلمة، وهي "النور الحقيقيّ الذي ينير كلّ إنسان" (يو ١/٩)، قد استنار، وأصبح ابن النور، بل نورًا: "قد كنتم من قبل ظلمة، أمّا الآن فأنتم نور بربّنا، فسيروا الآن هكذا كأبناء النور. إنّ ثمار النور في كلّ صلاح وبرّ وحقّ" (أفسس ٥/٨-٩).

**المعموديّة عطيّة** تُمنح للّذين لا يأتون بشيء؛ ونعمة تعطى حتّى للمذنبين؛ **وتغطيس** لأنّ الخطيئة تدفن في الماء؛ **ومسحة** لأنّها مقدّسة

وملوكيّة؛ واستنارة **لأنّها** ضياء سنيّ؛ **وثوب لأنّها** تستر خزينا؛ **وغسل لأنّها** تطهّر؛ **وختم دائم** لأنّها علامة لسيادة الله ووضع يده علينا (القدّيس غريغوريوس النزينزي، في التعليم المسيحيّ، ١٢١٦).

## ٢. السير على خطى المسيح في حفظ الوصايا

عندما انفتحت عينا الأعمى بقوّة المسيح-النور، "**مشى معه في الطريق**" (مر ١٠/٥٢). كلّ رؤية جديدة تؤدّي إلى سبيل جديد، على مستوى المسلك والعمل. عندما رأى موسى حضور الله على الجبل واستنار، سلّمه الله **الوصايا العشر** التي تسمّيها الكنيسة "نورًا مقدَّمًا لضمير كلّ إنسان ليكشف له نداء الله وسبله، ويحميه من الشرّ (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٩٦٢). قال القدّيس أغسطينوس: "كتب الله على لوح الوصايا ما لم يكن الناس يقرأون في قلوبهم". لمّا سأل ذلك الشاب يسوع عمّا يجب أن يصنع من الصلاح لينال الحياة الأبديّة، أجابه يسوع: "إحفظ الوصايا" (متّى ١٩/١٦). فالوصايا نور يهديه إلى كلّ صلاح. ولمّا استجاب طلب الأعمى ووضع نورًا في عينيه قاده إلى طريق الصلاح.

من هاتين اللوحتين يتبيّن أنّ "**المسيح هو الجواب الوحيد الذي يملأ رغبة قلب الانسان**" (البابا يوحنّا بولس الثاني، تألّق الحقيقة، ٧). و "كونه الانسان الجديد، ففيه يجد سرّ الانسان النور الحقيقيّ. إنّه يكشف الانسان للانسان، ويعيد إليه الشبه الإلهيّ الذي تشوّه بالخطيئة" (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٢). اقترب الشاب من يسوع ليأخذ جوابًا حول ما هو خير وما هو شرّ. وصرخ إليه الأعمى طالبًا البصر ليستطيع أن يرى ويمشي من دون عثار. ونحن **في زمن الصوم نقترب منه** بسماع كلامه وبالصوم والإماتة والتأمّل والاصغاء إلى إلهامات الروح والوقوف مع الذات بعيدًا عن الضجيج؛ **ونصرخ إليه** بالتوبة

والصلاة والتماس القوّة من صليبه لحمل مصاعب الحياة ومواجهتها، ومن قيامته للنهوض من سقطات الحياة إلى حياة جديدة. يبقى سؤال الشابّ سؤالَ كلّ واحد منّا، وطلبُ الأعمى طلبنا.

نظر يسوع إلى الشابّ وأحبّه (مر ١٠/٢١)، وسمع صراخ الأعمى وتوقّف واستدعاه، فأحبّه. **الوصايا العشر هي خلاصة محبّة الله والقريب وطريقها**، وهي تعبير عن الكرامة الخاصّة بالشخص البشريّ" الذي هو الخليقة الوحيدة التي أرادها الله لذاتها" (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٤).

**الوصيّة الأولى** هي أن "تقرّ بأنّ الله هو الإله الوحيد، وأن تحبّه من كلّ قلبك، وكلّ نفسك، وكلّ قدرتك" (تثنية ٦/٥؛ متّى ٢٢/٣٧) بالعبادة له دون سواه، وبتقديس اسمه، وبحفظ يوم الربّ. ومنها تتحدّر **الوصيّة الثانية**: "أن تحبّ قريبك كنفسك" (متّى ٢٢/٣٩)، ومقتضياتها: إكرام الوالدين، وعدم التعدّي على الانسان في حياته "لا تقتل"، وفي كرامته وقدسيّته "لا تزنِ"، وفي صيته وحقوقه "لا تشهد شهادة زور"، وفي وحدة حياته الزوجيّة وشركتها "لا تشتهِ إمرأة قريبك"، وفي ملكيّته الخاصّة "لا تسرق ولا تشتهِ مقتنى غيرك" (خروج ٢٠/١٢-١٧ ؛ متّى ١٩/١٨- ١٩).

**حُفظت الوصيّة الأولى** في سؤال الشاب وصرخة الأعمى، **والثانية** في "حفظ الوصايا منذ الصغر" من قبل الشابّ، وفي "السير مع يسوع في طريقه" من قبل الأعمى المبصر. هاتان الوصيّتان تشكّلان وحدة لا تنفصم، شهد لها المسيح بطاعته للآب ومحبّته للبشر حتّى الموت على صليب الفداء (يو ١٣/١؛ تألّق الحقيقة، ١٤). وهما الخطوة الأولى والضروريّة على طريق الحريّة التي لا تكتمل في هذه الدنيا بسبب عبوديّاتنا" (القدّيس أغسطينوس، في تألّق الحقيقة، ١٣و١٦).

بالمسيح ومعه على طريق الوصايا نسير نحو الحريّة من عبوديّات العالم وشهواته التي اختصرها يوحنّا الرسول بثلاث: شهوة الجسد، وشهوة العين وكبرياء الحياة (١ يو ٢/١٦).

### ٣. الكنيسة رائدة السلام وكرامة الشخص البشريّ

**أمرهم يسوع أن يدعوا الأعمى، فدعوه قائلين: "تشجّع، قم! هو يدعوك"** (مر ١٠/٤٩).

لكي يتمكّن الناس من تحقيق اللقاء بالمسيح، أراد الله الكنيسة. "إنّها ترغب في خدمة هذا الهدف الوحيد، وهو أن يهتدي كلّ إنسان إلى المسيح، ليقطع المسيح معه أشواط الحياة، **بقوّة الحقّ** التي تحرّك الانسان والعالم، **وبقوّة المحبّة** التي تشعّ من سرّ التجسّد والفداء. فالمسيح، كما يظهر من لوحة شفاء الأعمى، حاضر بقوّة الحقّ والمحبّة، بالرّغم ممّا يواجه الكنيسة من مضايقات مختلفة تمنعها من أن تنعم بالحضور والعمل الخاصّين بها. وبما أنّ المسيح هو الطريق إلى أيّ إنسان، وفي هذا الطريق ينضمّ إلى كلّ من الناس، فما من أحد يمكنه أن يوقف الكنيسة عن كلّ ما يعود على الانسان بالخير، ولا هي يمكنها أن تتغاضى عمّا يصيبه من ضرر. وعندما نتكلّم عن الانسان، لا نعني الانسان "المجرّد"، بل الانسان "الحقيقيّ"، "الواقعيّ"، "التاريخيّ"، بكامل واقعه المحسوس الذي لا يتكرّر والذي تبقى فيه كاملة صورة الله ومثاله (تك ١/٢٧١)، ويبقى تصميم الله عليه في إعداده للنعمة والمجد (فادي الانسان، ١٣).

بهذا المعنى نفهم كلمة آباء الكنيسة: "**لا خلاص خارج الكنيسة**"، اي إنّ كلّ خلاص يأتي من المسيح الرأس بواسطة الكنيسة التي هي جسده، والتي تعلن إنجيل الخلاص لجميع الناس (التعليم المسيحيّ، ٨٤٦ -٨٤٨). بل

كم نسمع الناس يقولون عندنا بعفويّة: خلاصنا إنّما يأتي بواسطة الكنيسة. إنّها ضمانة الخلاص من خلال مبادئها ومبادراتها، من دون أن تتلوّن بأيّ نظام سياسيّ أو اقتصاديّ. إنّها تردّد لكلّ فرد وجماعة وشعب يرغب في الخلاص: "**تشجّع، قم! إنّه يدعوك**".

**الكنيسة** في العالم هي العلامة والحماية لسمّو الشخص البشريّ (الكنيسة في عالم اليوم، ٧٦)؛ ولذا، تدعو كلّ مسيحيّ ليكون فاعل سلام لا يتعب. يلتمسه من الله كخير أساسيّ، ويخدم قضيّته بفخر واندفاع (رسالة البابا بندكتوس السادس عشر بمناسبة يوم السلام العالميّ، أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧، عدد ١٦).

عندما توقّف يسوع واستدعى الأعمى وحاوره وشفاه، أراد أن يبيّن **أساس السلام** في داخل الانسان وفي المجتمع، **أعني المعاملة بالمثل في الحقوق والواجبات بين الأشخاص**: "إنّ واجب الإقرار بالحقّ الطبيعيّ لدى الانسان واحترامه كحقّ أساسيّ من حقوقه، يستمدّ قوّته الملزمة من الشرع الطبيعيّ الذي يمنحه ويقضي بالواجب الملازم له" (السلام على الأرض، ٣٠).

وبيّن الربّ يسوع من ناحية أخرى أنّ **التعاون المتبادل** يقتضيه السلام الاجتماعيّ والتعايش السلميّ بين الناس. "فالبشر اجتماعيّون بطبعهم، وبالتالي يجب عليهم أن يعيشوا معًا، وأن يسعى بعضهم إلى خير بعضهم الآخر. إنّ الأصول السليمة، التي يُبنى عليهم عيشهم المشترك، تقتضي إعتراف الناس المتبادل بالحقوق والواجبات وتحقيقها (المرجع نفسه، ٣٦).

وعزّز الربّ أيضًا لدى مرافقيه "**الحسّ بالمسؤوليّة**". تقتضي كرامة الشخص البشريّ أن يكون مدفوعًا من تلقاء ذاته، وبوحي من قراره، إلى ممارسة حقوقه وأداء واجبه والعمل على خدمة الآخرين في المجتمع من خلال المشاركة في النشاطات المتنوّعة. "أنّ مجتمعًا بشريًّا قائمًا على

منطق القوّة ليس إنسانيًّا بشيء. فالناس فيه مقلّصو الحريّة، في حين ينبغي تعزيزها فيهم" (السلام على الأرض، ٣٤).

## ■ ثانيًا، زمن الصوم ومراحل درب الصليب

درب الصليب طريق مظلم نحو وطن مضيء وحرّ، حيث ينتظرنا "ما لم تره عين، ولا سمعت به أذن، ما هيّأه الله للّذين يحبّونه" (١كور ٢/٩). إنّه طريق الرجاء ضدّ كلّ رجاء، فعند هبوط الليل يطلع اليقين بأنّ الفجر آتٍ. آلام المسيح التي تقوده إلى الموت تحيي فيه رجاء القيامة. والرجاء يصبح حقيقة ويأتي العالم الجديد.

### في المرحلة الحادية عشرة، يسوع يسمّر على الصليب

«وكانت الساعة الثالثة حين صلبوه. وكتبت لوحة في علّة موته: «هذا هو ملك اليهود». وصلبوا معه لصّين: أحدهما عن اليمين، والآخر عن الشمال».
(مر ١٥/٢٥-٢٧).

يسوع يُصلب بمسامير حادّة في يديه ورجليه، والدماء تسيل من رأسه المكلّل بالشوك، وفمه ملآن خلاًّ ومرارة، وصدره مطعون بحربة، وكلّ حواسّه مصلوبة. **إنّه ذبيحة التكفير عن كلّ أنواع خطايا البشر**. في مساء حياته المظلم والظالم، يسوع على يقين من محبّة أبيه السماويّ، وفيه رجاء، بالرّغم من الانكسار، أنّه سيقوم من ظلمة الأرض مثل "كوكب الصباح المنير" (رؤيا ٢٢/١٦). كلّما اقترب يسوع من الموت، عرف أنّه يقترب من القيامة. يسوع رجاء المتألّمين: "مصلوبون إذن قياميّون".

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ الثالث من المجمع البطريركيّ

المارونيّ، بعنوان: **حضور الكنيسة المارونيّة في النطاق البطريركيّ**. نتوقّف هذا الأسبوع عند **المعوّقات الراهنة في العلاقات المسيحيّة الاسلاميّة** (الفقرات ٤٧-٥٩).

يشير النصّ المجمعيّ إلى **الاختلافات العقائديّة بين الدينين** في أمور الثالوث الأقدس، وألوهيّة المسيح، وموته وقيامته لافتداء الانسان وعلاقة الله بالبشر. هذه لا تُعدّ معوقات للحوار، بل مادّة للتبادل اللاهوتيّ الصادق (فقرة ٤٨). لكنّ النصّ يعدّد **المعوقات الأخرى** التي تعرقل نموّ العلاقات المسيحيّة-الاسلاميّة، وهي التالية:

١. **الأوهام والأحكام المسبقة** في حقّ الدين الآخر، **والتصانيف الاختزاليّة** للمسيحيّة والاسلام. إنّها أشكال من التمييز الاتني والدينيّ. ينبغي تناولها بالدرس العلميّ الصادق. هذه النظرة بدأت بالانحسار بفضل الحوار المثمر، والدراسات المعمّقة عن الاسلام التي قام بها مفكّرون موارنة قديمًا وحديثًا (الفقرات ٤٩-٥١).

٢. **التعميمات المتسرّعة على الاسلام المعاصر**، على أثر عمليّة ١١ أيلول ٢٠٠١ الإرهابيّة، ومفادها أنّ الاسلام يساوي الأصوليّة، والتطرّف والعنف (فقرة ٥٢).

٣. **حرمان المسيحيين** من ممارسة شعائرهم الدينيّة بحريّة في أماكن عبادة خاصّة بهم، أو من توفير التربية الدينيّة المناسبة لناشئتهم في مراكز تربويّة تابعة لهم، أو من فقدانهم المساواة في المواطنيّة داخل أوطانهم بسبب أوضاعهم كأقليّة. بالرّغم من كلّ ذلك تبقى الكنيسة مستعدّة للحوار والتعاون (فقرة ٥٣).

٤. **اختلاف النظرة إلى الحقّ في الحريّة الدينيّة** بين المسيحيّة والاسلام.

في المسيحيّة، الحريّة الدينيّة حقّ طبيعيّ وأساسيّ لجميع الناس. في أمور الدين، لا يجوز إكراه أحد على العمل بما يخالف معتقداته. يحقّ للأفراد تغيير دينهم إذا دعاهم ضميرهم إلى ذلك. أمّا على صعيد الاسلام، فيُحلّ زواج المرتدّ من امرأته المسلمة بطريقة قسريّة، ويُحرم من حقوق الوراثة بسبب اختلاف الدين، وتُعرّض حياته لخطر الموت. فلا بدّ من التقيّد بالاعلان العالميّ لحقوق الانسان (الفقرات ٥٤-٥٦).

٥. **الزيجات المختلطة** والنظرة المختلفة إلى حقوق طرفي الزواج عند قيامه وأثناءه وعند انحلاله: الاسلام لا يسمح لمسلمة الزواج من مسيحيّ، والمسيحيّة التي تتزوّج من مسلم لا ترثه، وعند انحلال الزواج تحرم من حضانة أولادها (فقرة ٥٧).

٦. **تنامي الأصوليّة في الخطاب الدينيّ الاسلاميّ** من حين إلى آخر، يقابله ردود فعل مسيحيّة مماثلة. الكنيسة تدعو إلى تطوير هذا الخطاب عند الجانبين، وإلى المعرفة الحقيقيّة والموضوعيّة المتبادلة، بحيث يتاح للمسيحيين أن يسمعوا ما يقول المسلمون عن أنفسهم، وللمسلمين أن يسمعوا ما يقول المسيحيّون عن أنفسهم. من شأن هذه المعرفة أن تهدم الجدران وتخلق الأجواء الملائمة للتواصل والتعاون (فقرة ٨٥).

٧. **العنف باسم الدين**. إنّها ظاهرة قد تقوّض أركان السلام العالميّ. تلافيًا لهذه الظاهرة وتداعياتها، كان "يوم الصلاة من أجل السلام" في أسّيزي (٢٤ كانون الثاني ٢٠٠٢) الذي دعا إليه البابا يوحنّا بولس الثاني، وشارك فيه ممثّلون عن مختلف أديان الأرض. وصدر عنه "**مبادىء أسّيزي العشرة حول السلام**". وهي شرعة عظمى للأديان للسير نحو بناء

السلام الحقيقيّ. وقد أرسلها البابا مع رسالة إلى رؤساء الدول والحكومات في العالم، في ٢٤ شباط ٢٠٠٢ (فقرة ٥٩).

بعد تقبّل هذا النصّ تتّخذ الهيكليّات الرعويّة مبادرات عمليّة تطبيقيّة.

***

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، أصلُبْ معك كلّ ميولنا إلى الخطيئة والشرّ، روحًا وجسدًا، ولتكن حواسّنا ذبيحة لك. ولتنشد لك جميع أعضائنا نشيد المجد. نسألك أن يغمرنا بالنعمة المبرّرة دمك القدّوس الجاري من جراحاتك الخمسة، لنتمكّن من أن نموت عن العالم ونحيا من أجلك. لك المجد وللآب الذي أرسلك وللروح الذي قوّاك حتّى الصليب، إلى الآبد. آمين (صلاة المكرّم الكردينال Newman).

الأحد ١ نيسان ٢٠٠٧

# أحد الشعانين

## ملوكيّة يسوع خلاص وفداء

### من إنجيل القدّيس يوحنّا الرسول ١٢/١٢-٢٢

لمّا سمع الجمع الكثير، الذي أتى إلى العيد، أنّ يسوع آتٍ إلى أورشليم، حملوا سعف النخل، وخرجوا إلى ملاقاته وهم يصرخون: «هوشعنا! مبارك الآتي باسم الربّ، ملك إسرائيل». ووجد يسوع جحشًا فركب عليه، كما هو مكتوب: «لا تخافي، يا ابنة صهيون، هوذا ملكك يأتي راكبًا على جحش ابن أتان». وما فهم تلاميذه ذلك، أوّل الأمر، ولكنّهم تذكّروا، حين دعا لعازرً من القبر وأقامه من بين الأموات، كان يشهد له. من أجل هذا أيضًا لاقاه الجمع، لأنّهم سمعوا أنّه صنع تلك الآية. فقال الفرّيسيّون بعضهم لبعض: «أنظروا، إنّكم لا تنفعون شيئًا! ها هو العالم قد ذهب وراءه!». وكان بين الصاعدين ليسجدوا في العيد، بعض اليونانيين. فدنا هؤلاء من فيليبّس الذي من بيت صيدا الجليل، وسألوه قائلين: «يا سيّد، نريد أن نرى يسوع». فجاء فيليبس وقال لأندراوس، وجاء أندراوس وفيليبس وقالا ليسوع.

***

بدخوله إلى أورشليم يختتم الربّ يسوع حياته العامّة، التي أعلن خلالها رسالته الخلاصيّة، تعليمًا وأفعالاً. ونحن نختتم مسيرة الصوم التي أدخلتنا في عمق العمل الخلاصيّ، فكانت **عودة إلى الذات** بأفعال التقشّف والإماتة،

تكفيرًا عن خطايانا وتدريبًا للإرادة والسيطرة على الذات؛ **وعودة إلى الله** بالاصغاء إلى كلامه الحيّ، والتوبة عن الحياة السابقة، والمصالحة معه بالمسيح وبدء حياة جديدة؛ **وعودة إلى الأخوّة** بترميم روابط الأخوّة من خلال أفعال المحبّة والرحمة، وبالمصالحة بين المتنازعين. وبذلك "**نصل إلى الميناء**" الروحيّ لندخل مع الربّ يسوع أسبوع آلام الفداء لنموت معه ونقوم قيامة القلوب، فنحقّق فصحنا بالعبور إلى الحياة الجديدة، ونباشر بناء مدينة الله في مدينة الأرض.

## ■ أوّلاً، مفهوم حدث الشعانين

### ١. ملوكيّة يسوع للخلاص والفداء

يسوع يدخل أورشليم لآخر مرّة ليشارك في عيد الفصح اليهوديّ، وكان مدركًا اقتراب ساعة آلامه وموته. وخلافًا لكلّ المرّات، لم يمنع الشعب من إعلانه ملكًا، وارتضى دخول المدينة بهتافهم: "هوشعنا لابن داود مبارك الآتي باسم الربّ، ملك اسرائيل". دخل أورشليم ليموت فيها ملكًا فاديًا البشر أجمعين، وليقوم من بين الأموات ملكًا مخلّصًا إلى الأبد من أجل بعث الحياة فيهم. هذا يعني أنّه أسلم نفسه للموت بإرادته الحرّة.

**علامتان** سبقتا هذا الحدث الخلاصيّ وكلمات بيّنته. **أقام لعازر من الموت**، استباقًا لقيامته على ما أنبأ غير مرّة: "إنّه يتألّم ويصلب ويموت، وفي اليوم الثالث يقوم". وأثناء الوليمة التي أقيمت له قبل أسبوع في بيت لعازر، **دهنت أخته مريم رجلي يسوع بالطّيب** الغالي الثمن، فتنبّأ يسوع أنّ ذلك كان استباقًا لدفنه (يو١٢/٣-٧) أمّا **الكلمات** فكانت: ويوم دخوله أورشليم **أعلن** لبعض اليونانيين الذين جاؤوا إلى العيد أنّ ساعة موته أتت، وهي ساعة انكسار الشيطان وتحقيق خلاص الجنس البشريّ؛ **وشبّه** سرّ

موته وقيامته وولادة الحياة الجديدة في المؤمنين بحبّة الحنطة التي، إذا ماتت في الأرض، أعطت ثمرًا كثيرًا؛ **وأكّد** أنّه، بارتفاعه على الصليب وبقيامته وصعوده، يرفع البشريّة إلى مجد قيامة القلوب استباقًا لمجد السماء (يو ١٢/٢٤-٣٢).

قرّر الدخول إلى أورشليم لكي يموت فيها، وقد أعلن: "ينبغي ألاّ يهلك نبيّ خارج أورشليم" (لو ١٣/٣٣)، لأنّها العاصمة الدينيّة والسياسيّة للشعب اليهوديّ، ولأنّ فيها قُتل جميع الأنبياء، بسبب تسييس الدين وفصل الإيمان عن العقل المترجمين بالنظام السياسيّ التيوقراطيّ. وقد أنذرها بقوله: "أورشليم، أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرّة أردت أن أجمع بنيكِ، كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها، فلم تريدوا. هوذا بيتكم يترك لكم خرابًا. فإنّي أقول لكم: لا ترونني بعد اليوم حتّى تقولوا: مبارك الآتي باسم الربّ" (متّى ٢٣/٣٧-٣٩).

**نادى الشعبُ به ملكًا يعطي الخلاص**: هوشعنا، يا ربّ خلّص. "**هوشعنا لابن داود**". هذا ما أغضب الفرّيسيين إذ قال بعضهم لبعض: "ترون أنّكم لا تستفيدون شيئًا. هوذا العالم قد تبعه" (يو١٢/١٩). لقد جاء قولهم تأكيدًا لقرار قتله الذي اتّخذه عظماء الكهنة والفرّيسيّون للسبب عينه بعد قيامة لعازر من القبر (أنظر يوحنّا ١٢/٤٦-٥٢).

لكنّ **ملوكيّة يسوع** ليست سياسيّة زمنيّة، بل روحيّة أبديّة. والمدينة، أورشليم، ليست مدينة الأرض بل مدينة الله أي الكنيسة، إبنة صهيون، أورشليم الجديدة. في ضوء موت يسوع وقيامته، اللذين يسمّيهما يوحنّا الرسول "ساعة تمجيد يسوع"، قرأ هذا الرسول نبوءة زكريّا وطبّقها على الحدث: "إفرحي، لا تخافي يا ابنة صهيون، هوذا ملككِ آتيًا إليكِ بارًّا

مخلّصًا وضيعًا، يستأصل قوس القتال، ويكلّم الأمم بالسلام، ويكون سلطانه من البحر إلى البحر، ومن النهر إلى أقاصي الأرض" (زكريّا ٩/١٠). **ملوكيّته هي شموليّة الخلاص للبشريّة جمعاء.**

**٢. ملوكيّته شهادة للحقيقة**

سيقول يسوع أمام بيلاطس "إنّ مملكتي ليست من هذا العالم". وعندما سأله إذا كان ملكًا، أجاب: "هو ما تقول، فإنّي ملك". وشرح أنّ ملوكيّته في الكنيسة قائمة على **إعلان الحقيقة التي تخلّص**: "أنا ما ولدت وأتيت إلى العالم إلاّ لأشهد للحقّ. فكلّ من كان من الحقّ يصغي إلى صوتي" (يو ١٨/٣٦-٣٧).

أبناء الكنيسة وبناتها هم **الشهود للحقيقة** التي أعلنها يسوع المسيح حقيقة الله والانسان والتاريخ. يشهدون لها بثقافة حياة. عندما يتكلّم الإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان" عن الالتزام السياسيّ، يدعو المسيحيين لهذه الشهادة، للعيش بموجب هويّتهم الجديدة، التي نالوها بالمعموديّة، فأصبحوا بفضلها مشاركين في ملوكيّة يسوع المسيح، ليشهدوا بأعمالهم ومواقفهم الصالحة للحقيقة والمحبّة. عليهم أن يبثّوا روح الإنجيل في الشؤون الزمنيّة، بحيث يلتزمون بخدمة الشخص البشريّ والمجتمع، من خلال نشاطاتهم السياسيّة والاقتصاديّة والإداريّة والقضائيّة والثقافيّة. على هذا الأساس يتمّ انتخاب من يجب انتخابهم في المجالس البلديّة والاختياريّة والبرلمانيّة وفي النقابات والسلطات العليا. ولكي يشاركوا في ملوكيّة المسيح، ينبغي أن يتّصفوا بالزهد الروحيّ والتجرّد، وبتقدمة الذات والتفاني في خدمة المحبّة والحريّة والعدالة، وفي إرساء أسس السلام والأخوّة الاجتماعيّة (الفقرة ١١٣).

هذا المفهوم لملوكيّة يسوع، أدركه **الأطفال** عفويًّا وبوحي من الروح، إذ هتفوا في الهيكل: "هوشعنا لابن داود (متّى ٢١/١٥)، كما تنبّأ داود في المزمور: "على ألسنة الأطفال والرضّع أعددت لنفسك تسبيحًا" (مز ٨/٣). و"الصغار" في الكتاب رمز الشعب المؤمن الوضيع، المعروف "**بفقراء الله**"، الذين "بسطوا أرديتهم على الطريق، وقطعوا أغصان الشجر، وفرشوا بها الطريق أمام يسوع، وهتفوا: "هوشعنا لابن داود، تبارك الآتي باسم الربّ: هوشعنا في الأعالي" (متّى ٢١/٨-٩). هذه الهتافات هي صدى لهتافات الملائكة ورعاة بيت لحم ليلة ميلاد يسوع. لهذا السبب جُعل الميلاد والشعانين عيد الأطفال، ومن تمثّل بإيمانهم وعفويّتهم وبساطتهم من الكبار، وهذا شرط لقبول سرّ المسيح: "إن لم ترجعوا فتصيروا مثل الأطفال، لن تدخلوا ملكوت السموات" (متّى ١٨/٣). ولهذا السبب أيضًا اختير عيد الشعانين اليوم العالميّ للشبيبة، يحتفلون به هذه السنة في الأبرشيّات. وقد وجّه قداسة البابا رسالة إلى الشبيبة بعنوان: "كما أحببتكم أنا، أنتم أيضًا تحبّون بعضكم بعضًا" (يو ١٣/٣٤).

### ٣. صليب الفداء أساس الكنيسة

**الكنيسة** هي **أورشليم الجديدة**، مملكة المسيح، مدينة الله في العالم. إنّها "الشركة مع الله، والشركة بين الناس" المعبّر عنها بصلاة "الأبانا" (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٢٧٩٠). **صليب المسيح**، الذي تمّ به فداء العالم ووحدته، **هو أساس الكنيسة**. لهذا السبب تزامن إعلان مملكة يسوع وملوكيّته في يوم دخوله أورشليم مع قرار قتله وإعلانه الشخصيّ لسرّ موته، كما رأينا. هتاف "**هوشعنا**" أصبح "أصلبه" ولا عجب! فإذا ضممنا الكلمتين نقول: "**يا ربّ خلّص بصلبك!**".

عندما اشتدّ اضطهاد نيرون للكنيسة الناشئة في روما، تراجع بطرس وأخذ طريق العودة إلى فلسطين، عبر طريق Appia المؤدّية إلى الشرق. ظهر له يسوع في الطريق. فسأله بطرس:"Quo vadis? إلى أين تذهب يا ربّ؟" فأجابه يسوع: "ذاهب إلى روما لأُصلب فيها من جديدا" فارتعد بطرس والتصقت قدماه على حجر الطريق الذي ما زال يحمل علامتهما، حسب التقليد المحفوظ إلى اليوم، وأدرك أنّ عليه هو أن يُصلب، فرجع إلى روما، واستشهد صلبًا، طالبًا أن يكون رأسه مكان قدمي يسوع.

أحد الشعانين، وهو اليوم الأوّل من أسبوع الآلام والفصح، **قائم على ركيزتين: أغصان النخل والزيتون** علامتي الانتصار وصليب الألم من جهة، وعلى "**هوشعنا**" و"**أصلبه**" من جهة أخرى. تبسّط أغسطينوس بهذا المفهوم فقال: "**الكنيسة تسير نحو نُهية الأزمنة بين اضطهادات العالم وتعزيات الله**". ولأنّ المسيح واجه، بحريّة تامّة، الموت على الصليب، وبموته انتصر، تردّد الكنيسة: "**العالم يُطوى والصليب باقٍ**"، مستلهمة ما كتب بولس الرسول في رسالته إلى العبرانيين: "وأمّا في الابن فقال: "كرسيّك يا الله إلى أبد الدهور. صولجان استقامة صولجان ملكك. أحببت البرّ، وأبغضت الإثم، لذلك مسحك الله إلهك بدهن الفرح أفضل من أصحابك". وقال أيضًا "أنت من البدء وضعت أساسات الأرض، والسماوات هي صنع يديك. هي تزول وأنت باقٍ، وكلّها كالثوب تبلى، وتطويها كالرداء. هي تتغيّر، وأنت كما أنت، وسنوك لا تنتهي". (عبر ١/٨-١٢).

بصليبه وطّد السيّد المسيح السلام، وحقّق الخلاص في العالم وتحرير الشعوب، لا بالحرب والاقتتال والعنف والارهاب، بل بموته، فمحا خطايانا فاديًا، وبقيامته، فكسب لنا الخلاص مبرّرًا. نستقبله في الشعانين بالعرفان

والحبّ نحو الذي بذل نفسه من أجلنا. فلم يقاوم ولم يتراجع، بل قدّم ظهره للجلد، ولم يمل وجهه عن الإساءة والقتل (أشعيا ٥٠/٤-٧).

### ٤. الشعانين ترسم طريق السلام

ذهب يسوع إلى أورشليم ليموت فيها ملكًا وفاديًا، ويخلّصها. قصّة Quo vadis تتكرّر اليوم. إنّه يذهب إلى كلّ بلد ومدينة ومكان فيه قتل واضطهاد، وعنف وحرب وإرهاب. لكنّه يذهب من خلال ذوي الإرادة الطيّبة والملتزمين الذين يصمدون في مكانهم، ويتألّمون في سبيل خلاص شعبهم ووطنهم.

**طريق السلام يبدأ "بالثقة"**: "لا تخافي يا ابنة صهيون؛ ثقة بالرحمة الإلهيّة، فيمتلىء القلب سلامًا، ومنه ينتشر في كلّ مكان. الثقة تنفي اليأس".

**بطرس** أنكر يسوع خوفًا، لكنّه تاب وبثقته بكى بكاء مرًّا. **يهوّذا الإسخريوطيّ** خان يسوع بيعًا بثلاثين من الفضّة، لكنّه تاب وردّ المال لأصحابه على غير ثقة، فيئس وشنق نفسه. الفرق بينهما أنّ بطرس وضع ثقته في رحمة الله، أمّا يهوذا فلا.

"**قايين** قتل أخاه هابيل، **وداود** قتل أوريا ليتزوّج إمرأته. لكنّ **قايين** يئس من رحمة الله معتبرًا أنّ خطيئته أكبر من أن تُغتفر" (تك ٤/١٣)؛ أمّا **داود** فتاب واضعًا ثقته في رحمة الله، وصرخ: "ارحمني يا الله كعظيم رحمتك، وبحسب كثرة رأفتك أمحُ مآثمي" (مز ٥٠/٣).

**اللصّان اللذان صلبا مع يسوع**، ارتكبا الخطايا والجرائم فاستحقّا عقوبة الصلب: **واحد** لعن وأساء ويئس، **والثاني** حافظ على الثّقة وتاب فصرخ: "يا يسوع أذكرني متى أتيتَ في ملكوتك". فأجابه: "الحقّ أقول لك: اليوم تكون معي في الفردوس" (لو ٢٣/٤٣).

في عيد الشعانين، **نجدّد الثقة بالفادي الإلهيّ** "يسوع المسيح سلامنا" (أفسس ٢/١٤)، ونلتمس منه السلام الآتي من العلى. إنّنا نلتزم بأن نكون فاعلي السلام، ومدافعين عن كرامة الشخص البشريّ وحقوقه الأساسيّة، ومساهمين في تعزيز أنسنة حقيقيّة شاملة للإنسان والمجتمع. وهكذا ندرك أنّ "الشخص البشريّ هو قلب السلام" (البابا بندكتوس السادس عشر).

## ■ ثانيًا، أسبوع الآلام ودرب الصليب

مع أسبوع الآلام وفصح المسيح الذي هو عبوره من هذا العالم إلى الآب بالموت والقيامة، يدخلنا درب الصليب في طريق الملء **"لقد تمّ كلّ شيء"** (يو١٩/٣٠). إنّه ملء الألم والحبّ اللامتناهي، ملء الحقد والشرّ وكمال الغفران والرحمة، ملء الاتّضاع وإخلاء الذات وسموّ الارتفاع، ملء الصرخة العظيمة وإفاضة الروح للحياة الجديدة (مر ١٥/٣٧). ساعة الظلمة وصمت المسكونة التي تبكي موت خالقها، وانبلاج فجر القيامة من بطن الأرض. إنّه **ملء الرجاء** نحو **"سماء جديدة وأرض جديدة"** (رؤيا ٢١/١)، الرجاء الذي يعضد المسيحيّ في سيرة وراء المسيح، الشمس الحقيقيّ المنير كلّ إنسان، حاملاً صليبه كلّ يوم من مرحلة إلى مرحلة، مؤمنًا بالقيامة إلى حياة جديدة، وبقيامة مجتمع أفضل.

### في المرحلة الثانية عشرة، يسوع يموت فوق الصليب

«من الساعة السادسة إلى التاسعة، وقع ظلام على الأرض كلّها. ونحو الساعة التاسعة، صرخ يسوع صرخة عظيمة وقال: إيل، إيل، لماذا تركتني. وسمع بعض الحاضرين هناك فقالوا: «هو ينادي إيليا. وللوقت أسرع واحد منهم وأخذ إسفنجة وملأها خلاً، ووضعها على قصبة وسقاه. فقال الباقون: «دعونا ننظر، هل يأتي إيليّا ويخلّصه». وصرخ يسوع أيضًا صرخة عظيمة ولفظ الروح».

"لقد تمّ كلّ شيء". تحقّق تمامًا سرُّ حبّ الله لنا. دُفع الثمن وافتُدينا. لقد أراد الآب بالثمن الغالي، أن نكون غالين في عينيه. فقيمة الشيء من ثمنه، والثمن هو موت ابن الله في طبيعتنا.

**في المرحلة الثالثة عشرة، مريم تحتضن ابنها ميتًا منزلاً عن الصليب**

مريم في البشارة "احتضنت" الكلمة وأصبحت أمّ يسوع التاريخيّ، أمّ الإله الذي صار إنسانًا. وعلى أقدام الصليب احتضنت جثمان يسوع وأصبحت أمّ المسيح السرّي، أمّ جسده الذي هو الكنيسة. وهي أمومة تسلّمتها من ابنها المعلّق على الصليب: "يا امرأة هذا ابنك! يا يوحنّا هذه أمّك" (يو١٩/٢٦-٢٧).

**في المرحلة الرابعة عشرة، يسوع يُدفن في قبر**

«ولمّا كان المساء، جاء رجل غنيّ من الرامة، اسمه يوسف، وكان هو أيضًا قد تتلمذ ليسوع. فهذا قَدِمَ إلى بيلاطس، وطلب جسد يسوع، فأمر بيلاطس أن يعطى له الجسد. فأخذ يوسف الجسد، ولفّه بكفن من كتّان نظيف، ووضعه في قبر له جديد، منقور في صخرة، ثمّ دحرج حجرًا كبيرًا على باب القبر ومضى. وكانت هناك مريم المجدليّة ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر».

يسوع في بطن الأرض، مثل حبّة الحنطة التي تموت في الأرض وتعطي ثمرًا كثيرًا. يلج مثوى الأموات ويقيمهم في صمت سبت النور. ومن القبر بدأ عالم جديد من الحريّة والحبّ والفرح من دون حدود.

**■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة**

نختم اليوم تقبّل القسم الأخير من النصّ الثالث، من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، بعنوان: **حضور الكنيسة المارونيّة في النطاق**

**الأنطاكيّ. وتحديدًا آفاق المستقبل في العلاقات المسيحيّة - الإسلاميّة** (الفقرات ٦٠-٦٩).

تلتزم الكنيسة المارونيّة في لبنان والعالم العربيّ **بالمبادرات التالية:**

١. **تعزيز الحوار المسيحيّ الاسلاميّ** القائم على الصدق والصراحة المقرونين بالمحبّة والتفهّم والاحترام المتبادل وافتراض حسن النيّة عند الآخر. **والحوار موقف روحيّ قبل كلّ شيء،** بحيث يكون عيشنا المشترك منطلقًا من صميم وقوفنا أمام الله، الذي يضعنا بعضُنا على طريق بعضنا الآخر. من أجل الحوار ينبغي قبول الله أوّلاً في حياتنا. عند ذلك يصبح الحوار التزامًا بخدمة الانسان (الفقرة ٦٠).

٢. **المحافظة على تلاقي المسيحيّة والاسلام في لبنان،** والعمل برجاء وطيد على مدّ هذا الاختبار إلى كامل الشرق الأنطاكيّ المعروف اليوم بالعالم العربيّ. هذا التلاقي ظهر في الثقافة والحياة اليوميّة والتعاون المشترك في الشأن الوطنيّ (فقرة ٦٢).

٣. **توفير ثقافة خاصّة** بالإسلام للاكليريكيين والكهنة والطلاّب المسيحيين، وثقافة للمسلمين خاصّة بالمسيحيّة، بالتعاون مع نخبة من أهل العلم والفضيلة في الديانتين (فقرة ٦٢).

٤. **الشهادة للمسيح وإعلان بشارته الخلاصيّة لجميع البشر،** بالتزامن مع الحوار المتواصل مع الأديان الأخرى. الغاية من هذا الإعلان إيصال حقيقة الإنجيل من أجل التوبة إلى الله التي تعني التغيير في القلب وتحوّل حركته نحو الله، من دون اقتناص أحد إلى الحظيرة المسيحيّة (فقرة ٦٧).

٥. **صيانة النموذج اللبنانيّ في العيش المشترك،** المنظّم دستوريًّا، وتعميم

إيجابيّاته على كامل المنطقة العربيّة. ثمّ العمل الدؤوب على صيانة هذا النموذج من التعثّر أو الضياع. الكلّ من أجل الوحدة في التنوّع، وتعزيز الحريّات العامّة، وحفظ مقتضيات العدالة والسلام وحقوق الانسان، بما فيها حقوق المرأة، والتعامل الكريم مع الأقليّات على اختلاف أنواعها (فقرة ٦٨).

***

## صلاة

أيُّها الربّ يسوع، أعطنا اليقين أنّنا:

عندما نكون في الضيق، نشعر بأنّنا أقرب إليك؛

عندما يسخر منّا الناس، أنت تشرّفنا؛

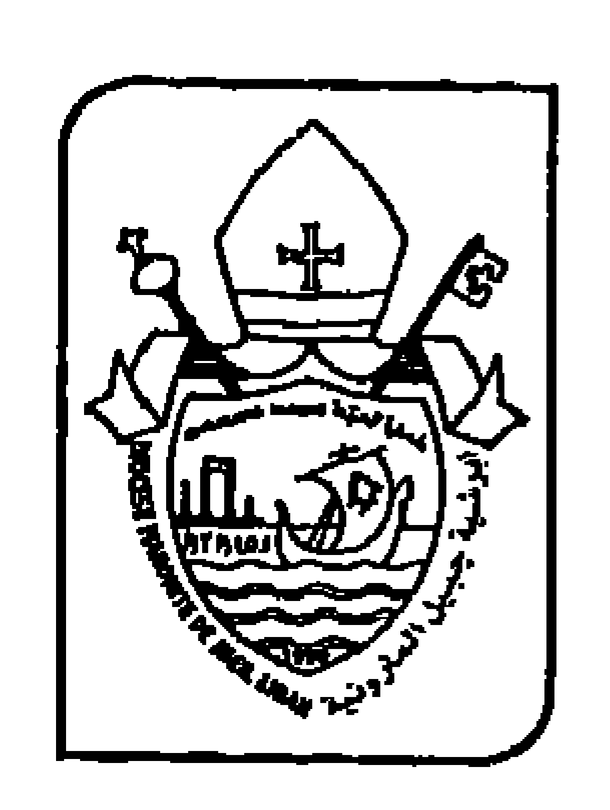
عندما يحتقرنا الناس، أنت تمجّدنا؛

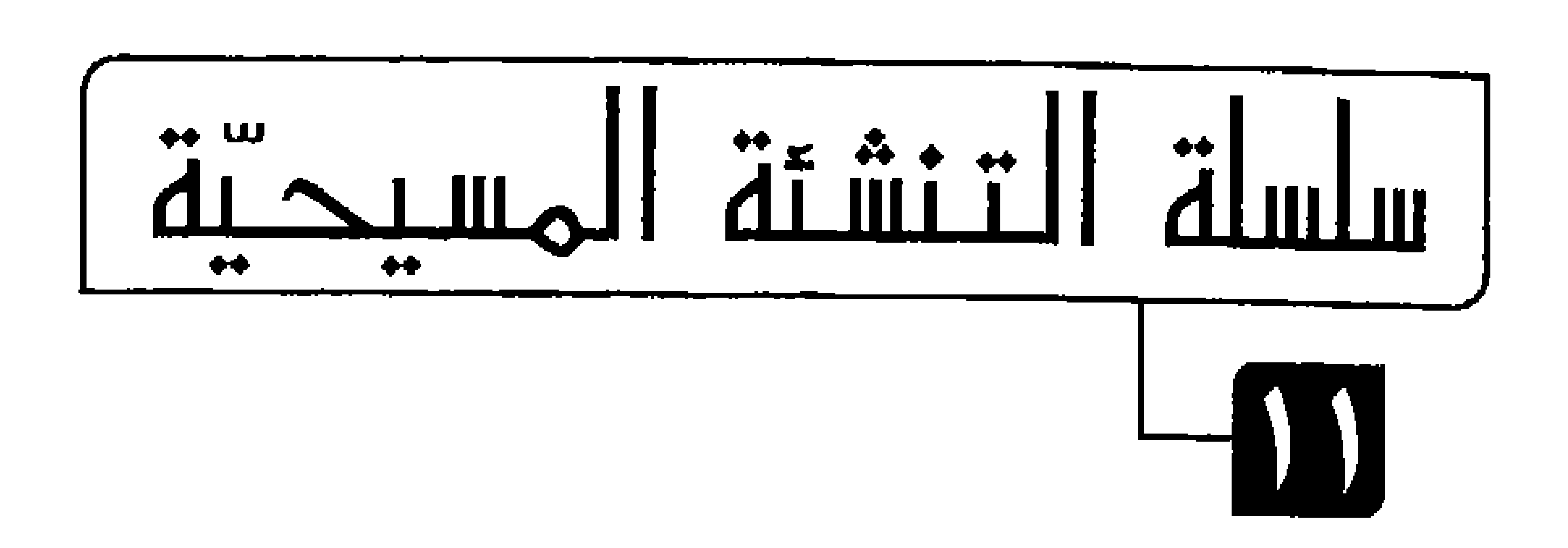
عندما ينسوننا، نشعر بأنّك تتذكّرنا؛

عندما يهملوننا، نشعر بأنّك تقرّبنا إليك.

وأنتِ يا مريم، إيّاكِ نعظّم، لأنّكِ قدّمتِ بين يديك للعالم الكلمة النور والهداية للعقول، واليوم تقدّمينه للعالم قربان فداء وخبزًا للحياة الجديدة. للثالوث المجيد الذي اختارك كلّ مجد وشكر إلى الأبد. آمين.

***






# الانجيل بشارة أبديّة لسكّان الأرض

(رؤيا ١٤/٦)

# زمن القيامة

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧

بشـــاره الــراعي
مطـران جـبيـل

NDU PRESS
منشورات
جامعة سيّدة اللويزة

# تقديم

هذا العدد الحادي عشر من سلسلة التنشئة المسيحيّة لزمن القيامة يعلن عن سرّ الفصح، الذي تحقّق فيه فداء الجنس البشريّ بموت ابن الله المتجسّد على الصليب وبثّ الحياة الالهيّة الجديدة في المفتدين بقيامته، وهو "**إنجيل بشارة أبديّة لسكّان الأرض**" (رؤيا ١٤/ ٦).

يعتمد هذا العدد **ثلاثة أقسام**: **الأوّل**، شرح نصّ الانجيل وإعلان بشرى قيامة الربّ وحضوره في العالم، من خلال الكنيسة، من أجل قيامة القلوب عند جميع الناس. **الثاني**، إعلان لجنة راعويّة السلام والديمقراطيّة، وإبراز الحاجة إلى تعزيز ثقافة السلام والديمقراطيّة، من أجل الوحدة والتضامن والتكامل. **الثالث**، الخطّة الراعويّة لتقبّل النصّ الرابع من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وعنوانه: "الكنيسة المارونيّة في انتشارها العالميّ".

نأمل أن تساعد هذه التنشئة على إعلان سرّ المسيح الفادي إنجيلاً لبشارة أبديّة لجميع سكّان الأرض، تحيي فيهم الرجاء بعالم أفضل.

**† بشاره الراعي**
مطران جبيل

الأحد ٨ نيسان ٢٠٠٧

# سرّ الفصح

## فصح المسيح ينبوع حضارة المحبّة

### من إنجيل القدّيس يوحنّا ٢٠/١-١٠

في صباح الأحد، والظلام ما زال، بكرت مريم المجدليّة إلى القبر، فرأت الحجر مرفوعًا عن القبر، فركضت آتية إلى سمعان بطرس، والتلميذ الآخر الذي كان يسوع يحبّه، وقالت لهما: «حملوا ربّنا من القبر، ولا أعلم أين وضعوه». فخرج بطرس والتلميذ الآخر، وأتيا القبر، وكان الاثنان يركضان معًا. ولكنّ التلميذ الآخر سبق بطرس، وبلغ القبر أوّلاً، فانحنى، فرأى اللفائف ملقاة، ولكنّه لم يدخل. ثمّ وصل سمعان بعده، فدخل القبر، ورأى اللفائف ملقاة، والكفن الذي كان على رأسه مشدودًا، غير ملقى مع اللفائف، بل مطويًّا على حدة في مكان آخر. ثمّ دخل التلميذ الآخر الذي كان بلغ القبر أوّلاً، فرأى وآمن، لأنّهما ما كانا عرفا بعد من الكتب: أنّه سيقوم من بين الأموات. ثمّ عاد التلميذان إلى حيث يقيمان.

***

**الفصح**، بمعناه البيبليّ، عبور المسيح من هذا العالم إلى الآب، بالموت والقيامة، ليكون وسيلة عبور لكلّ إنسان، من حالة الخطيئة والشرّ إلى حالة النعمة والخير، من إنسان عتيق إلى إنسان جديد، بانتظار العبور بالموت إلى عالم الله، إلى مجد السماء. أمّا **سرّ الفصح** فهو سرّ آلام المسيح وموته

وقيامته، الذي تفجّرت منه الحياة الالهيّة في الانسان المؤمن، فأصبح هذا الانسان بدوره شريكًا في السّر الفصحيّ.

## مسيرة سرّ الفصح

في هذا الأسبوع الممتدّ من اثنين الآلام إلى أحد القيامة، والمعروف "**بأسبوع الآلام**"، أو "**الأسبوع العظيم المقدّس**"، حوّل الرب يسوع آلامه إلى مخاض لولادة حياة جديدة، وجعل خشبة الصليب أداة فداء وشجرة حياة، وصيّر الموت قيامة، وحوّل قتله إلى ذبيحة غفران ووليمة سماويّة. وفيه أسّس سرّ الأفخارستيّا والكهنوت من أجل استمراريّة ذبيحة الصليب ووليمة العشاء السرّيّ، هنا والآن، لكي بالمشاركة في ذبيحة القدّاس يتحقّق السرّ الفصحيّ في المؤمنين بكامل ثماره. ولذا **فصح المسيح هو ينبوع حضارة المحبّة.**

### ١. الأيّام الثلاثة الأولى

عاد يسوع **صباح الاثنين** من أورشليم إلى بيت عنيا، ونبّه عن الخراب الآتي: لعن التينة لأنّها لا تعطي ثمرًا فيبست حالًا (متّى ١٩/٢١)، وطرد تجّار الهيكل الذين حوّلوا بيت الصلاة إلى مغارة لصوص (مر ١١/١٥-١٧). لكنّ المكيدة راحت تقوى والاصطدام مع الرافضين يكبر، فعلت لهجة التوبيخ ونعتهم بالجهل والعمى. وعند المساء بات في العراء، في جبل الزيتون، مصليًّا من أجلهم ومكفّرًا عنهم.

ثمّ رجع **صباح الثلاثاء** إلى أورشليم يدعو الضمائر إلى نور الحقيقة ويعلّم بالأمثال: الكرّامون القتلة (متّى ٢١/٣٣-٤٦)، ووليمة العرس (متّى ٢٢/١-١٤). ثمّ كشف عن سرّ موته الوشيك ومعناه، مشبّهًا إيّاه "بحبّة الحنطة التي، إذا

وقعت في الأرض وماتت، أعطت حبًّا كثيرًا" (يو ١٢/٣٣-٣٤). وعند المساء عاد إلى بيت عنيا وتعشّى في بيت سمعان الأبرص حيث جاءت مريم أخت لعازر، وذرفت قارورة الطيب على رجليه، كعلامة نبويّة لتكريم دفنه (متّى ٢٦/٦-١٣). بعدها دخل الشيطان يهوذا الاسخريوطيّ، الذي راح يفاوض الرافضين حول طريقة تسليمه إليهم لقاء مبلغ من الفضّة.

قضى يسوع **يوم الأربعاء** في خلوة صلاة، **وأرسل** تلاميذه إلى المدينة لاعداد عشاء الفصح يوم الخميس١٣ نيسان من تلك السنة، وكان العيد يوم السبت ١٥ نيسان، وكانت العادة اليهوديّة تسمح بعشاء العيد الخميس أو الجمعة. صدر يوم الأربعاء الحكم على قتل الربّ (مر ١٤/٣٥-٧٢؛ ١٥/١ ١٥)، وقبض يهوذا ثمن الخيانة ليسلّمه (القوانين الرسوليّة). يومها تمّ كلام المزمور: "قام الرؤساء وائتمروا معًا على الربّ وعلى مسيحه" (مز ٢/٢).

### ٢. الخميس: عشاء الفصح الجديد

حوّل يسوع عشاء فصح اليهود إلى عشاء فصحه الجديد. فأسّس الأفخارستيّا والكهنوت: **الأفخارستيّا** استباقًا لذبيحته على الصليب التي يفتدي بها البشر أجمعين، والتي يفيض منها الغفران للتائبين والحياة الجديدة للمتّحدين به في وليمة القربان، وهو الحيّ الدائم. وأسّس **الكهنوت** من أجل استمراريّة سرّ فصحه وتحقيق ثماره في المؤمنين بواسطة سرّ القربان وسائر الأسرار، بقوله "اصنعوا هذا لذكري" (لو ٢٢/١٤-٢٠). وقبل هذا التأسيس المزدوج، **غسل أرجل التلاميذ**، علامةً لتنقيتهم الداخليّة التي سيجريها بسرّ موته وقيامته، وأمثولة لهم في التواضع كأساس لحياتهم الجديدة، ودعوة إلى الاقتداء به. إنّ الجلوس إلى مائدة

الأفخارستيّا، الذبيحة والوليمة، يشترط نقاوة النفس بالغفران، ونقاوة القلب والمسلك بالتواضع (يو ١٣/٢-١٦).

يُدعى **خميس الأسرار** لأنّ من الأفخارستيّا تولد الأسرار السبعة المتفجّرة ينابيع خلاص من حمل الفصح الجديد، المذبوح والحيّ القائم من الموت (رؤيا ٢٢/١-٥). وتحقيق هذه الأسرار بواسطة خدمة الكهنوت، يؤتي ثمارها في الانسان المؤمن والمهيأ لها. إنّ عادة **زيارة سبع كنائس** هي تكريم لأسرار الخلاص السبعة. و**السجود للقربان** "المحبوس" على مذبح الصمدة تعبير عن السهر مع يسوع في جبل الزيتون ليلة موته، واستذكار لسهر بطرس ويعقوب ويوحنّا معه (متّى ٢٦/٣٦-٤٥). مذبح صمدة القربان هو إيّاه يصبح قبر المسيح يوم الجمعة.

في رسالته إلى شبيبة العالم، بمناسبة يومها العالميّ الثاني والعشرين لعام ٢٠٠٧ (أحد الشعانين)، والصادرة في ٢٧/١/٢٠٠٧، يقول قداسة البابا بندكتوس السادس عشر إنّ "سرّ القربان (الأفخارستيّا) هوالمدرسة الكبيرة للحبّ. فالمشاركة في القدّاس بوعي وتقوى، والسجود للقربان وقتًا طويلاً يعلّماننا كبر محبّة المسيح وعمقها واتّساعها وشموليّتها التي تفوق كلّ معرفة" (أفسس٣/١٧-١٧). ويضيف البابا: "إنّ تقاسمنا خبز القربان مع إخوتنا في الجماعة الكنسيّة الرعويّة يدفعنا لتجسيد محبّة المسيح عمليًّا وبسرعة في خدمة سخيّة نحو إخوتنا، كما فعلت مريم مع إليصابات (لو ١-٣٩-٤٥).

### ٣. الجمعة العظيمة: فداء الجنس البشريّ

بلغ حقد رافضي سلام يسوع المسيح ذروته فحكموا عليه بالموت حماية لمصالحهم واستقواءً عبوديًّا وكاذبًا بالقيصر، محتلّ أرضهم، وهادم هيكلهم،

ومخرّب أورشليم مدينتهم. لكنّ محبّة الله كانت أقوى "فأحبّهم يسوع حتّى النهاية" (يو ١٣/١). وأسلم ذاته طوعًا للموت، كحمل حامل خطاياهم وخطايا البشريّة بأسرها، كفّارة عن الجميع، وذبيحة مصالحة بين الله والناس، ومثل حبّة حنطة ماتت في الأرض وأعطت حبّات الحياة الجديدة، التي تؤلّف جسده أو المسيح الكليّ (يوحنّا ١٢/٢٤) الذي هو الكنيسة. بنتيجة هذا الحبّ أصبحت مريم، أمّ يسوع التاريخيّ، أمًّا للمسيح السريّ، وأصبح جميع الناس إخوة وأبناء بالابن الوحيد: "يا امرأة هذا ابنك، ويا يوحنّا هذه أمّك" (يو ٩/٢٦-٢٧). بآلامه وصلبه وموته، تضامن مع جميع المتألّمين في أجسادهم ونفوسهم وأرواحهم، فأعطى قيمة خلاصيّة لآلامهم، فحمل صليب الفداء والتكفير والمصالحة. هكذا، من على الصليب "ظهرت محبّة الله الكاملة والشاملة لجميع الناس، وهم خطأة"(روم ٥/٨). يستطيع كلّ إنسان أن يقول: "أحبّني المسيح وبذل نفسه من أجلي" (أفسس ٥/٢). وبسبب الفداء بدم المسيح، لن تكون حياة بشريّة من دون منفعة أو قيمة. ولذا تكشف صرخة يسوع على الصليب "أنا عطشان" (يو ١٩/٢٨) عطشه الكبير لأن يحبّ، ولأن يحبّه كلّ واحد منّا، ونحبّ بعضنا بعضًا دونما تمييز، حتّى محبّة الأعداء (رسالة البابا بندكتوس إلى الشبيبة).

قبل حلول الظلام أنزل يوسف جسد يسوع ولفّه بكفنٍ من كتّان نظيف، ووضعه في قبرٍ له جديد، منقور في صخرة، ثمّ دحرج حجرًا كبيرًا ووضعه على باب القبر ومضى. وكانت هناك مريم المجدليّة ومريم الأخرى، جالستين تجاه القبر (متّى ٢٧/٥٩-٦١).

### ٤. سبت النور

مكوث ربّ الحياة في مثوى الأموات هو إحياء لكلّ ميت: انحدر إلى

ظلمة القبر ليرفع البشريّة بأسرها إلى نور الحياة. فكلّ الأبرار الذين رقدوا قبل صلبه، من آدم إلى اللص اليمين التائب، أقامهم من موت قبورهم إلى الحياة في كيان الله: "اليوم تكون معي في الفردوس" (لو ٢٣/٤٣). **سبت النور** هو رمز الحقيقة التي تحيي وتحرّر. لهذه الحقيقة تشهد الكنيسة في سبت المائتين روحيًّا وإنسانيًّا، وفي سبت المقيّدين بسلاسل الاستعباد والاستقواء، وفي سبت الغارقين في أنانيّة مصالحهم الخاصّة والمتعامين عن الخير العامّ وكرامة الانسان والشعب والوطن.

يسمّى "**سبت النور**"، لأنّ فيه انبلج نور القيامة، نور حقيقة الله والانسان والتاريخ؛ إنّه نور الحقيقة التي تجمع وتحرّر (يو ٨/٣٢). تجمع، لأنّها الحقيقة المطلقة التي توفّق بين جميع الحقائق النسبيّة. وتحرّر، لأنّها تنقّي العقول من الكذب والنفاق، والضمائر من عماها، والقلوب من حقدها؛ كما تحرّر الانسان من أن يجري وراء كلّ تعليم، أو يميل مع ريح أيّ تعليم.

### ٥. حدث القيامة

بقيامة السيّد المسيح من بين الأموات، فجر الأحد المعروف باليوم الأوّل من الأسبوع، انتصرت المحبّة على الموت، والنعمة على الخطيئة، والحياة على الفناء؛ وتجدّد الرجاء بقيامة الانسان والمجتمعات والأوطان إلى حياة أفضل، وهو الرجاء الذي أعلنه الملائكة ليلة ميلاد ابن الله (لو٢ /١٤).الكنيسة الشاهدة لحقيقة قيامة القلوب تعلن أساس الشهادة مع القدّيس أغسطينوس: "خارجًا عن المسيح، الذي لم يخيّب الجنس البشريّ أبدًا، لم يخلص أحد، ولا يخلص أحد، ولن يخلص أحد" (مدينة الله)، ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً.

**القبر الفارغ** من جثمان يسوع دليل ناطق على قيامته، ولو أنّ مريم

المجدليّة ظنّت أنّ أحدًا أخذه ووضعه في مكان آخر (يو ٢٠/١٣)، ولو أنّ عظماء الكهنة أرتشوا الحرس ليقولوا إنّ تلاميذه جاؤوا ليلاً وسرقوه وهم نيام (متّى ٢٨/١٢-١٣). عظماء الكهنة الذين رشوا يهوذا الاسخريوطيّ بالمال ليسلّمهم يسوع ( متى٢٦/١٥)، رشوا مرّة ثانية حرّاس القبر بالمال لينكروا أنّ يسوع قام من الموت، بل ليقولوا إنّ تلاميذه جاؤوا ليلاً وسرقوه، وهم نيام. فكم أنّ حبل الكذب قصير؛ كيف رأى الحرس النائمون تلاميذ يسوع بالذات يأتون ليلاً ويسرقون جثمانه! وكيف لم يروا اللفائف والكفن المتروكة في القبر، التي رآها بطرس ويوحنّا وآمنا! (يو ٢٠/٦/٨).

**أزمة الحقيقة والرشوة** مستمرّة إلى يومنا، وتستعبد الكبار والمسؤولين. ونحن في مجتمعنا ما زلنا نعاني منها إلى اليوم، ولاسيّما في هذه الأيّام الأخيرة، في ما نسمع من خطابات تنتهك الحقيقة من أجل مصالح رخيصة، أو تفترض الحقيقة أو تصوّرها على هواها وتسمح لنفسها بتخوين الغير ورشقهم بسهام الاتّهام، دونما شعور بالإساءة. وهذا أمر مخزٍ حقًّا. وصف صاحب الغبطة والنيافة **البطريرك مار نصرالله بطرس صفير** هذه الحالة في رسالة صوم ٢٠٠٧، وعنوانها **"في محبّة الوطن"**، فقال: "إنّ ما شاهدناه في هذه الأيّام الأخيرة على مسرح الحياة السياسيّة في لبنان، وبخاصّة بين المسيحيينَ، يدلّ على أنّنا بعيدون كلّ البعد عن تعاليم السيّد المسيح": "إنّ ملوك الأمم يسودونها، والمتسلّطون عليها يُدعون محسنين، أمّا أنتم فلستم هكذا. بل ليكن الأعظم فيكم كالأصغر، والرئيس كالخادم" (لو ٢٢/٢٥-٢٦). فإذا بنا نتزاحم على السراب، ونتعادى على الحطام، وكأنّنا أصبحنا غير ما نحن. فانسقنا وراء غرائزنا، واستسلمنا لما يمليه علينا خيالنا. وكأنّنا رجعنا عشرين سنة إلى الوراء، لنرى المشاهد عينها، والاصطفافات ذاتها، والتراشقات التي لا تتبدّل ولا تتغيّر. وباطلٌ مات من مات، واستشهد من

استشهد، وهاجر من هاجر. وكأنّ الزمن قد تجمّد، ولم يدر الفلك دورته المعتادة. فإذا بنا نحن على حقّ، ومن هم قبالتنا على باطل، ولو كانوا إخوانًا لنا في الوطن، والدين، والتطلّع إلى المستقبل".

في ٧ أيلول ١٩٨٩، كتب خادم الله **البابا يوحنّا بولس الثاني** إلى أساقفة الكنيسة الكاثوليكيّة في العالم بشأن الوضع في لبنان. "دعاهم إلى يوم عالميّ للصلاة من أجل السلام في لبنان". وقال فيها: "إخوتنا في لبنان محاصرون بعنف السلاح والكلمة. يجب على الكنيسة جمعاء أن تتحرّك، فتتكلّم وتصلّي:

"**تتكلّم** بوجه استعلامات غالبًا ما هي مغرضة أو سطحيّة، علينا أن نعرّف بالتقاليد الغنيّة والتاريخيّة في لبنان للتعاون بين المسيحيين والمسلمين، وللتعدديّة المقبولة والمعاشة التي تشكّل قيمة أساسيّة توّجت تاريخ لبنان الطويل. ولهذا السبب، إذا سقطت هذه القيمة في لبنان، أصيبت قضيّة الحريّة بانكسار مأساويّ.

"**وتصلّي** لأن ليس لنا نحن المؤمنين سوى "سلاح" الصلاة، نرفعها من عمق ألمنا إلى ذاك الذي "دعانا من الظلمة إلى نوره العجيب" (١ بطرس ٢/ ٩). في هذه الأوقات المأساويّة لا يسعنا إلاّ أن نرفع إلى الله، أبي جميع البشر، صرخة الخوف الصاعدة من هؤلاء الاخوة، الذين يشعرون بأنّهم متروكون فيما بلدهم مهدّد بالزوال. إنّ الكنيسة ترغب في أن تبيّن للعالم أنّ لبنان أكثر من بلد: إنّه رسالة حريّة ونموذج تعدديّة للشرق كما للغرب!

* * *

**صلاة**

المسيح قام، حقًّا قام! قام من بين الأموات، ووطيء الموت بالموت. قام مخلّصنا ليمنحنا الانتصار والغلبة على أعداء الحقّ والخير والسلام، المنظورين وغير المنظورين. قام ليقيمنا معه من ظلمة خطايانا وزلاتنا. قام لكي يُظهرنا لامعين بقيامة القلوب، ومبتهجين بمجد القيامة.

أيّها المسيح المنتصر على الموت، أهدنا سلامك، واملاء قلوبنا روحًا قدّوسًا، لكي نبشّر العالم أجمع بقيامتك المجيدة. لأنّك أنت نورنا وقيامتنا، أيّها المسيح الاله. ولك ينبغي كلّ مجد وإكرام وسجود، ولأبيك الأزليّ وروحك القدّوس، الآن وإلى الأبد. آمين (من الليتورجيّة الالهيّة حسب الطقس الأنطاكيّ البيزنطيّ).

الأحد ١٥ نيسان ٢٠٠٧

# الأحد الجديد، الثاني من زمن القيامة

## كلّ شيء يتجدّد بالمسيح

### من إنجيل القدّيس يوحنّا ٢٠/٢٦-٣١

بعد ثمانية أيّام، كان تلاميذ يسوع ثانية في البيت، وتوما معهم. جاء يسوع، والأبواب مغلقة، فوقف في الوسط وقال: «السلام لكم». ثمّ قال لتوما: «هات إصبعك إلى هنا، وانظر يديّ. وهات يدك، وضعها في جنبي. ولا تكن غير مؤمن بل كن مؤمنًا». أجاب توما وقال له: «ربّي وإلهي». قال له يسوع: «لأنّك رأيتني آمنت؟ طوبى لمن لم يروا وآمنوا». وصنع يسوع أمام تلاميذه آيات أخرى كثيرة لم تدوّن في هذا الكتاب. وإنّما دوّنت هذه لكي تؤمنوا أنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم، إذا آمنتم، الحياة باسمه.

* * *

ظهور الربّ يسوع للتلاميذ ولتوما بعد ثمانية أيّام من قيامته هو ظهور أفخارستيّ شبيه بظهوره الأوّل في مساء أحد القيامة للتلاميذ المجتمعين في العليّة، والأبواب موصدة خوفًا من اليهود، ومكمّل له. ظهر في الوسط، لأنّه بعد القيامة يظهر من الأفخارستيّا، في القدّاس. هذا الأحد الأوّل يسمّى "الأحد الجديد"، لأنّه افتتاح لتجديد كلّ شيء بالمسيح. وجعل من يوم الأحد **"يوم الربّ"**، حيث تلتئم الجماعة حول المسيح الحاضر في سرّ القدّاس وتلتقيه فيجدّدها.

## ■ أوّلاً، شرح الانجيل

### ١. الأحد يوم الربّ والانسان والجماعة

إنّ يسوع في ظهوره الأوّل يوم قيامته **احتفل بأوّل أفخارستيا**: حضر وسط الجماعة، أراهم يديه وجنبه، وهي علامات ذبيحة الفداء على الصليب، وأعطاهم سلامه وغذاء جسده ودمه، وأرسلهم بعد أن نفخ فيهم الروح القدس، ليشهدوا أنّهم رأوا الربّ. وفي ظهوره الثاني بعد ثمانية أيّام، أظهر آثار ذبيحة الصليب لتوما، وملأه من الروح القدس، فهتف: "ربّي وإلهي". إنّه إيمان الجماعة القربانيّة وشهادتها، وهو إيمان يحيي ويُسعِد: "طوبى للّذين لم يروني وآمنوا" (يو ٢٠/٢٩)، لأنّه يعطي الحياة الالهيّة الفائضة من موت المسيح وقيامته: "إذا آمنتم أنّ يسوع هو المسيح ابن الله، كانت لكم الحياة باسمه" (يو ٢٠/٣١).

في القدّاس الالهيّ أصبح يسوع القائم من الموت، الحيّ الحاضر معنا بملء بركاته، يزيل كلّ عوز واضطراب وقلق، كما فعل في الآيات التي أتاها قبل فصحه، حيثما كان يوجد حسيًّا. أمّا بعد قيامته، فأمسى حاضرًا في كلّ مكان ووسط كلّ جماعة قربانيّة يردّد فيها الكاهن سلام المسيح:"السلام لجميعكم". هو دعاء وبركة لكي يملأ الربّ قلوب الحاضرين فرحًا، وحياتهم سعادة. هذا السلام هو شخص المسيح إيّاه: "المسيح سلامنا" (أفسس ٢/١٤).

عرف التلاميذ يسوع وآمنوا به عندما رأوا **آثار ذبيحته على الصليب**: المسامير في يديه، والحربة في صدره. **القدّاس** هو المكان والوسيلة للرؤية والمعرفة والايمان. الأمر نفسه حصل لتوما: رأى آثار الصلب، فعرف المسيح وآمن. وتلميذا عمّاوس كذلك: اتّقد قلباهما عند شرحه الكتب،

وعرفاه عند كسر الخبز، وآمنا فرجعا لساعتهما إلى أورشليم لنقل الخبر إلى الجماعة (لو ٢٤/٣٢-٣٣).

الظهورات الثلاثة حصلت يوم الأحد وفي إطار الأفخارستيّا. ولهذا سمّي الأحد، وهو اليوم الأوّل من الأسبوع، **"يوم الربّ"**، حسب اللفظة اللاتينيّة "dies dominica"، لأنّه يوم لقاء الله، في شخص المسيح، بالانسان والجماعة. أوّل من استعمل هذه التسمية كان يوحنّا الرسول، في الرؤيا التي كتبها: "انتقلت بالروح **يوم الربّ** وسمعت صوتاً عظيمًا كصوت بوق، وأنا في جزيرة بطمس"، يقول: "ما تراه أكتب فيه كتابًا وأرسله إلى الكنائس" (رؤيا ١/٩-١١). كان اليوم الأوّل من الأسبوع يسمّى قبل المسيح **"يوم الشمس"**، وقد استمرّت هذه التسمية في البلدان الأنغلوسكسونيّة إلى يومنا: Sunday في الانكليزيّة، وSonntag في الألمانيّة. وبعد المسيح أصبح الأحد يوم عيد حلّ محلّ السبت اليهوديّ، وبعد عهد قسطنطين أصبح عيدًا مدنيًّا.

في رسالة البابا يوحنّا بولس الثاني **"يوم الربّ"** (٣١ أيّار ١٩٩٨) سُمّي الأحد يوم المسيح ويوم الكنيسة ويوم الانسان. كذلك أصدر غبطة السيّد البطريرك الكردينال مار نصرالله بطرس صفير في مناسبة الصوم الكبير بتاريخ ٩ شباط ٢٠٠١ رسالة بعنوان "في يوم الربّ"، متبسّطًا في تعليم الرسالة البابويّة حول يوم الأحد.

إنّه أوّلاً **يوم الربّ** الذي تأمر الوصيّة الثالثة، من وصايا الله العشر، بحفظه وتقديسه (خروج٢٠/٨ و١١). بعد ستّة أيّام من العمل والانشغالات والنشاطات، ينبغي أن يقف الانسان أمام الله ومع نفسه، ليقيّم حياته: هل هي في الخطّ المستقيم، وتحقّق غاياتها، فيصحّح ما يلزم، ويندم عمّا أخطأ

به، ويستمدّ النور والقوّة من الله، ويشكر ويتشفّع. هذا ما يجري في يوم الربّ، والقدّاس خير وسيلة لذلك. إنّه لقاء الجماعة مع ربّها، ويتكوّن من لقاءات فرديّة وشخصيّة. في يوم الربّ نتذكّر عجائبه في الخلق والفداء، وبايمان نقرّ بتواصلهما، وبالرجاء ننتظر تجلّيات الله وأعمال تدبيره فينا، وفيه نحتفل "بالفصح الأسبوعيّ" (البابا زخيا الأوّل، القرن الخامس). إنّه يوم المسيح النور، يوم هبة الروح القدس، حيث المؤمنون بالمسيح يصبحون جماعة قربانيّة، وكنيسة محليّة هي جسد المسيح السريّ. في القدّاس، يوم الأحد، تلتقي الجماعة حول مائدة الربّ المزدوجة: مائدة الكلمة التي تنير الأذهان وسبيل المؤمنين، ومائدة خبز الحياة الذي هو جسد المسيح ودمه، زاد الأرواح وعربون المجد الآتي.

وهو **يوم الانسان** الذي يعود فيه إلى ذاته، للاستراحة من العمل والترفيه ولقاء الأهل والأصدقاء، بالفرح النابع من فرح المسيح. إنّه يوم سلام للانسان مع ربّه ونفسه والناس، ويوم لقاء مع الطبيعة التي ترتفع بالانسان إلى الخالق الذي ألبسها ثوب الروعة والجمال. يبقى على كلّ مسيحيّ أن ينظّم وقته، يوم الأحد، بحيث يستطيع المشاركة في ذبيحة القدّاس مع الجماعة الرعائيّة، والانقطاع عن الإعمال، والاغتناء بالقيم الروحيّة، وعدم الضياع في الفراغ.

وهو **يوم الجماعة** حيث يقوم المؤمنون بأعمال تضامن ورحمة ومحبّة ورسالة. تبدأ هذه المبادرات في القدّاس، حيث يكبر قلب المؤمن كبر قلب الكنيسة: فتذكر الجماعة في صلواتها وتذكاراتها جميع من هم في حاجة ماديّة أو روحيّة أو معنويّة؛ ويتبرّع كلّ مؤمن بما تسخو به يده في صينيّة التقادم من أجل غايات الكنيسة الرامية إلى خير الجماعة: العبادة والرسالة وخدمة محبّة الفقراء والخدمة الكهنوتيّة (مجموعة قوانين الكنائس الشرقيّة، ق ١٠٠٧)؛

ويقوم المؤمنون بنشاطات محبّة وعدالة وسلام مع المرضى والمعوزين والمسنّين والمعوّقين والأولاد المهملين.

## ٢. الأحد الجديد: إله جديد وإنسان جديد وعالم جديد

"لا تخافا! المسيح قام، كما قال" (متّى ٦/٢٨). هذا ما أعلنه الملاك لمريم المجدليّة ومريم الأخرى فجر الأحد عند باب القبر. إعلان مماثل قاله ملاك الربّ لرعاة بيت لحم يوم الميلاد: "لا تخافوا! ها أنا أبشركم بفرح عظيم: وُلد لكم اليوم مخلّص، هو المسيح الربّ في مدينة داود" (لو ٢/١٠-١١). وهكذا يكتمل الميلاد بالموت والقيامة. لقد حلّ ملكوت الله حقًّا بيننا، وهذا يغيّر كلّ شيء في الانسان وفي العالم: بعد الآن نعرف إلهًا جديدًا، ومن أجله نصبح إنسانًا جديدًا، والأرض تنفتح على عالم جديد (Pierre Marie Defieux: Evangéliques, t, 5. p.251).

**إله جديد** نعرفه في مطلع الأزمنة الجديدة. إله ابراهيم واسحق ويعقوب أخذ وجهًا هو الاله يسوع المسيح. أعلن بطرس الرسول في عظته الأولى: "فليعلم الجميع أنّ الله جعل يسوع هذا الذي صلبتموه أنتم ربًّا ومسيحيًّا" (أعمال ٣٦/٢). ظهر الله الآب على حقيقته في قيامة المصلوب، حيث تجلّى كلّ حنانه وحبّه. إنّه أب لنا: "إذهبي إلى إخوتي (مريم المجدليّة) وقولي لهم: إنّي صاعد إلى أبي وأبيكم، إلهي وإلهكم" (يو ١٧/٢٠). نصلّي مع القدّيس افرام النصيبي: "نزل من السماء ربًّا، ومن حشى الامّ خرج خادمًا. في الجحيم انحنى الموت إمامه، وفي القيامة الحياة عبدته. تبارك الله في يسوع المسيح!"

**إنسان جديد** يتجلّى لنا. على وجه المسيح القائم من الموت لا يظهر فقط وجه الله، بل أيضًا الوجه الحقيقيّ لأبناء الله، وجه النعمة والحياة، بدلاً

من وجه عبوديّة الموت والخطيئة. بقيامته أعاد لنا كرامة الخلق، وأظهر أنّنا أبناء الله: "والدليل على أنّكم أبناء هو أنّ الله أرسل إلى قلوبنا روح ابنه صارخًا: أبّا، أيّها الآب! فأنت إذا لم تعد عبدًا، بل أنت ابن؛ وإذا كنت ابنًا، فأنت أيضًا وارث بنعمة الله" (غلا ٤/٦-٧).

وراء المسيح القائم تألّف موكب الانتصار والتغيير الذي ضمّ كلاًّ من: **لصّ اليمين** وهو أوّل التائبين المدعوّين، **ومريم المجدليّة** الخاطئة وأوّل المعزّين، **وبطرس الناكر** وأوّل الرائين القبر الفارغ، **وتوما** غير المؤمن وأوّل مرتّد، **وتلميذي عمّاوس** المحبطين وأوّل متناولي جسد الربّ، والنسوة **القدّيسات** الخائفات وأوّل الرسولات لدى الرسل.

أجل، في القيامة، "**يظهر مجد الله في الانسان الحيّ**" (القدّيس ايريناوس).

**عالم جديد** ينشأ، مع انتصار المسيح القائم، بعد تعذيب وتنكيل وظلم وآلام ونزاع، وقد أسمع السماء صراخ بائسي هذا العالم. مع المصلوب الممجّد يبدأ شيئًا فشيئًا بناء عالم جديد: بالقيامة أعيد الرجاء إلى الأرض، والعدالة إلى الحبّ والحقيقة. فالحبّ والحقيقة اللذان صلبا، قد قاما، وهما أقوى من الحقد والكذب.

إنّ إنجيل الخلاص الذي يغرف من ينبوع قيامة المسيح، "وقد مات من أجل خطايانا وقام لتبريرنا" (١ كور ١٥/٤)، هو إنجيل الخبر السار المثلّث: إنّ لنا بالمسيح إلهًا جديدًا له وجه الآب، وإنسانًا جديدًا له وجه الابن، وعالمًا جديدًا له وجه الروح. حقًّا يسوع المسيح هو "الألف والياء، الأوّل والآخِر، البداية والنهاية" (رؤيا٢٢/١٣)، وهو "الذي يجعل كلّ شيء جديدًا" (رؤيا ٢١/٥). إلى هذا يدعونا بولس الرسول: "أنتم الذين قمتم مع المسيح، أطلبوا ما هو فوق حيث المسيح جالس إلى يمين الله. فأميتوا أعضاءكم

الأرضيّة السالكة في الفجور والنجاسة والأهواء والشهوة الخبيثة والجشع... لقد خلعتم الانسان العتيق وأعماله، ولبستم الانسان الجديد على صورة خالقه، في المحبّة والرحمة واللطف والتواضع والوداعة والأناة" (كولسي ٣/١٤،١٢،١٠،٩،٥).

العالم بحاجة إلى إصلاح، ولاسيّما في لبنان حيث القيم في طريقها إلى الزوال. فلا بدّ من الاستنارة بنور المسيح الذي غيّر مفهوم الحياة: فأخرجها من الأنانية إلى التجرّد والتضحية في سبيل الخير وممارسة المحبّة، ومن التشرذم والمنافع الخاصّة إلى التضامن والتعاطف للخير العامّ، ومن الخلاف والتناحر بين أهل السلطة إلى التكاتف وروح المسؤوليّة لمواجهة أخطار البطالة والهجرة وحالة الفقر، وإلى العمل الجدّيّ لازاحة أثقال الديون، ومن القمع وخنق الأصوات المطالبة بالحقوق والواجبات إلى الحوار والاصغاء وإيجاد الحلول. عندئذ نستطيع القول إنّنا في عيد القيامة ونردّد، بعد اختبار قيامة القلب: **المسيح قام! حقًّا قام!**.

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

بقيامة الربّ يسوع من بين الأموات طلع على العالم فجر السلام. إنّه سلام المسيح المختلف عن السلام الذي يعطيه العالم (يو ١٤/٢٧). فهو سلام العقول والارادات والقلوب التي تسكنها الحقيقة والعدالة والمحبّة. وهو سلام الحياة الجديدة في الانسان، المتفجرة من السرّ الفصحيّ، والمعطاة بالروح القدس بواسطة أسرار الخلاص. هذا السلام المسيحانيّ الداخليّ يجعل من الانسان فاعل سلام وابنًا لله، وأخًا لكلّ إنسان: "طوبى لفاعلي السلام فإنّهم أبناء الله يُدعون" (متّى ٥/٩).

في ضوء القيامة، وعلى هدي رسالة البابا بندكتوس السادس عشر في

مناسبة يوم السلام العالميّ (أوّل كالنون الثاني ٢٠٠٧)، بعنوان: "**الشخص البشريّ، قلب السلام**"، ومن أجل مواجهة تراجع ثقافة السلام والديموقراطيّة في العالم عامّة وفي لبنان بوجه خاصّ، أنشأ مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان **لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة.**

تعمل هذه اللجنة، **على مستوى التثقيف والصلاة والمبادرات**، من أجل توطيد أواصر الوحدة في العائلة والمجتمع والوطن، فتتغلّب لغة الحوار والتفاهم على لغة التنافر والاتهام، ويحلّ روح المصالحة والغفران محلّ الخلاف والثأر، ويصير الانتقال من القرار المتفرد إلى القرار الشامل، ومن السعي إلى المصلحة الشخصيّة والفئويّة إلى تأمين الخير العامّ الذي منه خير كلّ إنسان، وكلّ الانسان.

تسعى "**لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة**"، إنطلاقًا ممّا يميّز لبنان من **تعدديّة في الوحدة**، إلى احترام كلّ المعتقدات والتيّارات والأحزاب والمواقف والأشخاص، مع ما لها من مبادىء وأهداف. لكنّها تدعو الجميع وتعمل معهم على تصويب أهدافهم، ووضع إمكاناتهم، وتوجيه تطلّعاتهم، لصالح خير الوطن وشعبه، ولتوطيد وحدته. وذلك حفاظًا على دعوة لبنان التاريخيّة، كما أظهرها الارشاد الرسوليّ "**رجاء جديد للبنان**" الذي سيصار إلى الاحتفال بمرور عشر سنوات على صدوره (أيّار ١٩٩٧- أيّار ٢٠٠٧)، وكما بلورتها **ثوابت الكنيسة المارونيّة** التي أعلنتها من بكركي في ٦ كانون الأوّل ٢٠٠٦، وتبنّاها اللبنانيّون والمرجعيّات الدوليّة، وهي:

١. **الحريّة** وأبعادها الفكريّة والاجتماعيّة والسياسيّة.

٢. **العيش المشترك** القائم على الاعتراف المتبادل، وعلى وحدة

المصير، والتكامل بين العائلات الروحيّة التي تؤلّف النسيج الوطنيّ الواحد.

٣. **الديموقراطيّة التوافقيّة** الداعية إلى إشراك الجميع مشاركة متوازية في الحياة الوطنيّة والقرارات المصيريّة، وفي إدارة شؤون الوطن، وفي بناء مشروع الدولة وتمتينه وتطويره.

٤. **نهائيّة الكيان اللبنانيّ** مع انتمائه الكامل إلى العالم العربيّ، والتي تقتضي الدفاع عن استقلال الوطن اللبنانيّ، وسيادة دولته الكاملة على أراضيه، وعن حريّة أبنائه في أخذ قراراتهم المصيريّة؛ كما تقتضي جعل مصلحته العليا فوق مصالح أيّة دولة أخرى.

٥. **التمسّك بقرارات الشرعيّة الدوليّة** الحافظة لكيانه والحامية له من مطامع جيرانه، مع المطالبة بتطبيقها كاملة.

٦. **الحفاظ على الدولة اللبنانيّة** في كيانها ومؤسّساتها وشعبها، والتزام الجميع، إفرادًا وجماعات، ببناء هذه الدولة على أسس الحقّ والعدالة والمساواة والمشاركة، بالاستناد إلى الكفاءة والنظافة والأخلاق.

٧. **تطبيق اتفاق الطائف بكلّ بنوده**، روحًا ونصًّا، وبخاصّة تطبيق نقاطه التي أصبحت جزءًا من الدستور اللبنانيّ المعدّل سنة ١٩٩٠.

## ■ ثالثًا، الخطة الراعويّة في تطبيق نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ

في زمن القيامة نتقبّل معًا **النصّ الرابع** من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ وهو بعنوان: "**الكنيسة المارونيّة في انتشارها العالميّ**". يتبع هذا

النصّ إلى الملفّ الأوّل الذي عنوانه: "هويّة الكنيسة المارونيّة ودعوتها ورسالتها".

تقتضي الخطّة الراعويّة أن تلتئم الجماعات المنظّمة في الرعايا والأديار والمدارس والنوادي حول هذا النصّ لتقبّله معًا، والتعمّق فيه، والعمل بموجبه.

نستعرض اليوم وفي هذا الأسبوع المقدّمة والفصل الأوّل (الفقرات ١-٥).

١. يرتكز الانتشار المارونيّ على ثلاثة: **فلسفة العيش المشترك، وروح الرسالة، والتواصل.** إنّه يقتضي التوفيق بين التمسّك بالهويّة والتفاعل الخلاق مع المحيط (المقدّمة).

٢. يستعرض الفصل الأوّل الانتشار المارونيّ في ثلاث نقاط.

أ. **الانتشار القديم** من سوريا إلى لبنان، فداخل لبنان حيث وضعت الأسس للعيش المشترك على مستوى التربية والزراعة والانماء. ثمّ منذ أواخر القرن الثالث عشر إلى جزيرة قبرص والبلدان العربيّة المحيطة ولاسيّما فلسطين ومصر، حيث اندمج الموارنة في الحياة السياسيّة والاجتماعيّة. وكانوا مجلّين في التجارة والصحافة التي أسّسوا كبرياتها، وفي النضال من أجل الحريّة.

ب. **الانتشار الجديد** باتجاه البلدان الغربيّة البعيدة لأسباب اقتصاديّة وأمنيّة وسياسيّة واجتماعيّة ودينيّة.

ج. **الأزمات المتسبّبة بالهجرة**، طلبًا للأمان والحريّة والعيش الكريم. وهي:

١) **أحداث سنة ١٨٦٠** وما سبّبت من قتل وتدمير وتهجير، وسلخ

الأراضي الزراعيّة الواسعة عن لبنان لصالح الأمبراطوريّة العثمانيّة، فازداد الفقر والحرمان.

٢) **الحرب العالميّة الأولى** التي تسبّبت في موت ثلث الشعب اللبنانيّ جوعًا بفعل حصار تموينيّ مارسته السلطة العثمانيّة الحاكمة، وبهجرة ثلث آخر، فبقي في البلاد الثلث الأخير.

٣) **الأحداث الأخيرة** التي بدأت سنة ١٩٧٥ ولماً تنتهي. هذه هجّرت من جديد ثلث الشعب اللبنانيّ. وقد خلّفت ضائقة اقتصاديّة خانقة، وبطالة متزايدة، وديونًا باهظة وأزمة سياسيّة كانت لها تداعياتها الاقتصاديّة والزراعيّة والصناعيّة والسياسيّة (الفقرات ٤-١٣).

٣. إنّ المجمع البطريركيّ يدعو إلى **التضامن** للحدّ من نزيف الهجرة، ولإنشاء روابط تعاون بين المنتشرين والمقيمين. كما يدعو اللبنانيين إلى التلاقي في عمليّة إنقاذ وطنهم. الكنيسة من جهتها تعمل جاهدة على إعادة وصل ما انقطع بين المنتشرين وبين الوطن (الفقرتان ١٤ ١٥).

* * *

**صلاة**

أيّها المسيح القائم من بين الأموات وواطئ الموت بالموت، أرنا آثار مسامير الصلب وطعنة جنبك بالحربة، عبر أشكال الخبز والخمر في الليتورجيّا الالهيّة، ذبيحة القدّاس. ثبّت إيماننا بسرّ حضورك معنا، ذبيحة للفداء ووليمةً للنفوس، لكي نعترف أمام الجميع بأنّك تألّمت فشفيت آلام نفوسنا، وقدّست آلام أجسادنا وأرواحنا. لقد قمت من بين الأموات،

فوهبت العالم عربون القيامة بقيامتك المجيدة. لأنّك أنت نورنا وقيامتنا، أيّها المسيح الاله، وإليك نرفع المجد وإلى أبيك الأزليّ وروحك القدّوس، الصالح والمحيي، الآن وكلّ أوان والى الأبد. آمين. (من الليتورجيّا الالهيّة حسب الطقس الأنطاكيّ البيزنطيّ).

* * *

# الأحد الثالث من زمن القيامة

## المسيح في علاقة شخصيّة مع كلّ إنسان

### من إنجيل القدّيس لوقا ٢٤/١٣-٣٥

في اليوم عينه، كان اثنان من التلاميذ ذاهبين إلى قرية تدعى عمّاوس، تبعد نحو سبعة أميال عن أورشليم، وكانا يتحادثان بكلّ تلك الأمور التي حدثت. وفيما هما يتحادثان ويتساءلان، إذا يسوع نفسه قد اقترب منهما، وراح يسير معهما. ولكن أعينهما أمسكت عن معرفته. أمّا هو فقال لهما: «ما هذا الكلام الذي تتحادثان به، وأنتما تسيران؟». فوقفا عابسين وأجاب أحدهما، واسمه كليوباس، فقال له: «هل أنت وحدك غريب عن أورشليم، فلا تعلم ما حدث فيها هذه الأيّام؟». فقال لهما: «وما هي؟». فقالا له: «ما يتعلّق بيسوع الناصريّ، الذي كان رجلاً نبيًّا قويًّا بالقول والفعل، قدّام الله والشعب كلّه. وكيف أسلمه أحبارنا ورؤساؤنا ليحكم عليه بالموت، وكيف صلبوه! وكنّا نحن نرجو أن يكون هو الذي سيفدي إسرائيل. ولكن مع هذا كلّه، فهذا هو اليوم الثالث بعد تلك الأحداث. لكنّ بعض النساء من جماعتنا أدهشننا، لأنّهنّ ذهبن إلى القبر عند الفجر، ولم يجدن جسد يسوع، فرجعن وقلن إنهنّ شاهدن ملائكة تراءوا لهنّ وقالوا إنّه حيّ! ومضى قومٌ من الذين معنا إلى القبر، فوجدوه هكذا كما قالت النساء، وأمّا يسوع فلم يروه». فقال لهما يسوع: «يا عديمي الفهم، وبطيئي القلب في الايمان بكلّ ما تكلّم به الأنبياء! أما كان يجب على المسيح أن يعاني تلك الآلام، ثمّ يدخل في مجده؟». وفسّر لهما ما يتعلّق به في كلّ الكتب المقدّسة، مبتدئًا بموسى وجميع الأنبياء. واقتربا من القرية التي كانا ذاهبين إليها، فتظاهر يسوع بأنّه ذاهب إلى مكان أبعد. فتمسّكا به قائلين:

«أمكث معنا، فقد حان المساء، ومال النهار». فدخل ليمكث معهما. وفيما كان متّكئًا معهما، أخذ الخبز، وبارك، وكسر، وناولهما. فانفتحت أعينهما، وعرفاه، فإذا هو قد توارى عنهما. فقال أحدهما للآخر: «أما كان قلبنا مضطرمًا فينا، حين كان يكلّمنا في الطريق، ويشرح لنا الكتب؟». وقاما في تلك الساعة عينها، ورجعا إلى أورشليم، فوجدوا الأحد عشر والذين معهم مجتمعين، وهم يقولون: «حقًّا إنّ الربّ قام، وتراءى لسمعان!». أمّا هما فكانا يخبران بما حدث في الطريق، وكيف عرفا يسوع عند كسر الخبز.

* * *

الربّ يسوع القائم من الموت يدخل في علاقة شخصيّة مع كلّ إنسان، في واقعه وهمومه وتطلّعاته، كالتي أقامها مع تلميذي عمّاوس. كانا مصابين بصدمة صلبه وانهيار الآمال، وبنوع من اليأس والقنوط، فتركا أورشليم، يوم أحد قيامة يسوع، وعادا إلى عمّاوس بلدتهما البعيدة عن أورشليم بنحو ٣٠ كلمترًا، لاستعادة حياتهما السابقة، وقد نسيا كلّ ما سمعا من يسوع طوال ثلاث سنوات.

هذه حال العديد من الشباب والبالغين الذين يصابون بصدمات متنوّعة. فينسون ما تربّوا عليه في حياتهم المسيحيّة من إيمان ورجاء وقيم، أكانت تربيتهم في البيت أو الرعيّة أو المدرسة، فينهارون ويقنطون. يقاطعون الكنيسة ويقطعون الممارسة الدينيّة، وينطوون على ذواتهم. وبعضهم يأخذ منحىً منحرفًا، كالادمان على الكحول أو المخدّرات أو الدعارة أو اللامبالاة أو الاستهتار بالحياة، أو العيش في حالة رفضيّة أو ردّات فعل. وفي كلّ حال يفقدون الأمل ويقعون في الإحباط.

لكنّ الربّ يسوع يظلّ رفيق دربهم. أمّا هم فينكفّ إيمانهم السابق عن

الشعور به واللجوء إليه، مثل تلميذي عمّاوس اللذين "أُعميت عيونهم عن معرفته" (لو ٢٤/)، بسبب ثقل الصدمة. ومع ذلك دخل يسوع في علاقة شخصيّة مع التلميذين، ويفعل كذلك مع كلّ شاب وبالغ، من خلال كلام الانجيل وسرّ الأفخارستيّا، ومن خلال إرشاد الكاهن وتعليم الكنيسة وأي إنسان قريب أو صديق يسير بجنبه، كما ومن خلال صوت الضمير في أعماق نفسه، وهو صوت الله في داخله، أو أيضًا من خلال جماعة مصلّية، أو كذلك من خلال حادثة ما في حياته.

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. نهج يسوع نهج الكاهن

الربّ يسوع نفسه **دنا** من التلميذين **ومشى معهما**. قصدهما حيث هما في طريقهما ومشروع حياتهما الضائع. هذا هو النهج الجديد، أن يقصد الكاهن الأشخاص الذين أُوكلوا إلى عنايته حيثما هم. الانجلة لا تقتصر على الحاضرين في الكنيسة أو المتّصلين بنا.

**سألهما واستمع لهما**. من الضرورة أن **يسأل** الكاهن الشاب أو البالغ عمّا يعاني. لا يحقّ له أن يتجنّب السؤال أو يهرب من وجه العابس أو الحزين أو المنحرف أو الغاضب أو اليائس أو المهمل. فالسؤال يفتح القلب والآفاق. وعند ذلك **يستمع** الكاهن إلى الذي يصارحه بمكنونات قلبه (لو٢٤/١٧-٢٤).

وراح يسوع يسلّط ضوء كلام الله على حياتهما. هي **الأنجلة الجديدة**. شرح لهما الكتب وطبّقها على سرّ المسيح (لو ٢٤/٢٥-٢٧). فانشرح قلبهما، واتقدت فيهما من جديد شعلة الرجاء، كما صارح أحدهما الآخر: "أما كان قلبنا مشتعلاً فينا، حين كان يحدّثنا في الطريق، ويشرح لنا الكتب؟" (لو ٢٤/٣٢).

يُنتظر من الكاهن أن يعرف كيف يساعد الشخص على "قراءة علامات الأزمنة"، أي على العودة الهادئة إلى كلام الله، إلى المسيح الكلمة الذي "ينير كلّ إنسان آتٍ إلى العالم" (يو ١/٨)، وكيف يطبّق كلام الله على واقع حياته ليخرجها من الظلمة ويفتحها على آفاق جديدة.

بنتيجة هذه العلاقة الشخصيّة الوجدانيّة، تعلّق التلميذان بشخص هذا الغريب، يسوع المسيح. ودخلا في **شركة عميقة** معه: "فألحّا عليه قائلين: أمكث معنا" (لو ٢٤/٢٩). هو **الايمان** الذي يريد أن يؤمن أكثر: "يا ربّ زدنا إيمانًا" (لو ١٧/٥)، ألحّا عليه للمكوث معهما ليستزيدا من نوره. **وهي المحبّة** التي تستضيف هذا الغريب، إذ "حان المساء والنهار أوشك" (لو ٢٤/٢٩).

ولما لبّى الدعوة أدخلهما في عمق الشركة معه، بفضل إيمانهما ومحبّتهما، **فاحتفل بأوّل قدّاس** بعد القيامة: "وفيما كان متّكئًا معهما، أخذ خبزًا وبارك وكسر وناولهما. وللحال انفتحت عيناهما وعرفاه. أمّا هو فارتفع عنهما" (لو ٢٤/٣٠-٣١). بالحقيقة بدأ يسوع قدّاسه الأوّل منذ سار مع التلميذين، وسألهما واستمع لهما وشرح لهما كلام الله وذكّرهما بآلامه وموته وفي النهاية أولم لهما وليمة جسده ودمه، فنالا الحياة الجديدة والرؤية الجديدة والفرح العميم. هذه هي الليتورجيّة الالهيّة، القدّاس، في كلّ من قسم الكلمة والذبيحة والمناولة. لا نستطيع الفصل بين **كلام الربّ وذبيحته ووليمة جسده ودمه.** إنّها تُشكلّ خبز المائدة القربانيّة الواحدة (الوحي الالهيّ، ٢١؛ التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٣٦٤). **في الطريق** شرح لهما يسوع الكتب فغذّى عقلهما وزرع سلام الرجاء في قلبيهما؛ **وفي البيت** بارك الخبز وناولهما. فكانت الوليمة الفصحية (لوقا ٢٤/٢٧ و٣٢). يدعونا القدّيس أمبروسيوس إلى تناول كلام الله أوّلاً، لكي نتمكّن من تناول طعام جسد

الربّ ودمه (التعليم المسيحيّ، ١٣٤٧). فمائدة الكلمة تهيّء مائدة خبز الجسد والدم (أمكث معنا، ١٢).

استعاد التلميذان **قواهما الحسيّة والمعنويّة** من هذا "الخبز الحيّ النازل من السماء، ليأكل منه الانسان، فلا يموت" (يو ٦/ ٥٠): خبز الكلمة وجسد الربّ ودمه. فرجعا إلى أورشليم ليشهدا أمام الجماعة المؤمنة أنّ المسيح حيّ وقام من بين الأموات (لو ٢٤/ ٣٣ و٣٥) . **الأفخارستيّا هي ينبوع الرسالة.**

بعد أن أعادهما الربّ يسوع إلى الشركة معه وأدخلهما في سرّ المسيح، أعادهما إلى الجماعة الكنسية، إلى رحاب الشركة مع الكنيسة والعائلة والمجتمع. **القدّاس ينبوع الشركة**، عاموديًّا مع الله بالمسيح، وأفقيًّا مع الجماعة وجميع الناس. إنّ الكاهن الذي أشركه المسيح بوساطته "فأُخذ من بين الناس، وأُقيم لدى الله من أجل الناس" (عبرانيين ٥/ ١) هو خادم هذه الشركة والشاهد لها في حياته.

رجع التلميذان في تلك الليلة عينها، من عمّاوس إلى أورشليم. رجعا إلى جماعة الأحد عشر (لوقا ٢٤/ ٣٣)، إلى الكنيسة الناشئة. فاكتملت الشركة. وفيما هم مجتمعون ويعلنون الخبر والكلمة، حضر يسوع في نوع من أفخارستيا جديدة، كاشفًا وجه الذبيحة: أراهم يديه ورجليه وآثار الصلب، وزرع السلام في قلوبهم وانتزع منهم القلق والخوف، وجدّد لهم كلامه السابق وشرح الكتب، واستنهضهم للرسالة والشهادة، ووعدهم بهبة الروح القدس قوّةً لهم من العلى (لو ٢٤/ ٣١-٤٩).

### ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

أقمنا في قدّاس عيد القيامة "رتبة السلام"، لأنّ سلام الله أعيد إلى العالم

بفضل المصالحة بين الله والبشر، وقد تّمت بموت المسيح فداءً عنهم وبقيامته تبريرًا لهم. بارك الكاهن الجهات الأربع بصليب الفداء المنتصر على الموت، هاتفًا: "سلام الله الآب، وأمان الابن، وشركة وحلول الروح القدس معنا وبيننا جميع أيّام حياتنا".

إنّ **لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة**، التي أنشأها مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، تنبثق من سلام القيامة **لتعزيز ثقافة السلام**، ومن الأخوّة الشاملة المتولّدة من فداء الجنس البشريّ كلّه، كما تنبثق من ترميم بنوّة جميع الناس لله، **للتربية على ثقافة الديموقراطيّة**. تعتمد اللجنة في هذه المهمّة الارشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان"، ورسالة قداسة البابا بندكتوس السادس عشر بمناسبة يوم السلام العالميّ (أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧)، وعنوانها "الشخص البشريّ، قلب السلام" والرسائل البابويّة بشأن "عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة"، وتعليم المجمع البطريركيّ المارونيّ في ملفّه الثالث: "حضور الكنيسة المارونيّة في عالم اليوم".

دور **"لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة"** إحياء لقاءات تفكير وصلاة، وإعداد نصوص تثقيفيّة حول مفهوم السلام والديموقراطيّة وما يتّصل بها من مواضيع، وما أكثرها. فيعمد المطارنة إلى تعميمها في أبرشيّاتهم، والكهنة إلى نقلها إلى أبناء رعاياهم بالوسائل المتاحة، ولاسيّما بواسطة الهيكليّات الرعويّة والمنظّمات الرسوليّة، وفي مقدّمتها المجالس الرعويّة التي تتمثّل فيها كلّ القوى الحيّة والمنظّمة في كلّ رعيّة.

**إنّ الاهتمام بالشأن الوطنيّ واجب على كلّ مسيحيّ**، على قاعدة السلام والديموقراطيّة، سواءٌ انتمى إلى حزب أو تيّار أو تجمّع سياسيّ، أو كان مواطنًا حرًّا محايدًا؛ فالكلّ مدعوّ لأن يصبّ فكره وموهبته ونشاطه في

خدمة الوحدة والسلام والممارسة الديموقراطيّة والخير العامّ. الأفكار والآراء والتطلّعات متنوّعة ومختلفة، لكنّ الوطن واحد والمصير واحد.

هذا الواجب على المسيحيين يُلزمهم الاهتمام بالشأن الوطنيّ **بحكم معموديّتهم** التي تشركهم في رسالة المسيح المثلّثة: الكهنوتيّة والنبويّة والملوكيّة.

في **المشاركة الكهنوتيّة** يجعلون من عملهم الزمنيّ ونشاطاتهم الثقافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والسياسيّة والاداريّة والقضائيّة "قرابين روحيّة" يسبّحون بها الله، ويكمّلون عمل الخلق الذي بدأه الله.

وفي **المشاركة النبويّة** يجسّدون قيم الانجيل والتعليم الالهيّ وشريعة الله في حياتهم العائليّة والاجتماعيّة، ويدخلونها في ثقافتهم الوطنيّة، ويستلهمونها في ممارستهم السياسيّة، تشريعًا وإجراءً وإدارة. وبكلّ ذلك يسهمون في إجراء تحوّلات تبلغ بالمجتمع إلى حياة مشتركة أفضل.

وفي **المشاركة الملوكيّة** يسلكون في الحقيقة والمحبّة، ويعملون على إحلال العدالة والانصاف، ويعزّزون التعاون والتضامن، وإنماء الشخص البشريّ والمجتمع، محاربين الظلم والاستبداد والاستضعاف (رجاء جديد للبنان، ١١٣).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

نواصل معًا تقبّل النصّ الرابع من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: "**الكنيسة المارونيّة في انتشارها العالميّ**"، في قسم من الفصل الثاني حول **الانتشار المارونيّ** وتطوّره، من الناحية الجغرافيّة (الفقرات ١٦-٢٢).

١. توزّع الموارنة تحت كلّ سماء في القارّات الخمس، للأسباب

المذكورة سابقًا، بدءًا من الهجرة الأولى القديمة، وصولاً إلى الحديثة فإلى أيّامنا. فحملوا معهم إيمانهم بالله، وتسلّحوا بقيم الآباء والأجداد، فثبتوا على محنة الهجرة والمصاعب في العوالم الجديدة. وبلغوا إلى نجاح مرموق في إعمالهم ومشاريعهم. فيستخلص آباء المجمع البطريركيّ أنّ قسمًا كبيرًا من الموارنة صاروا مقيمين قي خارج لبنان. وهذا يطرح موضوع مستقبل الكنيسة المارونيّة ووحدتها وبقاء أبنائها راسخين في حضنها (الفقرتان ١٦ و٢٢).

٢. يستعرض النصّ الرابع الانتشار المارونيّ في كلّ من **أميركا الجنوبيّة والوسطى** وبخاصّة في البرازيل بملايين، والأرجنتين بمئات الآلاف، وسواها بعشرات الآلاف؛ و**أميركا الشماليّة** في الولايات المتحدة بمئات الألوف، وفي كندا بحوالى ثمانين ألفًا؛ **وأستراليا وأفريقيا الجنوبيّة** حيث بدأت الهجرة إليها في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين؛ **وأوروبا الغربيّة والشماليّة** وبخاصّة في فرنسا، كما وسواها من البلدان الأوروبيّة. هذه لم تكن أصلاً منطقة هجرة للموارنة، بل قدّمت لهم فرص عمل؛ ودول **أفريقيا والخليج العربيّ**، بداعي فرص العمل المتوفّرة.

ويعطي النصّ لمحة عن خدمة الموارنة الروحيّة في بلدان الانتشار هذه، حيث أقيمت في بعضها أبرشيات ورعايا وكنائس وأديار ورسالات ومدارس ومؤسّسات تربويّة واجتماعيّة (الفقرات ١٧-٢١).

* * *

**صلاة**

نشكرك أيّها الرب يسوع، القائم من الموت والحاضر دائمًا معنا، تقطع مع كلّ واحد منّا طريقه في هذه الحياة. تمشي معنا، كصديق صبور، تنير عقولنا وتضرم الحرارة في قلوبنا، تكسر لنا خبز الحياة على مائدة القربان، وتشدّد ضعفنا، وتطلقنا كلّ يوم من جديد لنشهد لقيامتك. أمكث معنا يا ربّ في مساء ضياعنا ووجعنا، وفي عمق شوقنا إليك. بل هبنا أن نمكث نحن معك، ونثبت فيك، ونعكس حضورك فينا بقيامتنا، قيامة القلوب، فنعلنَ لمجتمعنا أنّ المسيح قام، حقًّا قام! آمين.

* * *

الأحد ٢٩ نيسان ٢٠٠٧

# الأحد الرابع من زمن القيامة

## شبكة الانجيل وعولمة المحبّة

### من إنجيل القدّيس يوحنّا ٢١/١-١٤

ظهر يسوع لتلاميذه مرّة أخرى على بحيرة طبريّة، وهكذا ظهر: كان سمعان بطرس، وتوما الملقّب بالتوأم، ونتنائيل الذي من قانا الجليل، وابنا زبدى، وتلميذان آخران من تلاميذ يسوع، مجتمعين معًا. قال لهم سمعان بطرس: «أنا ذاهب أصطاد سمكًا». قالوا له: «ونحن أيضًا نأتي معك». فخرجوا وركبوا السفينة، فما أصابوا في تلك الليلة شيئًا. ولمّا طلع الفجر، وقف يسوع على الشاطىء، ولكنّ التلاميذ لم يعلموا أنّه يسوع. فقال بهم يسوع: «يا فتيان، أما عندكم شيء يؤكل؟». أجابوه: «لا». فقال لهم: «ألقوا الشبكة إلى يمين السفينة تجدوا». وألقوها، فما قدروا على اجتذابها من كثرة السمك. فقال ذلك التلميذ الذي كان يسوع يحبّه لبطرس: «إنّه الربّ». فلمّا سمع سمعان بطرس أنّه الربّ، إئتزر بثوبه، لأنّه كان عريانًا، وألقى بنفسه في البحيرة. أمّا التلاميذ الآخرون فجاؤوا بالسفينة، وهم يسحبون الشبكة المملوءة سمكًا، وما كانوا بعيدين عن البرّ إلاّ نحو مئتي ذراع. ولمّا نزلوا إلى البرّ، رأوا جمرًا وسمكًا على الجمر، وخبزًا. قال لهم يسوع: «هاتوا من السمك الذي أصبتموه الآن». فصعد سمعان بطرس إلى السفينة، وجذب الشبكة إلى البرّ، وهي مملوءة سمكًا كبيرًا، مئة وثلاثًا وخمسين. ومع هذه الكثرة لم تتمزّق الشبكة. قال لهم يسوع: «هلموا تغدوا». ولم يجرؤ أحد من التلاميذ أن يسأله: «من أنت؟»، لأنّهم علموا أنّه الربّ. وتقدّم يسوع وأخذ الخبز وناولهم. ثمّ فعل كذلك بالسمك. هذه مرّة ثالثة ظهر فيها يسوع للتلاميذ بعد أن قام من بين الأموات.

***

بظهوره مرّة ثالثة للتلاميذ على بحر طبريّا بعد قيامته من بين الأموات، أراد الرب يسوع أن يكشف سرّ الكنيسة ورسالتها: فهي تلقي شبكة الانجيل في بحر من العالم، السفينة التي يلقي منها رعاة الكنيسة وتضبط أناسًا من كلّ عرق ولون وثقافة. إنّها تواجه التحدّيات الراهنة بقوّة حضور المسيح فيها، وتعمل من أجل عولمة المحبّة.

**■ أوّلاً، شرح الحدث الانجيليّ**

**١. الكنيسة تلقي شبكة إنجيل الملكوت في بحر هذا العالم**

**"ألقوا الشبكة من عن يمين السفينة تجدوا، فضبطت سمكًا كثيرًا"** (يو ٢١/٦).

حقّق الربّ يسوع بهذا الصيد العجيب ما سبق وقاله بالتعليم: "يشبه ملكوت السموات شبكة رميت في البحر فجمعت من كلّ جنس" (متّى ١٣/٤٧). **"فملكوت السماوات"** أو **"ملكوت الله"** أو **"ملكوت المسيح"** هو **تجلّي** سر الله الآب، الغنيّ بالمراحم، في شخص الابن المتجسّد، **وهبة ذاته** لنا في المسيح القربانيّ بالروح القدس، الحيّ والمحيي. إنّه سرّ الثالوث القدّوس الذي يكشف ذاته لنا، ويدخلنا في شركة محبّته ورحمته بالايمان والتوبة، كما قال الربّ يسوع في الجليل معلنًا بشارة الله: "لقد حان الوقت واقترب ملكوت الله، فتوبوا وآمنوا بالانجيل" (مر ١/١٤-١٥). وعندما أرسل الكنيسة الناشئة لإعلان هذا الملكوت، أكّد الشرط لدخوله: "إنطلقوا إلى العالم كلّه، ونادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها، **فمن يؤمن ويعتمد يخلص**" (مر ١٦/١٥-١٦). دخول الملكوت يتمّ **بالايمان والتوبة، لا** بمجرّد انتماء عرقيّ (البابا يوحنّا بولس الثاني: رسالة الفادي، ١٣).

لقد ظهر الله لنا، بشخص المسيح وبحلول الروح القدس، أنّه أب مفعم

بالحبّ والرأفة، يسامح ويشعر بحاجات كلّ إنسان وآلامه، ويهب مجّانًا النعم اللازمة، ويدعو الجميع، دونما استثناء، **للدخول في شركة معه** ليتحرّروا ويخلصوا جسديًّا وروحيًّا. **التحرير والخلاص** عملان يميّزان رسالة يسوع: **الشفاء** بتحرير الأشخاص من شرورهم ومعاناتهم، **والمغفرة** بتحريرهم من خطاياهم وسيطرة الشيطان عليهم (المرجع نفسه، ١٤). ويتّسع ملكوت الله أفقيًّا ليحوّل العلاقات بين البشر، بحيث يتحابّون ويتعاضدون ويضعون ذواتهم بعضهم في خدمة بعض، عملاً بالوصيّة الجديدة: "أحبّوا بعضكم بعضًا كما أنا أحببتكم" (يو ١٣/٣٤). هذا يعني الاعتراف بالوجود الالهيّ في تاريخ البشر يحوّله ويعزّزه. لذا تسعى الكنيسة إلى بنيان ملكوت الله بالعمل في سبيل تحرير الناس والمجتمع والعالم من الشرّ بمختلف أشكاله. فيظهر تصميم الله الخلاصيّ بكليّته ويتحقّق (المرجع نفسه، ١٥).

هذا الواقع هو **ملكوت الله الذي يبدأ مع الكنيسة**، وتظهر ملامحه في رموز الصيد العجيب: **الشبكة** هي الانجيل الذي يُكرز به في العالم، المرموز إليه **بالبحر**. عندما دعا يسوع سمعان وأندراوس أخاه، "كانا يلقيان الشباك في بحر الجليل، لأنّهما كانا صيّادين، فقال لهما: إتبعاني أجعلكما صيّادي الناس. وللحال تركا شباكهما وتبعاه" (مر ١/١٦-١٨). ولقد أصبحا كذلك واستبدلا الشباك بالانجيل، أعني الكرازة بشخص المسيح وبملكوت الله. **السمك** الذي ضبطته الشبكة، ومن بينهم ١٥٣ سمكة كبيرة، هم البشر في شموليّة أنواعهم وأعرافهم وثقافاتهم. هذا ما سيقوله الربّ للرسل قبيل صعوده: "أمضوا الآن وتلمذوا كلّ الأمم... وها أنا معكم إلى انتهاء العالم" (متّى ٢٨/١٩-٢٠).

أدرك الرسل أنّ **الكنيسة**، التي هم نواتها، موضوعة **في خدمة الملكوت**: ترمي شبكة إنجيل الخلاص وتدعو الجميع إلى التوبة المؤدّية إلى مجيء

الملكوت في الأشخاص والمجتمع البشريّ، بحيث تُعطى الحياة الجديدة في المسيح للذين يؤمنون باسمه (أنظر يوحنّا ١٢/١). **إنّها كنيسة رسوليّة جامعة.**

### ٢. الكنيسة تواجه بالمسيح التحدّيات الراهنة

بعد ليلة من الصيد فاشلة، أمرهم يسوع، من دون أن يعرفوه، أن يلقوا الشبكة من عن يمين السفينة. فعرفوه في آية الصيد العجيب: "**هذا ربّنا**" (يو ٢١/٧).

المسيح القائم من الموت حيّ أبدًا في الكنيسة، يوجه رسالتها بإيحاءاته، فتستنير بكلامه قبل البدء بأيّ نشاط، وتعود إليه بالشكر والتسبيح بعد العمل، في ذبيحة الفداء ووليمة الشكر. هذه **الذبيحة - الوليمة** مهيّأة من الربّ ومرموز إليها في حادثة الصيد العجيب: "لمّا نزلوا إلى البرّ رأوا جمرًا وسمكًا عليه وخبزًا" (يو ٢١/٩)، وطلب أن يضيفوا إليها من ثمار تعبهم: "هاتوا من السمك الذي اصطدتموه الآن" (يو ٢١/١٠). هو الربّ يدعو إلى وليمة الأفخارستيّا: "هلمَّ تغدوا"، ويكسر خبزها ويقتسمه: "فتقدّم يسوع وأخذ خبزًا وسمكًا وناولهم" (يو ٢١/١٢ و١٣). هذه الحادثة استباق لسرّ القدّاس، وتوضيح لعمل الله وعمل الانسان في تحقيقه.

آية الصيد العجيب **توطّد الثقة** لدى **كهنة العهد الجديد** بالكاهن الأزليّ، الذي باسمه وبشخصه يخدمون إنجيل الخلاص وسط المضايق والتحدّيات، وقد سبق ودعاهم إلى هذه الثقة: "سيكون لكم في العالم ضيق. لكن ثقوا انا غلبت العالم" (يو ١٦/٣٣)، كما دعا إلى الثقة عينها المؤمنين المنتشرين في هذا العالم: "لا تخف أيّها القطيع الصغير، لقد سُرَّ أبوكم أن يعطيكم الملكوت" (لو ١٢/٣٢). والكهنة، بالتماهي بشخص المسيح، يقيمون

الذبيحة الالهيّة والوليمة الروحيّة، ويسعون ليجعلوا من حياتهم وحياة المؤمنين "قرابين روحيّة" بالتفاني والعطاء من خلال كلّ عمل ونشاط، ومسلك وموقف.

زمن الفصح الممتدّ أربعين يومًا حتّى صعود الربّ إلى السماء، هو **زمن رعاة الكنيسة:** الرسل، كهنة العهد الجديد، والأساقفة خلفائهم والكهنة معاونيهم. إنّهم يستمدّون النور والقوّة من الأفخارستيّا في مواجهة التحدّيات الراهنة.

### أ. إنّهم مرسلو الانجيل

يلقون شبكته بالكرازة والتعليم، يميّزون الحقيقة في تيّارات اللا أدريّة والنسبيّة، ويحرّرون القيم من الانتهاكات، ويسقطون الأقنعة عن الوجوه المتستّرة، مهما كانت تحدّيات الرفض. يقولون مع بولس: "لأجل هذا نحن نتعب ونُعَيَّر، لأنّنا نرجو الاله الحيّ مخلّص الناس جميعًا" (١ تيمو ٤/١٠)، ويصلّون مع بطرس ويوحنّا والرسل: "والآن يا ربّ أنظر إلى وعيدهم، وهب عبيدك أن ينادوا بكلمتك جهارًا وأنت باسط يدك، لتكون الشفاءات والمعجزات والآيات، باسم ابنك القدّوس يسوع المسيح" (أعمال ٤/٢٩ ٣٠)، ويختبرون ما حصل لأولئك المصلّين: "وفيما كانوا يضرعون، تزلزل المكان حيث كانوا مجتمعين، وامتلأ الجميع من الروح القدس، وأخذوا ينطقون بكلمة الله جهارًا" (أعمال ٤/٣١).

### ب. إنّهم أنبياء العدالة والمحامون عن حقوق الانسان

يدافعون عن حقوق الانسان المنتهكة بأنواع الظلم، حيث تقوم هوّة عظيمة بين الأغنياء والفقراء، يعاني منها ضحايا هذه الاختلافات المأساويّة

التي تجعل الفقراء أكثر فقرًا والأغنياء أكثر غنى، وتمكّن قلّة من أن تمتلك كلّ شيء وبفحش، وتحرم الكثرة من كلّ شيء، ولا من وخز ضمير .يجعلون أنفسهم صوت الذين لا صوت لهم، للمطالبة بحقوقهم، ولرفع الظلم السياسيّ والاقتصاديّ عنهم، ولانتزاع ما ينتهك كرامتهم وما يهدّد مصيرهم.

يكرزون **بعقيدة الكنيسة الخلقيّة** من أجل حماية الحقّ في الحياة منذ اللحظة الأولى للحبل حتّى نهايتها الطبيعيّة، وحماية كرامة المرأة، المنحطّة بموجة الإباحيّة والاستغلال الجنسيّ والعنف المنزليّ. ويعلّمون **عقيدة الكنيسة الاجتماعيّة** المؤسّسة على الانجيل من أجل تعزيز العدالة التوزيعيّة، ونموّ الشخص البشريّ والمجتمع نموًّا شاملًا، وإعلان مقتضيات السلام بين الأمم وركائزه، وإحياء مبادرات التضامن والترابط، واستثمار خيرات الأرض المعدّة من الله لجميع الناس.

**يندّدون** بالارهاب وقتل الأبرياء والتعذيب والتجويع والإفقار المنظّم، وتسييس الدين وتحويله إلى أهداف عنف وتعصّب، والنزاعات الموروثة والمفتعلة، والاعتداءات على أراضي دول والاحتلالات تحت أقنعة السلام والديموقراطيّة والسلم الأهليّ (أنظر الارشاد الرسوليّ: رعاة القطيع، ٦٦-٦٧).

كلّ مسيحيّ بحكم معموديّته شريك في إلقاء شبكة الانجيل، وفي تعزيز العدالة الاجتماعيّة والدفاع عن حقوق الانسان وحماية الحياة البشريّة، وفي إنماء الشخص البشريّ والمجتمع.

### ٣. عولمة المحبّة طريق إلى السلام

**"جذب سمعان بطرس الشبكة إلى البرّ، وهي مملوءة سمكًا كبيرًا،**

**مئة وثلاثًا وخمسين؛ وبهذا الثقل كلّه، لم تتمزّق تلك الشبكة"** (يو ٢١/١١).

يرمز هذا الحدث: إلى انفتاح الكنيسة على جميع الشعوب، إلى **"عولمتها"** بما هي "كنيسة واحدة، جامعة، رسوليّة". يتميّز العالم اليوم "بعولمة" الاقتصاد والماليّة والثقافة، بسبب التقنيّات الالكترونيّة والاكتشافات الحديثة. ولهذه العولمة وجوه إيجابيّة وسلبيّة ونتائج تطال الكنيسة والجنس البشريّ بأسره، فلا بدّ من تمييزها. غير أنّ الكنيسة تدعو بإلحاح للوصول إلى **"عولمة المحبّة"** التي لا تهمّش أحدًا، وتتناول مسألة ترك الديون الخارجيّة التي تعرقل اقتصاديّات شعوب بأسرها، وتشلّ نموّها الاجتماعيّ والسياسيّ (رعاة القطيع، ٦٩).

إنّ المحبّة الشاملة، التي هي روح الانجيل، تستدعي **"عولمة التضامن"**، بحيث يستنير الاقتصاد المعولم بمبادىء العدالة الاجتماعيّة والخيار التفضيليّ للفقراء ومقتضيات الخير العامّ الدوليّ (المرجع نفسه؛ الارشاد الرسوليّ: الكنيسة في أميركا، ٥٥).

بفضل **"عولمة المحبّة"**، التي هي شبكة الانجيل، تدعو الكنيسة إلى الحوار بين الثقافات والأديان في سبيل خدمة السلام، ذلك أنّ للتقاليد الدينيّة ثروات روحيّة وخلقيّة وإنسانيّة تساعد على تجاوز الانقسامات وتعزيز الصداقة المتبادلة والاحترام بين الشعوب. إنّ طرقات جديدة نحو السلام تنفتح، إذا مورست الحريّة الدينيّة وتأمّنت تربية الأجيال الطالعة، وأحسن استكمال وسائل الإعلام (رعاة القطيع، ٦٨).

**إنّ الكنيسة** العاملة من أجل **عولمة المحبّة**، يضيف قداسة البابا بندكتوس، تسعى مع ذوي الإرادة الحسنة إلى تعزيز كلّ ما هو إيجابيّ في

العالم، وتجاوز كلّ ما يحطّ من الانسان أو يجرحه، بحكمة وثبات. وتعتبر الكنيسة أنّ باحترام الشخص البشريّ تتعزّز إمكانية السلام، وأنّ ببناء السلام توضع الأسس لأنسنة أصيلة وشاملة.

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

تأسّست **لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة** كحاجة لتصويب أهداف العمل السياسيّ وتطلّعات شباب اليوم إلى وطن سليم يعمل من أجل الخير العامّ، محترمًا رأي الشعب، ومحافظًا على قاعدة المساءلة والمحاسبة. كان يبدو لبنان لهم ولسواهم أنّه أرض السلام والديموقراطيّة، وإذا به آخذٌ في فقدهما. فكان لا بدّ من التعمّق، على مستوى المبادئ أوّلاً، في مفهوم السلام والديموقراطيّة، ومن اتّخاذ مبادرات، على المستوى العمليّ، لتوطيدهما.

وكانت الشعوب تتوقّع من **العولمة الآخذة في الاتّساع**، أن تعمل على إحلال السلام الاجتماعيّ والاقتصاديّ والأمنيّ، وعلى إحلال أنظمة ديموقراطيّة تضع حدًّا للديكتاتوريّة والتوتاليتاريّة، حماية للانسان وحقوقه الأساسيّة. فكانت إيجابيّات وسلبيّات.

أبرز قداسة البابا **بندكتوس السادس عشر** في خطابه إلى أعضاء السلك الديبلوماسيّ المعتمد لدى الكرسيّ الرسوليّ، في ٨ كانون الثاني ٢٠٠٧، إيجابيّات العولمة وسلبيّاتها على المستوى الاقتصاديّ والإنمائيّ والسياسيّ.

من بين **الايجابيّات** الوعي المتزايد **لأهميّة الحوار** بين الثقافات والأديان الذي بات ضرورة حيويّة، ولاسيّما بسبب التحدّيات المشتركة بشأن العائلة والمجتمع. فالحوار يرسي الأسس للعيش باتفاق وأمان،

وإنماء الوعي لدى الجماعة الدوليّة **لتعزيز حقوق الانسان الأساسيّة** وحمايتها، ولاسيّما الحقّ في الحياة والحقّ في الحريّة الدينيّة؛ الالتزام **بالمساعدة الدوليّة** من قبل البلدان الغنيّة باقتطاع ٠.٧٪ من ميزانيّة دخلها القوميّ لهذه الغاية **والكفاح ضدّ الفساد** وسوء إدارة المال العامّ من أجل اقتلاع البؤس المتزايد؛ حماية السكّان المدنيين **بتطبيق الشرع الانسانيّ** في النزاعات المسلّحة.

**ومن بين السلبيّات** يذكر قداسة البابا تحدّيات كبيرة هي على التوالي: **آفة الجوع المخزية**، حيث ملايين من الرجال والنساء والأولاد ينقصهم القوت والماء والسكن. فمن غير المقبول ألاّ يجد العالم حلاًّ يحدّ منها، فيما يمتلك الوسائل والمعرفة لإنماء الشخص البشريّ والمجتمع. ومعلوم أنّ البلدان الفقيرة غالبًا من تمتلك ثروات طبيعيّة، ولكنّها لا تستطيع استثمارها بسبب النقص في الوسائل والمعرفة. وثمّة بلدان ترزح تحت **ديون باهظة** تعطّل قدراتها على النهوض الاقتصاديّ والاجتماعيّ والثقافيّ لصالح شعوبها؛ **والتسلّح** وفشل المفاوضات بشأن أسلحة الدمار الشامل، وصرف أموال باهظة على هذا القطاع وحرمان الشعوب المعوزة من تثمير الأموال لإنمائها؛ **وهجرة الملايين** من الرجال والنساء والشبّان هربًا من العنف أو سعيًا وراء أوضاع معيشيّة أفضل، فمن الضرورة مواجهة هذه المعضلة بكثير من الانسانيّة والعدل والشفقة؛ **التعدّيات على الحياة البشريّة** من اللحظة الأولى للحبل بها حتّى الموت الطبيعيّ وحماية هذه التعدّيات وتشريعها من قبل الدول والمنظّمات الدوليّة؛ **تقويض الهيكليّة الطبيعيّة للعائلة** القائمة على زواج رجل وامرأة، ومحاولة ابتزالها ومساواتها بأشكال أخرى من الاتحادات المناقضة تمامًا للشرع الطبيعيّ.

إنطلاقًا من هذا الواقع، ينبغي على اللبنانيين أن يدركوا بوعي ومسؤوليّة الأخطار المحدقة بهم وبوطنهم وبمصير السلام والديموقراطيّة. فلا بدّ من المبادرة إلى تغيير الأسلوب واستبدال نهج الاصطفاف والتراشق والعدائيّة والانشطار، بنهج الحوار والتعاون والتكامل متساندين، كلّ من موقعه وإمكاناته ومواهبه، في إنهاض لبنان والعودة به إلى مجتمع راقٍ له دور طليعي في بناء السلام والديموقراطيّة في محيطه العربيّ.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تتناول الخطّة الراعويّة، التي تقوم بها الجماعات والهيكليّات في الرعايا والمدارس والأديار والنوادي وسواها من التجمّعات، النصّ الرابع من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: "**الكنيسة المارونيّة في انتشارها العالميّ**". فبعد استعراض واقع الهجرة والانتشار وأسبابه ومراحله التاريخيّة، نتوقف معًا في هذا الأحد على واقع الموارنة المعاش في بلدان الانتشار (الفقرات ٢٣-٢٨).

١. تميّز المنتشرون **بالعصاميّة**، فبرزوا، في مجتمعاتهم الجديدة، بصورة مميّزة في المجالات الثقافيّة والاقتصاديّة والسياسيّة. أمّا المطلوب المزدوج والمتكامل فهو: الاندماج البشريّ في مجتمعاتهم الانتشاريّة، والمحافظة على هويّتهم الكنسيّة، فيظلّوا أغصانًا نضرة مرتبطة بأصلها. فالكنيسة، مثل الكرمة والأغصان (يو ١٥/٥)، تبقى واحدة في كيانها ومتفرّعة في أماكن وجودهاا عبر العالم. شخص البطريرك هو ضامن وحدتها، والكرسي البطريركيّ موحّدٌ لأبرشيّاتها ورعاياها وإرساليّاتها (الفقرات ٢٣-٢٥).

٢. إنّ **الليتورجيّة المارونيّة** باللغتين العربيّة والسريانيّة، والمترجمة كتبها الطقسيّة إلى مختلف لغات بلدان الانتشار، تشكّل الوسيلة الضامنة لحفظ الهويّة المارونيّة والتراث لجمع أبناء الكنيسة المارونيّة وبناتها، حيثما وجُدوا، في وحدة الايمان والروح. والليتورجيّا ينبوع خصب لتثقيف الايمان وإغناء الروح ونقل الإرث الروحيّ من جيل إلى جيل (الفقرة ٢٦).

٣. أمّا **الحاجة الملحّة** في بلدان الانتشار فإلى **كهنة ورهبان وراهبات.** وفيما لبنان يقدّم لهم من كهنته ورهبانه وراهباته، وهم كثر من جود الله، يبقى من واجب رعاة الكنيسة، في بلدان الانتشار، ومن الجماعات الرعويّة المارونيّة هناك، أن تصلّي وتشجّع وتبحث عن دعوات كهنوتيّة ورهبانيّة محلّية لتلبية الحاجات المتزايدة عامًا بعد عام. وإلاّ يذوب الموارنة في مجتمعات العالم وتنقطع صلة الأغصان بالكنيسة البطريركيّة الأمّ. أمّا مشكلة اللغة العربيّة والتراث السريانيّ فتجد حلّها عبر الخدمة الليتورجيّة، وعناية الأهل بتثقيف أولادهم على اللغة العربيّة لكونها لغة كبيرة محكية في العالم، إلى جانب لغات الانتشار الأجنبيّة (الفقرتان ٢٧-٢٨).

* * *

**صلاة**

أيّها المسيح القائم من بين الأموات وواطئ الموت بالموت، وواهب الحياة للّذين في القبور، أقمنا إلى حياة جديدة لنعمل من أجل عولمة

المحبّة، بإلقاء شبكة الانجيل التي تجمع ولا تفرّق. أعطنا أن نصافح بعضنا بعضًا، ونصفح لمبغضينا عن كلّ شيء. فإنّك بقيامتك أسقطت الحقد والبغض، الثأر والضغينة، لأنّك أنت نورنا وقيامتنا، أيّها المسيح الاله. وإليك نرفع المجد، وإلى أبيك الأزليّ وروحك القدّوس، الآن وكلّ أوان وإلى الأبد. آمين. (الليتورجيّا الالهيّة حسب الطقس الإنطاكيّ البيزنطي).

* * *

# الأحد الخامس من زمن القيامة

## المحبّة أساس كلّ سلطة

### من إنجيل القدّيس يوحنّا ٢١/١٥-١٩

بعد الغداء، قال يسوع لسمعان بطرس: «يا سمعان بن يونا، أتحبّني أكثر ممّا يحبّني هؤلاء؟». قال له: «نعم، يا ربّ أنت تعلم أنّي أحبّك». قال له يسوع: «إرع حملاني». قال له مرّة ثانية: «يا سمعان بن يونا، أتحبّني؟». قال له «نعم يا ربّ، أنت تعلم أنّي أحبّك»؟ قال له يسوع: «إرع نعاجي!». قال له مرّة ثالثة: «يا سمعان بن يونا، أتحبّني؟» فحزن بطرس، لأنّ يسوع قال له ثلاث مرّات: أتحبّني؟ فقال له: «يا ربّ، أنت تعلم كلّ شيء، وأنت تعرف أنّي أحبّك». قال له يسوع: «إرع خرافي! الحقّ الحقّ أقول لك: حين كنت شابًا، كنت تشدّ حزامك بيديك وتسير إلى حيث تريد. ولكن حين تشيخ، ستبسط يديك وآخر يشدّ لك حزامك، ويذهب بك إلى حيث لا تريد». قال يسوع ذلك مشيرًا إلى الميتة التي سيمجّد بها بطرس الله. ثمّ قال له : «إتبعني!».

* * *

الربّ يسوع يسلّم رسالة الخلاص لبطرس والكنيسة. هي رسالة المحبّة لخلاص جميع البشر. بطرس يرئس خدمة المحبّة المعروفة برعاية الخراف: "أتحبّني؟ ارعَ خرافي". هذا نموذج لكلّ مسؤوليّة وسلطة في الكنيسة والمجتمع، في العائلة وفي الدولة. مع هذا الأحد يبدأ أسبوع الصلاة

من أجل الدعوات الكهنوتيّة والرهبانيّة، وتطلّ السيّدة العذراء في طليعة المدعوّين وهي مثالهم.

## ■ أوّلاً، رسالة المحبّة لخلاص جميع الناس

### ١. رعاية الخراف والمسؤوليّة على الأشخاص

بعد الصيد العجيب في بحيرة طبريّة، وارتماء بطرس في الماء آتيًا إلى يسوع كطفل يرتمي في أحضان أمّه، وبعد وليمة المحبّة التي هيّأها يسوع للتلاميذ على الشاطىء (يو ٢١/١-٤)، يسلّم يسوع كهنة العهد الجديد والكنيسة الناشئة رسالة رعاية الخراف للخلاص، القائمة على ركيزتين: حبّ يسوع حبًّا شديدًا، واتّباعه في تجسيد حبّه لكلّ إنسان.

رعاية الخراف صورة بيبليّة. يصوّر الله نفسه راعيًا لشعبه يرعاهم بواسطة الملوك الذين مسحهم لهذه الغاية، ووعدهم براعٍ على مثال عبده داود الملك، هو المسيح، كما نقرأ في نبوءة حزقيال: "أخلّص خرافي ولا تكون من بعد نهبًا... وأقيم عليها راعيًا واحدًا ليرعاها كعبدي داود. فهو يرعاها ويكون لها راعيًا صالحًا. وأنا الربّ أكون لغنمي إلهًا، ويكون الراعي الذي كعبدي داود لها رئيسًا. وأنا أعاهد غنمي عهد سلام" (حزقيال ٢٤/٢٢ ٢٥). حقّق الله وعده بشخص يسوع المسيح، ابن الله المتجسّد لفداء البشر، وقد قال عن نفسه: "أنا هو الراعي الصالح" (يو ١٠/١١). سمّاه بولس الرسول: "راعي الخراف العظيم" (عبرانيين ١٣/٢٠)، وسمّاه بطرس الرسول: "راعي نفوسكم وحارسها" (١ بطرس ٢/٢٥).

أدرك الشعب أنّ الله هو راعيه، فصلّى صلاة الطمأنينة والثقة بعنايته: "الربّ راعيّ فلا يعوزني شيء. في مراعٍ نضيرة يريحني، وينعش نفسي.

وإلى سبل البرّ يَهديني. إنّي ولو سرت في وادي الظلمات، لا أخاف سوءًا لأنّك معي. عصاك وعكّازك يسكّنان روعي" (مز ٢٣/١-٤١). عصا الرعاية التي يحملها رعاة الكنيسة كعكّاز ترمز إلى عصا المسيح الهادية إلى المراعي الروحيّة، والحامية من ذئاب الشرّ التي تسطوا على الخراف الناطقة. ووعد الربّ الله شعبه بأن يعطيه "رعاة على وفق قلبه، فيرعونه بعلم وفطنة" (إرميا ٣/١٥). فإذا بسمعان بن يونا هو هذا الراعي الموعود الذي قال له يسوع ثلاثًا: "إرع خرافي". وجعله قدوة لسائر الرعاة البشريين في الكنيسة والمجتمع، في الأسرة والمدرسة، في المؤسّسات والوطن. كلّ أسقف وكاهن هو هذا الذي اختاره الله ليكون راعيًا على وفق قلبه. وكذلك القول عن الأب والأمّ وعن المسؤول في المجتمع والدولة. إنّ من يحمل سلطة، من أيّ نوع كانت، إنّما هو مؤتمن من الله على رعاية الأشخاص الذين يمارسون عليهم سلطته. فينبغي أن "يرعاها"، بالمفهوم البيبليّ، كما يريد قلب الربّ. ولهذا لا مبرّر لأيّ سلطة سوى تأمين الخير العامّ الذي منه خير كلّ إنسان وكلّ الانسان.

أمّا السلطة التي لا تعمل ولا تتفانى في سبيل الخير العامّ، فيوجّه إليها الله إنذارًا وواعدًا: "ويل للرعاة الذين يبدّدون ويشتّتون غنم رعيّتي. سأجمع بقيّة غنمي من جميع الأراضي، وأردّها إلى مراعيها، فتثمر وتكثر. وأقيم عليها رعاة يرعونها، فلا تعود تخاف وتفزع، ولا يكون منها مفقود" (إرميا ٢٣/١-٤). إنّ السلطة من الله كنظام رتّبه من أجل الخير العامّ. لذا، يقول بولس الرسول، من يقاوم السلطة إنّما يقاوم النظام الذي أراده الله. فالسلطة هي في خدمة الله لكلّ ما هو خير وعدل وحقّ لكلّ إنسان. الخضوع للسلطة ضروريّ، لا خوفًا من غضب الله على الشرّ، بل من أجل الضمير (روم ١٣/١-٧). أمّا إذا انحرفت السلطة عن واجب توفير الخير العامّ، الذي

منه خير كلّ إنسان، من مختلف جوانب حياته، وإذا أمرت بما يتنافى والحقيقة والخير والعدل، وتجاوزت السلطة حدودها، ينبغي التصدّي لها باعتراض الضمير، "فالطاعة لله أولى من الطاعة للناس" (أعمال ٥/ ٢٩).

### ٢. محبّة المسؤول لشخص المسيح

المطلوب الأساسيّ هو أن يكون الراعي محبًّا المسيح حبًّا شديدًا. سأل يسوع تلميذه بطرس ثلاثًا: "يا سمعان بن يونا، أتحبّني أكثر من هؤلاء؟"، وكان الجواب: "نعم يا ربّ، أنت تعلم أنّي أحبّك". هذا السؤال موجّه إلى كلّ أسقف وكاهن ورئيس ومسؤول اختاره الله والناس ليحبّ المسيح والانسان المفتدى بدمه الثمين: "كما أحبّني أبي، أحببتكم أنا أيضًا. أثبتوا في محبّتي، وأحبّوا بعضكم بعضًا كما أنا أحببتكم" (يو ١٥/ ٩-١٠). الحبّ بذلٌ بدون حساب: "ما من حبّ أعظم من أن يبذل الانسان نفسه عن أحبّائه" (يو ١٥/ ١٣)، والحبّ عطاء من دون حدود: "أحبّ خاصّته الذين في العالم، أحبّهم إلى النهاية" (يو ١٣/ ١). ولهذا كشف لبطرس رسوله عن الميتة التي سيمجد بها الله متنبّئًا عن استشهاده موتًا على الصليب (يو ٢١/ ١٩).

إنّ الذي يؤمن بشخص يحبّه فيضع قلبه فيه، كما تعني اللفظة اللاتينيّة "Credo" أؤمن. تتألّف من "cor-do" وتعني "أعطي قلبي". سمعان - بطرس الذي أعلن إيمانه بيسوع في قيصريّة فيليبّس: "أنت هو المسيح ابن الله الحيّ" (متّى ١٦/ ١٦)، أعلن أيضًا حبّه على شاطئ بحيرة طبريّا: "نعم يا ربّ، أنت تعلم أنّي أحبّك" (يو ٢١/ ١٦). ولكنْ بين الايمان والحبّ يوجد رباط هو الرجاء، الذي يعني ثباتًا وصمودًا في الايمان والحبّ، بالرغم من المحن والمصاعب. هذا ما يعنيه القدّيس أغسطينوس عندما يقول: "من يؤمن يرجو، ومن يرجو يحبّ". في آية صيد عجيب سابق (لو ٥/ ١-١١)، ظهر

الرباط بين هذه الفضائل الثلاث المعروفة بالفضائل الالهيّة، لكونها عطيّة من الله لكلّ إنسان. سمعان - بطرس المؤمن بيسوع وبكلامه، ثبت في هذا **الايمان برجاء** وطيد، عندما أمره يسوع، بعد ليلة صيد فاشلة، بالذهاب إلى العمق ورمي الشباك للصيد من جديد؛ والمنطق البشريّ يؤكّد فشل المحاولة، فضلاً عن التعب. فقال ليسوع: "يا معلّم، لقد تعبنا الليل كلّه ولم نصطد شيئًا. ولكن من أجل كلمتك ألقي الشبكة". ولمّا فعلوا، ضبطوا سمكًا كثيرًا جدًّا ملأ الشباك والسفينتين. فتجلّى **حبّ** سمعان ليسوع عندما ارتمى على قدمي يسوع معترفًا بضعفه، وعندما ترك هو ويعقوب ويوحنّا الشباك والسفينتين والسمك وتبعوا يسوع إلى رسالة صيد البشر للخلاص.

## ٣. اتّباع المسيح

ينتهي الحدث بدعوة يسوع لبطرس: "إتبعني" (يو٢١/١٩)، للسير على خطاه وحسب نهجه في رعاية الخراف وحبّها وافتدائها، كراعٍ صالح حسب قلب المسيح.

هذه هي الدعوة المسيحيّة الشاملة التي قبلناها بالمعموديّة: أن نتبع المسيح بإيمان ورجاء ومحبّة، ونشاركه في رسالته الخلاصيّة؛ وعلى هذا الأساس دُعي تابعو يسوع "مسيحيين" لأوّل مرّة في أنطاكية (أعمال ١١/١٦). في إطار هذه الدعوة الشاملة، يكون لكلّ واحد من دعوته الخاصّة في إحدى دعوات الحياة: الزواج، البتوليّة المكرّسة في الحياة الرهبانيّة أو في العالم، الكهنوت. في هذا الأحد وطوال الأسبوع تصلّي الكنيسة من أجل الدعوات الكهنوتيّة والرهبانيّة، تلبية لأمر الربّ يسوع: "الحصاد كثير والفعلة قليلون، صلّوا إلى ربّ الحصاد ليرسل فعلة لحصاده".

الآن بعد صيد عجيب وإعلان حبّ بطرس ليسوع، وتسليمه رعاية

البشر قال له "**إتبعني**". وإذا بإنجيل جديد ينفتح بصفحاته البيض، يتواصل مع المسيح السرّيّ كما يسمّيه بولس الرسول، أو "المسيح الكليّ" حسب القدّيس أغسطينوس. إنّه إنجيل يسوع والكنيسة لا يكتمل إلاّ في نهاية الأزمنة واكتمال ملكوت الله.

"**إتبعني**" هو النداء الموجّه إلى كلّ مسؤول في الحياة الزوجيّة والعائليّة، في الكهنوت والحياة المكرّسة، كما في مسؤوليّة الحياة العامّة. بطرس من الجليل هو القدوة والمثال. عندما انتخب خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني في ١٦ تشرين الأوّل ١٩٧٨، صارح العالم في اليوم التالي: "خفت من قبول انتخابي. لكنّي قبلته بروح الطاعة لربّنا يسوع المسيح، وفي الثقة الكاملة بأمّي العذراء الكليّة القداسة. فكما دعا منذ ألفي سنة بطرس من الجليل، دعاني أنا أيضًا من بلد بعيد، من بولونيا". ثمّ ذكّر بحادثة "Quo vadis" للدلالة أنّه يدرك جوهر دعوته: الاستشهاد. وبعد ثلاث سنوات، الأربعاء ١٣ أيّار ١٩٨١، وفيه تذكار ظهورات السيّدة العذراء في فاطيما، كانت محاولة اغتياله التي قادته إلى المستشفى مضرّجًا بدمائه، وقد أطلق عليه شابّ رصاصتين من مسدسه على بعد مترين، هو محمّد علي آغا، من تركيّا، عمره ٢٣ سنة، محكوم عليه بالاعدام بسبب جريمة قتل، فارّ من سجن عسكريّ. كانت الساعة ١٧.١٥، وهي الساعة عينها التي انتخب فيها على كرسيّ بطرس. بعد أربعة أيّام، وجّه البابا كلمة عبر إذاعة الفاتيكان، في ١٧ أيّار، قال فيها: "أصلّي من أجل أخي الذي أطلق النار عليّ وأسامحه من كلّ قلبي. بالاتحاد مع المسيح، الكاهن والذبيحة، أقدّم آلامي من أجل الكنيسة والعالم". لقد أدرك أنّ الرئاسة الأولى في الكنيسة، كما كلّ رئاسة ومسؤوليّة في العائلة والمجتمع والدولة، سير على خطى المسيح، الكاهن والذبيحة.

إنّ يسوع الذي يدعونا بكلمة "إتبعني" هو إيّاه المدعوّ الأوّل من الآب، "فأصبح عبد يهوه المتألّم"، خادم الآب، "عابده". لقد تنبّأ عنه أشعيا: "هوذا عبدي الذي اخترته، حبيبي الذي معه رضيت" (متّى ١٢/١٨؛ أشعيا ٤٢/١). لفظة "عبد" البيبليّة "تعني" الذي اختاره الآب وكلّفه برسالة خاصّة لتتميم إرادته الخلاصيّة، كما سيتنبّأ عنه أشعيا: "إنّ الربّ دعاني وجبلني من بطن أمّي عبدًا له، وذكر اسمي من أحشاء أمّي. وجعل فمي كسيف ماضٍ، وفي ظلّ يده خبّأني، وفي جعبته سترني. وقال لي: أنت عبدي، فإنّي بك أتمجّد" (أشعيا ٤٩/١-٣). هذا هو مضمون "إتبعني"، من فم الابن الذي قال: "جئت لأخدم وأبذل نفسي فدىً عن الكثيرين" (متّى ٢٠/٢٨).

الدعوة خاصّة، وتأتي من الله من أجل تحقيق المشروع الكونيّ للفداء يوجد رباط وثيق بين الخدمة الكهنوتيّة والفداء وبين "الخادم" و"الحمل" الذي يقاد إلى الذبح، دونما خوف أو تردّد، لأنّ قوّته في الله الذي يتوجّه إليه على لسان أشعيا: "إجعل روحي عليك لتبدي الحقّ للأمم.أنا الربّ أخذت بيدك وجبلتك وجعلتك عهدًا للشعب ونورًا للأمم، لكي تفتح العيون العمياء، وتخرج الأسير من السجن والجالسين في الظلمة من بيت الحبس" (أشعيا ٤٢/١ و٧٦).

عندما سأل يسوع بطرس ثلاثًا: "أتحبّني أكثر من هؤلاء؟" أراد أن يؤكّد أنّه بهذا الحبّ الشديد يستطيع، هو والمدعوّون مثله، تخطّي تجربة التراجع أمام الصعاب، وتجربة الانغلاق على الذات مع الوهم بإيجاد الطمأنينة والسعادة في المنصب.

## ٤. في مدرسة مريم العذراء

لبّت مريم الدعوة الالهيّة لتكون أمّ الفادي الالهيّ وشريكة الفداء،

واتّخذت موقف "الخادمة": "أنا أمة الربّ" (لو ١/٣٨). صلاة ورديّتها التأمليّة تساعد كلّ كاهن ومكرّس ومكرّسة للولوج في أسرار المسيح الخلاصيّة التي يخدمها. مع مريم "يتعلّم أن يعرف يسوع، لا أن يعرف ما علّم يسوع" (البابا يوحنّا بولس الثاني: ورديّة مريم العذراء، ١٤)، وأن ينظر إلى إسراره الخفيّة نظرة مريم التي تكون مرّة استفهاميّة: "لم فعلت بنا هكذا؟" (لو ٢/٤٨)، ومرّة ثاقبة "إفعلوا ما يقول لكم" (يو ٢/٥)، ومرّة متألّمة قرب الصليب برجاء ولادة جديدة (يو ١٩/٢٦-٢٧)، ومرّة مشعّة بفرح القيامة، ومرّة ملتهبة بفيض روح العنصرة (أعمال ١/١٤) (المرجع نفسه، ١٠).

نفتتح في هذا الأحد شهر أيّار المخصّص لتكريم أمّنا مريم العذراء، سيّدة لبنان، وبتلاوة ورديّتها والتأمّل فيها، نهتدي بواسطة مريم إلى الرب يسوع، وبه ومعه إلى الآب والروح، فالى عمق قداسة الله الثالوث. وكما قال سمعان- بطرس ليسوع: "إلى من نذهب، وكلام الحياة الأبديّة عندك" (يو ٦/٦٨)، نحن نناجي مريم قائلين:

"نحن، يا أمّنا، لا نعرف دومًا أن نذهب إلى يسوع. لأجل ذلك، أقامك لنا أمًّا وشفيعة، ورفيقة دروبنا الصعبة. أنتِ رائحة المسيح الطيّبة تجتذبينا إليه. أنتِ نجمة الصبح تبشّر بشروقه. يسوع هو الباب إلى الآب، ويسعده ويسعدنا أن تكوني أنتِ بابًا ندخل به إلى خدره المجيد" (المطران جورج اسكندر: أسرار الورديّة برفقة مريم، صفحة ٢٥٥).

### ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

المحبّة أساس كلّ شيء. فهي الوصيّة الأولى والأخيرة في الشريعة الالهيّة والكتب المقدّسة. وهي "وحدها لا تزول، فيما النبوءات تبطل والتكلّم

باللغات ينتهي، لان النبوءات ناقصة والمعرفة ناقصة. فمتى جاء الكامل زال الناقص". (١ كور ١٣/٨-١٠).

لا يمكن ممارسة أي سلطة، أكانت روحيّة أم سياسيّة، عائليّة أم اجتماعيّة، من دون المحبّة. فالنسيج العائليّ والاجتماعيّ والوطنيّ لا يكون سليمًا ومثمرًا ومتوافقًا مع الكرامة الانسانيّة، ما لم تحرّك المحبّة المسؤول وأعضاء الجماعة. فيتحسّسون بفضلها حاجات الآخرين وكأنّها حاجاتهم، ويشركونهم في الخيرات العامّة والخاصّة (البابا يوحنّا الثالث والعشرون: السلام على الأرض، ٣٥).

هذه **المحبّة الاجتماعيّة** هي في أساس السلام والديموقراطيّة. إنّ لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة، التي أسّسها مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، تعمل على تعزيز المحبّة في قلوب المواطنين، أكانوا منتمين إلى أحزاب وتيّارات وتجمّعات أم كانوا حياديين، من أجل الوحدة والتضامن في توطيد السلام وممارسة الديموقراطيّة.

تعتمد لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة منهاجًا لنشاطها، على مستوى التفكير والعمل، رسالة قداسة البابا في مناسبة يوم السلام العالميّ (أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧): **الشخص البشريّ قلب السلام**. وإنّي سأنقل مضامينها أسبوعيًّا في التنشئة المسيحيّة.

السلام خير يتوق إليه كلّ إنسان، وينتظره بشوق كلّ محروم منه. لهؤلاء الناس يوجّه قداسة البابا رسالته مع تمنياته بالسلام في مستهلها: إلى الذين يتألّمون ويقاسون، وإلى الذين يعيشون وهم مهدّدون بالعنف وبقوّة السلاح، أو أيضًا إلى الذين قد امتهنت كرامتهم، وهم ينتظرون استعادة موقعهم الانسانيّ والاجتماعيّ، وإلى الأولاد الذين يُغنون البشريّة ببراءتهم، طيبة

ورجاء، ويدفعوننا بأوجاعهم إلى أن نكون صانعي عدالة سلام. وقد أردت - وأنا أفكر بالأولاد، خاصّة بالذين من بينهم من أفسد مستقبلهم استغلالُ الكبار الذين لا ضمير لهم، وخبثهم - أن يتركّز الاهتمام العامّ على موضوع: "الشخص البشريّ، قلب السلام"، وأنا موقن أنّه باحترام الانسان، نعمل على تقدّم السلام، وببناء السلام، نرسي قواعد نظامٍ إنسانيّ صحيح تامّ. وهكذا يتمّ تحضير مستقبل صاف للأجيال الطالعة (الفقرة ١).

والديموقراطيّة نظام خيّر من شأنه أن يحمي مشاركة المواطنين في خيارات وطنهم السياسيّة، التي توفّر مجموع الخيرات المكوّنة للخير العامّ.

"فالكنيسة تقدّر النظام الديموقراطيّ نهجًا يكفل للمواطنين المشاركة في الخيارات السياسيّة، ويضمن لهم القدرة على انتخاب ساستهم ومراقبتهم أو استبدالهم بطريقة سلميّة إذا استُنسب الأمر. ولكنّ الكنيسة لا تستطيع أن توافق على قيام زمرٍ صغيرة حاكمة تغتصب السلطة من الدولة لحساب مصالحها الخاصّة أو لمآرب إيديولوجيّة.

"لا يمكن أن تقوم ديموقراطيّة صحيحة إلاّ ضمن دولة شرعيّة وعلى أساس تصوّر سليم للشخص البشريّ، ويقتضي ذلك توفّر شروط ضروريّة لترقية الأشخاص بالتربية والتنشئة على هدف مثاليّ حقّ، كما يستلزم ازدهار "شخصيّة" المجتمع، بخلق بُنى تمكّن من المشاركة والتضامن في المسؤوليّة. لا بدّ من ملاحظة: إذا لم تكن ثمّة أيّ حقيقة قصوى ترشد العمل السياسيّ وتوجّهه، يغدو من السهل على السلطة أن تستغل الأفكار والمعتقدات لمصلحتها. ديموقراطيّة بلا قيم تتحوّل بسهولة إلى توتالية سافرة أو مدجّاة، على حدّ ما يتبين من مجرى التاريخ" (السنة المئة، ٤٦).

■ **ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ**

تعنى الخطّة الراعويّة، في الرعايا والمدارس والأديار والنوادي، بالتفكير معًا في النصّ الرابع من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ وعنوانه: **"الكنيسة المارونيّة في انتشارها العالميّ"**.

ينحصر الموضوع بكيفية المحافظة على اثنين: الاندماج الانسانيّ في مجتمعات الانتشار، والمحافظة على الهويّة الكنسيّة ليظلّ الموارنة المنتشرين أغصانًا نضرة مرتبطة بالكنيسة الأمّ.

١. يلاحظ النصّ المجمعيّ أنّ **الاندماج الانسانيّ** متوفّر في بلدان الانتشار، بسبب التحاق العديد من الموارنة بالكنائس المحليّة وبالمدارس والرعايا اللاتينيّة. ويشعرون بذلك أنّهم في قلب الكنيسة الجامعة، بسبب العلاقات التاريخيّة التي قامت بين موارنة لبنان والكنائس الغربيّة، وكانت دائمًا علاقات محبّة واحترام وتعاون (الفقرة ٢٩).

٢. أمّا من أجل **المحافظة على هويّتهم المارونيّة** وارتباطهم بتراثهم المارونيّ وكنيستهم البطريركيّة الأمّ، فينبغي أن يعمل **البيت والعائلة** على نقل هذا التراث الروحيّ والانسانيّ من جيل إلى جيل. وتقضي الحاجة إلى إنشاء **مدارس مارونيّة**، كما هي الحال في أستراليا ومصر وبعض بلدان الخليج العربيّ. ويمكن **الاتفاق مع المدارس اللاتينيّة** المحليّة لإدخال معلومات عن الكنائس الشرقيّة وتراثاتها في برامج التعليم الدينيّ العامّ. ومن المفيد جدًّا تأمين **كتب ونشرات** لنقل التراث المارونيّ كما هي الحال بنوع خاصّ في الولايات المتحدة الأميركيّة وأستراليا وغيرها (الفقرة ٣٠).

***

**صلاة**

يا مريم أمّنا، سلطانة الورديّة المقدّسة، إنّنا نشكرك على الورديّة التي أوحيتيها، وجعلت منها سلسلة عذبة تصلنا بالله، ورباط حبٍّ يوحّدنا. اجعلي من مسبحة الورديّة ميناءً نطمئن إليه لننجو من هجمات الشرير ومن الغرق في الخطيئة والشرّ. وليكن ترداد سلامك ومناجاة اسمك العذب على شفاهنا حتّى آخر لفظة نتمتمها في اليقظة وفي ساعة النزاع. تباركت يا مريم وتمجّد الثالوث القدّوس الذي اختارك، الآب والابن والروح القدس، إلى الأبد. آمين (مقتبسة من رسالة البابا يوحنّا بولس الثاني: ورديّة مريم العذراء، ٤٣).

* * *

الأحد ١٣ أيّار ٢٠٠٧

# الأحد السادس من زمن القيامة

## حضور المسيح في الكنيسة ينبوع الرجاء

### من إنجيل القدّيس لوقا ٢٤/٣٦-٤٨

وفيما التلاميذ يتكلّمون بهذا، وقف يسوع في وسطهم، وقال لهم: «السلام لكم!». فارتاعوا، واستولى عليهم الخوف، وكانوا يظنّون أنّهم يشاهدون روحًا. فقال لهم يسوع: «ما بالكم مضطربين؟ ولماذا تُخالج هذه الأفكار قلوبكم؟ أنظروا، فإنّ الروح لا لحم له ولا عظام كما ترون لي!». قال هذا وأراهم يديه ورجليه؟. فقدّموا له قطعة من سمك مشويّ، ومن شهد عسل. فأخذها وأكلها بمرأى منهم، وقال لهم: «هذا هو كلامي الذي كلّمتكم به، وأنا بعد معكم. كان ينبغي أن يتمّ كلّ ما كتب عنّي في توراة موسى، والأنبياء والمزامير». حينئذ فتح أذهانهم ليفهموا الكتب. ثمّ قال لهم: «هكذا مكتوب أنّ المسيح يتألّم، ويقوم من بين الأموات في اليوم الثالث. وباسمه يكرّز بالتوبة لمغفرة الخطايا، في جميع الأمم، ابتداءً من أورشليم. وانتم شهودٌ على ذلك».

* * *

المسيح القائم من الموت حيّ في سرّ الأفخارستيّا، منه ينبع السلام والشجاعة. ومن الأفخارستيّا تنبعث رسالة المناداة بإنجيل التوبة ومغفرة الخطايا، ومنها تغتذي شهادة الكنيسة.

## ■ أوّلا، حضور المسيح في العالم

### ١ . المسيح القائم من الموت حيّ في المؤمنين

**بعد القيامة لا يُعرف** يسوع إلاّ بالايمان. فهو في جسده القائم من الموت ينتقل إلى حالة "الجسد الروحانيّ" الذي لا يخضع لشريعة الزمان والمكان. وهو جسد ممتلئ من قدرة الروح القدس، لكونه يشترك في الحياة الالهيّة الممجّدة، ويسمّيه القدّيس بولس الرسول "الانسان السماويّ" (١ كور ١٥/٤٩). وبهذا تختلف قيامة يسوع جوهريًّا عن القيامات التي أجراها، وكانت عودة إلى الحياة الأرضيّة العاديّة، بمعجزة إلهيّة. وهذه العودة من جديد يعقبها الموت مجدّدًا. فلنفكّر بقيامة ابنة يائيرس وفتى نائين ولعازر (التعليم المسيحيّ، ٦٤٥).

**بالقيامة** أصبح يسوع المسيح الحدث الأساس في قلب سرّ الايمان، لأنّه حدث يسمو التاريخ ويفوقه. ولهذا لم يعرفه التلاميذ، وظلّ الشكّ يراودهم بالرغم من كلّ البراهين الحسّية التي أعطاهم إيّاها: أراهم يديه ورجليه، ودعاهم للمسه، وأكدّ لهم أنّه ليس مجرّد روح، بل من لحم وعظم، وأكل أمامهم. لم يظهر المسيح القائم من الموت للعالم بل لتلاميذه، لأنّه أراد، من بعد أن نفخ فيهم الروح القدس (يو ٢٠/٢٢)، واتّحد بهم عبر وليمة جسده ودمه (مر ١٤/٢٢-٢٤)، وفتح أذهانهم لقبول كلام الحياة وفهم الكتب (يو ٢٤/٤٥)، أن يجعلهم شهودًا لقيامته: "وأنتم شهود على ذلك" (لو ٢٤/٤٨) (أنظر التعليم المسيحيّ، ٦٤٧).

لقد سبق وشرح لماذا لم يظهر للعالم بعد قيامته بل للتلاميذ، مجيبًا على سؤال يهوذا الرسول غير الأسخريوطيّ: إنّه يظهر للّذين يحبّونه، أي الذين يحفظون كلمته، نورًا لعيونهم وروحًا وحياة لدربهم وقلوبهم؛ والذين يتناولون

جسده ودمه يشركهم، بفضل إيمانهم، في الحياة الالهيّة. هؤلاء يحبّهم يسوع، ويحبّهم الآب بحلول الروح القدس واليه يأتون، وعندهم يجعلون منزلاً (أنظر يوحنّا ١٤/٢٢-٢٣). هؤلاء، بحياتهم الجديدة، يصبحون شهود القيامة: فيسوع بموته حرّرهم من الخطيئة، وبقيامته فتح لهم المدخل إلى حياة جديدة، إلى حالة النعمة التي تبرّر، فيسلكون في جدّة الحياة. هذا ما يتمّ فينا بواسطة المعموديّة التي هي موت عن الخطيئة وقيامة إلى حالة النعمة، ويتجدّد بواسطة سرّ التوبة الذي به نغلب الخطيئة والموت، ونشترك من جديد في النعمة حاملة الحياة الالهيّة (أنظر روم ٦/٤-١٤).

**وبالمعموديّة** نصبح أبناء لله، وإخوة للمسيح لا بالطبيعة بل بموهبة النعمة: "إذهبا وقولا لإخوتي" (متّى ٢٨/١٠). هذا يعني أنّ المسيح القائم من الموت يحيا في قلب المؤمنين، فيتذوّقون جمال الدهر الآتي، ولا يحيون لأنفسهم بل للذي مات وقام لأجلهم (٢ كور ٥/١٥)، ويتوقون بالرجاء السعيد إلى القيامة الآتية: كما في آدم يموت الجميع، كذلك أيضًا في المسيح سيحيا الجميع (١ كور ١٥/٢٢) (التعليم المسيحيّ، ٦٥٥). المسيحيّة مؤتمنة على الشهادة للأخوّة الشاملة، وعلى بناء حضارة المحبّة بين جميع الناس والشعوب.

## ٢. حضور المسيح الحيّ في الأفخارستيّا

**"أراهم يديه ورجليه"** (لو ٢٤/٤٠).

هذه هويّة يسوع، علامة ذبيحة الفداء المتواصلة في ذبيحة القدّاس. هذا الذي "مات ليفتدينا من خطايانا وقام لتقديسنا"، حاضر أبدًا في سرّ الأفخارستيّا، حيث استمراريّة ذبيحة الفداء ومائدة جسده ودمه للحياة الجديدة. من هذا السرّ تنطلق الشهادة لقيامة المسيح وتندلع مفاعيلها

وتغذّي المؤمنين. أكّد **البابا بندكتوس السادس عشر** في قدّاسه الأوّل: "الأفخارستيّا هي قلب الحياة المسيحيّة، وينبوع رسالة الكنيسة، رسالة إعلان إنجيل الخلاص. فالأفخارستيّا تجعل المسيح القائم حاضرًا أبدًا، يواصل هبة ذاته لنا، ويدعونا إلى المشاركة في مائدة جسده ودمه. من هذه الشركة معه تتفجّر كلّ عناصر حياة الكنيسة والحياة المسيحيّة، وهي: الشركة مع كلّ المؤمنين والالتزام بإعلان الانجيل والشهادة له، وحرارة المحبّة نحو الجميع وبخاصّة نحو الفقراء والصغار".

حضور المسيح في سرّ القربان هو **مصدر الرجاء** الصامد في حياتنا اليوميّة، وفي التزامنا الدؤوب في عمليّة تغيير، هو على التوالي:

- تغيير حياتنا وجعلها قربانًا روحيًّا، عطيّة فداء لخير إخوتنا، على مثال الربّ يسوع في سرّ القربان حيث يُقدّم ذبيحة فداء وغذاء حياة.

- تغيير وجه العالم والتاريخ بطبعه بقيم الانجيل.

- تغيير واقع النزاع والخلاف إلى واقع السلام والمصالحة وحسن العلاقات بين الناس والشعوب، على أسس الحقيقة والمحبّة والعدالة والحريّة.

- تغيير ثقافة الموت إلى حضارة حماية الحياة البشريّة منذ اللحظة الأولى لتكوينها في حشى الأمّ حتّى النفس الأخير، وجودًا وكرامة وحقوقًا.

- تغيير حالة اليأس عند الفقراء والضعفاء إلى حالة رجاء (البابا يوحنّا بولس الثاني: الكنيسة من الأفخارستيّا، ٢٠).

"**أنتم شهود على ذلك**" (لو ٢٤/٤٨).

الشهادة هي الالتزام بهذا التغيير المتنوّع، وهي رسالة الكنيسة الموجّهة إلى جميع شعوب الأرض وأممها: "إذهبوا وأنجلوا كلّ الأمم" (متّى ٢٨/١٩). فالانجيل لا يفهم جيّدًا إلاّ في ضوء قيامة المسيح التي تجعل كلام الله "روحًا وحياة"، وتحفظ الكنيسة في شباب دائم، بفضل المسيح الحيّ فيها وليس أسير الموت، بل يمشي حيًّا إلى جنب الكنيسة وأبنائها وبناتها، كما مشى مع التلميذين إلى عمّاوس (لو ٢٤/١٣-٣٥). هذه هي البشرى السعيدة (١ كور ١٥/١-١١) التي تحملها الكنيسة للعالم: إنّ الكلمة الأخيرة هي للقيامة لا للموت، على ما يقول **القدّيس أغسطينوس**: "أيّها الاخوة تشجّعوا، الموت سيموت أيضًا فيكم! إنّ ينبوع الحياة وصل إلينا بيسوع المسيح. فلنعمل في الحاضر، ولنأمل في المستقبل".

لا تقف القيامة ومفاعيلها عند حدود الحياة الروحيّة، بل تتعدّاها لتبلغ بها إلى الحياة الخلقيّة والاجتماعيّة والسياسيّة. "فالفداء القائم على الموت والقيامة يشكّل الحدّ الالهيّ للشرّ الذي فرضه الله، بحيث أنّ الشرّ أضحى مغلوبًا جذريًّا بالخير، والبغض بالحبّ، والموت بالقيامة" (يوحنّا بولس الثاني، ذاكرة وهويّة، صفحة ٣٥).

نحن **نرجو لأوطاننا، وللبنان** خاصّة، قيامة روحيّة وخلقيّة تؤدّي إلى قيامة سياسيّة، لندرك جميعًا قيمة نظامنا الديموقراطيّ، الذي يتلاءم بشكل أفضل مع طبيعة الانسان العاقلة وذات البعد الاجتماعيّ، وبالتالي مع مقتضيات العدالة الاجتماعيّة، وحيث يُحترم فيه رأي الشعب وحقوقه، وتسود المساواة بين المواطنين وتنشأ "دولة الحقّ" (Etat de droit)، التي فيها يتكوّن مجتمع من المواطنين الأحرار الساعين معًا إلى تأمين الخير العامّ. هذا ما يريده الله بشريعته الالهيّة التي كتبها على ألواح جبل سينا، وطبعها

في قلب الانسان. إنّها لحماية الخير الأساسيّ الذي هو الحياة والعيش البشريّ المشترك. فكلّ اعتداء على حياة الشخص البشريّ أو كرامته أو حقوقه أو مصيره، يجعل العيش معًا غير ممكن (ذاكرة وهويّة، صفحة ١٥٥).

بدون قيامة القلوب والذهنيّات، لن ينبلج فجر حياة اجتماعيّة ووطنيّة أفضل، متذكّرين كلمة بولس الرسول: "إنّ الأشياء القديمة مضت، وكلّ شيء صار جديدًا من الله الذي صالحنا مع نفسه بالمسيح، ووضع فينا كلمة المصالحة" (٢ كور ٥/١٧-١٩). أولى ثمار القيامة، التي تحقّقت في سرّي الأفخارستيّا والتوبة، هي المصالحة مع الله والذات والإخوة.

### ٣. مريم تحفة الفداء والمرأة القربانيّة

استبق الله ثمار الفداء، سرّ موت المسيح وقيامته، في شخص مريم الكليّة القداسة، فكانت تحفة الفداء، وصورة الكنيسة وأيقونة البشريّة. في مدرستها ومدرسة الأفخارستيّا نتعلّم الحياة المسيحيّة الجديدة كما يرسمها خادم الله يوحنّا بولس الثاني في رسالته العامّة "الكنيسة من الأفخارستيّا تحيا"، (عدد ٥٣- ٥٨):

١. كما في عرس قانا الجليل، قالت للخدم "إفعلوا ما يقوله لكم" (يو ٢/٥)، تقول لنا اليوم أن نعمل بما يوصينا في الأفخارستيّا "إصنعوا هذا لذكري" (لو ٢٢/١٩). وكما حوّل الماء إلى خمر، كذلك يحوّل الخبز إلى جسده ودمه ويجعله خبز حياة، وبه يحوّل العالم (عدد ٤٥).

٢. كما قدّمت مريم حشاها لقبول الكلمة المتجسّد، فأعطته جسدًا حسيًّا. كذلك في الأفخارستيّا يقبل المؤمن جسد الربّ ودمه تحت شكلي الخبز والخمر، ليعكس وجهه بشهادة حياته.

٣. يلتقي جواب الايمان من مريم "ليكن لي حسب قولك" في بشارة الملاك مع جواب الجماعة المؤمنة على كلام التقديس "آمين". هي آمنت أنّ الذي تحبل به من الروح القدس هو ابن الله، والجماعة تؤمن أنّه هو إيّاه معنا وفينا تحت إعراض الخبز والخمر.

٤. في زيارتها لاليصابات كانت أوّل بيت قربان. ونحن تجعلنا المناولة كذلك في موقف حبّ تجاه الربّ الحاضر فينا، لنشهد له في حضارة المحبّة (عدد ٥٥).

٥. شاركت مريم ابنها في آلامه عبر محطّات بدأت في الهيكل مع نبوءة سمعان الشيخ (لو ٢/٣٤-٣٥)، وفي هيكل أورشليم عندما أضاعا يسوع ولقياه (لو /٤٦-٤٩٢)، ثمّ على أقدام الصليب حيث كانت واقفة معه شريكة في آلام الفداء، وأخيرًا بمناولتها إيّاه جسدًا سريًّا من يد بطرس ويعقوب ويوحنّا، عاشت من جديد كلّ سرّ الفداء (راجع عدد ٥٦). هكذا نحن نعيش بُعد ذبيحة الفداء في آلام عالمنا ومجتمعنا ومحيطنا العربيّ.

٦. إنّ أمومتها وبنوّتنا تتواصلان: "هذا ابنك، هذه أمّك" (يو ١٩/٢٦-٢٧) فبكلمة "إصنعوا هذا لذكري" (لو ٢٢/١٩)، نحن نعيش التزام الاقتداء بيسوع في مدرسة مريم وبرفقتها، هي الحاضرة في كلّ جماعة أفخارستيّة. إنّما هي لا تنفصل عن الأفخارستيّا، وترتبط به بالرباط الذي بين الكنيسة والأفخارستيّا (عدد ٥٧). إنّه عيش الأخوّة الشاملة.

٧. في الأفخارستيّا يتواصل نشيد "تعظّم نفسي الربّ": نشيد المديح والشكر للآب في المسيح ومع المسيح؛ ذكر عظائم الله تجد ذروتها في التجسّد من أجل الفداء، حيث الفقراء يغتنون والأغنياء يفتقرون، وتقوم أرض جديدة وسماء جديدة، وينقشع وجه جديد للعالم (عدد ٥٨).

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

مع **لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة** التابعة لمجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان، نواصل البحث في **ثقافة السلام والديموقراطيّة** التي يحتاج إليها مجتمعنا لكي لا يكون عمل رجال السياسة والأحزاب والتيّارات والتجمّعات هادمًا لهذه الثقافة، بل لكي يعملوا جميعًا في سبيل نشرها ويمارسوها في مختلف نشاطاتهم الوطنيّة.

يؤكّد قداسة البابا بندكتوس السادس عشر في رسالته "**الشخص البشريّ قلب السلام**"، أنّ **السلام** ينبع من قلب الانسان: "بما أنّ الفرد البشريّ مخلوق على صورة الله، فهو ينعم بكرامة شخص". فهو ليس فقط مجرّد شيء بل هو إنسان له القدرة على المعرفة، وامتلاك نفسه، وهبة ذاته بحريّة، والدخول في شركة مع غيره من الناس. وفي الوقت عينه مدعوّ، بفعل النعمة، إلى إبرام عهد مع خالقه، وتقديم جواب إيمان ومحبّة له، وما من أحد باستطاعته أن يعطيه سواه. ومن هذا المنظار المدهش، تفهم المهمة التي أوكلها الله إلى الكائن البشريّ، وهي أن يبلغ بذاته إلى إنضاج قدرته على المحبّة، وتطوير العالم، بتجديده إيّاه في **العدالة والسلام**. يقول القدّيس أغسطينوس: "إنّ الله الذي خلقنا بدوننا، لم يرد أن يخلّصنا بدوننا". فإنّه، بالتالي، من واجب جميع الكائنات البشريّة أن تهتمّ بإقامة وعي في ذاتها لوجهتي العطاء والمهمّة.

**والسلام** هو، في وقت معًا، **عطيّة ومهمّة**. وإذا كان صحيحًا أنّ السلام بين الأفراد والشعوب- أي القدرة على العيش معًا عن طريق نسج علاقات عدالة وتضامن- يمثّل إلتزامًا لا هوادة فيه، فإنّه من الصحيح أيضًا، لا بل إنّه من الأصحّ، أنّ السلام هو عطيّة من الله. فالسلام هو في الواقع ما يميّز العمل الالهيّ، وهو يتجلّى معًا في **خلق** كون منظّم ومتناغم، وفي **افتداء**

البشريّة التي هي بحاجة إلى أن تُفتدى من فوضى الخطيئة. فالخلق والفداء يعطيان مفتاح القراءة الذي يمهّد فهم معنى وجودنا على الأرض. عندما توجّه سلفنا المبجّل البابا يوحنّا بولس الثاني إلى جمعيّة الأمم المتحدة العامّة في الخامس من تشرين الأوّل سنة ١٩٩٥ أكّد "أنّنا نعيش في عالم فاقد العقل، أو هو لا معنى له. غير أنّ هناك، على العكس من ذلك، منطقًا أدبيًا يضيء الوجود الانسانيّ، ويجعل الحوار ممكنًا بين الناس والشعوب" (فقرة ٢-٣).

أمّا **الديموقراطيّة السليمة والصحيحة** فهي التي تحترم **الحقيقة** وتحافظ على **الحريّة** النابعة من الحقيقة. ومن واجب الديموقراطيّة أن تنفي التعصّب والأصوليّة، لأنّهما يقوّضان أسس الحقيقة والحريّة.

كتب خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني في رسالته العامّة "السنة المئة":

"لا يخفى على الكنيسة الخطر الناجم عن **التعصّب** أو عن **الأصوليّة** عند قومٍ يتوهّمون أنفسهم قادرين باسم إيديولوجيّة علميّة أو دينيّة مزعومة، أن يفرضوا على اللآخرين تصوّرهم للحقّ والخير. **الحقيقة المسيحيّة** ليست من هذا القبيل. ولأنّ الايمان المسيحيّ ليس ضربًا من ضروب الإيديولوجيّة، فهو لا يسعى البتة إلى أن يحصر في قالب جامد الواقع الاجتماعيّ والسياسيّ المتقلّب، بل يرضى بان تتحقّق حياة الانسان في التاريخ بطرق متنوّعة وناقصة. ولكن الكنيسة تصرّ على التنويه دائمًا بكرامة الشخص السامية وتتبنى احترام الحريّة قاعدة لعملها.

ولكنّ **الحريّة** لا تبلغ شأوها إلاّ باحتضانها **الحقيقة**. ففي عالم بلا حقيقة، لا تقوم للحريّة قائمة، ويمسي الانسان عرضة لسطو الأهواء، ورهنًا لظروف ظاهرة أو خفيّة. المسيحيّ يعيش الحريّة (يو ٨/٣١-٣٢)، ويجنّد لها ذاته،

وانطلاقًا من طبيعة دعوته الرساليّة، يعرض على الناس، بلا مللّ، الحقيقة التي اكتشفها. وفي **الحوار مع الغير**، يظلّ متنبّهًا لكلّ شذرة حقيقة يلقاها لدى الأفراد والشعوب، في خبرة حياتهم وثقافتهم، من غير أن يُقلع عن المجاهرة بكلّ ما تلقّنه من إيمانه وسليم تفكيره (السنة المئة، ٤٦).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تبلغ الخطة الراعويّة، التي تتقبّل النصّ الرابع من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: "**الكنيسة المارونيّة في انتشارها العالميّ**"، إلى فصله الثالث: **الانتشار المارونيّ وتحدّيات المستقبل.**

يقتضي الانتشار المارونيّ اليوم وفي المستقبل "**حركة تلاقٍ وتواصل منظّم مع الوطن الأمّ**"، لا بالعودة الجماعية إليه، بل بالتفاعل معه وحمل رسالته إلى العالم، وهي رسالة التعايش الخلاّق بين الأديان والحضارات (فقرة ٣١).

١. المسألة المطروحة هي **وحدة الكنيسة المارونيّة**، إنطلاقًا من السؤال عما ستؤول إليه كنائس الانتشار إذا لم ترتبط روحيًّا وكيانيًّا بالكرسيّ البطريركيّ في لبنان، والسؤال عن مصير الكنيسة المارونيّة في لبنان إذا لم ترتبط هي أيضًا بأبنائها المنتشرين وهم الغالبيّة. فلا بدّ من رسم خطط وإيجاد حلول (فقرة ٣٢).

٢. تنطلق حركة التلاقي والتواصل المنظّم من كون الكنيسة المارونيّة كنيسة مجمعيّة قائمة بحدّ ذاتها وهي في شركة تامّة مع الكرسيّ الرسوليّ الرومانيّ. فتظهر وحدتها وتتشدّد أواصرها عبر **وحدة**

**الليتورجيّا** والصلاة وممارسة **الأسرار** في كلّ الكنائس المارونيّة، وعبر وعي **هويّة الكنيسة المارونيّة** التي هي **كنيسة أنطاكية سريانيّة ذات تراث** يميّزها ويثبّت وحدتها على تراث روحيّ وحضاريّ واضح المعالم (فقرة ٣٣).

٣. يفرض هذا التصوّر للوحدة المارونيّة **تنظيمًا خاصًّا** ذا أُطُر قانونيّة وثقافيّة لتضمن له سبل التحقيق. يكون المطلوب الأوّل في هذا التنظيم **التنشئة الكهنوتيّة وتأمين الدعوات المحليّة**، والمطلوب الملازم له إجراء **تنظيم ينطلق من الكرسيّ البطريركيّ** للتواصل بين الداخل والانتشار (فقرة ٣٤).

٤. يوصي المجمع، في هذا الضوء، **بإنشاء دائرة بطريركيّة لشؤون الانتشار** تتناول كلّ ما له علاقة بالأبرشيّات والرعايا والرسالات في بلدان الانتشار (فقرة ٣٥).

* * *

**صلاة**

يا مريم أمّنا، نحن لا نعرف أن نرى، في ذبيحة القدّاس، آثار المسامير في يدي يسوع ورجليه وجرح الحربة في صدره، من حيث ولدنا بالمعموديّة والأفخارستيّا. ولا نعرف كيف نذهب إليه، هو الذي عنده كلام الحياة الأبديّة.

لأجل ذلك أقامكِ لنا أمًّا وشفيعةً، ورفيقةَ دروبنا الصعبة. أنتِ رائحة المسيح الطيّبة تجتذبيننا إليه. أنتِ نجمة الصبح تبشّر بشروقه. أنتِ كرسيّ

حكمته، منها نستقي النور لعقولنا وقلوبنا، فيما نتلوورديّتك ونتأمّل أسرار ابنك برفقة عينيكِ وقلبكِ وكيانكِ. خذينا بيدكِ إلى يسوع، لنلجَ في عمق قداسة الثالوث، رافعين المجد والشكر للآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين.

(مقتبسة من "أسرار الورديّة برفقة مريم" للمطران جورج اسكندر، صفحة ٢٥٥).

الأحد ٢٠ أيّار ٢٠٠٧

# الأحد السابع بعد القيامة

## إنجيل القدّيس يوحنّا ١٣/٣١-٣٥

لمّا خرج يهوذا الاسخريوطيّ قال يسوع: «الآن مُجّدَ ابن الانسان ومُجّدَ الله فيه. إن كان الله قد مُجّدَ فيه، فالله سيُمجّده في ذاته، وحالاً يمجّده. يا أولادي، أنا معكم بعدُ زمنًا قليلاً. ستطلبونني، ولكن ما قلته لليهود أقوله لكم الآن: حيث أنا أمضي لا تقدرون أنتم آن تأتوا. وصيّة جديدة أعطيكم، أن تُحبّوا بعضكم بعضًا. أجل، أن تحبّوا بعضكم بعضًا كما أنا أحببتكم. بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي، إن كان فيكم حبٌّ بعضكم لبعض».

* * *

هذا الأحد هو الأخير من زمن القيامة، قبل حلول الروح القدس، في اليوم الخمسين (العنصرة). فيه تتذكّر الكنيسة وصيّة الربّ الأخيرة لتلاميذه وللمؤمنين به: "أن تحبّوا بعضكم بعضًا، كما أنا أحببتكم". وجعل هذه المحبّة علامة للتتلمذ والايمان: "بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي، إذا أحبّ بعضكم بعضًا". هذه المحبّة هي عطيّة الروح القدوس التي سيسكبها في قلوبكم.

تخصّص الكنيسة هذا الأحد للتأمّل في أهميّة وسائل الإعلام الاجتماعيّة ودورها، وللصلاة من أجل الاعلاميين ورسالتهم، ولدعم هذه الوسائل لما فيه خير المستفيدين منها.

## ■ أوّلاً، شرح الانجيل

### ١. معنى كلام يسوع

إنجيل اليوم كلام قاله يسوع في العليّة، ليلة آلامه وموته، وبعد أن قام عن العشاء الأخير وغسل أرجل التلاميذ، وبعد أن خرج يهوذا الاسخريوطيّ، وقد أعلنت خيانته ليسلّم يسوع (يو ١٣/١-٣٠). فأعلن بهذا الكلام سرّ موته الوشيك، وسمّاه ساعة تمجيده وتمجيد الآب: "الآن تمجّد ابن الانسان، وتمجّد الله به" (يو ١٣/٣١). ذلك أنّه يتمّم إرادة أبيه السماويّ الذي أرسله ليفتدي خطايا الجنس البشريّ بموته، ويبرّر البشر أجمعين بقيامته: "يا بنيَّ، أنا معكم زمنًا آخر قليلاً، وستطلبونني، وحيث أذهب لا يمكنكم أنتم الذهاب" (يو ١٣/٣٣).

**ابن الله**، يسوع المسيح **"يتمجّد"** لأنّه يحبّ الآب ويطيعه حتّى الموت على الصليب. **والآب** بدوره **"يتمجّد به"** لأنّه بذل ابنه الوحيد ليخلّص الجنس البشريّ بأسره. **والآب سيمجّد الابن** بقيامته من بين الأموات، وإعلان انتصاره على الخطيئة والموت.

وهكذا، **سيظهر مجد الله** في كلّ إنسان "يموت" عن الخطيئة و"يقوم" منتصرًا عليها إلى حياة النعمة. هذا هو مجد "الملوكيّة المسيحانيّة" أن ينتصر الانسان على الشرّ ويعمل الخير، وأن ينتصر على الكذب ويقول الحقيقة، وأن ينتصر على الظلم ويوطّد العدالة، وأن ينتصر على الأنانيّة ويعمل في سبيل الخير العامّ. أمّا **الوسيلة** لهذه الملوكيّة فهي **المحبّة** المسكوبة في القلوب بالروح القدس.

### ٢. المحبّة شريعة شعب الله الجديد

**"كما أنا أحببتكم أنتم أيضًا تحبّون بعضكم بعضًا"** (يو ١٣/ ٣٤).

كلام الربّ يسوع اختاره قداسة البابا بندكتوس السادس عشر موضوعًا لليوم العالميّ الثاني والعشرين للشبيبة، الذي احتفلت به الأبرشيّات في أحد الشعانين (أنظر رسالته الصادرة في ٢٧ كانون الثاني ٢٠٠٧). إنّي استمدّ من رسالة قداسة البابا تفسير كلام الربّ يسوع للسعي معًا إلى "اكتشاف" المحبّة، وإظهارها والشهادة لها.

#### أ. الله ينبوع المحبّة: «الله محبّة»

هل المحبّة التي يدعو إليها المسيح، ويجعلها شريعة شعب الله الجديد، ممكنة؟ نعم ممكنة، لأنّها تنبع من "الله الذي هو محبّة" (١ يو ٤/ ٨)، في جوهره وليس فقط في فعل المحبّة. ففي الله الواحد والثالوث يوجد تبادل أزليّ للحبّ بين شخصي الآب والابن، وهذا الحبّ ليس طاقة أو شعورًا، بل هو شخص الروح القدس.

#### ب. الله - المحبّة ظهر لنا: «كما أنا أحببتكم».

بعد انعكاس محبّة الله في عمل **الخلق**، ظهر الله - المحبّة لنا وللعالم، بوحي سرّه الكامل، في **التجسّد** عندما صار الله إنسانًا. عرفنا المحبّة في كلّ معانيها في شخص المسيح، الاله الحقّ والانسان الحقّ. وعلى الصليب كان ظهور الحبّ الالهيّ شاملاً وكاملاً، بحيث يستطيع كلّ إنسان أن يقول مع بولس الرسول: "المسيح أحبّني وبذل نفسه من أجلي" (أفسس ٥/ ٢). فأصبحت كلّ حياة بشريّة ذات قيمة وفائدة لأنّ المسيح اشتراها بدمه. وهو حمل الله الذي يحمل خطيئة العالم ويقتلع الضغينة من قلب الانسان. هذه هي "**الثورة الحقيقيّة** التي حقّقها: **المحبّة**".

**ج. حضارة المحبّة: «أنتم أيضًا أحبّوا بعضكم بعضًا»**

المسيح الذي أحبّنا حتّى النهاية (يو ١٣/١)، وصرخ من على الصليب: "أنا عطشان" (يو ١٩/٢٨)، سلّمنا **وديعة المحبّة** وهي: "أن نحبّ بعضنا بعضًا، كما هو أحبّنا" (يو ١٣/٣٤)، وجعلها **وصيّة ضروريّة وملحّة**. وقعت وصيّته في قلوب الكثيرين من الناس الذين عاشوا بطولة المحبّة، مثل خادم الله الأب يعقوب حدّاد الكبّوشي، فجمع هو وراهباته كلّ أنواع المرضى وحمل إليهم محبّة المسيح، وكذلك القدّيس منصور دي بول وراهبات المحبّة، والطوباويّ فريدريك أوزانام مؤسّس جمعيّة مار منصور دي بول، والأمّ الطوباويّة تريز دي كلكوتا، وسواهم كثيرون من الرجال والنساء الذين خدموا **حضارة المحبّة الاجتماعيّة** على مستوى التعليم والتطبيب والإنماء.

**د. الشهادة للمحبّة: «بهذا يعرف الناس أنّكم تلاميذي، إذا أحببتم بعضكم بعضًا»** (يو ١٣/٣٥).

رسالتنا كمسيحيين أن تعكس في مجتمعنا محبّة المسيح، من خلال حياتنا اليوميّة: في العائلة والمدرسة والكنيسة، وفي العمل وأيّ نشاط ثقافيّ واقتصاديّ وسياسيّ، **فالمحبّة هي الدافع لكلّ عمل صالح** يخدم الانسان والمجتمع والأسرة البشريّة، وهي **روح هذا العمل ونكهته**. فلا بدّ، من أجل الشهادة للمحبّة، من العودة إلى **مدرسة الأفخارستيّا**، فسرّ القربان هو المدرسة الكبرى للحبّ، نستمدّه من المشاركة في القداس الالهيّ، ولاسيّما أيّام الآحاد والأعياد، ومن السجود الخاشع أمام القربان، ومن تناول جسد الربّ ودمه، مصدر كلّ خدمة ورسالة.

إنّ الشهادة للمحبّة أعطيت للكنيسة وتعطي لنا بحلول الروح القدس في

يوم العنصرة: "ستنالون قوّة من العلى، وتكونون لي شهودًا إلى أقاصي الأرض" (أعمال ١ /٨).

### ٣. اليوم العالميّ الواحد والأربعون لوسائل الإعلام الاجتماعيّة

تحتفل الكنيسة في هذا الأحد باليوم العالميّ ٤١ لوسائل الإعلام الاجتماعيّ، وقد اختار له قداسة البابا بندكتوس السداس عشر موضوع: **"الأطفال ووسائل الاعلام، تحدٌّ للتربية"** (أنظر رسالته الصادرة في ٢٤ يناير ٢٠٠٧).

نفكرّ اليوم ونصلّي وندعم اثنتين: تنشئة الأطفال وتنشئة وسائل الإعلام. وقد بات تأثير وسائل الاعلام ينافس تأثير المدرسة والكنيسة وأيضًا العائلة (فقرة ١).

#### أ. تنشئة الأطفال على حسن استعمال وسائل الإعلام

هذه التنشئة تشمل كلاًّ من تنشئة الأطفال من قبل وسائل الإعلام، وتنشئة الأطفال لمواجهة هذه الوسائل بطريقة صحيحة. إنّ استعمال وسائل الإعلام بطريقة سليمة **أمر أساسيّ لنموّ الأطفال الثقافيّ والأخلاقيّ والروحيّ**. على الأهل والكنيسة والمدرسة يقع واجب تنشئة الأطفال على مسؤوليّة الاختيار في برامج وسائل الإعلام، وعلى استعمالها المتبصّر والمميّز بين الجميل والقبيح، البنّاء والهدّام. يدعو قداسة البابا **إلى تنشئة إيجابيّة** تساعد الأطفال على تطوير رأيهم الشخصيّ، وعلى التنبّه إلى ما هو سيّئ، وعلى قدرة التمييز والتقييم. فالجمال، مرآة الخالق، يلهم العقول ويحيي القلوب الشابة. **والتنشئة الايجابيّة** تربّي على الحريّة التي تقود إلى اختيار كلّ ما هو صالح وحقّ وجميل (فقرة ٢).

### ب. تنشئة وسائل الإعلام

لا بدّ من **تنشئة المسؤولين عن صناعة الإعلام**، لكي يعزّزوا كرامة الشخص البشريّ الأساسيّة والقيمة الحقيقيّة للزواج والحياة العائليّة واحترام الأخلاق. يشير قداسة البابا في رسالته إلى الضغوطات النفسيّة الخاصّة والمعضلات الأخلاقيّة التي تقود الاعلاميين، أحيانًا وبدافع المنافسة التجارية، إلى تخفيض المستوى. ونبّه إلى الأضرار التي تتسبّب بها برامج وتحقيقات وأفلام وألعاب الفيديو التي تثير العنف والغرائز فتشكّك الأطفال والفتيان الذين "بارك يسوع أمثالهم وضمّهم إلى صدره" (مر ١٠/١٦)، وحظّر من مغبّة حملهم إلى الخطيئة: "الويل لمن يشكّك أحدًا من هؤلاء الصغار! خير له أن يُغلق في عنقه حجر الحمار ويُلقى في البحر" (لو ١٧/٣).

إنّ المسؤولين عن صناعة الإعلام مدعوّون إلى **تنشئة المنتجين** وحثّهم على حماية الخير العامّ والدفاع عن الحقيقة والذود عن الكرامة البشريّة وتعزيز حاجات العائلة وقيمها (فقرة ٣).

ويؤكّد قداسة البابا في رسالته أنّ "**الكنيسة نفسها**، في ضوء رسالة الخلاص الموكلة إليها، هي أيضًا **مربّية للبشريّة**. إنّها تقدّم، دونما تأخّر، الدعم للوالدين والمربّين والاعلاميين والشباب". وينهي بأن "تضع الرعايا والمدارس في طليعة عملها تنشئة الأجيال الجديدة على حسن استعمال وسائل الإعلام" (فقرة ٤).

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

من متطلّبات مجتمعنا الأساسيّة **التربية على ثقافة السلام والديموقراطيّة**. إنّ "لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة"، تعزّز هذه التربية

التي توجب على العائلة والمدرسة والرعيّة، وعلى الأحزاب والمسؤولين السياسيين، أن يتثقّفوا في مفاهيم السلام والديموقراطيّة، ويربّوا عليها الأجيال الطالعة. هذه هي من صلب التنشئة المسيحيّة وتعليم الكنيسة.

١. **السلام**، في مختلف وجوهه، يشكّل موضوع الرسائل البابويّة في مناسبة الاحتفال بيوم السلام العالميّ في أوّل كانون الثاني/ يناير من كلّ سنة. نحن نواصل نقل ما جاء في رسالة قداسة البابا بندكتوس السادس عشر لهذه السنة وعنوانها: "**الشخص البشريّ قلب السلام**".

السلام هو **الانسجام الشخصيّ** مع قواعد عمل الفرد والعلاقات المتبادلة بين الأشخاص، وفق العدالة والتضامن. هذه القواعد هي بمثابة كتاب "غراماطيق" طبعه الله الخالق في ضمير الانسان، ويعكس مشروعه الخلاصيّ. نقرأ في الرسالة البابويّة المذكورة:

"يجب ألاّ تُعتبر **قواعد الحقّ الطبيعيّ** كتوجيهات تفرض ذاتها من الخارج فتكره نوعًا ما، حريّة الانسان. على العكس من ذلك، يجب ان **تُقبل كنداء لتحقيق مشروع الله بأمانة**، هذا المشروع الشامل المطبوع في طبيعة الكائن البشريّ. وبإمكان الشعوب التي تسير بهدي هذه القواعد، بما لها من ثقافات مختلفة، أن تقترب من السرّ الأكبر الذي هو سرّ الله. **الاعتراف بالشريعة الطبيعيّة واحترامها** يشكّلان اليوم الأساس الكبير للحوار بين مختلف الأديان، وبين المؤمنين وغير المؤمنين. وهذه نقطة التقاء كبيرة، وبالتالي تمهيد أساسيّ لسلام أصيل". (فقرة ٣).

**من بين القواعد الطبيعيّة**: الحقّ في الحياة والحريّة الدينيّة، المساواة بين جميع الناس من حيث الطبيعة، علم العلاقات بين الكائنات الحيّة،

مفهوم الانسان في جوهره، الحقوق الانسانيّة الأساسيّة، تسامي الشخص البشريّ (الفقرات ٤-١٦). سننقل تباعًا، في سلسلة التنشئة المسيحيّة، هذه القواعد الطبيعيّة.

٢. **الديموقراطيّة** نظام من شأنه احترام القواعد الطبيعيّة المذكورة، التي تنفيها الأنظمة التوتاليتاريّة الشيوعيّة وسواها من مثيلاتها، وقد فاز عليها النموذج الديموقراطيّ.

نقرأ في رسالة خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني "**السنة المئة**" (أوّل أيّار/ مايو ١٩٩١) وفي الفقرة ٤٧ :

"بعد انهيار التوتالية الشيوعيّة وأنظمة توتالية أخرى كثيرة، وما يسمّونه بأنظمة "الأمن الدوليّ"، نشهد الآن، مع ما هنالك من منازعات، **فوز النموذج الديموقراطيّ في العالم**، يواكبه اهتمام كبير وعناية متيقظة بحقوق الانسان. ولكن لكي نسير في هذا الاتجاه، لا بدّ للشعوب الآخذة في تجديد دساتيرها من أن تقيم الديموقراطيّة على أساس صحيح ومتين مبنّي على الاعتراف الصريح بهذه الحقوق. من أهمّ هذه الحقوق، لا بدّ من التذكير بالتالية:

١) الحقّ في الحياة، ومن ضمنه حقّ النموّ في أحشاء الأمّ بعد الحبل.

٢) حقّ العيش في أسرة مترابطة وفي مناخ أدبيّ مؤاتٍ لنموّ الشخصيّة الفرديّة.

٣) الحقّ في إنماء الذهن والحريّة بممارسة البحث ومعرفة الحقيقة.

٤) حقّ المشاركة في العمل على تثمير خيور الأرض واتّخاذها بابًا لرزق الفرد وعياله.

٥) الحقّ في تأسيس أسرة بطريقة حرّة مع انجاب بنين وتربيتهم وممارسة الجنس بطريقة مسؤولة.

هذه **الحقوق** تنبع وتتلخّص، نوعًا ما، في الحريّة الدينيّة بمعنى أنّها حقّ الانسان في أن يعيش ضمن حقيقة إيمانه ووفقًا لكرامته الشخصيّة السامية. لكنّها حقوق لا تلقى دائمًا الحرمة الكاملة حتّى في البلدان التي تمارس أشكالاً من الحكم الديموقراطيّ.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تختتم الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ الرابع من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، وهو بعنوان: **الكنيسة المارونيّة في انتشارها العالميّ**، وتحديدًا مساندة لبنان للانتشار، ومساندة المنتشرين للبنان، والمساندة المتبادلة، وأخيرًا رسالة الكنيسة المارونيّة العالميّة (الفقرات ٣٦ ٤٥).

### ١ . مساندة لبنان للانتشار

الانتشار المارونيّ طاقة كبيرة بشريّة وروحيّة يزيد عددها على سبعة ملايين مارونيّ توزّعوا في أربعة أقطار الأرض. فلا بدّ من إحصائها في كلّ بلد لمعرفة طاقاتها، ولتزويد أجيالها الجديدة بالمعلومات الكافية عن تراث الأجداد وثقافتهم الأصلية، ولإجراء عمليّة اتصال بينهم وبين الوطن الأمّ على أساس الشركة في القيم وفي المواطنيّة الأصلية (الفقرتان ٣٦-٣٧).

### ٢ . مساندة المنتشرين للبنان

من الضرورة العمل على أن يهتمّ المنتشرون برسالة لبنان ودعم قضاياه المحقّة، والمحافظة على هويّته وحضوره في منطقته والعالم وعلى إعادة إعماره، ودفع اقتصاده إلى الأمام. وإنّه لأمر هامّ وحيويّ جدًّا أن يتمّ تسجيل

أولاد المتحدّرين من أصل لبنانيّ في سجلاّت قيود لبنان، وهذا حقّ لهم يجب أن لا يضيع (فقرة ٣٨).

### ٣. المساندة المتبادلة

الانتشار جزء من تاريخ الكنيسة المارونيّة ومكمّل لدعوتها ورسالتها. ولذا يحتاج إلى الكنيسة - الأمّ في لبنان من أجل تثبيت هويّته، وإلاّ تحوّلت المارونيّة إلى مارونيّات. إنّ ارتباط الأبرشيّات المارونيّة بالبطريركيّة يضمن الوحدة وثبات الهويّة. وفي الوقت عينه، تحتاج الكنيسة - الأمّ إلى كنائس الانتشار، حاجة الجسم إلى أعضائه، والشجرة إلى أغصانها. فيجب على الكنيسة- الأمّ أن تحمل مسؤوليّتها الراعويّة ككنيسة واحدة، أعطاها الله أن يمتدّ وجودها إلى أقاصي الأرض (الفقرات ٣٩-٤٢).

### ٤. رسالة الكنيسة المارونيّة العالميّة

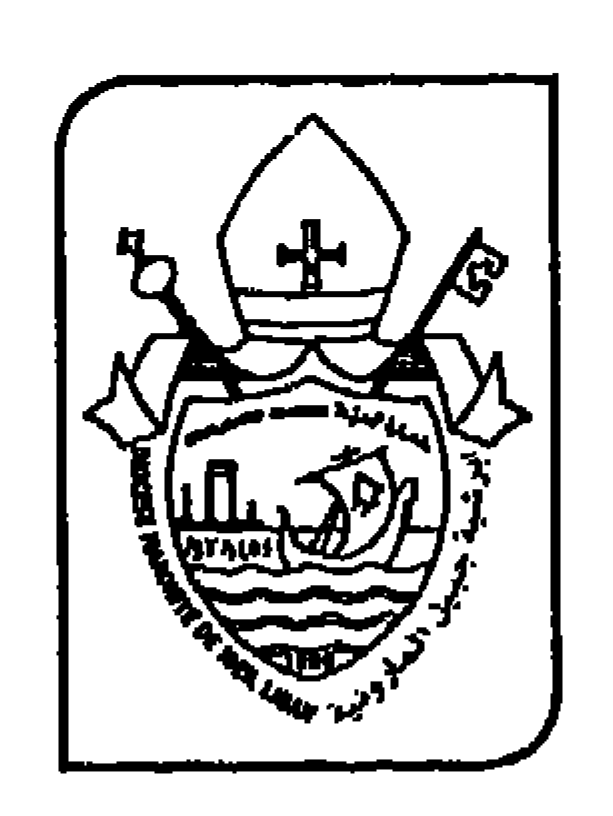
الكنيسة المارونيّة بحكم تكوينها مدعوّة لتكون **كنيسة الجسور**، فثقافتها جمعت الآراميّ والكنعانيّ والسريانيّ والعربيّ. وقد عاشت الحوار، في حياتها اليوميّة، مع الإسلام. وحافظت على هويّتها الشرقيّة ضمن الشركة مع الكنيسة الرومانيّة. وأسهمت في تعريف الغرب على التراث المسيحيّ الشرقيّ، وفي تعريف الشرق على التراث الغربيّ، بفضل طلاّب مدرسة روما التي تأسّست سنة ١٥٨٣. ولذا أصبح للموارنة رسالة عالميّة تأخذ طابع الحوار بين الأديان والثقافات التي يتعايشون معها (الفقرتان ٤٣-٤٤).

* * *

**صلاة**

يا مريم، أمّ الكنيسة، كوني لنا الدليل في دروب الحقيقة التي تجمع وتحرّر، وتضع الأساس الثابت لكلّ حوار مُجدٍ وبنّاء بين الناس والشعوب. إجعلينا قادرين على أن نعطي بسخاء ما قبلنا من الله. ساعدينا على أن نتبصّر عمل الروح القدس الذي يوجّه كنيسة ابنك الالهيّ يسوع المسيح التي اقتناها بدمه. ضعي في قلوبنا وعلى شفاهنا نشيد التعظيم والشكر للثالوث القدّوس، الذي منه يأتي كلُّ شيء وإليه يعود، الآب والابن والروح القدس، آمين.

* * *



سلسلة التنشئة المسيحيّة

١٢

# نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها

(مرقس ١٦/١٥)

# زمن العنصرة

## الآحاد الثمانية الأولى

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧


بشاره الراعي

مطران جبيل



NDU PRESS

منشورات جامعة سيّدة اللويزة

# تقديم

يطيب لي أن أقدّم للكهنة والرهبان والراهبات والمؤمنين العلمانيين العدد الثاني عشر من سلسلة التنشئة المسيحيّة لزمن العنصرة، ويشمل الآحاد الثمانية الأولى من أصل ستة عشر أسبوعًا، وهو بعنوان: **"نادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها"** (مر ١٦/١٥).

يتألّف موضوع كلّ أحد من ثلاثة أقسام: شرح نصّ الإنجيل من الناحية اللاهوتيّة والخلقيّة والحياتيّة، وراعويّة السلام والديموقراطيّة، وخطّة راعويّة لتطبيق النصّ التاسع عشر من المجمع البطريركيّ المارونيّ "الكنيسة المارونيّة والسياسة"، حسب الخطّة الخمسيّة التي وضعتها الأمانة العامّة للمجمع.

إنّ سلسلة التنشئة المسيحيّة تلبّي دعوة الكنيسة إلى تثقيف الايمان عند المؤمنين، وإلى تزويد كهنة الرعايا ومرشدي المنظّمات الرسوليّة والهيكليّات الرعويّة والجماعات العيليّة ومعلّمي التعليم المسيحيّ، بما يساعدهم على إعداد العظات والإرشاد والتعليم واللقاءات الانجيليّة، وفقًا للأحداث الخلاصيّة المتسلسلة في السنة الليتورجيّة.

هي الكنيسة، على هدي إلهامات الروح القدس، تنطلق بقوّة محبّة الآب

ونعمة الابن الفادي الذي أرسلها إلى جميع شعوب الأرض والثقافات، من جيل إلى جيل، وصدى وصيّته يتردّد في ضمير رعاتها وأبنائها وبناتها: "**إنطلقوا إلى العالم كلّه، ونادوا بإنجيلي في الخليقة كلّها**" (مرقس ١٦/ ١٥).

**† بشاره الراعي**
مطران جبيل

# أحد العنصرة

## العنصرة حدث متجدّد

### إنجيل القدّيس يوحنّا ١٤/١٥-٢٠

قال الربّ يسوع لتلاميذه: «إن تحبّوني تحفظوا وصاياي. وأنا أسأل الآب فيعطيكم برقليطًا مؤيّدًا يكون معكم إلى الأبد. هو روح الحقّ الذي لا يقدر العالم أن يقبله، لأنّه لا يراه، ولا يعرفه. أمّا أنتم فتعرفونه، لأنّه مُقيم عندكم، وهو فيكم. لن أترككم يتامى. إنّي آتي إليكم. عمّا قليل لن يراني العالم، أمّا أنتم فترونني، لأنّي أنا حيٌّ وأنتم ستحيون. في ذلك اليوم تعرفون أنّي أنا في أبي، وأنتم فيّ وأنا فيكم».

***

فيما كان الرسل، ومريم أمّ يسوع معهم، مجتمعين في اليوم الخمسين للاحتفال بعيد العنصرة، حسب العادة اليهوديّة، وكان في أورشليم عدد كبير من شعوب الأرض للاحتفال بهذا العيد (أعمال ٢/١ و٥)، حدثت العنصرة الجديدة المتمثّلة بحلول الروح القدس على الرسل.

**■ أوّلاً، حدث العنصرة المتجدّد**

**١. حدث العنصرة** (أعمال ٢/١-١٣)

كان الاحتفال **بالعنصرة القديمة** بعد خمسين يومًا من الفصح اليهوديّ،

وهي معروفة باللفظة اليونانيّة pentecostés، احتفالاً بعيد الأسابيع السبعة (طوبيّا ٢/١)، لجمع الغلّة من منتوجات الأرض (عدد ٢٦/٢٨ وما يليها)، فيقدّمون فيه لله بواكير القمح (خروج ١٦/٢٣؛ تثنية ٩/١٦). ثمّ راحوا يعيّدون، في زمن الربّ يسوع، تذكار تسليم شريعة الله القديمة بلوحي الوصايا لموسى على جبل سينا.

حلّت **العنصرة الجديدة** محلّ القديمة، مثلما حلّ فصح المسيح محلّ فصح اليهود، فبعد خمسين يومًا من قيامة الربّ يسوع، كان حلول الروح القدس على الكنيسة الناشئة "بقدرة من علُ جعلت الرسل شهودًا للمسيح إلى أقاصي الأرض" (أعمال ٨/١) وكان بمثابة **غلّة التجسّد والفداء**. وهكذا سُلّمت **الشريعة الجديدة** بحلول الروح القدس، وهي شريعة الحياة الإلهيّة "المكتوبة" في قلوب بشريّة، بدلاً من ألواح من حجر. إنّها الشريعة الروحيّة التي طبعت العهد الجديد الأبديّ وكرّست شعب الله الجديد، الذي هو الكنيسة، بالنبوءة والكهنوت والملوكيّة على مثال المسيح (١ بطرس ٢/٩ ١٠). هذا ما أكّده القدّيس أغسطينوس: "بعد خمسين يومًا من تقدمة حمل الفصح اليهوديّ في مصر، وخروج شعب الله منها، كتب أصبع الله وصاياه، وسلّمها إلى موسى على جبل سينا. واليوم، بعد خمسين يومًا من تقدمة حمل الفصح الجديد، يسوع المسيح، كتب أصبع الله، الذي هو الروح القدس، هذه الحياة الجديدة ووصيّة المحبّة في قلوب أبناء الكنيسة".

ظهرت حقيقة حلول الروح القدس في الرموز: الرياح الشديدة والألسن الناريّة والتكلّم باللغات: **الريح أو الهواء** رمز لهبوب الروح القدس، قاله يسوع لنيقوديمس: "الريح تهبّ حيث تشاء، أنت تسمع صوتها، ولكنّك لا تدري من أين تأتي ولا إلى أين تذهب. هكذا هي حال كلّ إنسان مولود من الروح" (أعمال ٨/٣). لفظة "روح" تحتوي نسمة الحياة. فالله، عندما خلق

الانسان، "نفخ فيه نسمة الحياة" (تك ٢/٧). وما زال يفعل ذلك في كلّ مرّة يتكوّن إنسان في بطن أمّه. وهكذا فإنّ الروح هو مبدأ الحياة. والربّ يسوع في مساء قيامته من الموت "نفخ في التلاميذ وقال لهم: خذوا الروح القدس" (يو ٢٠/٢٢)؛ الروح هو مبدأ الحياة الإلهيّة في المؤمنين، وهو القدرة على محو الخطايا: "من غفرتم خطاياه غفرت" (يو ٢٠/٢٣).

**الألسن من نار** رمز لقوّة الروح القدس التي تغيّر جوهر الأمور والأشياء، وقد رَمَزَ إليها المسيح قائلاً: "جئت ألقي على الأرض نارًا، وأريد أن تكون اضطرمت" (لو ١٢/٤٦)، ويوحنّا المعمدان في الإعلان أنّ يسوع، الذي هو أقوى منه، "سيعمّدكم بالروح القدس والنار" (لو ٣/١٦)، وبولس الرسول في دعوة الجميع "لئلاّ يطفئوا الروح" (١ تسا ٥/١٩)، هذه النار التي تعطي القوّة والغيرة للرسالة، كما قيل عن إيليّا النبيّ أنّه "قام واتّقد كالنار" (سيراخ ٤٨/١)، وعن يوحنّا المعمدان "الذي سار أمام الربّ بروح إيليّا وغيرته" (لو ١/١٧).

**التكلّم باللغات** رمز للروح القدس الذي هو مبدأ شموليّة الكنيسة الجامعة المنفتحة على جميع الشعوب والمرسلة إليها، والذي يلهم المؤمنين فيتنبّأون متكلّمين بحقائق الله الموحاة، كما شرح بطرس حدث حلول الروح القدس غير المنظور (أعمال ٢/١٧-١٨). لكنّ اللغة واحدة يفهمها كلّ الشعوب مهما اختلفت ألسنتهم، وهي المحبّة، لغة الروح القدس المفاض في قلوبنا.

### ٢. الروح البارقليط وعمله في المؤمنين والكنيسة (يو ١٤/١٥-٢٠)

**هذا الروح** يعطيه الآب، بطلب من الربّ يسوع، للّذين يحبّونه حافظين شريعة المحبّة المتمثّلة في الوصايا العشر: محبّة الله والوالدين وكلّ إنسان،

ومتقبّلين كلام الانجيل في القلب، وعاملين به (يو ١٤/٢٣)، وسالكين في نور الحقيقة التي كشفها المسيح للعالم (١ يــو ٢/٤-٦) . "**إنّه روح المحبّة والحقيقة**" (يو ١٤/١٥ و١٧).

هو "**البارقليط**" الذي يدافع عن المؤمن بوجه الظلم والضلال، كما تعني اللفظة اليونانيّة paràclete، والذي يساعد ويعضد، ويشفع، ويعزّي. إنّه بارقليط آخر بالنسبة إلى **بارقليط** أوّل، هو المسيح، به يصبح المؤمنون أبناء لله في الابن الوحيد: "تعرفون أنّي في أبي وأنّكم فيّ وأنا فيكم (يو ١٤/٢٠)؛ ولكنّه "يبقى إلى الأبد" مع الرسل والكنيسة. هذا ما يعنيه يسوع بقوله في إنجيل يوحنّا: "لا أغادركم يتامى، لأنّي أعود إليكم" (يو ١٤/١٨)، وفي **إنجيل متّى**: "أنا معكم جميع الأيّام إلى انتهاء العالم" (متّى ٢٨/٢٠). وقد تحقّق ذلك بواسطة الروح القدس الذي عضد الرسل في ممارسة سلطان الخدمة المثلّثة: خدمة الكلمة بالتعليم، والنعمة بالتقديس، والمحبّة بالتدبير (متّى ٢٨/١٨-٢٠)، و"ثبّت كلماتهم بالآيات التي كانوا يصنعونها" (مر ١٦/٢٠)، و"فتح أذهانهم ليفهموا الكتب" (لو ٢٤/٤٥).

لقد ظهر عمل الروح البارقليط في **حياة يسوع المسيح** بأنواع شتّى:

**ظهر يوم معموديّته** على نهر الأردن، وقد رآه يوحنّا المعمدان نازلاً بشكل حمامة واستقرّ على يسوع (يو ١/٣٢)؛ ويوم دخل يسوع **مجمع الناصرة** وقرأ من أشعيا النبيّ: "روح الربّ عليّ، مسحني وأرسلني"، وقال: "اليوم تمّت هذه الكتابة" (لو ٤/١٦-٢١)؛ وظهر عندما **اقتاده الروح إلى البريّة** وعضده في الانتصار على تجارب الشيطان (لو ٤/١-١٣)؛ وعندما عزّاه **في بستان الزيتون** وشدّده ليصمد في تتميم إرادة الآب لفداء البشريّة جمعاء (لو ٢٢/٤٣)؛ وعندما مات **فوق الصليب** وأسلم للآب هذا الروح (يو ١٩/٣٠)

الذي أحيا بشريّته منذ التجسّد حتّى الفداء، وقد أحبّ الناس حتّى النهاية (يو ١٣/١). وظهر الروح **قوّة** أقامت يسوع من الموت (روم ٨/٤-١١؛ ٢ كور ١٧/٣) ، **وهبة للرسل** نفخها فيهم يسوع حياة جديدة وسلطانًا لمغفرة الخطايا (يو٢٠/١٩-٢٢)، وأرسلها إليهم، يوم العنصرة، قوّة من السماء (لو ٤٩/٢٤) لرسالة الشهادة (أعمال ١/١٣-١٤؛ ٢/١-٤).

هذا هو **سرّ الروح القدس** الذي ظهر في حياة المسيح:

المسيح يولد، الروح يسبقه في إتمام حبل مريم البتول بقوّة هذا الروح (لو ١/٣٥).

المسيح يُعمَّد، الروح يشهد له بحلوله على رأسه بشبه حمامة (مر ١/١٠).

المسيح يُجرّب، الروح ينصره ويعيده إلى الجليل لإتمام الرسالة (لو ٤/١٤).

المسيح يجترح العجائب، الروح يرافقه قوّة إلهيّة.

المسيح يُرفع إلى السماء، الروح يأتي بعده باراقليطًا آخر (يو ١٤/١٦).

إنّ عمل البارقليط ظاهر في **مواهبه السبع التي يفيضها على المؤمنين،** وهي:

**الحكمة والفهم** ليعضد إيمانهم ويساعدهم في الاجابة على تساؤلاتهم.

**المشورة والعلم** لتمييز طريقهم، وإنارة قراراتهم، ومعرفة ما يجب فعله وقوله، وما يجب أن يفكّروا به أو يصمتوا عنه.

**القوّة** للثبات في الرجاء بوجه المحن والمصاعب.

**تقوى الله ومخافته** لاذكاء محبّتهم لله والناس.

ويكشف يوحنّا وبولس أنّ الروح البارقليط هو الذي يصلّي فينا، (روم ٨/١٦)، ويسكن (غلا ٤/٦)،ويحيا (روم ٨/١٤ غلا ٥/٢٥)، ومن خلالنا يحبّ (يو ١٧/٢٦).

هذا الروح البارقليط أعطي **على الأرض** للتلاميذ. "نفخ فيهم وقال: خذوا الروح القدس" (يو ٢٠/٢٢)، **ثمّ أرسل من السماء** يوم العنصرة (يو ١٤/١٦) "لكي نحبّ الله" (القدّيس غريغوريوس الكبير).

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

عالم اليوم، ولاسيّما في لبنان والشرق العربيّ، آخذ في فقدان ثقافة السلام والديموقراطيّة، وبخاصّة لدى المسؤولين السياسيين والمنتمين إلى الأحزاب والتيّارات. وقد دفعنا وما زلنا ندفع الثمن الغالي لهذا الفقدان.

نواصل في زمن العنصرة نشر ثقافة السلام من خلال رسالة يوم السلام العالميّ (أوّل يناير ٢٠٠٧) لقداسة البابا بندكتوس السادس عشر "**الشخص البشريّ قلب السلام**"، ونشر ثقافة الديموقراطيّة بالاستناد إلى الوثائق الحبريّة. وبهذا نؤازر عمل **لجنة راعويّة السلام والديموقراطيّة** المنبثقة من مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك في لبنان.

١. **السلام**، في رسالة البابا "الشخص البشريّ قلب السلام"، **يقوم على الالتزام بقواعد الحقّ الطبيعيّ وأوّلها الحقّ في الحياة والحريّة الدينيّة.** إنّه يقوم أساسًا على احترام كلّ كائن بشريّ وحقوقه الأساسيّة، لأنّ طبيعته تعكس صورة الله. فلا يحقّ لأيّ سلطة سياسيّة وتقنيّة واقتصاديّة أن تتصرّف بالانسان على هواها أو أن تستخدم نفوذها لانتهاك حقوق أناس أقلّ حظًّا منها.

### أ. يقوم السلام على احترام الحقّ في الحياة

إنّ الحياة تُحترم في جميع مراحلها، فهي عطيّة من الله، وصاحبها لا يمكنه أن يتصرّف بها كما يشاء. **الحقّ في الحياة لا يخضع لسلطة الانسان.** والسلام يحتاج إلى إقامة حدّ واضح بين ما يمكن التصرّف به، وما لا يمكن التصرّف به: وهذا ما يجنّب إدخال عناصر غير مقبولة في تراث القيم الخاصّة بالانسان بوصفه إنسانًا. لذلك يجب التشهير بكلّ الانتهاكات المخيفة التي ترتكب ضدّ هذا الحقّ في مجتمعنا: فضلاً عن ضحايا النزاعات المسلّحة، هناك الموت الصامت الذي يتسبّب به الجوع، والاجهاض والاختبارات التي تجري على الأجنّة، والموت الرحيم. كيف يمكننا ألاّ نرى في كلّ ذلك اعتداءات على السلام، تشكّل نقصًا فاضحًا لموقف تقبّل الآخر، وهو موقف لا بدّ منه لاقامة علاقات سلام طويل الأمد (فقرة ٤ و٥).

### ب. ويقوم السلام على احترام الحريّة الدينيّة

تطالب الكنيسة باحترام الحريّة الدينيّة لكلّ إنسان، **كأساس للسلام،** لأنّ تأكيدها يجعل الكائن البشريّ في علاقة بمبدأ سامٍ يضعه في مأمن من استبداد الانسان. وهي **كتعبير حرّ** عن الايمان بالله، لا تخضع لسلطة الانسان. غير أنّنا نرى مظهرًا مقلقًا يتمثّل في فقدان السلام في العالم، هو ما يلقاه المسيحيّون، في غالب الأحيان، ومؤمنو أديان أخرى، من صعوبات في المجاهرة علنًا بمعتقداتهم الدينيّة. فهم لا يمنعون فقط في بعض الأصقاع من الممارسة الدينيّة، بل يضطهدون، وقد أمكن مؤخّرًا تسجيل أحداث عنف مأساويّة بغيضة. وهناك أنظمة تفرض على الجميع ديانة واحدة، فيما هناك أنظمة لا مبالية لا تغذّي اضطهادًا عنيفًا وحسب، بل استهزاءً ثقافيًّا منظّمًا بالمعتقدات الدينيّة. وفي كلّ الحالات، ثمّة حقّ إنسانيّ أساسيّ غير محترم،

له تأثيره الخطير على العيش المشترك السلميّ. وهذا يعمل على تطوير عقليّة وثقافة سلبيّتين بالنسبة إلى السلام (فقرة ٥).

٢. **الديموقراطيّة**، في إطارها الصحيح، هي التي تفسح في المجال لجميع المواطنين، مسيحيين ومسلمين وسواهم، ليشاركوا في إدارة الشأن العامّ في جوّ من الحريّة الحقّة. غير أنّ الديموقراطيّة تقتضي وجود سلطة حازمة من جهة، ووجود قيم تستحثّ المواطنين على خدمة بني قومهم من جهة ثانية. عندئذٍ يمكننا الاعتقاد بحقّ أنّ مستقبل البشريّة في أيدي أولئك الذين استطاعوا أن يهيّئوا للأجيال الطالعة أسباب الحياة والرخاء (الدستور الراعويّ: الكنيسة في عالم اليوم، ٣١).

**من ميزات الديموقراطيّة** أن تبتكر صيغًا جديدة وأوسع للمشاركة في الحياة العامّة من قبل المواطنين، فضلاً عن الاقتراع في الانتخابات النيابيّة وسواها. من بين هذه الصيغ، المشاركة في تحديد التطلّعات السياسيّة والخيارات التشريعيّة التي تخدم، بشكل أفضل، الخير العامّ (المرجع نفسه، ٧٥؛ مجمع عقيدة الايمان: تعليم حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك ومسلكهم في الحياة السياسيّة، ١).

**يؤثر المسيحيّون النظام الديموقراطيّ** لأنّه يتيح للجميع ولكلّ فرد إمكانيّة المشاركة في "السياسة"، أي في النشاط الاقتصاديّ والاجتماعيّ والتشريعيّ والإداريّ والثقافيّ الذي يستهدف الخير العامّ. فلا يجوز أن يتخلّى المسيحيّون عن هذه المشاركة، مهما صعبت ظروفها، لأنّ من واجبهم أن يبثّوا الروح المسيحيّة في النظام الزمنيّ، عن طريق خدمة الشخص والمجتمع. ويمكن لهذه المشاركة أن تتحقّق من خلال أشكال

ومستويات ومهمّات ومسؤوليّات متنوّعة ومتكاملة إلى حدّ كبير (الارشاد الرسوليّ: العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٤٢).

**ليس من الديموقراطيّة بشيء** أن يخوّل المواطنون أصحاب السلطة السياسيّة نفوذًا يفوق الحدّ، مقابل خدمات شخصيّة وفئويّة، أو أن تسعى الأحزاب السياسيّة إلى تفضيل مصلحتها على مصلحة البلاد والجماعة (الكنيسة في عالم اليوم، ٧٥).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

عملاً بالخطّة الخمسيّة التي وضعتها الأمانة العامّة لتطبيق نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ الثلاثة والعشرين، فبعد النصوص الأربعة الأوّل التي استعرضناها في الأزمنة الطقسيّة السابقة، نصل في زمن العنصرة، إلى **النصّ التاسع عشر: الكنيسة المارونيّة والسياسة**.

تعنى الهيكليّات والجماعات الراعويّة والتربويّة والرهبانيّة والاجتماعيّة بالتفكير الأسبوعيّ في هذا النصّ وفقًا للخطّة المرسومة، من أجل تقبّله واكتساب الثقافة السياسيّة والعمل بموجبها.

يتألّف النصّ **من ثلاثة فصول** تتّبع المنهجيّة المجمعيّة المعتمدة: الأوّل، المسار التاريخيّ، وهو العودة إلى الجذور من أجل تحديد الهويّة والرسالة؛ الثاني، مرحلة ما بعد حرب ١٩٧٥ واتّفاق الطائف ١٩٨٩، وهو تسليط أضواء الماضي على الحاضر لتجديد ما يلزم وبلورة الثوابت؛ الثالث، التحدّيات، وهو رسم خطّة مستقبليّة لحماية الهويّة وتحديد أطر الرسالة.

عند الكلام عن الكنيسة المارونيّة والسياسة نعني أمرين: أوّلاً، **الكنيسة كمرجعيّة** دينيّة تتعاطى الشأن السياسيّ، وهي متمثّلة بالبطريركيّة

المارونيّة، بطريركًا ومجلس مطارنة؛ ثانيًا، **الموارنة أبناء الكنيسة** على مختلف انتماءاتهم واتجاهاتهم في لبنان وبلدان الانتشار، الملتزمين في أشكال الحياة العامّة السياسيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والاجتماعيّة. فقرة ٣).

لقد تميّز نشاط الموارنة السياسيّ عبر الحقبات التاريخيّة، في عهود الأنظمة الإمبراطوريّة حتّى الحرب العالميّة الأولى، وفي عهد نشأة الدولة منذ مطلع القرن الماضي، بخبرات أساسيّة غلَب فيها **مبدأ الانفتاح والوصل** على مبدأ الانغلاق والفصل، فتعاونوا مع الغير بغية خلق إرادة عيش مشتركة، ورفضوا دائمًا أن يكون لهم بلد يتفرّدون به وحدهم. وكانت **الحريّة الدينيّة والاجتماعيّة** المتأصّلة فيهم روح هذا النشاط وغايته. كما كانت عامل اطمئنان وانفتاح في الداخل والخارج، وأداة للتواصل مع دول وثقافات وحضارات متنوّعة كسبًا للمعرفة. هذه الحريّة إيّاها حملت الموارنة أحيانًا على الانطواء والانكفاء صونًا لها ولقيمها، في مراحل الخوف والقلق (فقرة ٣-٣). ولأنّهم انخرطوا في المعترك السياسيّ، من أجل الصالح العامّ والقيم، كانت لهم أخطاؤهم في الممارسة السياسيّة والخيارات (فقرة ١).

* * *

**صلاة**

نفتتح زمن العنصرة بصلاة استدعاء الروح القدس:

"هلم أيّها الروح القدس، وأرسل من السماء شعاع نورك.

هلمّ يا أبا المساكين، هلمّ يا مانح المواهب، هلمّ يا ضياء القلوب.

يا معزّيًا جليلاً، يا ضيف النفس العذب، يا هناءً حلوًا.

أنت في الكدّ راحة، وفي الحرّ برودة، وفي البكاء عزاء.

يا بهجة النور، إملأ قلوب من آمنوا بك، إملأها حتّى الصميم.

بدون معونتك، ليس في الانسان شيء، وليس من شيء سليم.

نقِّ ما كان دنسًا، أروِ ما كان جافًّا، واشفِ منّا الجراح.

ليّن ما كان صلبًا، دفّئ ما كان باردًا، وقوّم منّا الانحراف.

إمنح عبيدك المتوكّلين عليك مواهبك السبع المقدّسة.

إمنحهم الفضيلة ثوابًا، والخلاص مصيرًا، والفرح سعادة أبديّة. آمين.

# الأحد الثاني من زمن العنصرة

## عيد الثالوث الأقدس ينبوع رسالة الكنيسة

### إنجيل القدّيس متّى ٢٨/١٦-٢٠

«أمّا التلاميذ الأحد عشر فذهبوا إلى الجليل، إلى الجبل حيث أمرهم يسوع. ولمّا رأوه سجدوا له، برغم أنّهم شكّوا. فدنا يسوع وكلّمهم قائلاً: «لقد أعطيت كلّ سلطان في السماء وعلى الأرض. إذهبوا إذاً فتلمذوا كلّ الأمم، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا كلّ ما أوصيتكم به. وها أنا معكم كلّ الأيّام إلى نهاية العالم».

* * *

بعد إنجاز تصميم الله الخلاصيّ الذي أعدّه **الله الآب** فأرسل **الابن الوحيد** متجسّدًا لفداء بني البشر، و**الروح القدس** لتحقيق ثمار الفداء فيهم (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٢-١٤)، تحتفل الكنيسة بعيد الثالوث الأقدس، في الأحد الأوّل بعد العنصرة، لأنّها تبدأ رسالتها باسم الثالوث وتنهيها بتمجيده.

إنجيل اليوم يحدّد رسالة الكنيسة التي تسلّمها الرسل، كهنة العهد الجديد، وسلّموها بدورهم إلى الأساقفة خلفائهم، وهؤلاء مارسوها مع معاونيهم الكهنة والشمامسة، بمؤازرة المكرّسين والمكرّسات والمؤمنين العائشين وسط العالم.

## ■ أوّلاً، شرح الانجيل

### ١. الثالوث الأقدس ينبوع رسالة الكنيسة

**الله هو شركة حبّ كاملة** بين الآب والابن والروح القدس. والانسان المخلوق من الله مدعوّ إلى هذه الشركة، إذ نفخ فيه الله نسمة حياة إلهيّة (تك ٢/٧). ولكن في المسيح المائت فداءً لخطايا البشر، والقائم من أجل تبريرهم، وفي حلول الروح القدس، أصبح الانسان شريكًا في الحياة الإلهيّة التي تُعطى له في سرّ القربان، بجسد المسيح ودمه، الخبز النازل من السماء (يو ٦/٣٢-٣٣ و٥٦).

**إنّ تصميم الحبّ الإلهيّ يقود كلّ تاريخ الخلاص.** الله الثالوث، الذي هو في ذاته محبّة (١ يو ٤/٧-٨) يلتزم كليًّا بالواقع البشريّ، ليعطينا حياته الإلهيّة. فسلّم الكنيسة هذه الرسالة التي تسلّمها الابن الالهيّ: "كما أرسلني أبي، أرسلكم أنا أيضًا" (متّى ٢٨/). إنّها رسالة نقل محبّة الله إلى جميع البشر، "فمن يرى المحبّة يرى الثالوث" (القدّيس أغسطينوس)، وتتمّ بالسلطان المثلّث المعطى للرسل وخلفائهم وكهنة العهد الجديد:

- التعليم: "إذهبوا وتلمذوا كلّ الأمم" (متّى ٢٨/١٩).

- والتقديس: "عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متّى ٢٨/١٩).

- والتدبير: "علّموهم أن يحفظوا كلّ ما أوصيتكم به" (متّى ٢٨/٢٠).

**إنّ الرسالة مع مهامّها** تنبع من الأفخارستيّا التي هي سرّ الله، الحبّ الثالوث (البابا بندكتوس السادس عشر: الارشاد الرسوليّ "سرّ المحبّة"، ٧). هذا ما أكّده الربّ للكنيسة ولرعاتها. "أنا معكم طول الأيّام إلى انتهاء العالم" (متّى ٢٨/٢٠). وهي معطاة بسلطان إلهيّ إلى الأساقفة، ومن خلالهم إلى

معاونيهم الكهنة والشمامسة بحكم الدرجة المقدّسة في الرسامة والتولية القانونيّة. وقد نصّ عليها القرار المجمعيّ حول "مهمّة الأساقفة الراعويّة في الكنيسة" (الفقرات ١٢-١٦)، والدستور العقائديّ "في الكنيسة" (الفقرات ٢٥-٢٧)، بالنسبة إلى الأساقفة؛ أمّا بالنسبة إلى الكهنة، فقد نصّ عليها القرار المجمعيّ حول "خدمة الكهنة وحياتهم" (الفقرات ٤-٦). ويشارك في رسالة الكنيسة بمهامّها الثلاث المكرّسون والمكرّسات بحكم النذور الرهبانيّة والوعود العموميّة، والمؤمنون العلمانيّون بحكم المعموديّة والميرون، وقد نصّ عليها القرار المجمعيّ حول "رسالة العلمانيين في العالم" (الفقرات ٥-٨).

**كلّنا ملتزمون برسالة الكنيسة، لأنّ كنيستنا قربانيّة، وقد ولدت من** الأفخارستيّا ومنها تحيا (أنظر رسالة البابا يوحنّا بولس الثاني: "الكنيسة من الأفخارستيّا تولد")، ولذلك هي رساليّة. فالأفخارستيّا ليست فقط "ينبوع حياة الكنيسة وذروتها"، بل هي أيضًا "ينبوع رسالة الكنيسة وذروتها". في الواقع، جوهر الرسالة هو معرفة المسيح ونقل محبّته إلى الآخرين، فهو المرسل من الآب لفداء العالم (يو ٣/١٦-١٧)؛ روم ٨/٣٢). المشاركة في المناولة القربانيّة إندراج في ديناميّة رسالة الكنيسة النابعة من قلب الله ("سرّ المحبّة"، ٨٤).

### ٢. باسم الثالوث القدّوس ولمجده

**الله الواحد في جوهره** وطبيعته ليس منفردًا، بل هو **مثلّث الأقانيم**: آب وابن وروح قدس، يتميّز الواحد عن الآخر لا في الطبيعة فإنّهم جوهر واحد، بل بالعلاقة الواحد بالآخر مثل المثلّث في علم الهندسة. فالابن مولود أزليًّا من الآب وغير مخلوق كالشعاع من الشمس، والروح القدس منبثق من الآب بواسطة الابن مثل نور الشمس وحرارتها. أفعال الثالوث القدّوس مشتركة أعني الخلق والفداء والتقديس، ولكن كلّ واحد من الأشخاص

الإلهيّة الثلاثة يقوم بالفعل الخاصّ به: الآب أنجز الخلق، والابن الفداء، والروح القدس التقديس. إنّ الثالوث الأقدس لا يعني ثلاثة آلهة، بل إلهًا واحدًا بثلاثة أقانيم.

**سرّ الثالوث هو السرّ المحوريّ للايمان المسيحيّ والحياة المسيحيّة**، وهو المصدر والينبوع لكلّ أسرار الايمان، والنور الذي يضيئها (التعليم المسيحيّ، ٢٣٤). إنّ حقيقته الموحاة أعلنت بواسطة المعموديّة إنطلاقًا من كلام الربّ يسوع: "عمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس" (متّى ١٩/٢٨). ثمّ صيغت في الكرازة والتعليم كما نجدها في رسائل القدّيس بولس (٢ كور ١٣/١٣؛ ١ كور ١٢/٤-٦؛ أفسس ٤/٤-٦). وأصبحت جزءًا من القدّاس في افتتاح قسم الذبيحة المعروف بالنافور: "محبّة الله الآب ونعمة الابن الوحيد، وشركة وحلول الروح القدس تكون معكم".

حدّد المجمع المسكونيّ الأوّل عقيدة الثالوث الأقدس باستعمال **ثلاث لفظات** (التعليم المسيحيّ، ٢٥٢-٢٥٥):

**الأولى، "الجوهر" أو "الطبيعة" للدلالة على الكائن الالهيّ في وحدانيّته**. فنقول **الثالوث الواحد**. لا نؤمن بثلاثة آلهة بل بإله واحد في ثلاثة أقانيم، الثالوث المتساوي في الجوهر. الأشخاص الإلهيّة لا يتقاسمون الطبيعة الوحيدة بل كلّ شخص هو الله كلّه، أي إله واحد في الطبيعة، وكلّ شخص هو كلّ الجوهر والطبيعة (أنظر مثلّث علم الهندسة).

**الثانية، "الشخص" أو "الأقنوم"** للدلالة على الآب والابن والروح القدس في **تمايزهم الحقيقيّ الواحد عن الآخر**، من جهة علاقاتهم الأصليّة: الآب هو المصدر الذي يلد، لا يخلق، الابن هو المولود، الروح القدس هو الذي ينبثق. فنقول **الوحدانيّة الالهيّة ثالوث**.

الثالثة، "**العلاقة**" للدلالة على أنّ واقع التمايز قائم في **الارتباط بين الأشخاص**: الآب مرتبط بالابن، والابن بالآب، والروح بالاثنين، والجوهر واحد. **وكلّ واحد منهم هو كلّه في الآخر**.

نعبّر عن إيماننا بالثالوث في **إشارة الصليب**. نبدأ بها كلّ عمل: "**باسم** الآب والابن والروح القدس" استلهامًا واستنجادًا واستنادًا؛ وننهي "**بالمجد** للآب والابن والروح القدس" تمجيدًا وشكرًا وتسبيحًا.

## ▪ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

١. في تعليم قداسة البابا بندكتوس السادس عشر بمناسبة يوم السلام العالميّ (أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧) بعنوان "الشخص البشريّ قلب السلام"، تأكيد أنّ **السلام يقوم على احترام القواعد الطبيعيّة** التي كتبها الخالق الالهيّ في ضمير الانسان. ومن بينها **مساواة جميع الناس من حيث الطبيعة**.

**فالمساواة الأساسيّة** بين الناس، النابعة من كرامتهم المشتركة، تشكّل عنصراً مهمًّا للغاية بالنسبة إلى بناء السلام، **لأنّها تؤمّن خير الجميع**. وهو خير لا يمكن إهماله أو امتهانه من دون إثارة تداعيات خطيرة تضع السلام في خطر، بل تصيبه بجرح عميق. إنّ هذا الخير يشمل الطعام والماء والمنزل والصحّة والحقوق الأساسيّة لكلّ من الرجل والمرأة. الفوارق الموجودة في العالم على هذا المستوى هي في أساس التوتّرات التي تهدّد السلام (الفقرة ٦).

والسلام القائم على المساواة يقتضي **احترام كرامة المرأة الشخصيّة** التي طبعها الخالق في كلّ كائن بشريّ. إنّ استغلال النساء ومعاملتهم معاملة أشياء وامتهان كرامتهنّ، تشكّل كلّها عوامل لعدم الاستقرار في

النظام الاجتماعيّ. فلا يمكن الكلام عن سلام حقيقيّ ما دام لا يزال قائمًا في بعض الثقافات نظريّات تجعل المرأة خاضعة لهوى الرجل، وما يتبع ذلك من نتائج تنال من كرامة الشخص ومن ممارسة الحريّات الأساسيّة ذاتها (الفقرة ٧).

٢. **الديموقراطيّة** هي إشراك المواطنين المباشر في الخيارات السياسيّة. من أجل هذه الغاية، تفترض في أساسها **مفهومًا سليمًا للشخص البشريّ** الذي هو مبدأ المؤسّسات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة، وهو هدفها وموضوعها (مجمع عقيدة الايمان: تعليم حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك في الحياة السياسيّة، ٣؛ الدستور الراعويّ: الكنيسة في عالم اليوم، ٢٥).

**للديموقراطيّة مبادئ** متأصّلة في قيمة الشخص السامية، وفي المقتضيات الخلقيّة والموضوعيّة لحسن سير الدول. **هذه المبادئ هي:** الحقيقة التي تقوم عليها العلاقة بين الحكّام والمواطنين، الشفافيّة في الإدارة العامّة، عدم التحيّز في الخدمة العامّة، احترام حقوق الاخصام السياسيين، حماية حقوق المتّهمين بوجه محاكمات مختصرة، الاستعمال العادل والمخلص للأموال العامّة، رفض الوسائل المبهمة وغير الجائزة للاستيلاء، مهما كان الثمن، على السلطة، والاحتفاظ بها والتوسّع فيها (تألّق الحقيقة، ١٠١)،

وتقتضي الديموقراطيّة السليمة **أن تنطلق من كرامة الشخص البشريّ،** لكي تعزّز حقوق الناس أجمعين وحقوق كلّ فرد. فيجب أن ترتكز ممارسة السلطة السياسيّة على روح الخدمة، المقترنة بالكفاءة والفعاليّة، لكي يأتي عملها صافيًا وشريفًا. وهذا يتطلّب تصدّيًا معلنًا للإغراءات، من مثل اللجوء إلى المناورات الخسيسة والكذب واختلاس أموال

الدولة لصالح بعض الأشخاص، أو بهدف كسب الأنصار والوصول إلى السلطة والتمسّك بها على حساب الخير العامّ (العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٤٢).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

تبدأ الخطّة الراعويّة بالنظر في الفصل الأوّل من النصّ المجمعيّ المارونيّ التاسع عشر: **الكنيسة المارونيّة والسياسة.** يستعرض الفصل الأوّل **المسار التاريخيّ** للكنيسة المارونيّة في الحقل السياسيّ، فكانت لها خبرتها في جبل لبنان، وسط الأنظمة الإمبراطوريّة المتتالية: البيزنطيّة والعربيّة والمملوكيّة والعثمانيّة (الفقرات ٤-١٤). إنّها حقبة الإمبراطوريّة التي مرّت في ثلاث مراحل:

**المرحلة الأولى** امتدّت من نهاية القرن السابع حتّى نهاية القرن الحادي عشر، زمن الإمبراطوريّة البيزنطيّة والفتح الإسلاميّ (فقرة ٨). تميّزت **بالانطواء على الذات،** والتكيّف مع طبيعة لبنان الوعرة، والاتّصال بروما والغرب في نهاية القرن السابع (٦٤١-٧٤٢). على أثر سقوط أنطاكية، بعد الفتح الإسلاميّ سنة ٦٣٦، انقطعت أنطاكية عن الصلة بالبطريركيّات الأخرى وبروما، ودخلت في مرحلة من الضياع والفوضى في بطريركيّتها، فانتخب الموارنة من دير مار مارون على العاصي قرب افامية، بطريركًا عليهم لسدّ فراغ قياديّ وحفظ الرعيّة من التشتّت والارتهان. ثمّ انتقلوا إلى جبال لبنان ووديانه، وأقام بطاركتهم في أديرة يانوح وكفرحي وميفوق إيليج ثمّ قنّوبين، لأنّ الفاتح الإسلاميّ عبر السهول وترك الجبال وشأنها. في هذه المرحلة من الانكفاء، حافظ **الموارنة على هويّتهم وكيانهم،** وأصبحوا **شعبًا صلبًا موحّدًا، غيورًا على كيانه ودينه** (فقرة ٧ و٨).

**المرحلة الثانية** كانت **مرحلة الامتحان العسير** في عهد المماليك والمقدَّمين على مدى قرنين. في هذه المرحلة تمّ اعتقال البطريرك لوقا البنهرانيّ وأسره في بلاد طرابلس، وتبيّن حرص الموارنة على **الحريّة والأصالة في الشأنين الدينيّ والمدنيّ** (فقرة ٨).

**المرحلة الثالثة** تمثّلت بحكم العثمانيين سحابة أربعة قرون. كانت مرحلة بناء الداخل اللبنانيّ وامتداد مساحته الجغرافيّة من شماله إلى جنوبه، حيث **تبلورت نواة فكرة لبنان الحديث التعدّديّ** المبنيّ على المصالح المشتركة، لأنّ **آل عساف** المسلمين السنّة الذين كانت قاعدة حكمهم في غزير، ابتداءً من سنة ١٥٠٦، حكموا بحسب النظام الاقطاعيّ المدنيّ، لا بحسب الشريعة الإسلاميّة، مكتفين بجمع الضرائب، وتاركين لرعاياهم حريّتهم الدينيّة. فتعاون الموارنة معهم في الحكم بواسطة آل حبيش منذ ١٥١٦ (فقرة ٩). ثمّ حكم **أمراء بني سيفا** بحسب الشريعة الإسلاميّة، لا بحسب العرف المدنيّ، وحموا الشواطىء. فانتقل الموارنة في اتّجاه المناطق الجنوبيّة، وشدّدوا اتّصالهم بروما والغرب بواسطة المرسلين الفرنسيسكان وسواهم من المؤسّسات المسيحيّة الموجودة في الأراضي المقدّسة (فقرة ٩ و١٠).

في عهد **الإمارتين المعنيّة والشهابيّة** (١٥٨٤-١٨٤٢)، قوي نفوذ الموارنة، وتميّزوا بمساهمتهم الفعليّة في **النهضة العربيّة**، بفضل تعاونهم مع المعنيّين وبخاصّة الأمير فخر الدين، بواسطة آل الخازن ثمّ آل أبي اللمع. كان فخر الدين يطمح إلى الاستقلال عن الإمبراطوريّة العثمانيّة، ويرغب في الانفتاح على الغرب. فسهّل الموارنة اتّصاله بروما وفلورنسا وباريس. وقوي هذا التعاون بين الموارنة والدروز وسائر أبناء الجبل، وتأصّلت فكرة لبنان التعدّديّ المبنيّ على المصالح المشتركة. وبفضل المدرسة المارونيّة

في روما سنة ١٥٨٤، كسر الموارنة طوق الجهل، وأحضروا المطبعة الأولى العربيّة بالحرف السريانيّ إلى دير مار أنطونيوس قزحيا، في شمال لبنان سنة ١٦١٠، وانطلقت شرارة النهضة العربيّة والانفتاح على الحضارة الغربيّة ونقلها إلى معاصريهم. وكان انسجام تامّ بين الكنيسة المارونيّة والإمارة اللبنانيّة من جهة، وبينها وبين الزعامة المارونيّة من آل حبيش والخازن وأبي اللمع، الشديدي الغيرة على مصلحة الكنيسة من جهة أخرى (فقرة ١٠ و١١).

امتدّت هذه المرحلة إلى عهد **القائمقاميّتين** وامتحانها القاسي بمأساة ١٨٦٠ وبداية الهجرة نحو الغرب (فقرة ١٢)، فإلى مرحلة **المتصرّفيّة** حيث نبذ الموارنة الأحقاد وعاودوا تعاونهم مع الدروز لانجاح تجربة العيش المشترك مع كلّ الطوائف. فتشكّلت **النواة السياسيّة والقانونيّة والجغرافيّة لدولة لبنان الكبير**، التي اكتملت ونضجت، بعد انهيار السلطنة العثمانيّة سنة ١٩١٨ (فقرة ١٣)، **بإعلان دولة لبنان الكبير** بحدوده الحاضرة في أوّل أيلول ١٩٢٠ (فقرة ١٤).

* * *

**صلاة**

تعالَ أيّها الروح الخالق لزيارة نفوس محبّيك. إملأ قلوب عبادك نعمة من علُ: أنت المعزّي وعطيّة الربّ ذي الجلال، أنت الينبوع المُروي والنار المطهّرة والمحبّة المشتعلة والمسحة الروحيّة. ضع نورك في عقولنا، وانشر محبّتك في قلوبنا، وأقم بقوّتك القديرة أجسادنا الواهنة.

إليك وإلى الآب الذي أرسلك، وإلى الابن الذي نفخك فينا، كلّ مجد وإكرام وشكر، إلى الأبد. آمين.

# الأحد الثالث من زمن العنصرة

## غذاء حقيقة المحبّة ومواهب الروح القدس

### إنجيل القدّيس يوحنّا ١٤/٢١-٢٦

قال الربّ يسوع لتلاميذه: «من كانت لديه وصاياي ويحفظها، هو الذي يحبّني. ومن يُحبّني يُحبّه أبي، وأنا أحبّه وأظهر له ذاتي». قال له يهوذا، لا ذاك الاسخريوطيّ: «يا ربّ، ماذا جرى حتّى تظهر ذاتك لنا، لا للعالم؟». أجاب يسوع وقال له: «من يُحبّني يحفظ كلمتي، وأبي يُحبّه وإليه نأتي، وعنده نجعل لنا منزلاً. من لا يحبّني لا يحفظ كلمتي. والكلمة التي تسمعونها ليست كلمتي، بل كلمة الآب الذي أرسلني. كلّمتكم بهذا، وأنا مُقيم عندكم. لكنّ البرقليط، الروح القدس، الذي سيرسله الآب باسمي، هو يُعلّمكم كلّ شيء، ويذكّركم بكلّ ما قلته لكم. السلام أستودعكم، سلامي أعطيكم. لا كما يعطيه العالم أنا أعطيكم. لا يضطرب قلبكم ولا يخف!».

* * *

بحلول الروح القدس، يوم العنصرة، سادت في الكنيسة شريعة المحبّة. الانسان يحبّ الله حافظًا وصاياه، والله يستقرّ فيه: الآب بمحبّته، والابن بنعمته، والروح القدس بمواهبه. إنّها شركة المحبّة العاموديّة، التي منها تنبثق شركة المحبّة الأفقيّة بين الناس. الكلمة الالهيّة، التي تتّخذ شكل وصايا، هي

التي تولّد المحبّة في قلب المؤمن، وهي التي تجمع قابليها ومحبّي يسوع المسيح. ما عدا ذلك، لا رابط صداقة وإخلاص بين الناس.

## ■ أوّلاً، مضمون الانجيل

### ١. شركة الحقيقة والمحبّة

**تغتذي شركة المحبّة من** سرّ القربان الذي هو **"سرّ المحبّة"**، كما يسمّيه القدّيس توما الأكويني (الخلاصة اللاهوتيّة، ٣ المسألة ٧٣، ٣). ففيه يهب يسوع المسيح ذاته مأكلاً ومشربًا يعطيان الحياة الالهيّة، ويكشف محبّة الله اللامتناهية لكلّ إنسان. هي محبّة قدّم بها يسوع حياته من أجل أحبّائه، مائتًا على الصليب لفدائهم (يو ١٥/١٣)؛ وأحبّهم حتّى النهاية (يو ١٣/١) مقدّمًا لهم جسده ودمه خبزًا سماويًّا لعدم الموت (الارشاد الرسوليّ: "سرّ المحبّة"، ١). هذه الحقائق كشف عنها الربّ يسوع بقوله في إنجيل اليوم: "من يحبّني يحفظ كلمتي، أنا أحبّه وأبي يحبّه وإليه نأتي وعنده نجعل منزلاً" (يو ١٤/٢١ و٢٣).

**الله المحبّة الثالوثيّة يسكن في كيان الانسان**، ويكون الروح بمواهبه السبع المعلّم والمعزّي الذي يعلّم حقيقة المحبّة التي تحرّر (يو ٨/٣٦) ويذكّر بها (أنظر يوحنّا ١٤/٢٦). إنّ الكنيسة التي تجد في سرّ القربان محورها الحيويّ تلتزم دونما انقطاع بالاعلان للجميع، في وقته وغير وقته، أنّ الله محبّة، وبما أنّ المسيح جعل نفسه غذاء الحقيقة، فالكنيسة تتوجّه إلى كلّ إنسان وتدعوه ليقبل بحرّية مسؤولة ومُحبّة عطيّة الله (سرّ المحبّة، ٢).

**كلّ إنسان يتوق إلى الحقيقة وإلى الحريّة** لكي يحيا بسعادة وطمأنينة، يجد جوابًا عند المسيح الذي يجتذبه: "أنا هو الطريق والحقّ والحياة" (يو ١٤/٦)، "فإذا حرّركم الابن كنتم أحرارًا حقًّا" (يو ٨/٣٦). يسوع المسيح هو

النجم القطبيّ الذي يهدي حريّة الانسان لكي لا تضيع. فبدون معرفة الحقيقة، تفقد الحريّة طبيعتها وتنعزل وتصير مجرّد تعسّف عقيم (سرّ المحبّة، ٢).

### ٢. الروح القدس في حياة المؤمنين والكنيسة

**"الروح القدس، البارقليط، يعلّمكم كلّ شيء ويذكّركم بكلّ ما أقوله لكم"** (يو١٤ /٢٦).

**ثلاث صفات** تكشف عمل الروح القدس في المؤمنين والكنيسة: إنّه المعزّي والمعلّم والذاكرة. صفات **تختصر مواهبه السبع:**

**الروح المعزّي** يعطينا **القوّة** لمواجهة المحن والمعاكسات، الآتية من الداخل أو من الخارج. لا أحد منّا إلاّ ويختبر الرياح المعاكسة في حياته وأعماله ومسؤوليّاته. وحده روح **القوّة** يشجّعنا على الصمود والصبر والاحتمال، ويشدّد الرجاء بتجاوز المحنة.

**الروح المعلّم** يمنحنا **موهبة المشورة**، كلّ مرّة نتساءل عمّا يجب أن نفعل أو نقول؛ **وموهبة العلم** عندما نصمت ونتأمّل ونفكّر، باحثين عن حقيقة ما، وعن نور يقود معرفتنا؛ **وموهبة الحكمة** عندما تستدعي ظروف الحياة أن نتّخذ قرارًا أو موقفًا حاسمًا لقضيّة؛ **وموهبة الفهم** التي تعضد إيماننا، وتساعدنا في البحث عن جواب على تساؤلاتنا.

**والروح الذاكرة** يفيض علينا **موهبة التقوى** في لقائنا مع الله عبر الليتورجيّا وأفعال العبادة، بحيث نتذكّر أنّ الربّ هنا؛ **وموهبة مخافة الله** في علاقاتنا مع الناس، وفي تعاطينا شؤون العالم واستخدام خيراته، فنتمّمها وفقًا لمرضاة الله، مخافة الاساءة إليه وخسارة رضاه.

بفضل مواهب الروح القدس **نقبل** وصايا الله وكلام يسوع المسيح

**ونحفظها**. هذا القبول والحفظ دليل على محبّتنا للمسيح. فلنصغ مجدّدًا إلى كلام الربّ في إنجيل اليوم: "من يقبل وصاياي ويحفظها، فذاك يحبّني... ومن يحبّني يحفظ كلمتي" (يو ١٤/ ٢١ و٢٣). عندما نقبل وصايا الربّ وكلامه ونحفظها، هذا يعني أنّنا نحبّه، لأنّ "محبّة الله أفيضت في قلوبنا بالروح القدس" (روم ٥/ ٥). وبما أنّ الروح القدس هو رباط الحبّ بين الآب والابن، فإنّنا موضوع محبّة الثالوث: "من يحبّني، أنا أحبّه، وأبي يحبّه، وإليه نأتي، وعنده نجعل منزلاً" (يو ١٤/ ٢١ و٢٣).

بعمل الروح القدس **يصبح الانسان "سكنى الله"** (أفسس ٢/ ٢٢)، وتصبح الكنيسة، أورشليم الجديدة، مسكن الله، وفيها يصبح المؤمنون شعب الله، حسب رؤيا يوحنّا: "ورأيت المدينة المقدّسة، أورشليم الجديدة نازلة من السماء من عند الله... وسمعت صوتًا عظيمًا من السماء يقول: "هوذا مسكن الله مع الناس، يسكن معهم، هم يكونون له شعبًا، والله معهم يكون لهم إلهًا" (رؤيا ٢١/ ٣).

### ٣. وجوه أحيتها مواهب الروح القدس

**الحكمة**: "رأى الناس في **سليمان الملك** حكمة الله في إجراء الحكم" (١ ملوك ٣/ ١٦- ٢٨). عندما حضرت أمامه امرأتان تتنازعان الأمومة لطفل، فأمر سيّافًا بشطر الولد إلى اثنين، فصرخت واحدة: "أرجوك يا سيّدي. أعطوها الولد حيًّا ولا تقتلوه"، بينما الأخرى قالت: "لا، بل اشطروه". ففهم الملك أنّ الأولى أمّه، وقد تحرّكت أحشاؤها على ابنها، وأمر بإعطائها الولد.

**القوّة**: على الاحتمال والصبر تميّزت بها **القدّيسة رفقا**، رسولة الألم المشارك في آلام الفداء على مدى ٢٩ سنة وقد عميت وتفكّكت أوصال جسدها ما بين سنة ١٨٨٥ وسنة وفاتها ١٩١٤. هي أطلقت تكريم الجرح

السادس في كتف المسيح "الجرح المؤلم لأنّ عليه حمل يسوع صليب خطايانا الثقيلة". وكانت تنال تعزية خفيّة تظهر للعيان في بسمتها الدائمة وهدوئها. يسوع نفسه عندما كان يتألّم في بستان الزيتون "ظهر له ملاك من السماء يشدّده" (لو ٢٢/٤٣).

**تقوى الله:** موهبة تميّز بها **القدّيس نعمة الله الحرديني**. فكان يحتفل بقدّاسه كلّ يوم الساعة ١١.٠٠، ليقسم نهاره إلى اثنين: يكون القسم الأوّل استعدادًا للذبيحة الإلهيّة، والثاني فعل شكر. وكان يعترف بخطاياه كلّ يوم قبل أن يحتفل بذبيحة القدّاس. وهكذا عاش في محبّة الله والإخوة وجميع الناس، ساهرًا متيقّظًا على ألاّ يسيء إلى أحد أو يجرح أحدًا.

**الفهم:** أعطيت القدّيسة **Paola Elizabetta Cerioli** موهبة فهم عطيّة الأمومة الروحيّة، بعد أن فقدت زوجها وأولادها الأربعة وهي بعمر ٣٩ سنة، ثلاثة في أولى أشهر الطفولة، والرابع كارلو بعمر ١٥ سنة. في قلب الوجع والضياع واليأس، استطاعت بقوّة الايمان، على صدى صوت ابنها كارلو الذي قال لها وهو على فراش النزاع: "ماما، لا تبكي بسبب موتي، فالله سيعطيك أبناء آخرين كثيرين"، وبإرشادات مطرانها في Bergamo (إيطاليا)، استطاعت أن تفهم سرّ آلام مريم العذراء، وأن تنفتح على فهم قيمة الأمومة الروحيّة، التي قدّمها لها الله بواسطة الروح القدس، مكافأة لها على تتلمذها الجديد للمسيح، وتحقيقًا لنبوءة ابنها كارلو. فكرّست نفسها لخدمة الأولاد الصغار والفقراء. وأسّست جمعيّة راهبات العائلة المقدّسة للعناية بالبنات، وجمعيّة العائلة المقدّسة الرجاليّة للاعتناء بالصبيان.

**المشورة:** اتّصفت بها القدّيسة طبيبة الأطفال **Gianna Beretta Molla**، فاتّخذت قرار الزواج بالمهندس بيترو Molla. كانت تتساءل بالصلاة حول

دعوتها التي تعتبرها عطيّة من الله، وتطلب من إخوتها أن يصلّوا من أجلها لتقرّر: هل تذهب طبيبًا رسولاً إلى البرازيل حيث شقيقها الكاهن، وحيث أنشأ شقيقان آخران مستشفى، لتساعد العائلات الفقيرة، إذ كانت ملتزمة في خدمة الفقراء من خلال منظّمة العمل الكاثوليكيّ، وجمعيّة مار منصور دي بول، أم تذهب للرسالة إلى الهند حيث شقيقتها الراهبة Virginia؟

رافقت في حزيران ١٩٤٥ قطار مرضى في زيارة إلى سيّدة لورد، فطلبت من العذراء أن تلهمها على اختيار دعوتها: "الرسالة في البرازيل أم الزواج؟" سألت مرشدها الروحيّ، فقال لها: "أسّسي عائلة مسيحيّة. ثمّة حاجة عظيمة إلى أمّهات صالحات. فتزوّجي وأنجبي أولادًا يحبّون الله ويخدمونه". وهكذا فعلت.

**مخافة الله:** هي مرضاته وعدم الاساءة إليه بالانتصار على التجربة والخطيئة. بعد أن امتلأ يسوع من الروح القدس ساعة اعتماده على يد يوحنّا في نهر الأردن، سار به الروح إلى البريّة، حيث صام أربعين يومًا وجرّبه الشيطان. استطاع يسوع أن ينتصر على تجارب الشيطان الثلاث بالعودة الدائمة إلى كلام الله: "مكتوب: ليس بالخبز وحده يحيا الانسان" (متّى ٤/٤)؛ "مكتوب أيضًا: لا تجرّب الربّ إلهك" (متّى ٤/٧)؛ "مكتوب: للربّ إلهك تسجد، وإيّاه وحده تعبد" (متّى ٤/١٠). مخافة الله هي الحرص على عدم الاساءة إليه وخسارة مرضاته، بحفظ كلامه ووصاياه. كانت النتيجة أن فارقه الشيطان منهزمًا، وجاءت ملائكة تقوّيه وتخدمه (أنظر متّى ٤/١١).

**العلم:** الذي يفتح الأذهان لمعرفة سرّ الله وإرادته، وينير الجماعة في قراراتها، أنار الرسل عند انتخاب مَتيّا الرسول خلفًا ليهوذا الاسخريوطيّ فصلّوا: "يا ربّ، أنت تعلم ما في قلوب الجميع، فأظهر من تختار من هذين

الاثنين، ليقبل نصيب الخدمة والرسالة التي تخلّى يهوذا عنها، وذهب إلى مكان هو مكانه". ثمّ ألقوا القرعة، فوقعت على متيّا. فعدّ من الاثني عشر (أعمال ١/٢٤-٢٦).

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

١. **ثقافة السلام**، كما كشفها قداسة البابا بندكتوس السادس عشر في رسالته ليوم السلام العالميّ "**الشخص البشريّ قلب السلام**": (أوّل ك٢ ٢٠٠٧)، تشمل على السواء "**الاكولوجيا الطبيعيّة**" و"**الاكولوجيا البشريّة**": يعلّم الاختبار، يقول البابا، أنّ كلّ تصرّف لا يحترم البيئة الطبيعيّة، إنّما يؤذي العيش البشريّ المشترك، والعكس صحيح. هناك رباط لا ينفصم ينكشف دائمًا بين السلام مع الخليقة والسلام مع الله. إنّنا نجد في أنشودة القدّيس فرنسيس الأسّيزيّ "أختي الشمس"، النموذج الرائع لاكولوجيا السلام الكثيرة الألوان (فقرة ٨).

على مستوى الجمع بين الاكولوجيا الطبيعيّة والاكولوجيا البشريّة، يقتضي السلام ألاّ تحتكر الدول الصناعيّة الكبيرة **التزوّد بالطاقة**، وتحرم منها شعوبًا ودولاً أخرى. إنّ تدمير البيئة، وسوء استعمالها الأنانيّ، ووضع اليد قسرًا على موارد الأرض، يولّد جروحًا ونزاعات وحروبًا، لأنّها تمنع شعوبًا من إمكانيّة **النموّ البشريّ الشامل** بأبعاده الخلقيّة والروحيّة، وأبعاده العلميّة والاقتصاديّة. يظهر جليًّا من كلّ ذلك أنّ احترام الطبيعة مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالحاجة إلى نسج علاقات بين الناس والأمم، من شأنها أن تعير انتباهًا كبيرًا يعزّز كرامة الأشخاص ويسدّ حاجاتهم الأصليّة (فقرة ٩).

٢. **ثقافة الديموقراطيّة تقوم على مبادئ خلقيّة تشكّل الأساس للحياة**

**الاجتماعيّة. فلا ديموقراطيّة في مجتمع تسود فيه تعدّديّة خلقيّة مع نسبيّة ثقافيّة**، فإنّهما تنفيان وجود شريعة خلقيّة متأصّلة في طبيعة الكائن البشريّ نفسها، يحتكم إليها كلّ مفهوم للانسان والخير العامّ والدولة. إنّ التعدّديّة الخلقيّة تُسقط مبادئ الشريعة الأدبيّة الطبيعيّة (مجمع عقيدة الايمان، تعليم حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك في الحياة السياسيّة، ٢).

**تنتفي الحياة الديموقراطيّة** عندما يُعتمد النفوذ الانتخابيّ والتأثير الماليّ في المطالب، على حساب مقاييس العدالة والأخلاق. من مغبّة هذه الانحرافات في المسلكيّة السياسيّة خلقُ جوّ من الريبة واللامبالاة، وتخفيض نسبة المشاركة السياسيّة والحسّ الوطنيّ عند الشعب المتألّم من خيبته (السنة المئة، ٤٧)، لرؤيته المصالح الخاصّة والفئويّة تطغى على الصالح العامّ، بسبب انعدام الاحترام لكرامة الانسان وحقوقه (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٦).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الجماعات الراعويّة والرهبانيّة والتربويّة والاجتماعيّة تقبّلها للنصّ المجمعيّ المارونيّ التاسع عشر "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، باستعراض القسم الثاني من المسار المارونيّ التاريخيّ في حقل السياسة.

تشمل الخطّة الراعويّة **الماضي القريب والمعاصر** من سنة ١٩٢٠ إلى سنوات حرب ١٩٧٥ (الفقرات ١٥-٢٧). إنّها **مرحلة إنجاز الاستقلال وإعلان الميثاق الوطنيّ سنة ١٩٤٣**،عبر بابين: البطريركيّة المارونيّة كمرجعيّة روحيّة وسياسيّة، وقيادات سياسيّة جديدة وتنظيمات حزبيّة (الفقرة ١٥ و١٦). يكشف النصّ المجمعيّ **جوهر الميثاق الوطنيّ**: وهو توافق اللبنانيين على صيغة للتلاقي تقوم على مشاركة حقيقيّة فيما بينهم على

أساس التوافق والمساواة والتوازن. **له بُعد داخليّ** معروف بصيغة المشاركة المتوازية في الحكم والادارة وفقًا للتمثيل الطائفيّ، **وبُعد خارجيّ** قائم على الاستقلال عن الانتداب الفرنسيّ يقابله الاعتراف العربيّ بكيان دولة لبنان المستقلّ (فقرة ١٧). إنّ الميثاق الوطنيّ ببعديه خيار حضاريّ، عنوانه **التعدّديّة** السياسيّة وإدارتها بالحوار والتسويات النبيلة باعتدال وواقعيّة. ولكن، في المقابل لم تتّخذ الدول العربيّة المجاورة، في استقلالها الخيار اللبنانيّ. بل حسمت أمر عروبتها إمّا بالشعارات الإيديولوجيّة وإمّا بالدين. فكان التجاذب بين الميثاق الوطنيّ اللبنانيّ ومواثيق وطنيّة عربيّة لا تتّفق مع الحالة اللبنانيّة. هذا ما جعل اللبنانيين غير قادرين إلى اليوم على استكمال بناء الدولة اللبنانيّة المستقرّة، القائمة على عمل المؤسّسات الدستوريّة، غير المرتهنة للمتغيّرات الاقليميّة والدوليّة، وغير المقيّدة بالتجاذب الطائفيّ، في إطار الحريّة والديموقراطيّة التوافقيّة (فقرة ١٩).

وهكذا كانت **مرحلة الانتكاسات الثلاث: أحداث العام ١٩٥٨** وهي انتكاسة فعليّة أولى للميثاق الوطنيّ واجهتها الشهابيّة بتكيّف واقعيّ ومعتدل لهذا الميثاق. ففعّلت مؤسّسات الدولة، وأطلقت مشاريع إصلاح وتنمية (فقرة ٢٠) ؛ **الحرب العربيّة-الإسرائيليّة عام ١٩٦٧**، وبروز المقاومة الفلسطينيّة المسلّحة، واتفاق القاهرة (١٩٦٩) الذي أتاح للمنظّمات الفلسطينيّة الدخول في مواجهات عسكريّة مع إسرائيل عبر الحدود اللبنانيّة-الإسرائيليّة، ووضع المخيّمات الفلسطينيّة تحت سيطرة المنظّمات الفلسطينيّة المسلّحة، ما حوّل لبنان إلى دولة مواجهة، وجعل جنوب لبنان ساحة الحرب الوحيدة للنزاع العربيّ-الإسرائيليّ (فقرة ٢١ و٢٢)؛ **إندلاع الحرب اللبنانيّة في ١٣ نيسان ١٩٧٥** التي برزت معها مسألة الاصلاح السياسيّ المعروفة بمسألة مشاركة المسلمين المتوازنة بالسلطة.

وهذا ما تمَّ في اتفاق الطائف ووثيقة الوفاق الوطنيّ سنة ١٩٨٩ (الفقرات ٢٣-٢٤).

ويستعرض النصّ انقسام الصفّ المارونيّ إلى موقفين حيال التغيير في هيكليّة السلطة: واحد معارض لأيّ تعديل في الدستور، وآخر متجاوب مع الواقع الراهن (فقرة ٢٥)، ومآسي سنوات الحرب التي دامت ١٥ سنة، وموقف الكنيسة منها، ومرارة الواقع المسيحيّ (فقرة ٢٧).

***

**صلاة**

هلمّ أيّها الروح القدس واملأ باطن قلوب محبّيك. يا موزّع المواهب السبع، نوّر بها عقولنا، شدّد إراداتنا، قوّم خياراتنا، إنعش قلوبنا بالمحبّة. يا قدرة يد الله، إهدِ الكنيسة وسط محن هذا العالم، وانصرها على قوى الشرّ، ومتّعها بالسلام. يا هبة الله في القلوب، صعّد منها صلاة الشكر والتسبيح والتمجيد إلى الآب الذي أرسلك، والابن الذي استحقّك بتجسّده والفداء، الآن وإلى الأبد، آمين.

* * *

الأحد ١٧ حزيران ٢٠٠٧

# الأحـد الرابع من زمن العنصرة

## الأفخارستيّا ينبوع الشركة والرسالة

### إنجيل القدّيس لوقا ١٠/٢١-٢٤

قال لوقا البشير: ابتهج يسوع بالروح القدس، فقال: «أعترف لك، يا أبتِ، ربّ السماء والأرض، لأنّك أخفيت هذه الأمور عن الحكماء والفهماء، وأظهرتها للأطفال. نعم، أيّها الآب، لأنّك هكذا ارتضيت. لقد سلّمني أبي كلّ شيء، فما من أحد يعرفُ من هو الابن إلاّ الآب، ولا من هو الآب إلاّ الابن، ومن يريد الابن أن يظهره له». ثمّ التفت إلى تلاميذه، وقال لهم على انفراد: «طوبى للعيون التي تنظر ما أنتم تنظرون! فإنّي أقول لكم: إنّ أنبياء وملوكًا كثيرين أرادوا أن يروا ما ترون فلم يروا، وأن يسمعوا ما تسمعون فلم يسمعوا».

***

يكشف كلام الربّ يسوع الشركة الحياتيّة بين الثالوث والمؤمنين المنفتحين "بروح الأطفال"، صغار الانجيل، لكلمة المسيح ونعمته. لهؤلاء يكشفها الآب، ويحجبها عن الممتلئين من حكمتهم الخاصّة وفهمهم الشخصيّ، والمكتفين بهما.

زمن العنصرة هو زمن رسالة الكنيسة التي تعلن سرّ المسيح، لكي ينكشف وجه الله ووجه الانسان لكلّ الشعوب، فيبلغ الجميع إلى الحقيقة

والخلاص بالمسيح. في سرّ الأفخارستيّا تتحقّق الشركة مع الله الثالوث القدّوس، ومنه تنطلق الرسالة المسيحيّة التي تعلن أن لا خلاص إلاّ بالمسيح الذي يملأ رغائب الانسان، وبدونه ثروة الدنيا سراب: "أنبياء كثيرون وملوك اشتهوا أن ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا، وأن يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا" (لو ١٠/ ٢٤).

## ■ أوّلاً، الأفخارستيّا ينبوع حياة الكنيسة ورسالتها

لا بدّ من **تذكير المسيحيين** بقيمة القدّاس الإلهيّ، الذي تقود إليه كلّ صلاة ومنه تنبع؛ فلا تكفي الصلاة في البيت إذا لم تصل بالمؤمن إلى الشركة الحياتيّة مع الله في القدّاس، هذا السرّ الذي أسّسه الربّ يسوع، ليلة آلامه وموته، من أجل استمراريّة ذبيحة الفداء عن خطايا كلّ إنسان، واستمراريّة وليمة جسده ودمه للحياة الالهيّة فينا، من فيض محبّة الآب وفعل الروح القدس في الأسرار. بل أقول، في زمن ابتعاد الكثيرين من المسيحيين عن قدّاس يوم الأحد، لا بدّ من **مصالحتهم مع سرّ الأفخارستيّا**. بسبب هذه القطيعة انكسرت العلاقة الحياتيّة مع الله، وكثر الفساد وتبخّرت الرسالة، وباتت الممارسة الدينيّة، عند الكثيرين، مجرّد عمل اجتماعيّ، خالٍ من أيّ مضمون روحيّ وخلقيّ. كما أنّ الكثيرين يظنّون أنّ الرسالة المسيحيّة تقتصر على تعزيز الانماء البشريّ دونما اعتبار للنموّ الروحيّ والخلقيّ على قياس المسيح (أنظر الارشاد الرسوليّ للبابا بندكتوس السادس عشر: "سرّ المحبّة"، ٨٦).

إنّ **سرّ القدّاس يحتوي كلّ الخيرات الروحيّة** أعني المسيح نفسه، الخبز الحيّ، الذي يعطي الحياة للبشر بجسده الحيّ والمحيي بالروح القدس، ويدعوهم ليقدّموا ذواتهم وأعمالهم وكلّ شؤونهم الماديّة بالاتّحاد معه (القرار المجمعيّ "في خدمة الكهنة وحياتهم"، ٥).

**الكنيسة مؤتمنة** على هذا الكنز الروحيّ، "وهي في المسيح، نوعًا ما، بمثابة السرّ (sacrement)، أي العلامة والأداة للاتّحاد العميق بالله ولوحدة الجنس البشريّ" (الدستور العقائديّ "في الكنيسة"، ١). هذا هو جوهر رسالتها ونشاطاتها الاجتماعيّة والثقافيّة والإنمائيّة والروحيّة والكنسيّة، يقول القدّيس قبريانوس، "شعب يأخذ وحدته من وحدة الآب والابن والروح القدس". وهي بالتالي سرّ (أداة وعلامة) الشركة الثالوثيّة (سرّ المحبة، ١٦)، بواسطة الأسرار السبعة التي توزّعها، عبر الخدمة الكهنوتيّة، فتؤثر عمليًّا نعمة الله في حياة المؤمنين، وتجعل حياتهم، المفتداة بالمسيح، عبادة حيّة لله (المرجع نفسه).

إنّ نشأة الحياة المسيحيّة **تبدأ في المعموديّة**، الولادة الثانية أبناءً وبناتٍ لله، **وتتقوّى بالميرون**، هبة الروح القدس ومواهبه، **وتغتذي وتكتمل بالقربان**، الحياة الإلهيّة فينا. المشاركة في سرّ الأفخارستيّا، وهو القدّاس الإلهيّ، تكمّل فعليًّا مفاعيل المعموديّة أي الانخراط عضويًّا في جسد المسيح الواحد، الذي هو الكنيسة (١ كور ١٢/١٣) وشعب كهنوتيّ؛ وتكمّل مواهب الروح المعطاة لبنيان جسد المسيح (١ كور ١٢)، ولشهادة إنجيليّة أكبر في العالم (القرار المجمعيّ في نشاط الكنيسة الرسالي، ٩ و١٣).

هي "**نشأة**" من حيث الكيان المسيحيّ، وهي "**تنشئة**" من حيث تثقيف الايمان بشكل دائم يتلازم مع النموّ في السنّ. لكنّ **نشأة** الحياة المسيحيّة **وتنشئتها** هما طريق ارتداد إلى الله، نسلكه بهدي الروح القدس، وبالعلاقة الدائمة مع الجماعة الكنسيّة، وبراعويّة العائلة المسيحيّة التي تعضدها الرعيّة في مهمّتها التربويّة، لتواكب أبناءها في تقبّل أسرار المعموديّة والميرون والقربان، بوعي وفاعليّة (سرّ المحبّة، ١٩).

■ **ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة**

١. **العالم والأوطان بحاجة إلى سلام.** لكنّ السلام عطيّة من الله، مركزها قلب الشخص البشريّ، كما جاء في موضوع رسالة البابا بندكتوس السادس عشر ليوم السلام العالميّ (أوّل ك٢ ٢٠٠٧)، وعنوانها: "**الشخص البشريّ، قلب السلام**".

تكشف الرسالة البابويّة أنّ **السلام يتعزّز بمقدار المفهوم المعطى للشخص البشريّ**، إنطلاقًا من طبيعة الانسان الحقيقيّة. فأيّ مفهوم ضعيف عنه أو شاذّ، إنّما يفسح في المجال لمواقف تسلّط، تقود إلى عزل الانسان عن حقّ الدفاع عن النفس، وتجعل منه فريسة سهلة للقمع والعنف (فقرة ١١).

**يقتضي السلام** تحرير الشخص البشريّ من الأحكام المسبقة والايديولوجيّات التي تحرّض على البغض والعنف. معروف أنّ النظرة إلى الانسان تختلف باختلاف الثقافات. وصحيح أيضًا أنّ مفهومًا خاطئًا عن الله يؤدّي إلى مفهوم خاطئ للانسان. يؤكّد قداسة البابا بحزم:

"**إنّ المفاهيم عن الله التي تحضّ على التصلّب واللجوء إلى العنف تجاه أمثالنا من البشر، يستحيل التسليم بها**. وهذه نقطة يجب التذكير بها بوضوح: **إنّ حربًا تُشنّ باسم الله يستحيل قبولها. وعندما يكون ثمّة مفهوم عن الله في أساس ممارسات إجراميّة، فهذه علامة أنّ مثل هذا المفهوم قد تحوّل نظامًا عقائديًّا**" (فقرة ١٠).

٢. **العالم والأوطان بحاجة أيضًا إلى ديموقراطيّة سليمة** تقود إلى حقيقة أخيرة من شأنها أن توجّه العمل السياسيّ والأفكار والقناعات. وإلاّ استُغلت كلّها لمصلحة أصحاب السلطة. إنّ ديموقراطيّة من دون قيم

تتحوّل بسهولة إلى توتاليتاريّة معلنة أو متسترّة، كما يتبيّن من التاريخ (تألّق الحقيقة، ١٠١).

**الديموقراطيّة تتنافى والتعدّديّة الخلقيّة (pluralisme éthique).** فنجد، من جهة، أنّ المواطنين يطالبون، من أجل خياراتهم الخلقيّة الخاصّة، بأوسع استقلاليّة؛ ومن جهة ثانية، أنّ المشرّعين، احترامًا منهم لحريّة الخيار، يسنّون قوانين بمعزل عن مبادئ الأخلاقيّة الطبيعيّة (مجمع عقيدة الايمان: تعليم حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك في الحياة السياسيّة، ٢).

**عندما يغيب مفهوم الله،** تتلاشى مبادىء الأخلاقيّة الطبيعيّة، ويمسي مفهوم الانسان مهدّدًا ومفسودًا، وتظلم الخليقة، ويصبح الانسان بمثابة "شيء" من الأشياء، وتنحطّ ميزته الراقية وسموّ وجوده كإنسان، ولا يعود يعتبر الحياة هديّة سنيّة من يد الله، وحقيقة "مقدّسة" موكولة إلى مسؤوليّته، وبالتالي إلى حمايته ومحبّته وإجلاله (إنجيل الحياة، ٢٢). الديموقراطيّة السليمة هي التي تُبنى على هذه النظرة للانسان.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة

بعد المسار التاريخيّ الذي سلكته الكنيسة المارونيّة على المستوى السياسيّ، تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ التاسع عشر: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، وتحديدًا الفصل الثاني منه الذي يصوّر الحاضر في مرحلة ما بعد حرب ١٩٧٥ واتّفاق الطائف (سنة ١٩٨٩).

**إنّه الحاضر اللبنانيّ عامّة والمارونيّ خاصّة** في واقعه الدستوريّ الموصوف في مقدّمة وثيقة الوفاق الوطنيّ التي أدرجت في مقدّمة الدستور المعدّل سنة ١٩٩٠. **تظهر فيها طبيعة العقد الاجتماعيّ بين اللبنانيين،** وفي أساسه أنْ "لا شرعيّة لأيّ سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك"؛

وتتوضّح **ماهيّة النظام اللبنانيّ**: إنّ لبنان واحد موحّد، سيّد حرّ مستقلّ، نهائيّ لجميع أبنائه على كامل أراضيه، عربيّ الهويّة والانتماء، ملتزم بالاعلان العالميّ لحقوق الانسان، بكونه عضوًا مؤسّسًا في جامعة الدول العربيّة وفي منظّمة الأمم المتحدة؛ وأنّ نظام لبنان جمهوريّ ديموقراطيّ برلمانيّ، قائم على احترام الحريّات العامّة، لاسيّما حريّة المعتقد، وعلى العدالة والمساواة، وعلى مبدأ الفصل بين السلطات، التي مصدرها الشعب (فقرة ٢٩).

لقد حُورّ مضمون هذه الوثيقة على يد سلطة الوصاية السوريّة، ما أفرغ الدولة من قرارها، والحياة السياسيّة من ممارستها. فكانت خطّة استهداف مبرمجة طاولت كلاًّ من السياسة والأمن والديموغرافيّة والاعلام والديموقراطيّة القائمة على المساءلة والمحاسبة (فقرة ٣٠).

ويستعرض النصّ **موقف الكنيسة المارونيّة حيال هذا الواقع الراهن**، الداعي إلى المحافظة على هويّة لبنان ورسالته باستعادة سيادته وقراره الحرّ وسلامة أراضيه واستقلاله الناجز، وقد عبّرت عنه في مذكّرة ١٦ آذار ١٩٩٨ إلى رئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري، وفيها الدعوة إلى تحقيق الوفاق الوطنيّ بتطبيق وثيقة اتّفاق الطائف نصًّا وروحًا؛ وفي نداء ٢٠ أيلول ٢٠٠٠، إثر تحرير الجنوب والبقاع الغربيّ من الاحتلال الإسرائيليّ في ٢٣ أيّار ٢٠٠٠، الذي طالب بإنهاء سلطة الوصاية السوريّة على لبنان وقد أصبح في حالة احتضار (فقرة ٣١ و٣٢). وينتهي تصوير الواقع الحاضر مع انتفاضة الاستقلال في ١٤ آذار ٢٠٠٥، إثر استشهاد الرئيس رفيق الحريري في ١٤ شباط ٢٠٠٥، وهي انتفاضة أخرجت الجيش السوريّ من لبنان في ٢٦ نيسان ٢٠٠٥، بعد ثلاثين سنة من سلطة الوصاية، تتويجًا لنضال الشعب اللبنانيّ المقيم والمنتشر، وتوحّده. فإذا بالحلم يتحوّل إلى حقيقة (فقرة ٣٣).

**إنّ للحاضر الراهن همًّا ثلاثيًّا مشتركًا للّبنانيين،** مسيحيين ومسلمين:

١. استكمال بناء الدولة المدنيّة الحديثة.

٢. إعادة بناء علاقات طبيعيّة مع سورية على قاعدة التكافؤ والمساواة والمصالح المشتركة.

٣. تطبيع العلاقات بين الدولة اللبنانيّة والسلطة الفلسطينيّة (فقرة ٣٤).

**ومن أهمّ التحدّيات** على المستوى السياسيّ، ثلاثة أيضًا:

أ. المحافظة على الهويّة المارونيّة في لبنان وبلدان الانتشار.

ب. تعزيز الحوار المسيحيّ-الإسلاميّ في عالم من الانقسامات.

ج. دعم التضامن مع العالم العربيّ لدحض مقولة صراع الحضارات التي تضع الإسلام والمسيحيّة في مواجهة بعضهما لبعض (فقرة ٣٤).

***

**صلاة**

هلّم أيّها الروح القدس وافتح قلوبنا على نفحة الله، لتستقرّ حياته الإلهيّة في نفوسنا، فنكونَ شعبًا واحدًا مولودًا من المعموديّة. إليك، أيّها الروح القدّوس، نفتح أجسادنا، لألسنتك الناريّة التي حلّت على الرسل القدّيسين في العلّية، فأشعل بها قلوبنا لتحيا من مواهبك، وتعلن سرّ مجدنا. إرفع جباهنا الموسومة بميرون قدسك، واجعلنا شعب الحقيقة والمحبّة، نشهد لهما في حياتنا كلّ يوم وفي كلّ ظروفنا. إليك، يا ضيفنا السماويّ، نفتح عيوننا الداخليّة لتستنير بصيرتنا بنورك الهادي، لك المجد والشكر والتسبيح مع الآب والابن إلى الأبد، آمين.

الأحد ٢٤ حزيران ٢٠٠٧

# الأحد الخامس من زمن العنصرة

## الرسل والكنيسة

### إنجيل القدّيس متّى١٠/١-٨

دعا يسوع تلاميذه الاثني عشر، فأعطاهم سلطانًا يطردون به الأرواح النجسة، ويشفون الشعب من كلّ مرض وكلّ علّة. وهذه أسماء الرسل الاثني عشر: الأوّل سمعان الذي يدعى بطرس، وأندراوس أخوه، ويعقوب بن زبدى، ويوحنّا أخوه، وفيليبّس وبرتلماوس، وتوما ومتّى العشّار، ويعقوب بن حلفى وتدّاوس، وسمعان الغيور، ويهوذا الاسخريوطيّ الذي أسلم يسوع. هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع، وقد أوصاهم قائلاً: «لا تسلكوا طريقًا إلى الوثنيين، ولا تدخلوا مدينة للسامريين، بل اذهبوا بالحريّ إلى الخراف الضالّة من بيت إسرائيل. وفيما أنتم ذاهبون، نادوا قائلين: لقد اقترب ملكوت السماوات».

***

زمن الكنيسة، المرموز إليه بزمن العنصرة، هو زمن الرسالة الموكولة إليها من السيّد المسيح بشخص الرسل الاثني عشر. وهؤلاء سلّموها بدورهم إلى خلفائهم الأساقفة ومعاونيهم الكهنة والشمامسة والمكرّسين والمكرّسات. إنّها رسالة الشعب المسيحيّ بأسره، ليقوم بها حيثما دعاه الله ليكون، وهي: تحرير النفوس من الأرواح الشرّيرة والعبوديّات، وشفاء الأجساد من الأمراض والآفات، وبناء ملكوت الله في المجتمع البشريّ. إنّها

تتلوّن بالنشاطات الروحيّة والإنمائيّة، الثقافيّة والاجتماعيّة، الاقتصاديّة والسياسيّة، وتشمل كلّ الأوضاع التي تؤمّن الخير العامّ، الذي منه خير كلّ إنسان وكلّ الانسان.

## ■ أوّلاً، مضمون الانجيل

### ١. من هم الرسل؟

هم الاثنا عشر الذين اختارهم يسوع من جماعة المؤمنين به، الذين تبعوه وتتلمذوا له: "دعاهم وأرسلهم ليكرزوا بالانجيل وينادوا بالتوبة لمغفرة الخطايا" (متّى ١٠/ ١ و٧؛ مر ٦/ ١٢؛ لو ٩/ ١-٢). إنّهم معاونوه الذين اختارهم ليبنوا ملكوت الله بالتلمذة والتقديس والتدبير (أنظر متّى ٢٨/ ١٦-٢٠؛ مر ١٥-١٥؛ لو ٢٤/ ٤٥- ٤٨؛ يو ٢٠ /٢١- ٢٣). وهكذا ينشرون الكنيسة، التي هي زرع الملكوت وبدايته في أبعاده الثلاثة: **السرّ** وهو الانتماء إليه بالكلمة ونعمة المعموديّة والأسرار؛ **والشركة** التي هي الاتحاد بالله عاموديًّا، والوحدة مع الناس أفقيًّا؛ **والرسالة** الرامية إلى تحقيق تصميم الله الخلاصيّ. ويكونون في الكنيسة خدّامًا ورعاة، هم وخلفاؤهم، طول الأيّام إلى انتهاء العالم (متّى ٢٨/ ٢٠).

هؤلاء الاثنا عشر نظّمهم الربّ يسوع في هيئة تتّصف بالجماعيّة (collegialité)، وأقام رئيسًا عليهم سمعان بطرس الذي اختاره من بينهم لما اتّصف به من إيمان بالمسيح وحبّ له (أنظر متّى ١٦/ ١٦-١٩؛ يو ٢١/ ١٥-١٧). ينتمي إلى هذه الهيئة جميع الأساقفة المستقيمي الايمان، ويرئسها أسقف روما خليفة بطرس. وتعمل بتنظيم قانونيّ سينودسيّ (synodalité)، وبروح مجمعيّ (conciliarité).

أراد الربّ يسوع ١٢ **رسولاً للدلالة** على أنّ الكنيسة هي شعب الله

الجديد، الذي حلّ محلّ الشعب القديم باسباطه (قبائله) الاثني عشر. لقد شاء الله أن يخلّص جميع الناس ويقدّسهم، لا إفراديًّا فقط من دون أيّ رباط فيما بينهم، بل جماعيًّا أيضًا، فجعل منهم شعبًا يعرفه بالحقّ ويخدمه بأمانة. وكان أوّل من دعاهم ليكونوا شعبه ابراهيم الخليل، وأقام الله عهدًا مع شعبه في سيناء على يد موسى : "إن سمعتم لصوتي وحفظتم عهدي، تكونون خاصّتي من بين جميع الشعوب، لأنّ الأرض كلّها لي وأنتم تكونون لي مملكة من الكهنة وأمّة مقدّسة" (خروج ١٩/٥- ٦). وأصبح يعقوب حفيد ابراهيم، الأصل الجامع لهذا الشعب، وقد أطلق الله عليه اسم "إسرائيل" (تكوين ٢٩/٣٢). هذا الاسم الشخصيّ أعطي فيما بعد لشعب الله، وريث المواعيد المسيحانيّة (غلا ٦ /١٦).

أسّس السيّد المسيح الكنيسة، **شعب الله الجديد**، وجعل الرسل الاثني عشر خدّامًا لكلمته ونعمته ومحبّته، معلّمين وكهنة ورعاة (أنظر الدستور العقائديّ "في الكنيسة"، ٩). هذا الشعب المسيحانيّ يتميّز بأربعة أوصاف: **رأسه** المسيح، الذي مات لفدائه وقام لتبريره؛ **حالته** كرامة وحريّة أبناء الله، الذين يسكن الروح القدس في قلوبهم، كما في هيكل؛ **شريعته** وصيّة المحبّة الجديدة على مثال محبّة المسيح (يو ١٣/٣٤)؛ **غايته الأخيرة** ولوج ملكوت الله الذي بدأه الله على هذه الأرض، ويكتمل في السماء في نهاية الأزمنة. هذا الشعب الجديد، يشكّل للبشريّة بأسرها زرع الوحدة والرجاء والخلاص، وشركة حياة وحبّ وحقّ، وأداة فداء للجميع، ونورًا للعالم وملحًا للأرض (أنظر متّى ٥/١٣-١٦)، إنّه مرسل إلى العالم كلّه (أنظر الدستور العقائديّ "في الكنيسة"، ٩).

## ٢. لفظة إسرائيل البيبليّة واللفظة الصهيونيّة

**"إنطلقوا إلى الخراف التي ضلّت من بيت إسرائيل"** (متّى ١٠/٦).

هذا الإرسال بكلمة "إنطلقوا" يواصله المسيح في ختام قدّاس كلّ يوم على لسان الكاهن: "اذهبوا". إنّ لفظة **"قدّاس"** باللاتينيّة missa تشتقّ من missio أي الارسال. الأفخارستيّا مصدر الأرسال.

**في الكتاب المقدّس**، لفظة "إسرائيل" تعني شعب الله المتحدّر من ابراهيم، والموجّهة إليه الرسالة المسيحانيّة؛ **وفي تعليم بولس الرسول** تعني الكنيسة ويسمّيها "إسرائيل الله" (غلاطية ٦/١٦)، ويميّز بين إسرائيل الذي في الروح وهو الكنيسة، وإسرائيل الذي في الجسد وهم اليهود (١ كورنتس ١٠/١٨)؛ السيّد المسيح نفسه يُسمّى "إسرائيل"، من حيث أنّه، مثل يعقوب، رأس شعب المفتدين: "أنت عبدي يا إسرائيل، فأنّي بك أتمجّد" (أشعيا ٤٩/٣).

الرسل الاثنا عشر يدلّون إذن بعددهم الرمزيّ إلى أسباط إسرائيل الاثني عشر، لأنّهم أساسات إسرائيل الجديد، أي الكنيسة. هكذا ينبئهم الربّ يسوع عندما سأله سمعان بطرس: "ها نحن قد تركنا كلّ شيء وتبعناك. فما عساه يكون لنا؟" إذ أجاب: "الحقّ أقول لكم: أنتم الذين تبعتموني، حين يجلس ابن الانسان على عرش مجده في العالم الجديد، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًّا وتدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر" (متّى ١٩/٢٧-٢٨).

أساء التلاميذ فهم ذلك. وارتجى الشعب مسيحًا ملكًا يخلّص الشعب اليهوديّ من الحكم الرومانيّ الوثنيّ المحتلّ لأرضهم أرض يهوه، كما قال تلميذا عمّاوس ليسوع ولم يعرفاه: "أفلا تعلم ما جرى في هذه الأيّام... ما يتعلّق بيسوع الذي من الناصرة، والذي كان نبيًّا قديرًا قولاً وفعلاً، أمام الله

وجميع الشعب. فأسلمه عظماء الكتبة والشيوخ لحكم الموت وصلبوه. ونحن كنّا نرجو أن يكون هو المزمع أن يخلّص اسرائيل" (لو ٢٤/١٨-٢١). على هذا الأساس استقبله الشعب في أورشليم: "هوشعنا، مبارك الآتي باسم الربّ، ملك إسرائيل" (يو ١٢/١٣). وإلى اللحظة الأخيرة، ظلّ هذا الاعتقاد سائدًا عند الرسل، فسألوه قبيل صعوده إلى السماء بلحظات: "يا ربّ، أفي هذا الزمن تعيد الملك إلى إسرائيل؟" عندها أعلن لهم سرّ مملكته ومكانهم فيها: "حين يأتيكم الروح القدس، تنالون القوّة، وتكونون لي شهودًا في أورشليم، وفي جميع اليهوديّة والسامرة، إلى أقاصي الأرض" (أعمال ١/٦و٨). طالب اليهود بصلب يسوع لأنّهم اعتبروه "ملك اليهود" الجديد، واضطهدوا أتباعه، فاستشهد إسطفانوس رجمًا (أعمال ٧/٥٤-٦٠)، ويعقوب الرسول أخو يوحنّا بقطع الرأس. وكان اضطهاد كنيسة الله في أورشليم وعلى رأس مضطهديها شاول اليهوديّ، الذي أصبح بولس رسول يسوع المسيح (أعمال ٨).

في الجيل التاسع عشر نشأت **الحركة الصهيونيّة**، وكان رائدها تيودور هيرسل (Théodor Herzel) الكاتب اليهوديّ المجريّ (١٨٦٠-١٩٠٤)، كردّة فعل على التيّار القائم ضدّ الساميّة، والغاية منها العودة إلى أرض إسرائيل وإنشاء دولة يهوديّة. على هذا الأساس كان وعد بلفور (Balfour) سنة ١٩١٧ بإنشاء ما سمّي أوّلاً "**وطن قوميّ يهوديّ في فلسطين**". كان أرثر جيمس بلفور يومها وزير خارجيّة بريطانيا (١٩١٦-١٩١٩). عمل الانتداب الإنكليزيّ في فلسطين على إطلاق يد الحركة الصهيونيّة في اجتياح المنطقة، تحت رعاية الحاكم اليهوديّ هربرت صموئيل، وقد بدت معادية للكنيسة الكاثوليكيّة، كما وصفها بطريرك أورشليم المطران Barlessina في محاضرة ألقاها في روما في ١١ أيّار ١٩٢١. ولهذا أبدى

البابا بندكتوس الخامس عشر قلقه، في ١٣ أيّار ١٩٢١: "نشعر بقلق وخيبة، وقد عمد الإسرائيليّون إلى إقامة وضع مميّز ومتفوّق لهم في فلسطين. إنّ حال المسيحيين في فلسطين قد ازدادت سوءًا، بسبب الأنظمة المدنيّة هناك، والتي تهدف إلى إبعاد المسيحيّة عن المواقع التي كانت تشغلها حتّى الآن لتُحلّ مكانها اليهود" (خطاب إلى مجمع الكرادلة). وسبق للبابا نفسه أن نبّه في ١١ آذار ١٩١٩ إلى ما يجري: "يقلقنا بنوع خاصّ مصير الأماكن المقدّسة، إذ يُعهد بالمعابد المقدّسة الخاصّة بالمسيحيين إلى سواهم".

وتطوّر "الوطن القوميّ اليهوديّ في فلسطين" حتّى أصبح **دولة إسرائيل** بالقرار ١٨١ لمنظّمة الأمم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، والذي قسّم فلسطين إلى دولتين. وفي ١٤ أيّار ١٩٤٨ أعلنت نهاية الانتداب البريطانيّ، الساعة السادسة مساء. وبعد دقيقة، أعلن بن غوريون في الكنيست ولادة دولة إسرائيل التي اعترفت بها فورًا الولايات المتحدة الأميركيّة والاتحاد السوفياتيّ. وحالاً كانت هجرة ٤٠٠,٠٠٠ عربيّ من بيوتهم، فيما كان استقرّ في القدس ١٠٠,٠٠٠ إسرائيليّ. وهكذا بدأ سنة ١٩٤٩ الصراع العربيّ-الإسرائيليّ، والفلسطينيّ-الإسرائيليّ بمحطّاته الكبيرة: حرب حزيران سنة ١٩٦٧، وحرب تشرين سنة ١٩٧٣. فكان أن دفع لبنان ثمن هذا الصراع بالحروب التي بدأت سنة ١٩٧٥، كما دفع وما زال ثمن مفاوضات السلام العربيّة-الإسرائيليّة والفلسطينيّة-الإسرائيليّة التي تتعثّر سنة بعد سنة، ويتفاقم النزاع.

في ٣٠ كانون الأوّل ١٩٩٣، وُقّع في القدس **الاتفاق الفاتيكانيّ الإسرائيليّ**، وعنوانه: "اتفاق حول بعض المبادئ الأساسيّة التي تنظّم العلاقات بين الكرسيّ الرسوليّ ودولة إسرائيل". يعتبر الكرسيّ الرسوليّ

هذا الاتفاق مرحلة مهمّة في التزامه التاريخيّ الطويل في حماية حقوق الكنيسة وحريّاتها في الأرض المقدّسة، ومساهمة في دعم إرادة حوار أفضل، وصداقة أعمق، وتعاون أكبر بين الكاثوليك ويهود إسرائيل والعالم، ومساهمة أيضًا في تعزيز التقدّم على مسار السلام الجاري في منطقة الشرق الأوسط. أساس هذا الاتفاق الرسالة الروحيّة والأدبيّة الخاصّة بالكرسيّ الرسوليّ، الذي يظلّ خارج أيّ صراع أو نزاع زمنيّ بحت. غير أنّه لا يستطيع أن يتخلّى عن رسالته المميّزة ولا عن حقّه في الإدلاء بحكمه على البعد الأدبيّ الذي يتّصل بسائر المعضلات.

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

لن تخرج المجتمعات البشريّة هنا وهناك من أزماتها السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، ما لم تحتلّ التربية على السلام والديموقراطيّة مكانها الأوّل. هذا ما تسعى له **اللجنة الأسقفيّة لراعويّة السلام والديموقراطيّة**، وما درجنا على نقله في التنشئة المسيحيّة لزمن العنصرة.

١. **يقوم السلام العادل والدائم على احترام حقوق الانسان.** هكذا تؤكّد رسالة البابا بندكتوس السادس عشر ليوم السلام العالميّ (أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧). وهذه الحقوق تقوم على مفهوم صحيح وكامل للشخص البشريّ. فإذا ضعف مفهومه ضعفت حقوقه. من المؤسف حقًّا أن تخضع الحقوق، التي تُعلن بصفة المطلق، لمفهوم نسبيّ للشخص البشريّ. هل يقوم المطلق على أساس نسبيّ؟ وبأيّ حقّ ترفض الحقوق أو توضع جانبًا من أحد، عندما تكون مقتضاياتها "مزعجة" له ولمصالحه الخاصّة؟

السلام يتحقّق فقط عندما يُعطى كلّ إنسان حقوقه، دونما خوف من نكرانها، وعندما تُعتبر متأصّلة في مقتضيات طبيعته المعطاة له من

الخالق. ومن المعلوم أيضًا، **لكي يكتمل بناء السلام**، أن تقتضي حقوق الانسان واجبات منه بالمقابل. فيما يعطى حقوقه، يؤدّي هو ما عليه من واجبات. إذا كانت هذه المبادئ واضحة، يمكن عندئذٍ الدفاع عن حقوق الشخص البشريّ وحمايتها من الاعتداءات المتواصلة عليها.

وثمّة **التباس** يظهر في استعمال لفظة "**الحقوق البشريّة**"، لأنّه ينطوي على نوايا غامضة تميّز بين الأشخاص: بالنسبة إلى البعض، الشخص البشريّ هنا مطبوع بكرامة ثابتة ويعطى دائمًا وأينما كان كلّ حقوقه، وبالنسبة إلى غيرهم، يكون الشخص البشريّ ذا كرامة متغيّرة وحقوق متنازع عليها في مضمونها وزمنها ومكانها (الرسالة، فقرة ١٢).

هذا هو أساس النزاعات التي تقوّض السلام الاجتماعيّ.

٢. **الديموقراطيّة**، من جهتها، تنطلق هي أيضًا من كرامة الشخص البشريّ المتأصّلة في احترام الحياة البشريّة، بدءًا من اللحظة الأولى للحبل بها، وتحمي هذه الكرامة. ولكي تفعل الديموقراطيّة ذلك، ينبغي أن تتّصف بالخلقيّة.

لذا، تدعو الكنيسة **البرلمانيين المسيحيين** لاستعمال حقّهم وواجبهم في التدخّل من أجل حماية المفهوم العميق للحياة، وتحمّل مسؤوليّتها المشتركة. فاعتبرت بلسان خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني أنّ على المسؤولين عن التشريع "واجبًا نفيسًا يلزمهم بالاعتراض" بوجه كلّ شريعة تؤدّي إلى اغتيال الحياة البشريّة، وأن من غير الممكن أن يشاركوا في حملات إعلاميّة لصالح شرائع من هذا النوع، ولا يُسمح لأحد أن يساندها بصوته الشخصيّ (إنجيل الحياة، ٧٣).

وبالمقابل، إذا تعذّر على عضوٍ في البرلمان أن يتجنّب أو أن يُلغي تمامًا

قانونًا يجيز الإجهاض، فيسوّغ له، في حال اعتلان معارضته الشخصيّة المطلقة على الإجهاض، وشيوعها عند الجميع، أن يدلي بدعمه لمقترحات تهدف إلى الحدّ من أضرار مثل هذا القانون، والتخفيف من مفاعيله السلبيّة على صعيد الثقافة والأخلاق العامّة. فإذا تصرّف هكذا، لا يقوم بمساهمة لا شرعيّة في قانون ظالم، بل يضطلع بمسعى شرعيّ وبواجب يؤول إلى الحدّ من مفاعليه الجائرة (إنجيل الحياة، ٧٣).

في هذا الإطار، لا بدّ من الاضافة أنّ الضمير المسيحيّ المثقّف، لا يسمح لأحد بأن يصوّت من أجل تحقيق برنامج سياسيّ أو تطبيق شريعة تتنافى والمضامين الأساسيّة للايمان والأخلاقيّة، في ما تقترح من بدائل أو في ما هو معاكس لهذه المضامين (مجمع عقيدة الايمان، مذكّرة تعليميّة حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك ومسلكهم في الحياة السياسيّة، ٤).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

نواصل التفكير معًا في مضمون النصّ التاسع عشر من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، وبوجه التحديد في الفصل الثالث وعنوانه "**التحدّيات**".

يكوّن هذا الفصل النظرة الاستراتيجيّة إلى المستقبل إنطلاقًا من عيش الهويّة والرسالة في ظروف تتميّز بثلاثة: **أوّلاً**، ممارسة السيادة والاستقلال وحريّة القرار بعد انسحاب الجيش الإسرائيليّ من الجنوب، وجلاء القوّات السوريّة من المناطق اللبنانيّة؛ **ثانيًا**، المخاض الحضاريّ الذي يعاني منه العالم العربيّ؛ **ثالثًا**، النظام العالميّ الجديد. يرى النصّ تحدّيات أوّليّة ينبغي مواجهتها: العيش المشترك، بناء دولة ديموقراطيّة حديثة،

المصالحة مع السياسة، والانتشار المارونيّ في أبعاده السياسيّة (الفقرات ٣٥-٥٩).

### العيش المشترك

العيش المشترك **تجربة لبنانيّة مميّزة**، وخبرة، ومسؤوليّة مشتركة، وقدر اللبنانيين، وخيارهم الحرّ يرسّخونه كلّ يوم، رغم الصعوبات، على الأسس التي تجمع، وهي: الايمان بإله واحد، الانتماء إلى وطن واحد، والارتباط بمصير واحد، ودعوة من الله لنكون معًا ونبني معًا، مسؤولين بعضنا عن بعض (فقرة ٣٦). وهو **نمط حياة** قوامه: تواصل وتفاعل بين الأشخاص، واحترام الآخر في تمايزه وفرادته، واحترام الحياة في تنوّعها وغناها؛ وخلاصة موحّدة لمكوّنات الانسان المتعدّدة (فقرة ٣٧). إنّه وعي جديد للذات اللبنانيّة والوطن أدّت إليه اختبارات الحرب، وهو أن يعيش المسيحيّون والمسلمون في وطنهم الواحد، مختلفين من حيث الانتماء الدينيّ، ومتساوين في مواطنيتهم؛ وأنّ مصير كلّ واحد منهم مرتبط بمصير الآخر. فليس من حلّ لمجموعة دون أخرى، ولا لمجموعة على حساب أخرى (فقرة ٣٨).

و**العيش المشترك** مساهمة ضروريّة لوضع حدّ لدوّامة العنف التي تضع وجهًا لوجه هويّات ثقافيّة وسياسيّة متنوّعة، تجعل من كلّ واحدة منها خطرًا يتهدّد الأخرى (فقرة ٣٩). إذا حافظ اللبنانيّون على صيغة العيش المشترك بوجهه الصحيح والسليم، في مجتمع ديموقراطيّ قائم على التعدّديّة في الوحدة، وانتقل هذا الاختبار إلى العالم العربيّ في مخاضه الحاليّ، يتمّ التعريف بأنّ العروبة رابطة حضاريّة تقرّب بين العرب، لا مشروع سياسيّ يباعد بينهم، بل أيضًا عنصر إيجابيّ في صنع الحضارة الانسانيّة، وفي تثبيت دعامة الاستقرار والسلام (فقرة ٤٠).

**العيش المشترك** حاجة مستمرّة للتفاعل بين المسيحيّة والإسلام. فلا تكون النظرة الغربيّة إلى المسلمين كأنّهم يشكّلون تهديدًا، ولا تكون النظرة الإسلاميّة إلى تحرّك الغرب كأنّه مبنيّ على اعتبارات دينيّة، في حين أنّه محكوم بمصالح لا تمّت إلى الدين بصلة (فقرة ٤٣).

تفاعلت الكنيسة المارونيّة بانفتاح مع التاريخ السياسيّ لمحيطها العربيّ، ملتزمة قضاياه، ولاعبة دورًا رائدًا في بلورة الوعي السياسيّ العربيّ عبر دور الموارنة في الحداثة وحركة التحرّر والفكر والصحافة (الفقرة، ٤٢).

***

**صلاة**

تعال أيّها الروح القدوس، واجعل الانجيل قوّة حياة، والكنيسة شركة، والسلطة خدمة، والليتورجيّا تذكارًا حيًّا، والنشاط البشريّ مسلكًا خلقيًّا ومسيرة شجاعة تعلن الحقيقة وتوطّد الحريّة. بحلولك أيّها الروح، وبفعلك في داخل الانسان، تبيّن للعالم أنّ الله قريب، لا بعيد، وأنّه يعيش وسط شعبه، وتجعلنا ندرك أنّ "ملكوت الله في داخلنا" (لو ١٧/ ٢١). لك وللآب والابن، كلّ مجد وسجود وإكرام إلى الأبد، آمين.

الأحد ١ تموز ٢٠٠٧

# الأحد السادس من زمن العنصرة

## الرسالة المسيحيّة وتحدّياتها

### إنجيل القدّيس متّى١٠/١٦-٢٠

قال الربّ يسوع لتلاميذه: «ها أنا أرسلكم كالخراف بين الذئاب. فكونوا حكماء كالحيّات، وودعاء كالحمام. إحذروا الناس! فإنّهم سيسلّمونكم إلى المجالس، وفي مجامعهم يجلدونكم. وتساقون إلى الولاة والملوك من أجلي، شهادة لهم وللأمم. وحين يسلّمونكم، لا تهتمّوا كيف أو بماذا تتكلّمون، فإنّكم ستعطون في تلك الساعة ما تتكلّمون به. فلستم أنتم المتكلّمين، بل روح أبيكم هو المتكلّم فيكم. وسيسلّم الأخ أخاه إلى الموت، والأب ابنه، ويتمرّد الأولاد على آبائهم ويقتلونهم. ويبغضكم جميع الناس من أجل اسمي، ومن يصبر إلى المنتهى يخلص. وإذا اضطهدوكم في هذه المدينة، أهربوا إلى غيرها. فالحقّ أقول لكم: لن تبلغوا آخر مدن إسرائيل حتّى يأتي ابن الانسان. ليس تلميذ أفضل من معلّمه، ولا عبدٌ من سيّده. حسب التلميذ أن يصير مثل معلّمه، والعبد مثل سيّده. فإن كان سيّد البيت قد سمّوه بعل زبول، فكم بالحريّ أهل بيته؟».

***

تنطلق الكنيسة بإرسال من يسوع المسيح "إلى أقاصي الأرض" (أعمال ١/٨)، لتواصل إعلان إنجيل الخلاص للعالم أجمع:، كما أرسله الآب، ولهذا يمنحها الروح القدس (أنظر يوحنّا ٢٠/٢١-٢٣). يكشف الربّ لأبناء الكنيسة

الصعوبات والمحن والاضطهادات التي سيلقونها، لكنّه يعطيهم الضمانة أنّهم لن يكونوا وحدهم لتأدية رسالتهم، بل سيتلقّون العون والوسائل الكفيلة بتأديتها، من الربّ يسوع وحضور الروح وقوّته (رسالة الفادي، ٢٢-٢٣).

## ■ أوّلاً، مضمون الانجيل

### ١. الرسالة وتحدّياتها

**"ها أنا مرسلكم كالخراف بين الذئاب"** (متّى ١٠/١٦).

**الكنيسة** من طبعها **مرسلة** لتواصل رسالة الفادي التي ائتُمنت عليها، بحيث تشمل البشريّة جمعاء، فتجدّد، من جهة، الايمان وتقوّيه، وتنشّط الحياة المسيحيّة لدى أبنائها، ومن جهة ثانية، تعلن إنجيل المسيح إلى جميع شعوب الأرض، "لغاية وحيدة هي خدمة الانسان بإظهار محبّة الله التي في يسوع المسيح"، ذلك أنّ "الفداء الذي تمّ بالصليب أعاد إلى الانسان، وإلى الأبد، كرامته ومعنى وجوده في العالم" (رسالة الفادي، ٢).

**المسيحيّون**، بحكم معموديّتهم، **مرسلون**، ليعلنوا، في سيرة حياتهم وكلامهم ومواقفهم وأعمالهم، أنّ يسوع المسيح هو المخلّص الوحيد للجميع، وهو الذي وحده يقدر أن يظهر الله وأن يقود إلى الله. رسالتهم هي إيّاها رسالة الكنيسة التي تهدف إلى أن توجّه عقل الانسان وتهدي البشر أجمعين وخبرتهم نحو سرّ المسيح (المرجع نفسه، ٤-٥).

غير أنّ للرسالة مخاطرها وصعوباتها، لأنّ الكنيسة وأبناءها **"مرسلون كالخراف بين الذئاب"** (متّى ١٠/١٦) . **"الخراف"** رمز البراءة والصفاء والفداء والانتصار، وقد أصبح يسوع المسيح "حمل الله الذي يرفع خطيئة العالم" (يو ١/٢٩)، بصلبه وقيامته، "منتصرًا على التنّين العظيم، الحيّة القديمة

المدعوّة الشيطان، مضلّل المسكونة بأسرها؟ (رؤيا ١٢/٩). بدم هذا الحمل يتنقّى وينتصر حاملو رسالة الخلاص، كما رآهم يوحنّا في رؤياه: "رأيت جمعًا غفيرًا من الناس واقفين أمام العرش وأمام الحمل، موشّحين بالحلل البيضاء، وبأيديهم سعف النخل... إنّهم الآتون من الضيق الشديد، وقد غسلوا حللهم وبيّضوها بدم الحمل" (رؤيا ٧/٩ و١٤).

"**الذئاب**" هم أعداء المسيح، وأعداء كلّ حقّ وخير وجمال. هم الأشرار، الذين باعوا نفوسهم للشيطان وللشرّ، "ويقتحمون حظيرة الخراف لافتراسها وتبديدها" (يو ١٠/١٢). هكذا ودّع بولس الرسول كهنة كنيسة أفسس: "اهتمّوا بأنفسكم وبكلّ القطيع الذي أقامكم الروح القدس عليه، لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدم ابنه يسوع. أنا أعلم أنّ **ذئابًا ضارية سوف تندسّ بينكم،** بعد رحيلي، ولن ترفق بالقطيع. ومنكم أنتم سيقوم رجال ينطقون بتعاليم منحرفة ليجرّوا التلاميذ وراءهم" (أعمال ٢٠/٢٨-٣٠). والذئاب هم رمز الرؤساء الذين، بدلاً من حماية القطيع، ينقضّون عليه كالذئاب، كما كانت كلمة الربّ على لسان حزقيال النبيّ: "في وسط الأرض مؤامرة: كأسدٍ زائر مفترس فريسة قد التهموا النفوس وأخذوا المال والنفيس، وكثّروا الأرامل فيها. وفي وسطها رؤساؤها كالذئاب المفترسة الفريسة، سافكين الدم، مهلكين النفوس، لكي يكسبوا كسبًا" (حز ٢٢/٢٥ و٢٧).

يوصي الربّ يسوع هؤلاء المؤمنين حاملي رسالة الشهادة "**بوداعة الحمام وحكمة الحيّات**" (متّى ١٠/١٦)، في أداء الرسالة والحذر من سطوة الذئاب. إنّ كتاب أعمال الرسل يروي لنا رسالة الكنيسة الأولى وما عانت من اضطهاد ومحن، كما أنبأها يسوع في إنجيل اليوم. وكتاب رؤيا يوحنّا استباق لما ستعاني الكنيسة من محن واضطهادات، من جيل إلى جيل حتّى نهاية العالم. لكنّ الربّ المسيح يهديها: إنّه "**كوكب الصباح الساطع**"، الآتي

عاجلاً إلى الكنيسة العروس الهاتفة مع الروح: "تعال أيّها الربّ يسوع" (رؤيا ١٦/٢٢ و١٧ و٢٠).

## ٢. نظرة إلى الحاضر

تواجه رسالة الكنيسة اليوم **صعوبات داخليّة وخارجيّة**. فمن الداخل، "تتعرّض المسيحيّة لتجربة تقليصها إلى مجرّد حكمة بشريّة، وبنوع ما إلى علم حياة الرفاهية. في عالم متعلمن للغاية، ظهرت علمنة متطوّرة لمفهوم الخلاص. لكن في المقابل، نحن نعلم أنّ يسوع جاء حاملاً الخلاص الكامل العجيب الذي يتناول الانسان كلّه جسدًا ونفسًا وروحًا والبشر جميعًا، ويجعلهم ينفتحون على أفق البنوّة الإلهيّة" (رسالة الفادي، ١١). **ومن الخارج**، "إنّ بعض البلدان تمنع المرسلين من الدخول إليها، والبعض الآخر لا يمنع فقط من إعلان إنجيل الخلاص، بل أيضًا من الاهتداءات وأعمال العبادة المسيحيّة، وفي أمكنة أخرى تكون الحواجز على صعيد ثقافيٍّ بحيث يُعتبر اهتداء المرء تخلّيًا عن شعبه وثقافته" (المرجع نفسه، ٣٥).

ولا بدّ من الإشارة إلى **صعوبات أخرى هي** "التعب والانزعاج، الرتابة واللامبالاة، وبالأكثر فقدان الفرح والرجاء" (البابا بولس السادس، واجب التبشير بالانجيل، ٨٠). أضف إليها انقسامات المسيحيين، في الماضي والحاضر، التي تشكّل عقبات كبيرة أمام روح الرسالة في الكنيسة (القرار المجمعيّ في نشاط الكنيسة الارساليّ، ٦). ثمّ هناك التقلّص المسيحيّ في عدة بلدان مسيحيّة، والنقص في الدعوات إلى الرسالة، والشهادات المعاكسة من قبل المؤمنين وجماعات مسيحيّة لا يتبعون مثال المسيح في حياتهم. وأخيرًا، أحد العوامل الأشدّ خطرًا لفقدان الاهتمام بالالتزام بالرسالة هو الذهنيّة المطبوعة

باللامبالاة الكثيرة الانتشار بين المسيحيين، والمبنيّة غالبًا على مفاهيم غير صحيحة مثل القول: "كلّ الأديان متساوية" (رسالة الفادي، ٣٦).

إنّ هذه الصعوبات الداخليّة والخارجيّة **يجب ألاّ تحمل إلى التشاؤم والتقاعس**. لنا ثقة تأتي من الايمان تؤكّد أنّنا لسنا نحن أنفسنا أبطال الرسالة، بل يسوع المسيح وروحه، وما نحن سوى معاونين: "حين يسلّمونكم، لا تهتمّوا كيف أو بماذا تتكلّمون، فإنّكم ستُعطون في تلك الساعة ما تتكلّمون به. فلستم أنتم المتكلّمين، بل روح أبيكم هو المتكلّم فيكم" (متّى ١/١٩-٢٠).

**ليست الرسالة محصورة بالانجيل والشأن الروحيّ**، وكأنّها منسلخة عن واقع الانسان بكلّيته وبمختلف أبعاده الثقافيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والإنمائيّة. الكنيسة ومؤسّساتها تعمل من أجل كلّ هذه الأبعاد. نأمل أن يفعل أهل الحكم كذلك. من المؤسف أن لا صلة بين الحاكم والشعب الذي انتدبه. فلكي يكون الحاكم متّصلاً بالجميع ينبغي أن يلتمس الاتّحاد بالله، أي منصرفًا عن شهواته وشهوة المتملّقين لكي يخدم جميع الموطنين بدون روح الزبانية المتأصّلة عند الحاكم والمحكوم. وطالما الشعب لا يثق بأنّ مسؤولي الدولة الكبار منزّهون، فإنّ حاكميّة الدولة مستحيلة. أجل ما لم يُلغ الطلاق بين أهل العلم والمتعاطين الشأن العامّ، لن تشفى الأمّة وتستقيم الدولة. عند ذاك يبدأ الرجاء.

على **المستوى الاقتصاديّ**، مؤسّسات القطاع الخاصّ تعاني اختناقًا حادًّا قضى على الكثير منها ويهدّد بقاء أخرى. خزينة القطاع العامّ تنوء بأثقال الديون. فلا الاقتصاد قادر على تخفيف ديون القطاع العامّ، ولا القطاع العامّ يرعى مصالح القطاع الخاصّ أو يفكّ الخناق عن مؤسّساته. والسبب في

ذلك هو السلوك الاقتصاديّ والنقديّ الرسميّ الذي سخّر الموارد الماليّة للبلاد في خدمة أوهام اقتصاديّة وسياسيّة، وفي إنفاق رسميّ طحن مليارات الدولارات واستنزف قدرات القطاعين العامّ والخاصّ لمصلحة بعض أهلهما. إنّ القطاع العامّ في لبنان بات يعمل لنفسه متخلّيًا عن دور الإدارة والرعاية لشؤون القطاع الخاصّ، همّه عجزه وديونه وحساباته والتمسّك ببعض الأوهام الاقتصاديّة على حساب القطاع الخاصّ ومصالحه الحيويّة. وسائله ضرائب ورسوم ومصادرة مزيد من الثروة الماليّة في البلاد واستبعاد القطاع الخاصّ عنها. فهو كأمّ تأكل من صحن طفلها (الدكتور إيلي يشوعي، في جريدة النهار: لا ليغيّروا بل ليتغيّروا، الأحد ٢٠ تمّوز ٢٠٠٣). أضف إلى هذه الأزمة الاقتصاديّة الخانقة **الأزمة السياسيّة** التي تعطّل منذ شهور كلّ شيء. وهذا إجرام بحقّ الشعب والدولة.

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

نقتنع يومًا بعد يوم كم أنّ أبناء هذا المجتمع بحاجة إلى التربية على السلام والديموقراطيّة. الواقع الذي نعيشه في مجتمعنا يبيّن أنّ الناس، ولاسيّما المسؤولين، فقدوا مفهوم السلام والديموقراطيّة.

١. **السلام** يعني في جوهره **إعطاء الانسان والشعب**، في مجتمع محدّد وواقعيّ، ما له من **حقوق أساسيّة، تتحدّر مباشرة من طبيعة الانسان.** إذا فقدنا هذا المفهوم وقع الخلل.

في رسالته ليوم السلام العالميّ (أوّل كانون الثاني ٢٠٠٧) ذكّر البابا بندكتوس السادس عشر الدول، وبخاصّة منظّمة الأمم المتحدة، أنّ الإعلان العالميّ لحقوق الانسان سنة ١٩٤٨، إنّما كان التزامًا أدبيًّا أخذته البشريّة بكاملها على عاتقها، وأنّ لهذا الإعلان أساسًا، ليس فقط

في قرار منظّمة الأمم التي أقرّته، بل في طبيعة الانسان عينها، وفي ما له من كرامة لا تنتزع، لأنّ الله هو الذي خلقه.

وأضاف قداسته: "من الأهميّة بمكان ألاّ يغيب عن خاطر الأمم المتحدة هذا الأساس الطبيعيّ لحقوق الانسان، لكي تتجنّب خطر الانزلاق. وإذا صدف أن انزلقت، فستفقد سلطتها اللازمة لتقوم بدور المدافع عن حقوق الانسان والشعوب الأساسيّة. وهذا مبرّر وجودها" (فقرة ١٣). والسلام يتطلّب وسيلة فاعلة لحماية هذه الحقوق وتعزيزها.

يشير الأب الأقدس إلى أنّه مذ صار الوعي بأنّ ثمّة حقوقًا إنسانيّة لا تنتزع لارتباطها بطبيعة الانسان المشتركة، وضع **شرع دوليّ إنسانيّ**، تعهّدت الدول التقيّد به وبخاصّة في حال الحرب. إنّه يقتضي حماية الضحايا البريئة ومساعدتها، والامتناع عن توريط المدنيين في قلب الصراع. ومن الضرورة أن تواجه الدول المدّ الأصوليّ، الذي يبتكر صيغًا للعنف، بمقتضيات الشرع الدوليّ الانسانيّ. ومن الملحّ، أمام آفة الأصوليّة، التفكير العميق في الحدود الأخلاقيّة المتعلّقة باستعمال الأدوات المسلّحة، وبواجب العمل على توطيد الأمن الوطنيّ (فقرة ١٤).

٢. **الديموقراطيّة**، هي أيضًا تقوم على أسس الأخلاقيّة الطبيعيّة، فتثمر سلامًا هو بدوره ثمرة العدالة والمحبّة (كتاب التعليم المسيحيّ، ٢٣٠٤). إذا فُقدت الأخلاقيّة الطبيعيّة وقعت الفوضى الأدبيّة، وقامت الفوضى السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، وسواها. نعرف من التاريخ أنّ ديموقراطيّة آتينا المثاليّة سقطت عندما انهارت الأخلاقيّة الطبيعيّة (éthique naturelle).

يقوم النظام الديموقراطيّ على **حقّ المساءلة والمحاسبة** من قبل جميع المواطنين.

ما هو مضمون المساءلة والمحاسبة؟

يُسَاءل أصحاب السلطة ويحاسبَون **عن الحياة البشريّة**، وحمايتها من أيّ تعدٍّ أو تعذيب أو حرمان، بدءًا من اللحظة الأولى لتكوينها في حشا الأمّ حتّى آخر نسمة من حياتها، التي للخالق وحده وضع حدّ لها.

يُساءلون ويحاسبون عن **العائلة** وحقوقها وكرامتها، عن وحدتها واستقرارها، عن خيرها ونموّها، عن هنائها وسعادتها، وعن حقّ الوالدين في تربية أولادهم وفقًا لقناعاتهم وتقاليدهم وقيمهم.

يُساءلون ويحاسبون **عن حماية القاصرين الاجتماعيّة**؛ وعن انحراف المواطنين **نحو الادمان على المخدرات والدعارة**، وهي إشكال جديدة للعبوديّة؛ **وعن اقتصاد** يكون في خدمة الشخص، والخير العامّ، باحترام العدالة الاجتماعيّة ومبدأ التضامن الانسانيّ، وتأمين حقوق الأشخاص والعائلات والمجموعات وممارستها (مجمع الايمان: مذكّرة تعليميّة حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك في الحياة السياسيّة، ٤).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الجماعات في الرعيّة والمدرسة والمؤسّسات الرهبانيّة والمجتمع، التفكير معًا في النصّ المجمعيّ التاسع عشر: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، وتحديدًا في الفصل الثالث، حول **التحدّيات الأوّليّة** التي تواجهها النظرة الإستراتيجيّة إلى المستقبل. بعد العيش المشترك، يأتي الالتزام **ببناء دولة ديموقراطيّة حديثة** (فقرة ٤٤ و٤٥).

يعتبر النصّ المجمعيّ أنّ صيغة العيش المشترك تحتاج، من أجل حمايتها، إلى دولة ديموقراطيّة حديثة، قائمة على التوافيق بين **المواطنيّة والتعدّديّة**. المواطنيّة تقتضي المساواة في الحقوق والواجبات بين الجميع؛ والتعدّديّة تقتضي العمل بمبدأ المشاركة في الحكم والإدارة من قبل الجميع، عملاً بمقدّمة الدستور اللبنانيّ: "لا شرعيّة لأيّ سلطة تناقض ميثاق العيش المشترك" (فقرة ٤٤).

**أمّا الدولة الديموقراطيّة المنشودة** فهي التي تؤمن:

أ. التمييز الصريح، حتّى حدود الفصل، بين الدين والدولة، فلا الدين يسّيس ولا الدولة تعتّد بالدين.

ب. الانسجام بين الحريّة التي هي في أساس فكرة لبنان، والعدالة القائمة على المساواة في الحقوق والواجبات، كأساس للعيش المشترك.

ج. الانسجام بين حقّ المواطن الفرد في قراراته الشخصيّة المصيريّة، وحقّ الجماعات في الحضور والحياة على أساس خياراتها. والانسجام بين استقلال لبنان ونهائيّة كيانه، وبين انتمائه العربيّ وانفتاحه على العالم (فقرة ٤٥).

***

**صلاة**

هلمّ أيّها الروح القدس، نحن بحاجة إليك لتنير الدرب الذي يجب أن نسلكه في رسالة الكنيسة وبناء المجتمع. إليك نفتح قلوبنا لتملأها عزاءً،

وشفاهنا لتضع عليها كلمة الحقّ. نحن نؤمن أنّك ساكن فينا، وأنّك ضيف نفوسنا الدائم واللطيف. صوّرنا أيّها الروح القدّوس على صورة المسيح لنشهد له باللسان والعمل. صلِّ فينا لنرفع آيات الحمد والتسبيح والشكر للثالوث المجيد الآب والابن والروح القدس، آمين.

الأحد ٨ تمّوز ٢٠٠٧

# الأحد السابع بعد العنصرة

## الاختيار والارسال لعمل الخلاص

### إنجيل القدّيس لوقا١٠/١-٧

عيّن الربّ يسوع اثنين وسبعين آخرين، وأرسلهم اثنين اثنين أمام وجهه إلى كلّ مدينة وموضع كان مزمعًا أن يذهب إليه. وقال لهم: «إنّ الحصاد كثير، أمّا الفعلة فقليلون. أطلبوا إذًا من ربّ الحصاد أن يُخرج فعلة إلى حصاده. إذهبوا. ها أنا أرسلكم كالحملان بين الذئاب. لا تحملوا كيسًا، ولا زادًا، ولا حذاءً، ولا تسلّموا على أحد في الطريق. وأيّ بيتٍ دخلتموه، قولوا أوّلاً: السلام لهذا البيت. فإن كان هناك ابن سلام فسلامكم يستقرّ عليه، وإلاّ فيرجع إليكم. وأقيموا في ذلك البيت تأكلون وتشربون ممّا عندهم، لأنّ الفاعل يستحقّ أجرته. ولا تنتقلوا من بيت إلى بيت».

***

اختيار وإرسال عامودان يقوم عليهما تصميم الله الخلاصيّ. فالله، بالمسيح **يختار** من يقود شعبه إلى ميناء الخلاص، **ويرسل** المختارين، في كلّ مكان وزمان، ليعدّوا طريقه إلى العقول بكلمة الانجيل الهادية، وإلى النفوس بنعمة الأسرار الشافية، وإلى القلوب بهبة روح المحبّة المحيية. إنّها رسالة إنجيل السلام لكلّ إنسان. ولأنّ الحصاد كثير، وحاجات البشر لا حدّ لها، يدعو الربّ يسوع للصلاة إلى الله "ليرسل فعلة لحصاده" (لو ١٠/ ٢).

## ■ أوّلاً، حول نصّ الانجيل

### ١. الاختيار والإرسال

إنجيل اليوم يكشف مظهرًا آخر من وجه الكنيسة الرسوليّة، هو وجه **الاختيار والارسال**. الهدف إدخال جميع الناس في شركة **الخلاص**، بالاتّحاد بالله، وبالوحدة بين البشر.

"**إذهبوا، ها أنا أرسلكم كالخراف بين الذئاب**" (لو ١٠/٣).

"**الخراف**" هم رمز الذين يعيشون في هذه الشركة، و"**الذئاب**" رمز الذين لم يعرفوها. فيما الأوّلون يتميّزون بالوداعة والبراءة والعطاء، الآخرون يعتدون ويخطفون وينهشون. **واشترط** الربّ على المرسلين-الخراف أن يتميّزوا **بالتجرّد** من خيرات الدنيا: "لا تحملوا أكياسًا ولا مزاود ولا حذاء"، **وعدم التلهّي** بشؤون الناس الزمنيّة: "لا تسلّموا على أحد في الطريق" (لو ١٠/٤-٥). **وحمّلهم رسالة السلام** لجميع الناس: "أيّ بيتٍ تدخلون، قولوا أوّلاً: السلام لهذا البيت" (لو ١٠/٥). **وحثّ المؤمنين على الاحسان** لفعلة الانجيل: "كونوا في ذلك البيت تأكلون وتشربون ممّا عندهم، لأنّ الفاعل يستحقّ أجرته". **وحذّر** حاملي رسالة المسيح من أن يكونوا عبئًا على أحد: "لا تنتقلوا من بيت إلى بيت" (لو ١٠/٧).

في رسالته بمناسبة يوم الصلاة الرابع والأربعين من أجل الدعوات الإكليريكيّة لهذه السنة، قال قداسة البابا إنّ **الاختيار والإرسال يهدفان إلى خدمة الكنيسة-الشركة**. من هذه الرسالة نستخلص شرح إنجيل اليوم.

لقد اختار الله دائمًا أشخاصًا ليعاونوه مباشرة في تحقيق تصميمه الخلاصيّ. فدعا في العهد القديم **ابراهيم** لينشىء شعبًا كبيرًا (تك ١٢/٢)، ثمّ **موسى** ليحرّر شعبه من عبوديّة مصر (خروج ٣/١٠)، ومن بعدهما الأنبياء

ليدافعوا عن العهد الذي قطعه مع شعبه، ويحفظوه حيًّا في النفوس. وفي العهد الجديد، بدأ بدعوة **صيّادي السمك** في الجليل لاتّباعه، وجعلهم صيّادين للبشر (مر ١/١٧؛ متّى ٤-١٩)، واستكمل دعوة الاثني عشر ليكونوا معه ويشاركوه في رسالته (مر ٣/١٤). وما زال إلى اليوم يدعو من يشاء للغاية نفسها.

لماذا الاختيار والدعوة؟ وإلامَ تهدف رسالة الكنيسة في جوهرها؟ الجواب يأتي من صلاة يسوع من أجل الذين دعاهم وأرسلهم: "أيّها الآب، لقد عرّفتهم اسمك، وسأعرّفهم أيضًا، لكي تكون فيهم محبّتك التي أحببتني بها، وأكون أنا فيهم" (يو ١٧/٢٦). **إنّها الشركة العميقة والأمينة مع الله وفيما بينهم.**

**الكنيسة شعب** يأخذ وحدته من اتّحاد الآب والابن والروح القدس، فينعكس عليه سرّ الله الثالوث، بحيث يشكّل، برباط المحبّة الثالوثيّة المسكوبة في القلوب، بفعل الروح القدس، **جسدًا واحدًا وروحًا واحدًا**، هو المسيح الكلّيّ (الدستور العقائديّ "في الكنيسة"، ٤).

هذا الشعب المنظّم عضويًّا بقيادة رعاته الكنسيين، يعيش سرّ الشركة مع الله وبين الأخوة، عندما يجتمع حول مائدة الأفخارستيّا، في قدّاس يوم الأحد. سرّ القربان هو ينبوع وحدة الكنيسة وشركتها. فيه يمتلئ قلب المؤمن من محبّة الله، وينطلق إلى خدمة ملكوته، ملكوت الحقيقة والحريّة، العدالة والمحبّة، القداسة والغفران. في الجماعة الكنسيّة الموحّدة والمتضامنة، المسؤولة والفاعلة، يمكن سماع نداء الله وتمييز صوته.

### ٢. خدمة الشركة

**"أرسلهم اثنين اثنين، أمام وجهه، إلى كلّ موضع ومدينة حيث كان مزمعًا أن يمضي"** (لو ١٠/١).

من بعد أن أدخلهم الربّ يسوع في الشركة معه ومع الله، وجعلهم واحدًا في الشركة بعضهم مع بعض، أرسلهم ليعرّفوا الناس على اسمه وعلى الحقيقة التي حملها إليهم، وهي حقيقة الله والانسان والتاريخ. في كتاب أخير لقداسة البابا بعنوان "**يسوع الذي من الناصرة**"، يطرح السؤال الذي ينبغي أن يطرحه كلّ إنسان: **من هو الله؟** ويجب أن تطرح كلّ الديانات والثقافات سؤالاً آخر ناتجًا عن الأوّل: **من هو الانسان؟** كم يحتاج عالم اليوم إلى أن يطرح، في ظلمة أزماته السياسيّة والاقتصاديّة، الروحيّة والثقافيّة، هذين السؤالين المتلازمين!

**في أساس الإرسال النداء الالهيّ.** فلا بدّ من سماع صوت الله الذي يدعو ويرسل. نحتاج كلّنا إلى "التربية" على سماع نداء الله، كما ساعد عالي فتاه صموئيل على فهم ما يطلب منه الله وعلى إتمامه سريعًا. لقد علّمه أن يقول عندما يسمع صوت الربّ: "تكلّم، يا ربّ، فإنّ عبدك يسمع" (١ صموئيل ٣/٩). ولمّا أخبر الفتى صموئيل ما قاله الربّ بشأن عالي، وكان كلامًا صعبًا ومحرجًا، قال عالي: "هو الربّ، فما حسن في عينيه، فليفعل" (١ صموئيل ٣/١٨). وهكذا أصبح صموئيل نبيًّا مرسلاً من الله إلى الشعب كلّه.

يعلّق قداسة البابا، في رسالته بمناسبة يوم الصلاة من أجل الدعوات الكهنوتيّة، على هذا الحدث: إنّ سماع نداء الله، سماعًا مطواعًا وأمينًا، يقتضي جوًّا من الشركة مع الله لتمييز صوته، والشركة بين الناس لخلق جوّ

ملائم لسماعه، فحيث "يلتقي اثنان باسم الله، يكون هو الثالث بينهما"، وإذا اتّفق اثنان لطلب أمر من الله، كان لهما" (متّى ١٨/١٩-٢٠).

فلا بدّ من **التربية على الشركة الكنسيّة الأصيلة**. وهذا واجب على الوالدين في البيت، وعلى الكهنة في رعاياهم. فالزواج والكهنوت هما لخدمة الشركة. **الكاهن** هو "خادم الكنيسة-الشركة، لأنّه بالاتّحاد مع الأسقف والرباط الوثيق مع الجسم الكهنوتيّ، يبني وحدة الجماعة الكنسيّة في تناغم الدعوات والمواهب والخدمات" (أعطيكم رعاة، ١٦). ومن واجب الأساقفة والكهنة أن يوجّهوا كلّ خدمة وكلّ موهبة، عند أبناء الكنيسة وبناتها، إلى الشركة الكاملة. ومعروف أيضًا أنّ **الحياة المكرّسة**، في الأديار وفي العالم، إنّما هي في خدمة الشركة، من خلال إذكاء المحبّة الأخويّة تحت شكل الحياة المشتركة، والأخوّة النابعة من الايمان بالثالوث القدّوس (الارشاد الرسوليّ "في الحياة المكرّسة"، ٤١).

إنّ **الشركة في العائلة وفي الرعيّة وفي الجماعة المكرّسة**، تجد نبعها وغايتها في سرّ القدّاس، "فالأفخارستيّا ينبوع حياة الكنيسة وذروتها". من يلتزم بخدمة إنجيل العائلة والحياة أو إنجيل الخلاص أو إنجيل المحبّة الكاملة، وهو إنجيل واحد، ويعيش من سرّ القربان، إنّما يتقدّم في المحبّة تجاه الله والناس، ويساهم في بناء الكنيسة-الشركة. ما أحوجنا إلى مسيحيين يطبعون بروح الانجيل الشؤون الزمنيّة التي يعملون فيها: السياسة والإدارة والقضاء والاقتصاد والتجارة والإعلام والأمن وسواها. "الحبّ القربانيّ" هو الذي يطلق ويؤسّس كلّ نشاط كنسيّ ومدنيّ، وفي الليتورجيّا نختبر محبّة الله، ونتبصّر حضورها، ونتعلّم معرفتها في حياتنا اليوميّة (من رسالة البابا ليوم الدعوات).

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

١. **السلام** هو غاية رسالة الكنيسة، لأنّ مجد الله في السماء يظهره السلام على الأرض. ننهي اليوم ما جاء في تعليم البابا بندكتوس السادس عشر في رسالته بمناسبة يوم السلام العالميّ ٢٠٠٧، وهي بعنوان: "**الشخص البشريّ قلب السلام**".

الطريق الذي يؤمّن مستقبل سلام للجميع يمرّ عبر **اتفاقات دوليّة** تهدف إلى اثنين: التزام الدول بعدم انتشار الأسلحة النوويّة، والتزامها بمتابعة العمل عن تصميم على التخفيف منها وتفكيكها نهائيًّا. وهذا ما يمكن الوصول إليه بالمفاوضات. وهو أمر ملحّ لأنّ مصير البشريّة جمعاء على المحك. ولا بدّ من الإشارة إلى ما يؤكّده المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني أنّ "كلّ عمل حربيّ يسعى دونما تمييز إلى تدمير مدن بكاملها ومناطق واسعة مع سكّانها، إنّما هو جريمة ضدّ الله والانسان ذاته، يجب استنكارها بقوّة ودونما تردّد" (الكنيسة في عالم اليوم، ٨٠ ( فقرة ١٥).

**التماس السلام من الله**، وهو خير أساس في حياة كلّ إنسان، واجب على المسيحيّ أن يفاخر بالقيام به. فهو ملتزم، بحكم انتمائه إلى الكنيسة، بالعمل دونما كلل في سبيل السلام، والدفاع الجريء عن كرامة الشخص البشريّ وحقوقه التي لا تُنتزع. فالدفاع عن تسامي الشخص البشريّ يرسي أسس الكرامة البشريّة والسلام الحقيقيّ والعادل (فقرة ١٦).

**نكون بناة السلام** عندما نعمل جاهدين في سبيل تطوير إنسانيّة حقيقيّة كاملة، وفقًا لتعليم الكنيسة الاجتماعيّ، ولاسيّما في الرسالتين العامّتين: "**ترقّي الشعوب**" للبابا بولس السادس، و"**الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ**"

للبابا يوحنّا بولس الثاني. في هذه السنة نحتفل بمرور ٤٠ سنة على صدور الأولى، و ٢٠ سنة على صدور الثانية (فقرة ١٧).

٢. **الديموقراطيّة** الحقيقيّة هي التي تقرّ استقلاليّة المساحة المدنيّة والسياسيّة عن المساحة الدينيّة، ولكن لا عن المساحة الخلقيّة. فالفصل بين السياسة والدين، لا بين السياسة والأخلاقيّة، قيمة مكتسبة ومعترف بها من قبل الكنيسة، وتنتمي إلى التراث الحضاريّ الذي أُحرز.

لقد نبّهت الكنيسة، بلسان خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني، إلى المخاطر الناتجة من أيّ خلط بين المساحة الدينيّة والمساحة السياسيّة: "يجب الأخذ بعين الاعتبار التمييز بين صلاحيّات الدين وصلاحيّات المجتمع السياسيّ. فإنّه لأمر دقيق للغاية أن تصبح شريعة دينيّة أو تسعى لتصبح شريعة الدولة. إنّ تماهي الشريعة الدينيّة مع الشريعة المدنيّة قد يؤدّي إلى خنق الحريّة الدينيّة والحدّ من حقوق إنسانيّة غير قابلة للانتهاك أو إنكارها" (الرسالة بمناسبة يوم السلام العالميّ ١٩٩١).

من أجل ديموقراطيّة سليمة **ينبغي أن تظلّ الأعمال الدينيّة**، كإعلان الايمان، وإتمام أفعال العبادة والأسرار، والعقائد الدينيّة، والاتّصالات المتبادلة بين السلطات الروحيّة والمؤمنين، وسواها، **خارج صلاحيّات الدولة**. فلا يحقّ لهذه أن تتدخّل فيها، ولا تستطيع، بأيّ شكل من الأشكال، أن تفرضها أو تمنعها، مع اعتبار مقتضيات الانتظام العامّ. إنّ إقرار الحقوق المدنيّة والسياسيّة وأداء الخدمات العامّة لا تستطيع أن تكون مشروطة بقناعات أو واجبات ذات طبيعة دينيّة من قبل المواطنين (مجمع عقيدة الايمان: مذكّرة تعليميّة بشأن بعض المسائل المختصّة بالتزام الكاثوليك ومسلكهم في الحياة السياسيّة، ٦).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

نواصل في هذا الأسبوع تقبّل النصّ التاسع عشر من المجمع البطريركيّ المارونيّ، بعنوان: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، وعلى وجه التحديد **المصالحة مع السياسة** (الفقرات ٤٦-٥٢).

يعتبر النصّ أنّ من غير الممكن بناءَ دولة ديموقراطيّة حديثة من دون **المصالحة مع السياسة. السياسة فنّ شريف** يعمل في سبيل خدمة الخير العامّ، ويهدف إلى تكوين مجتمع يعترف فيه كلّ شخص بالآخر على أنّه أخوه ويعامله على هذا الأساس؛ وهي **ممارسة يوميّة** تسعى إلى إيجاد الحلول لمشاكل المجتمع ولتأمين حقّ الانسان المواطن في الحريّة والعدالة والسلام والعيش الكريم؛ وهي **الاهتمام بالآخرين** بالاستماع إلى مشاكلهم ومساعدتهم على حلّها. بينما في الواقع أصبحت لدى الكثيرين نوعًا من المناورات والخصومات واستعمال النفوذ، وسعيًا بكلّ الوسائل، وعلى حساب كلّ المبادئ والمصلحة العامّة، للوصول إلى السلطة والاحتفاظ بها، والوسيلة الأسهل لتحقيق الثروات الخاصّة على حساب المال العامّ (الفقرات ٤٦ و٤٧).

تقتضي المصالحة مع السياسة ثلاثة:

أ. **المشاركة في إدارة الشأن العامّ**، أي المجالات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة، وهي مشاركة يقوم بها كلّ من موقعه وإمكاناته. إنّها واجب على المسيحيين لكي يبثّوا روح الانجيل في الشؤون الزمنيّة، عن طريق خدمة الشخص والمجتمع، بهدف تعزيز الخير العامّ (فقرة ٤٨).

ب. **الالتزام بالقيم الانجيليّة** من أجل استقامة الأداء السياسيّ وتأمين

المصلحة العامّة. على أساس هذه القيم يتجدّد الأفراد بالمبادئ والفضائل المسيحيّة والانسانيّة والاجتماعيّة، وتتجدّد القيادات متحلّية بالمصداقيّة والشفافيّة والاستقامة المسلكيّة والشجاعة الفكريّة، وبالقدرة على التسوية من دون المساومة على المبادئ، وبالقدرة على الابتكار وتحسّس مشاكل العصر، وبالالتزام في تقديم المصلحة العامّة على المصالح الفرديّة والفئويّة (الفقرة ٤٩ و٥٠). من واجب المسيحيين التصدّي للعنف والظلم والبغض والاستبداد، والعمل على بناء مستقبل أكثر إنسانيّة، فيقاوموا بشدّة مظاهر الفساد السياسيّ والاجتماعيّ، ويدافعوا عن الفقراء والمهمّشين والمرضى، ويعملوا على تأمين المساواة بين الجميع (الفقرتان ٤٩ و٥٠).

ج. **تعزيز الثقافة الديموقراطيّة وممارستها**، لأنّها الشرط الأساس لبقاء لبنان. من شأن هذه الثقافة والممارسة أن تعطي الأوّلويّة للنقاش بدل التنافر، وأن تغلّب المنطق على الانفعالات الآنيّة، وأن تنقل من مرحلة المواطن القابل بما هو مفروض عليه إلى المواطن الفاعل والمؤثّر في مجتمعه. كلّ ذلك بالمثابرة والعزم الثابت والرجاء بأنّ التحوّلات ممكنة كي يتحسّن وضع البشر. ومن الضرورة أن تشمل الثقافة الديموقراطيّة الشبيبة والنساء، وأن توفّر لهم ولهنّ الفرص للممارسة الديموقراطيّة (الفقرة ٥١ و٥٢).

***

### صلاة

هلمّ أيّها الروح القدس، وأضرم في قلوبنا تلك النار التي اتّقدت في قلبَي تلميذَي عمّاوس، عندما كانا يسمعان في الطريق كلام الله من فم الربّ يسوع. ففي الزمن العسير، حيث الرسالة تواجه العديد من المصاعب، تعال أيّها الروح القدوس واملأ قلوبنا المنطفئة، وأضرم فيها شعلة الحياة والرجاء ونعمة القداسة. قُدْ عقولنا لتلجَ إلى عمق سرّ المسيح والكنيسة، وقوِّ فينا الحميّة لإعلان الانجيل. نسألك ذلك بشفاعة سيّدتنا مريم العذراء المملوءة من كمال الأمومة والنعمة. للثالوث المجيد الآب والابن والروح القدس كلّ تسبيح ومجد وشكر إلى الأبد، آمين.

* * *

الأحد ١٥ تموز ٢٠٠٧

# الأحـد الثامن من زمن العنصرة

## الخدمة والليتورجيّا

### إنجيل القدّيس متّى ١٢/١٤-٢١

خرج الفرّيسيون فتشاوروا على يسوع ليهلكوه. وعلم يسوع بالأمر فانصرف من هناك: وتبعه كثيرون فشفاهم جميعًا، وحذّرهم من أن يَشْهَروه، ليتمّ ما قيل بالنبيّ أشعيا: «هوذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي رضيت به نفسي. سأجعل روحي عليه فيبشّر الأمم بالحقّ. لن يماحك ولن يصيح، ولن يسمع أحد صوته في الساحات. قصبة مرضوضة لن يكسر، وفتيلةً مدخّنةً لن يطفىء، إلى أن يصل بالحقّ إلى النصر. وباسمه تجعل الأمم رجاءها».

***

يسوع المسيح فادي البشر هو قدوة لكلّ من يتّقي الربّ ويواصل عمل الفداء. فيه يتجلّى سرّ الكنيسة المؤتمنة على رسالة الفداء، تحملها إلى جميع الشعوب. وبما أنّه خادم الربّ، فقد دشّن خدمة الكنيسة التي يشرك فيها جميع المؤمنين به. وهي خدمة إنجيل الخلاص لجميع شعوب الأرض والأمم.

## ■ أوّلاً، شرح الانجيل

### ١. خادم الربّ

**"هوذا عبدي الذي اخترته"** (متّى ١٢/١٨)

هذه الآية هي بداية نشيد أشعيا النبيّ الرباعيّ عن يسوع المسيح (أشعيا ٤٢/١-٤). ففي النشيد الأوّل يعلن الله رسميًّا عبده المختار الذي رضي عنه وملأه من الروح القدس وأرسله يعلن الحقّ للأمم. وفي الثاني (أشعيا ٤٩/١-٨) يعرب عبد الربّ عمّا يعاني من اضطهاد ورفض لدى الأمم، لكنّ الله يجدّد عهده معه ودعوته "ليكون نورًا للأمم وخلاصًا". وفي الثالث (أشعيا ٥٠/٤-٩) يسلّم العبد نفسه للضرب والاهانة، لكنّ السيّد الربّ ينصره. أمّا في النشيد الرابع (أشعيا ٥٢/١٣-١٥؛٥٣/١-١٣) فتظهر آلام الفداء التي يعانيها هذا العبد الذي اختاره الله.

هذه الأناشيد الأربعة تشكّل **رسالة فداء البشر** التي سيتمّمها المسيح، وقد كُتبت قبل مجيئه بستماية سنة. ونجد فيها ملامح وجه المخلّص. ولا عجب، فإنّ **اسم أشعيا** يعني بالعبريّة **"الله يخلّص"** (يا شعياهو)، والقدّيس إيرونيموس يطلق على أشعيا لقب "الانجيليّ". **فالعبد** هو "عابد الله" أي خادمه الشريف، الذي ملأه من الروح ليتمّم الرسالة الموكولة إليه، وهي أن يتألّم ويموت باذلاً نفسه، ويقوم منتصرًا انتصارًا عظيمًا. إنّه "يبشّر الأمم بالحقّ"، ويسلك في التواضع والامّحاء، "لا يخاصم ولا يصيح"، وبالصبر والثبات "يسير بالحقّ إلى النصر"، ويصير رجاء لكلّ إنسان وشعب: "وعلى اسمه تتّكل الأمم".

إنّ عبارة **"هوذا عبدي الذي عنه رضيت"** سيكرّرها الآب مرّتين عن

المسيح ابنه: في المعموديّة على نهر الأردن (متّى ١٧/٣) وفي التجلّي على الجبل (متّى ٥/١٧). وقيلت عن كلّ واحد منّا يوم معموديّته.

لكنّها تقال عن **الكنيسة**، شعب الله الجديد، المعروفة "**بالمسيح الكلّيّ**"، حسب تعبير القدّيس أغسطينوس، أي المسيح الرأس وأعضاء جسده المعمّدين. هذا يعني أنّ رسالة "العبد" هي رسالة الكنيسة وأبنائها المسيحيين. إنّها "**خدمة العبادة**" القائمة على اثنتين: **خدمة الكلمة** ومضمونها إعلان سرّ الخلاص، و**خدمة التقديس** التي تحقّق هذا الخلاص، إنّها معروفة **بالليتورجيّا**، وذروتها **الأفخارستيّا**. فالقسم الأوّل من القدّاس هو خدمة إعلان سرّ الخلاص، والقسم الثاني خدمة التقديس أو الذبيحة. بل كلّ سرّ من أسرار الخلاص مؤلّف من هذين القسمين.

لقب "**عبد**" بمعنى "**خادم**" هو **لقب شرف**، لكونه دعوة من الله للمساهمة في تحقيق تصميمه الخلاصيّ، في الذات وفي الآخرين. وهو في الوقت عينه **واجب ومسؤوليّة**، لأنّه يقتضي الالتزام بالخلاص الشخصيّ والشامل. إنّ عدم الالتزام يعني رفض الخدمة، وهذا الرفض هو أساس كلّ خطيئة، لأنّه رفضٌ للفداء البشريّ ولتمجيد الله في الانسان المفتدى (الدستور المجمعيّ في الليتورجيّا المقدّسة، ٥).

## ٢. الخدمة في الكنيسة

الكنيسة خادمة الخلاص في أبعاده الثلاثة المترابطة والمتكاملة: **خدمة الكلمة** بإعلان الانجيل، كرازةً وتعليمًا من أجل ولادة الايمان في النفوس وتغذيته، و**خدمة النعمة** بتوزيع أسرار الخلاص من أجل شفاء النفوس من الخطيئة وتحريرها من العبوديّات وامتلائها من الحياة الالهيّة، و**خدمة**

**المحبّة** بتعزيز حياة الشركة بين الناس، القائمة على الأخوّة والتضامن، على العدالة والسلام، فعلى محاربة الشرّ والظلم.

هذه الخدمة المثلّثة هي **امتداد لرسالة خادم الربّ** يسوع المسيح، الذي تنبّأ عنه أشعيا، **ومشاركة في خدمته** النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة. بهذا المعنى قال يسوع عن نفسه للتلاميذ: "أنا بينكم كالخادم" (لو ٢٢/٢٧)، ودعاهم لهذه الخدمة الشريفة: "ليكن المترئّس فيكم كأنّه الخادم" (لو ٢٢/٢٦). وأرسلهم لتأديتها: "إذهبوا وتلمذوا جميع الأمم (خدمة التعليم)، وعمّدوهم باسم الآب والابن والروح القدس (خدمة التقديس)، وعلّموهم أن يحفظوا كلّ ما أوصيتكم به (خدمة المحبّة)، وهاءنذا معكم طوال الأيّام إلى نهاية العالم" (امتداد خدمته والمشاركة فيها) (متّى ٢٨/١٩-٢٠).

عندما أعلن الملاك لمريم العذراء دعوة الله لتكون أمّ الكلمة المتجسّد بقوّة الروح القدس لخلاص البشر، أعلنت أنّها **"خادمة الربّ"** (لو ١/٣٨). بفضل هذه الخدمة أصبحت مريم **"ملكة السماء والأرض"**، شريكة ابنها "خادم الربّ" الذي أصبح الملك السماويّ الممجّد إلى الأبد.

**القدّيس**، عندما تبدأ دعوى تطويبه، يسمّى "خادم الله"، ويجري التحقيق حول بطولة فضائله في الخدمة المثلّثة، أكان إكليريكيًّا أم علمانيًّا.

**لكلّ مؤمن** في الكنيسة دور في الخدمة بحكم معموديّته التي أشركته في خدمة المسيح النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة، وله بالتالي مسؤوليّته في الكنيسة والمجتمع. تدعو الكنيسة المؤمنين العلمانيين لمؤازرة الرعاة في خدمة الجماعة الكنسيّة من أجل نموّها وحياتها، ممارسين خدمتهم وفقًا للنعمة والمواهب التي يوزّعها الروح القدس عليهم. إنّهم يمارسون خدمتهم سواء بالمشاركة في المجالس الرعويّة والحركات الرسوليّة أم بالخدم

الفرديّة والجماعيّة: **فعلى صعيد خدمة الكلمة** يشاركون في التعليم وإرشاد الأطفال والشبيبة وإحياء السهرات الانجيليّة، والقيام بنشاط إعلاميّ في شتّى الوسائل المقروءة والمنظورة والمسموعة؛ **وعلى صعيد خدمة التقديس** يشاركون في إحياء الخدم الليتورجيّة على المذبح، وفي جوقة الرعيّة، وإعداد الكنيسة لمختلف حفلاتها الطقسيّة، وتحضير النوايا وتلاوة القراءات المقدّسة، وتنظيم الزيّاحات والرتب؛ **وعلى صعيد خدمة المحبّة يشاركون** في خدمة الفقراء، والاعتناء بالمعوزين واليتامى والمرضى والعجزة والمعوّقين، ويعملون على مصالحة المتخاصمين، وتنظيم إحصاء أبناء الرعيّة.

### ٣. العبادة الليتورجيّة أساس كلّ خدمة

ليست الليتورجيّا مجرّد حفلات دينيّة محفوظة للكهنة والمكرّسين وبعض المؤمنين، بل هي **العبادة الالهيّة** التي تشركنا في عمليّة الفداء الخلاصيّ وتمجيد الله من خلال بشريّتنا المفتداة بنعمة يسوع المسيح. إنّ العبادة الالهيّة هي الوسيلة الوحيدة التي أرادها الله لكي "يخلّص جميع الناس، ويبلغوا إلى معرفة الحقّ" (١ طيم ٢/٤). تمّت الليتورجيّا أوّل ما تمّت في العهد الجديد بشخص يسوع المسيح، ابن الله، الكلمة المتجسّد، الذي مسحه الروح القدس ليعلن بشرى الانجيل لفقراء هذا العالم، ويشفي القلوب التي كسرتها الخطيئة والشرّ. فأصبح "طبيب الأجساد والأرواح" و"الوسيط بين الله والناس" (١ طيم ٢/٥). وسمّي "عبد الربّ"، بالمفهوم الذي ذكرنا (الدستور المجمعيّ في الليتورجيّا، ٥). **فبسرّه الفصحيّ**، الموت من أجل فدائنا من خطايانا والقيامة من أجل تقديسنا، فجّر في العالم ينابيع أسرار الخلاص. وكانت الكنيسة، المولودة من هذا السرّ الفصحيّ، كسنبلة من حبّة قمح، سرّ الخلاص الشامل وأداته.

**العبادة الالهيّة في الليتورجيّا** هي **إعلان** الانجيل لجميع الناس مع مضمونه سرّ المسيح الفصحيّ، **وتحقيق** عمل الخلاص النابع من هذا السرّ الفصحيّ، بواسطة ذبيحة الأفخارستيّا والأسرار.

**بالمعموديّة**، التي هي باب جميع الأسرار، يندمج المؤمنون في السرّ الفصحيّ ويصبحون "عابدين حقيقيين يريدهم الله" (يو ٤/ ٢٣). وهكذا، منذ العنصرة، راحت الكنيسة تجتمع في يوم الربّ لتحتفل بالسرّ الفصحيّ بتلاوة الكتب المقدّسة، والاحتفال بالأفخارستيّا، وتقديم صلاة الشكر لله على ما أغدق على العالم من عطايا بالمسيح يسوع، وبقوّة الروح القدس (في الليتورجيّا، ٦). نقرأ في كتاب أعمال الرسل: "وكان جماعة المؤمنين يواظبون على تعليم الرسل، وكسر الخبز والصلوات، والمشاركة في ما يملكون" (٢/ ٤٢-٤٤).

العبادة هي "**بالروح والحق**" (يو ٤/ ٢٤)، ولا يقوم هذا الموقف على مسعى داخليّ محض، بل ترافقه علامات وأوضاع خارجيّة مثل الانطراح على الأرض والسجود والانحناءة والوقوف. إنّه موقف ينطلق من تكريس الكيان كلّه من روح ونفس وجسد، على ما يدعو بولس الرسول: "قدّسكم الله تقديسًا تامًّا روحًا ونفسًا وجسدًا" (١ تسا ٥/ ٢٣).

أمام مجد الربّ انطرح **حزقيال** أرضًا: "وكان منظر يشبه مجد الربّ، فنظرتُ وسقطتُ على وجهي وسمعتُ صوت متكلّم يقول لي: "يا ابن الانسان قم على قدميك فاتكلّمَ معك". فدخل فيَّ الروح، وقال لي: "إنّي مرسلك... فلا تخف" (حزقيال ١/ ٢٨؛ ٢/ ١-٧). **وشاول** عندما ظهر له يسوع على طريق دمشق "وسطع نور من السماء حوله، سقط إلى الأرض وسمع

صوتًا يقول له: قم فادخل المدينة، ويقال لك ما يجب عليك أن تفعل" (أعمال ٩/٣-٦).

هذه حال كلّ واحد منّا أمام قداسة الله المتجلّية في الليتورجيّا. برهبة نخشع أمام عظمة الله، ومنه نسمع صوتًا ليومنا، وننطلق لحياة جديدة، مثل حزقيال وشاول-بولس.

## ■ ثانيًا، راعويّة السلام والديموقراطيّة

١. **السلام** عطيّة من الله وحاجة للمجتمعات البشريّة، وهو ينطوي على كلّ ما يحتاج إليه الانسان والجماعات من خيور من أجل حياة كريمة وسعيدة وهادئة. فلا بدّ من **التربية على السلام**، وعلى ركائزه الأربع: الحقيقة والعدالة والمحبّة والحريّة (البابا يوحنّا الثالث والعشرون: سلام على الأرض).

تبدأ التربية على السلام، بركائزه الأربع، **مع الالتزام بتربية الذات والآخرين** بحكم ديننا المسيحيّ. فإعلان السلام هو البشرى بالمسيح الذي "هو سلامنا" (أفسس ٢/١٤)، وكرازتنا بالانجيل هي التزام "بإنجيل السلام" (أفسس ٦/١٥)، والدعوة الشاملة هي أن نكون "فاعلي سلام لنصبح أبناء لله" (متّى ٥/٩).

السلام ممكن وواجب. **هو ممكن** لأنّ أساسه **الحقيقة** المطلقة، حقيقة الله والانسان والتاريخ، التي أعلنها ابن الله المتجسّد، يسوع المسيح؛ ولأنّ الدافع إليه **هو المحبّة** المسكوبة في القلوب بالروح القدس، كثمرة للفداء. والسلام **واجب** لأنّ **العدالة** بين الناس تقتضيه، ولان **الحريّة** لا تتوفّر وتعاش بدونه.

وتتّسع مساحة التربية على السلام لتصبح **تربية على الشرعيّة**. من شأن هذه أن تحمل الأفراد والشعوب على احترام السلطة القائمة والدساتير، واحترام النظام الدوليّ مع التقيّد بالتزاماته. فالقانون يعزّز السلام ويضمنه. فهو حاجة دائمة سعت إليها الشعوب والأمم على مرّ العصور. فكانت القاعدة الأساسيّة: "المعاهدات تستدعي الحفظ acta sunt servanda". لكنّ الظاهرة في عالم اليوم، في بعض أنحائه، هي اللجوء إلى حقّ القوّة بدلاً من قوّة الحقّ.

عندما أنشئت **منظّمة الأمم المتّحدة ومجلس الأمن الدوليّ** كانت الغاية حماية السلام والأمن العالميين، ومنع اللجوء إلى القوّة. ولكن في الخمس عشرة سنة الماضية تعثّرت هذه الغاية لأسباب هي: انقسام الجماعة الدوليّة إلى مجموعات متعارضة، والحرب الباردة في جزء من الكرة الأرضيّة، والنزاعات المسلّحة في مناطق أخرى. فلا بدّ من إعادة إحياء منظّمة الأمم المتّحدة لتكون حقًّا "أسرة الأمم" (البابا يوحنّا بولس الثاني خطاب أمام الجمعيّة العامّة في ٥/١٠/١٩٩٥).

٢. **الديموقراطيّة** القائمة على حكم الشعب الذي يسائل المسؤول الذي ينتدبه للحكم باسمه ويحاسبه، لا تستقيم من دون الأخلاقيّة الطبيعية. الكنيسة من هذا القبيل تلعب دورًا أساسيًّا في تنوير ضمائر المسؤولين. إنّ استقلاليّة العمل السياسيّ لا تستطيع الاستغناء عن التعليم الخلقيّ والاجتماعيّ الذي تقدّمه الكنيسة.

**إنّ السلطة التعليميّة في الكنيسة** لا تبتغي ممارسة سلطان سياسيّ أو إلغاء حريّة الرأي عند أبنائها في المسائل الزمنيّة الراهنة، بل تبتغي، كما يملي عليها واجبها الخاصّ، تثقيف ضمير المؤمنين وإنارتهم، وبخاصّة

ضمائر الذين يتكرّسون للالتزام في الحياة السياسيّة، بهدف أن يأتي نشاطهم دائمًا في خدمة إنماء الشخص البشريّ إنماءً شاملاً، وتعزيز الخير العامّ. ولذا، لا يمكن اعتبار تعليم الكنيسة الخلقيّ والاجتماعيّ تدخّلاً في حكم البلدان (مجمع عقيدة الايمان: مذكّرة تعليميّة حول مسائل تختصّ بالتزام الكاثوليك بالحياة السياسيّة، ٦).

تهدف الكنيسة في تعليمها إلى **بناء وحدة الحياة عند المسيحيين**، كأعضاء في الكنيسة وفي المجتمع البشريّ. فلا يمكن أن يجمع وجودُهم بين حياتين متوازيتين: إحداهما "**روحيّة**" بقيمها ومقتضياتها، والأخرى "**علمانيّة**" تتمثّل في حياة الأسرة والعمل والعلاقات الاجتماعيّة، والالتزام السياسيّ، والنشاطات الثقافيّة. إنّ كلّ نشاط وكلّ حالة وكلّ التزام فعليّ، من القطاعات المذكورة، إنّما يشكّل فرصة مؤاتية لممارسة الايمان والرجاء والمحبّة بصفة مستمرّة. إنّ كلّ قطاعات الحياة العلمانيّة تندرج في تدبير الله، الذي يريدها "**مجالاً تاريخيًّا**" للوحي ولتحقيق محبّة المسيح، لمجد الله الآب وخدمة الأخوة (العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٥٩).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

ننهي اليوم تقبّل النصّ التاسع عشر من المجمع البطريركيّ المارونيّ: "**الكنيسة المارونيّة والسياسة**"، في النقطة الرابعة من فصل التحدّيات وهي: **الانتشار المارونيّ في أبعاده السياسيّة** (الفقرات ٥٣-٥٩).

يدعو النصّ أبناء الكنيسة المارونيّة المنتشرين في مختلف البلدان والقارّات إلى **الاندماج** في الكنيسة الجامعة وفي أوساطهم الجديدة، وإلى

المشاركة في الحياة العامّة مع الشعوب الذين أصبحوا مثلهم مواطنين مكتملي الحقوق والواجبات، وملزمين بالأمانة لأوطانهم الجديدة (فقرة ٥٣).

ويرسم **خطّة لربط الانتشار بالحياة الوطنيّة في لبنان**، من أجل حفظ هويّة الموارنة المنتشرين الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة، والتزامهم بلبنان الرسالة كقاعدة مشتركة، بين المقيمين والمنتشرين، في الفكر والعمل السياسيين. تقتضي هذه الخطّة **أوّلاً** توضيح طبيعة العلاقة بين المنتشرين ووطنهم الأمّ، مع التشديد على حثّهم على المشاركة في الانتخاب والترشيح؛ **ثمّ العمل** على مكافحة أسباب الهجرة، والمساهمة في بناء دولة الحقّ التي تكرّس المساواة في الحقوق والواجبات وتؤمّن حياة كريمة لأبنائها؛ و**أخيرًا** العمل على إبقاء لبنان المستقبل أمينًا لدعوته التاريخيّة ونقل تراثه الانسانيّ والحضاريّ إلى اللبنانيين المنتشرين ليحافظوا عليه وجدانًا نفيسًا يقود علاقاتهم به (فقرة ٥٤ و٥٥). وتقتضي الخطّة **حفظ الإرث** الذي يقدّمه الوطن للّبنانيّ، أعني: الأمانة لله، وقيم الحريّة بأبعادها الروحيّة والثقافيّة والاجتماعيّة والسياسيّة، وخبرة العيش المشترك بين المسيحيّة والإسلام، والسير مع الآخر مهما كان صعبًا، والمساواة في الحقوق والواجبات (الفقرة ٥٦ و٥٧).

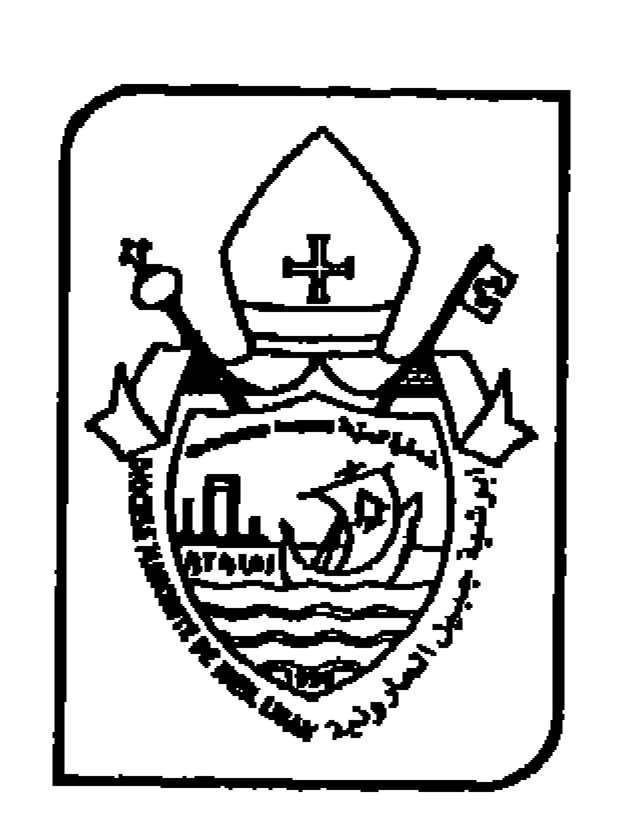
ويوجّه النصّ المجمعيّ الدعوة إلى الموارنة المنتشرين في الغرب ليشدّدوا **الارتباط بتاريخهم** والمحافظة على هويّتهم المشتركة، وإلى الموارنة المقيمين ليعزّزوا **التعاون مع العالم العربيّ** من أجل توفير شروط التلاقي والحوار البنّاء، فيظلّ هذا الشرق أرضًا طيّبة لعبادة الله وترقّي الانسان (الفقرة ٥٨ و٥٩).

***

**صلاة**

هلمّ أيّها الروح القدس، واملأنا من روح **الحكمة والعلم والفهم والمشورة**، لكي نعرف إرادة الآب، فنخدمَه متمّمين إيّاها في حياتنا اليوميّة ونشاطاتنا الروحيّة والزمنيّة. إملأنا من روح **القوّة** لنصمد في خياراتنا الحسنة بثبات وسط المحن والمضايقات. إملأنا من روح **التقوى ومخافة الله** لننتصر على "سرّ الإثم"، ونحمل محبّة الله، كَفي إناء من خزف سريع العطب، ونسهر على حفظها وتجسيدها في الأعمال. أيّها الروح القدوس، أسكن في أعماق كلّ إنسان لكي يصيرَ مجدَ الله الحيّ. لك التسبيح والشكر مع الآب والابن إلى الأبد، آمين.

* * *



سلسلة التنشئة المسيحيّة



١٣

## فتح أذهانهم ليفهموا الكتب

(لوقا ٢٤/٤٥)

# زمن العنصرة

من الأحد التاسع حتّى السادس عشر

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧


**بشاره الراعي**

مطران جبيل



منشورات

جامعة سيّدة اللويزة

NDU PRESS

# تقديم

الربّ الذي فتح أذهان الرسل، نواة الكنيسة، ليفهموا كلامه الحيّ، يفيض علينا روحه القدّوس ليعلّمنا كلّ شيء ويقودنا إلى الحقيقة كلّها.

هذه "**التنشئة المسيحيّة**" لزمن العنصرة من الأحد التاسع حتّى السادس عشر وسيلة لقارئيها مع صلاة لكي "**يفتح الربّ أذهانهم ليفهموا الكتب**" (لو ١٤/٤٥).

إنّها تنطوي على ثلاثة أقسام: **الأوّل** يشرح نصّ الانجيل عقائديًّا وخلقيًّا، **الثاني** يقدّم تعليم الكنيسة حول الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة، **الثالث** يعرض النصّ العشرين من نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ: الكنيسة والشأن الاجتماعيّ.

نأمل أن تؤدّي "التنشئة المسيحيّة" دورها كوسيلة لفهم الكتب المقدّسة، فتنير العقول وتوجّه الضمائر، ليبلغ الانسان إلى فهم الحقيقة الموحاة، والتماس الخلاص بيسوع المسيح.

**† بشاره الراعي**
مطران جبيل

# الأحد التاسع من زمن العنصرة

## الهويّة المسيحيّة والرسالة

### من إنجيل القدّيس لوقا (لو ٤/١٤-٢١)

عاد يسوع بقوّة الروح إلى الجليل، وذاع خبره في كلّ الجوار. وكان يعلّم في مجامعهم، والجميع يمجّدونه. وجاء يسوع إلى الناصرة، حيث نشأ، ودخل إلى المجمع كعادته يوم السبت، وقام ليقرأ. ودُفع إليه كتاب النبيّ أشعيا. وفتح يسوع الكتاب، فوجد الموضع المكتوب فيه: «روح الربّ عليّ، ولهذا مسحني لأبشّر المساكين، وأرسلني لأنادي بإطلاق الأسرى وعودة البصر إلى العميان، وأطلق المقهورين أحرارًا، وأنادي بسنةٍ مقبولة لدى الربّ». ثمّ طوى الكتاب، وأعاده إلى الخادم، وجلس. وكانت عيونُ جميع الذين في المجمع شاخصة إليه. فبدأ يقول لهم: «اليوم تمّتْ هذه الكتابة التي تُليتْ على مسامعكم».

### ■ أوّلاً، شرح نصّ الإنجيل

زمن العنصرة هو زمن الكنيسة التي تواصل رسالة المسيح: فهي بكيانها وأعضائها ومؤسّساتها مرسلة لتعلن إنجيل الخلاص، **وتشهد** لمحبّة الله ورحمته، **وتحقّق وتنشر** ملكوت الله، أي سرّ الشركة بين الله والناس. إنّنا في هذا الأحد نكتشف هوّيتها ورسالتها، وهما هويّة السيّد المسيح ورسالته. **الهويّة** هي مسحة الروح القدس، **والرسالة مثلّثة**: إعلان إنجيل الخلاص (**البعد النبويّ**)، وتحرير الانسان وهدايته ومعاملته بالرحمة (**البعد**

الكهنوتيّ)، وبدء زمن جديد لمجتمع بشريّ يقوم على الحقيقة والعدالة والمحبّة والحريّة (**البعد الملوكيّ**).

### ١. الهويّة: "روح الربّ عليّ" (لو ٤/١٨)

عندما دخل يسوع مجمع الناصرة، ذات سبت، كان ممتلئًا من الروح القدس الذي "مسحه" إذ سبق "ونزل واستقرّ عليه عندما اعتمد من يوحنّا" (لو ٣/٢١-٢٢)، وقاده إلى البريّة حيث صام أربعين يومًا، استعدادًا لبدء رسالته العلنيّة، ومكّنه من الانتصار على الشيطان، الذي جاء يزيغه عن رسالته المسيحانيّة الخلاصيّة، لتكون سياسيّة (لو ٤/١-١٣). وإذ "انصرف عنه إبليس إلى حين" (لو ٤/١٣)، فلم ينته هذا الصراع بين الشيطان ويسوع حول رسالته المسيحانيّة إلاّ بموته وقيامته. إنّ الحياة المسيحيّة، النابعة من المعموديّة، هي امتلاء من الروح القدس الذي "يمسح" المعمّد أي يجعله على صورة المسيح، ابنًا لله مدعوًّا للانتصار على الشيطان (**الهويّة**)، من أجل التمكّن من مواصلة الرسالة المسيحانيّة.

ولمّا قام ليقرأ فصلاً من الشريعة والأنبياء، كما كانت العادة عند اليهود، كانت القراءة في ذلك السبت من أشعيا: "روح الربّ عليّ، لأنّه مسحني، وأرسلني..." (اش ٦١/١-٢). **إنّها نبوءة مكتوبة عنه وتحقّقت فيه:** "اليوم تمّت هذه الكتابة التي تليت على مسامعكم" (لو ٤/٢١). في الواقع، يخبر لوقا أنّ "يسوع عاد إلى الجليل بقوّة الروح القدس، وكان يعلّم في المجامع ويتمجّد من الجميع" (لو ٤/١٤-١٥).

**الهويّة** هي مسحة الروح القدس. يسوع، هذا الاسم الذي أعطاه الملاك (لو ١/٣١؛ متّى ١/٢١)، يعني باللفظة العبريّة "الله يخلّص": يشوع (يهوشوع = الله خلاص)، وهو **المسيح** الذي "مسحه" الآب بالروح

القدس، كاهنًا وملكًا، كما كان يمسح كهنة العهد القديم وملوكه، ويسلّمهم مهمّة قيادة شعبه: "لبني هارون تصنع أقمصة وزنانير وقلانس مجد وبهاء، ويلبس ذلك هارون أخاك وبنيه معهم وتمسحهم وتكرّسهم وتقدّسهم ليكونوا لي **كهنة**" (خروج ٢٨/ ٤٠-٤١). و"أنا أقيم لي كاهنًا أمينًا يعمل بحسب ما في قلبي ونفسي" (صموئيل ٢/ ٣٥). وعن مسحة **الملوك**، نقرأ في سفر صموئيل: إملأ قرنك زيتًا وتعال أرسلك إلى يسّى من بيت لحم، لأنّي قد اخترت لي من بنيه ملكًا. لمّا حضر داود الفتى، قال الربّ: قم فامسحه، لأنّ هذا هو. فأخذ صموئيل قرن الزيت، ومسحه في وسط إخوته، فهبط روح الربّ على داود من ذلك اليوم فصاعدًا (٢ صموئيل ١٦/ ١ و١٢-١٣).

المسيح لفظة عبريّة "ماشيح" وآراميّة "ماشيحا"، وسريانيّة "مشيحو" أي الذي "مسحه الله" وكرّسه كاهنًا وملكًا، ترجمت باليونانيّة Christos وباللاتينيّة Christus، التي منها اشتقّت الأسماء في اللغات الغربيّة.

مسحة الروح القدس هي أيضًا **هويّة المسيحيّين**، وقد نالوها بالمعموديّة. فالروح القدس "يمسح" المعمّد ويختمه بخاتم لا يُمحى ويجعل منه هيكلاً روحيًّا، مملوءًا من حضور الله المقدّس. إنّه جعل من المعمّدين أبناء الله وبنات وفي الوقت عينه أعضاء في جسد المسيح: "إنّنا جميعًا اعتمدنا بروح واحد لجسد واحد" (١ كور ١٢/ ١٣). ويشرح القدّيس أغسطينوس: "إنّ رأسنا المسيح لم يقبل وحده المسحة، فنحن أيضًا تقبّلناها معه لأنّنا جسده. إذا كنّا جسد المسيح، فلأنّنا تقبّلنا المسحة وأصبحنا في المسيح ممسوحين ومسحاء، لأنّ الرأس والجسد يؤلّفان المسيح الكامل. وكما أنّنا ندعى جميعًا مسيحيّين بسبب المسحة السرّيّة، كذلك ندعى جميعًا كهنة، لأنّنا جميعًا أعضاء في جسد الكاهن الأوحد يسوع المسيح".

بفضل هذه المسحة يستطيع كلّ مسيحيّ أن يتبنّى قول المسيح: "روح الربّ عليّ، لأنّه مسحني وأرسلني..."، ويصبح مشاركًا في رسالة المسيح المثلّثة: النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة. إنّه **كهنوت المؤمنين المسيحيّين العامّ**. شرحه شرحًا وافيًا المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني في الدستور العقائديّ "في الكنيسة" (عدد ٣٥)، والإرشاد الرسوليّ "العلمانيّون المؤمنون بالمسيح" (عدد ١٤)، والإرشاد الرسوليّ "رجاء جديد للبنان" (عدد ١١٣).

العلمانيّون المؤمنون بالمسيح هم "المسيحيّون الذين أصبحوا بفضل سرّ العماد أعضاء في جسد المسيح، واندمجوا في شعب الله، وشاركوا في وظائف المسيح النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة، ومن ثمّ يمارسون في الكنيسة والعالم الرسالة المنوطة بكلّ الشعب المسيحيّ. يقول البابا بيوس الثاني عشر "إنّ المؤمنين ولاسيّما العلمانيّين منهم هم في الخطّ الأماميّ من حياة الكنيسة. والكنيسة هي عبرهم العنصر الحيويّ في بنية المجتمع البشريّ. إنّهم لا ينتسبون فقط إلى الكنيسة، بل هم الكنيسة" (العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، عدد ٩).

ومسحة الروح القدس هي **هويّة الأسقف**، ينالها بالرسامة المقدّسة بالخلافة الرسوليّة. وهي **هويّة الكاهن** ينالها بوضع يد الأسقف وصلاة التكريس والمسح بالميرون المقدّس، فيستقرّ الروح القدس عليه، ويوليه كيانًا كهنوتيًّا، يجعله كاهن العهد الجديد، شبيهًا بيسوع المسيح الرأس والراعي، وامتدادًا لحضوره، وأهلاً لمواصلة خدمة التعليم والمصالحة والرعاية، باسمه وبشخصه، في خدمة الكهنوت العامّ الذي يتحلّى به شعب الله كلّه (أعطيكم رعاة، عدد ١٥-١٦). إنّه يخدم كهنوت المؤمنين العامّ بممارسة ثلاث مهامّ، هي امتداد للرسالة المسيحانيّة: التعليم والتقديس والرعاية.

### ٢. الرسالة المثلّثة: مسحني وأرسلني (لو ٤/١٨)

رسالة **إعلان إنجيل الخلاص: "أرسلني لأبشّر المساكين"** (لو ٤/١٧)، **البعد النبويّ.**

لفظة "مساكين" أو "فقراء" في الكتاب المقدّس لا تقتصر على **المعنى المادّيّ** أي الفقراء إلى مال وممتلكات ووسائل العيش، بل تشمل **بالمعنى الروحيّ** المفتقرين إلى غفران الله والنعمة الإلهيّة والبركة من العلى والنور السماويّ وسط ظلمات هذا العالم، **وبالمعنى الأدبيّ** أولئك المفتقرين إلى تعزية وتشجيع وغفران ومصالحة، **وبالمعنى الاجتماعيّ** المفتقرين إلى تضامن في مواجهة صعوبات الحياة، وإلى تحرير من العبوديّات السياسيّة والإقطاعيّة لأشخاص أو أنظمة، **وبالمعنى الانسانيّ** المفتقرين إلى ثقافة وتربية وكرامة بشريّة وتفهّم واحترام.

إنجيل الخلاص يرمي إلى إخراج هؤلاء المساكين من حالتهم. كلّنا مصاب بفقرٍ ما، لا يخرجنا منه إلاّ الانجيل، الذي بشّر به **السيّد المسيح**، وتبشّر به الكنيسة، من خلال كهنوت الخدمة والكهنوت العامّ؛ وهو، في آنٍ، **كلمة** تنير العقل والضمير، **وفعل** إلهيّ يخلّص: "الكلمة صار بشرًا" (يو ١/١٤)، **وحكم** على صوابيّة المبادئ والأفعال والتصرّفات البشريّة لجهة ارتباطها بالحقيقة المطلقة والخير، **ونعمة إلهيّة** تشفي وتقدّس وتوجّه.

**رسالة الفداء والتقديس- البعد الكهنوتيّ (لو ٤/١٨).**

إنّها مهمّة المسيح الكاهن الذي قدّم ذاته على الصليب ذبيحة فداء للعالم، ويواصل هذه التقدمة في ذبيحة القدّاس، عبر الخدمة الكهنوتيّة. إنّه بذبيحة الفداء هذه حقّق ويحقّق ما تنبّأ عنه أشعيا (لو ٤ /١٨):

أ- **تجلّي الرحمة الإلهيّة** التي تعزّي منكسري القلوب وتقدّس

المتألّمين في أجسادهم بالألم الحسّي كالمرض والتعذيب والجوع والاعتداء، وفي أرواحهم بالألم المعنويّ كالحزن واليأس والضياع والإهمال وانتهاك الحقوق والكرامة، وفي نفوسهم بالألم الروحيّ كالخطيئة وروح الشرّ والكبرياء والأنانيّة والإباحيّة والفساد على أنواعه.

ب- **تحرير المسبيّين** المستعبدين، سواء الذين رهنوا أجسادهم وأرواحهم ونفوسهم للنزوات والمصالح، والشرّ والانحراف، أو الذين عبدوها، أو الذين يعانون من استعباد الغير. هؤلاء جميعًا حرّرهم المسيح بقيامته وانتصاره على الخطيئة والشرّ والشيطان.

ج- **هداية العميان إلى رؤية جديدة،** في ضوء الكلمة الإلهيّة، وبهدي الروح القدس.

د- **المصالحة والغفران للتائبين،** إذ صالح يسوع المسيح الله الآب مع البشر بموته عنهم، باذلاً نفسه فداء عن الكثيرين.

مهمّة الفداء والتقديس تمارسها الكنيسة في خدمة الأسرار وعيش المحبّة الراعويّة. ويمارسها المؤمنون العلمانيّون، عندما يتّحدون بالمسيح وبذبيحته من خلال تقدمة ذواتهم وأعمالهم وحياتهم الزوجيّة والعائليّة وأشغالهم اليوميّة، ويمارسونها كلّها بروح الله، جاعلينها قرابينهم الروحيّة، وعندما يحتملون مشقّات الحياة بصبر، ويعبدون الله بالتقوى والحكمة والمخافة (رجاء جديد للبنان، ١١٣).

**رسالة بناء ملكوت الله ونشره عبر التاريخ: «وأعلن سنة مرضية عند الربّ» (لو ٤-١٩)-البعد الملوكيّ.**

مارس الربّ يسوع مهمّته الملوكيّة بتدشين ملكوت الله على الأرض،

الذي نواته الكنيسة، حبّة الخردل التي تصبح شجرة عظيمة (متّى ١٣/٣١). وتمارس الكنيسة وأبناؤها هذه المهمّة بتدمير سلطان الخطيئة والشرّ وإحلال المحبّة والعدالة والإخوة والتضامن وكرامة الخلق والشخص البشريّ (رجاء جديد للبنان، ١١٣).

## ■ ثانيًا، الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة

أصدر المجلس الحبريّ للعائلة "**معجم**" **التعابير الملتبسة والمتنازع عليها حول الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة**، ونقلته إلى العربيّة اللجنة الأسقفيّة للعائلة والحياة في لبنان. سنعرض تباعًا في القسم الثاني من التنشئة المسيحيّة هذه المواضيع:

موضوع اليوم: **العائلة والطبيعة والشخص**، كتبه jean-marie meyr (المعجم ص ٦٧-٧٢). هذه الألفاظ آخذة بفقدان معانيها بسبب **تيار المادّية الداروينيّة** (matérialisme darwinien)، المتجدّدة في الزمن المعاصر. هذا التيّار المتجدّد يفرغ الأسرة والشأن الجنسيّ والشخص والجماعة البشريّة من مفاهيمها الجوهريّة، ويقوّض بالتالي أسس الحياة الزوجيّة والعائليّة والاجتماعيّة.

يعاني العالم المعاصر من عمى جزئيّ، له تداعياته العمليّة والمؤلمة على الانسان الذي، إذ يجهل ما هو، يصعب عليه أن يعرف ما يجب أن يفعل، وكيف يجب أن يعيش، وما هي حدود حريّته ومساحاتها.

إنّنا نشهد **عمليّة تفكيك** بين هذه الثلاثة: العائلة والطبيعة والشخص.

ففي أوروبا الغربيّة، لفظة "**عائلة**" لا تستعمل بالمفرد بل بالجمع، فيقولون: العائلات ، للدلالة على وجود أنماط مختلفة للحياة العائليّة، لا تأخذ

قيمتها ومعناها إلاّ في محيط اجتماعيّ محدّد. استعمال اللفظة بالجمع يغيّب حقيقة عامّة جامعة تنير الروابط العائليّة.

ولفظة "**طبيعة**" تتنوّع معانيها وتختلف بين الفيزيائيّ ورجل البيئة، فيتفكّك مضمونها الجوهريّ.

ولفظة "**شخص**" تخضع هي أيضًا لتفكّك في المعاني بين الطبيب النفسانيّ والعالم البيولوجيّ.

فلا بدّ من **إظهار الربط** بين هذه الألفاظ- الواقعات **وتوطيد** وحدتها. **فالعائلة** هي قيمة المستقبل، والمكان الأوّل للتضامن والتقارب والحماية والبقاء. إنّها مستقبل الشخص والمجتمع والكنيسة. **والطبيعة** تشكّل جزءًا من الشخص البشريّ الذي يحدّده الفيلسوف Boèce (الجيل السادس) بأنّه "جوهر مادّيّ فرديّ ذو طبيعة عاقلة". هذا تحديد صالح لزمننا. طبيعة الشخص تمكّننا من التفكير بوحدته وغاية وجوده وخيره وحقوقه. **والشخص** هو هذا الكائن الذي يعرف ذاته بالعمق، ويتساءل حول شموليّة الكون.

**العائلة** هي جماعة، يشدّ الرباط العائليّ أفرادها بعضهم إلى بعض. إنّها تقدّم لكلّ واحد الوسائل ليجد مكانه في هذه الجماعة كزوج أو زوجة، كأب أو ابن، كأمّ أو ابنة. لكلّ واحد منّا تاريخ عائليّ نسبيّ سلاليّ، جسديّ وروحيّ يربطه بآخرين.

**الزواج**، في هذا الضوء، عهد فريد يُلزم مدى الحياة، لأنّه يجمع حريّة الشخص، أي حريّة كلّ زوج، بحقيقة الروابط العائليّة. هذا الالتزام الشخصيّ يؤمّن لكلّ واحد مكانه الحقيقيّ في العائلة، ويؤمّن للعائلة استقرارها الذي يكفل سعادتها واتّزانها. إنّ الخيار الحرّ الخاصّ بالزوجين

يعطي مفهومًا لممارسة النشاط الجنسيّ في إطار المسؤوليّة الواحدُ تجاه الآخر، وتجاه أولادهم والمجتمع بأسره. عندما يمارَس الجنسُ، منفتحًا على الحياة، يخرج من دائرة مفهومه الخاصّ، ليشارك في خصوبة حبٍّ شخصيّ ومسؤول بكامل معانيه.

إنّ الجسد، هذا المعطى الطبيعيّ، والحريّة البشريّة، يتوحّدان ويتناغمان بالحبّ البشريّ المعاش في إطار العهد الزوجيّ الذي يتّسم، من طبعه، بالأمانة والديمومة. أمّا "الاتّحاد الحرّ" فيتخلّى عن هذين الميزتين، وبالتالي يُفقر العلاقة البشريّة إلى درجة الانطواء على الذات والانفصال.

**الزواج** يعطي استقرارًا للعلاقات بين الأشخاص، ويجعل التبادل بين الأجيال ممكنًا. فتكون العائلة، كجماعة بشريّة، مكان التفتّح وتأمين خير الزوجين وخير الأولاد، علمًا أنّ الثاني ينبع من الأوّل ويغتذي منه. فتؤدّي العائلة دورها الاجتماعيّ، إذ منها يولد المواطنون وفيها يتربّون على العيش بديموقراطيّة. تحتاج الدول إلى والدين ينشّئون أولادهم على الديموقراطيّة مفهومًا وممارسة.

إنّ تعزيز العائلة وحمايتها يحفظان الإمكانيّة لرؤية مستقبل متأنسن.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

وفقًا للخطّة الخمسيّة التي وضعتها الأمانة العامّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ، نبدأ بتقبّل **النصّ العشرين** بعنوان: "**الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ**".

**في المقدّمة**، يشير النصّ إلى **الأساس اللاهوتيّ للحضور الاجتماعيّ**، وهو أنّ الكنيسة هي استمرار لسرّ تجسّد المسيح ولعمله الخلاصيّ في

سبيل الانسان. وبهذه الصفة تقوم برسالتها الهادفة إلى تحرير الناس من كلّ ما يعوّق نموّهم البشريّ والروحيّ، لأنّ "مجد الله الانسان الحيّ"، على ما قال القدّيس إيريناوس. وبما أنّ الكنيسة هي، على صورة المسيح مؤسّسها، مؤلّفة من عنصرين إلهيّ وبشريّ، فلا بدّ من أن تحقّق "تجسّدها" وحضورها في الزمان والمكان، وتتأصّل في الواقع الملموس (فقرة ١).

**العمل الاجتماعيّ** يندرج في رسالة الكنيسة لخلاص الانسان بوصفه كائنًا اجتماعيًّا له علاقاته مع الآخرين، على أساس شريعة المحبّة التي لا تكون بالكلام أو اللسان بل بالعطاء والعدل. ويهدف هذا العمل إلى تجسيد المحبّة في الأرض بين البشر، وبالتالي إلى أنسنة المجتمع البشريّ، وإلى إنشاء "حضارة المحبّة" في العالم الذي هو موضوع الخلاص ومكان النعمة، وقد افتداه المسيح.

أن تكون الكنيسة متجسّدة في الواقع الاجتماعيّ، لا تستطيع إلاّ أن تواجه المشاكل الاجتماعيّة، وتجد حلولاً لها. إنّها **بذلك تتفحّص في كلّ آنٍ علامات الأزمنة وتفسّرها** في ضوء الانجيل، وتعطي جوابًا عمليًّا على أسئلة الناس، وتعمل على تلبية حاجاتهم (فقرة ٢).

**يُطلب من الهيكليّات الراعويّة والجماعات والمؤسّسات** إدراك هذه المسؤوليّة بحكم انتمائها إلى الكنيسة، والعمل على تكوين الحسّ الاجتماعيّ عند أعضائها وعند أبناء المجتمع وبناته.

***

**صلاة**

يا ربّ أعطني أن أدرك هويّتي ورسالتي اللتين هما منك. لا تجعلني جزّارًا يذبح الخرفان، ولا تجعلني شاةً يذبحها الجزّارون. ساعدني على أن أقول كلمة الحقّ في وجه الأقوياء. وساعدني على ألاّ أقول الباطل لأكسب تصفيق الضعفاء. إذا أعطيتني نجاحًا لا تأخذ تواضعي. وإذا أعطيتني مالاً لا تأخذ سعادتي. وإذا أعطيتني قوّة لا تأخذ عقلي. وإذا أعطيتني تواضعًا لا تأخذ اعتزاري بكرامتي (طاغور).

لك المجد والتسبيح، أيّها الآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين.

الأحد ٢٩ تمّوز ٢٠٠٧

# الأحد العاشر من زمن العنصرة

## الأرواح الشرّيرة وطردها

### إنجيل القدّيس متّى (متّى ١٢/٢٢-٣٢)

قال متّى الرسول: حينئذ قدّموا إلى يسوع ممسوسًا أعمى وأخرس، فشفاه، حتّى تكلّم وأبصر. فدهش الجموع كلّهم وقالوا: «لعلَّ هذا هو ابن داود؟». وسمع الفرّيسيّون فقالوا: «إنّ هذا الرجل لا يُخرج الشياطين إلاّ ببعل زبول، رئيس الشياطين». وعلم يسوع أفكارهم، فقال لهم: «كلّ مملكةٍ تنقسم على نفسها تخرب، وكلّ مدينةٍ أو بيت ينقسم على نفسه لا يثبت. فإن كان الشيطان يُخرج الشيطان، يكون قد انقسم على نفسه، فكيف تثبت مملكته؟ وإن كنت أنا ببعل زبول أُخرج الشياطين، فأبناؤكم بمن يُخرجونهم؟ لذلك فهم أنفسهم سيحكمون عليكم. أمّا إن كنت أنا بروح الله أُخرج الشياطين، فقد وافاكم ملكوت الله. أم كيف يقدر أحد أن يدخل بيت القوّي وينهب أمتعته، إن لم يربط القويّ أوّلاً، وحينئذ ينهبُ بيته؟ من ليس معي فهو عليّ. ومن لا يَجمع معي فهو يبدّد. لذلك أقول لكم: كلُّ خطيئةٍ ستغفر للناس وكلُّ تجديف، أمّا التجديف على الروح فلن يُغفر. من قال كلمة على ابن الانسان سيغفر له. أمّا من قال على الروح القدس فلن يُغفر له، لا في هذا الدهر، ولا في الآتي».

***

وجه آخر من رسالة الكنيسة ينكشف في إنجيل اليوم. إنّها مدعوّة لتسير

على خطى يسوع المسيح، وقد تسلّمت منه السلطان لتواصل باسمه رسالته، أي تحرير الانسان من الشرّ. السيّد المسيح نفسه هو الذي بواسطة خدمة الكنيسة الكهنوتيّة، يحرّر الانسان من استحواذ الشرير عليه، ومن الانقياد لروح الشرّ ومن المسّ الشيطانيّ. زمن الكنيسة هو زمن حلول ملكوت الله بين البشر وفي التاريخ، أي زمن التحرير من عبوديّة الشيطان والخطيئة، بفضل عمل الله الخلاصيّ المتواصل في التاريخ بقوّة الروح القدس.

## ■ أوّلاً، شرح النصّ الانجيليّ

### ١. طرد الشياطين

"بروح الله أطرد الشياطين" (متّى ١٢/٢٨).

هل الشيطان موجود؟ أم هو مجرّد رمز؟ وإذا كان موجودًا، فهل له تأثير على الانسان، وكيف؟ وهل بعد الخلاص الذي حقّقه السيّد المسيح، وبعد حالة النعمة الإلهيّة، يستطيع الشيطان أو الروح الشرير أن يستحوذ على الانسان؟ وهل بعد طرد الأرواح النجسة من الانسان بالمعموديّة، يمكن أن تسكنه من جديد؟ وما هي عمليّة طرد الأرواح المعروفة بالتقسيمات (exorcisme)؟ أسئلة عديدة من هذا النوع تُطرح.

من الكتاب المقدّس وتقليد الكنيسة نعرف أنّ **الشيطان موجود حقًّا**: إنّه في الأساس ملاك ساقط ومتمرّد على الله وتصميمه الخلاصيّ. هو كائن روحانيّ لا جسديّ. هو روح مثل الملاك، أمّا وظيفته فشيطان، كما أنّ الملاك روح ووظيفته ملاك أي خادم الله ومبعوثه ورسوله. إنّ الملائكة يشاهدون باستمرار وجه الآب الذي في السماء (متّى ١٨/١٠). وهم "فعلة كلامه ومنصتون إلى صوته" (مز ١٠٣/٢٠).

**الشيطان أو إبليس** هو ملاك ساقط، خاطئ (٢ بطرس ٢/٤؛ يهوذا ١/٦)، لأنّه رفض بحريّته أن يخدم الله وتصميمه. خياره هذا ضدّ الله نهائيّ ولا مجال للتوبة عنه، كما هي حال الانسان بعد موته. يحاول بالتجربة والحيلة أن يشرك الانسان في التمرّد والعصيان على الله (تعليم الكنيسة الكاثوليكيّة ٤١٥ و٣٩٣).

### ٢. من هو الشيطان

لفظة الشيطان بالعبريّة "**هاشاطان**" تعني العدوّ أو الخصم، الذي يعمل كجاسوس، ويرغب في أن يجعل الانسان في حالة الخطأ وأن يجلب عليه الضرر، وأن يدفعه إلى الشرّ (أيّوب ١/٦؛ أحبار الأوّل ٢١/١). أمّا باليونانيّة فيعبّر عنها بلفظتين: الأولى، **ديابولوس** (diabolos)، يشتقّ منها diable، تعني العدوّ الذي يعاكس تصميم الله وسير الانسان وفقًا لهذا التصميم، بما ينصب من إشراك وحيل وغشّ (أستير ٧/٤)؛ الثانية **دامون** (damon)، يشتقّ منها démon، وتعني الروح الذي له قوّة شبه إلهيّة ويمارسها لضرر الانسان. بولس الرسول يسمّي الشيطان "أركون العالم" (كولوسي ٢/٨ و٢٠)، أي القوّات الشرّيرة.

**الشيطان** المرموز إليه بالحيّة، أغوى الانسان الأوّل، حوّاء، فعصت مع زوجها أمر الله، وأخطأ، فأصبح الانسان عرضة للشقاء والشرّ والموت (تك ٣/١-١٩). وما زال يغوي الانسان بحيله ليعصي الله. ولذلك يسمّى "**المجرّب**" (متّى ٤/١و٣). ويسمّيه يوحنّا الرسول "**الكذّاب وأبا الكذب**" (يو ٨/٤٤)، والربّ يسوع يسمّيه "سيّد هذا العالم" (يو ١٢/١٣١). إنّه يبغض النور، الذي هو يسوع المسيح، ويجرّ الناس إلى العيش في الظلمة، أي في الخطيئة والشرّ، في الظلم والاستبداد، في الحقد والضغينة. الشيطان والشياطين يؤثّرون في الأشخاص والأشياء والأمكنة، ويظهرون بأنواع

مختلفة. ولهذا علّمنا السيّد المسيح أن نصلّي "نجّنا من الشرّير"، "تعال أيّها الربّ يسوع". وبما أنّ الكنيسة تدرك، مع بولس الرسول، "أنّ الأيّام سيّئة" (أفسس ٥/١٦)، فقد صلّت وتصلّي لكي يتحرّر الناس من حيل الشيطان: "نجّنا يا ربّ من الشرور الماضية والحاضرة والمستقبليّة".

وبما أنّ **الشيطان خليقة وروح**، فهو محدود في قدرته. لأنّه روح هو قدير، ولأنّه خليقة فقدرته محدودة. يعاكس عمل الله ومسيرة الانسان، لكنّه لا يستطيع أن يوقعه نهائيًّا. وبالتالي لا يستطيع أن يمنع بناء ملكوت الله. يعمل بحقد ويسبّب أضرارًا جسيمة أحيانًا على الصعيد الروحيّ والحسّي والمادّي في الانسان. ويسمح له الله بذلك، من دون أن يتخلّى الله عن سيادته على التاريخ والعالم وعن توجيهه بقوّة ولين. إنّ هذا السماح الإلهيّ بعمل الشيطان لَسرٌّ عظيم، ولكنّنا نعلم أنّ الله يحوّل كلّ شيء إلى خير الذين يحبّونه (روم ٨/٢٨) (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة ٣٩٥). مثال على هذا السماح تجارب الشيطان لأيّوب (أيّوب ١/١٢؛٢/٦).

### ٣. ما هو المسّ الشيطانيّ

**المسّ** هو استحواذ الشيطان على الانسان أو المكان، بحيث يصبح مسكونًا، وهو إحدى الطرق التي تمارس بها عملَها الأرواحُ الشرّيرة المعادية لله والانسان. لكنّ المسّ الشيطانيّ ليس الطريقة الأكثر شيوعًا. إنّها الحالة المنظورة التي يستولي فيها الروح الشرير على قوى الشخص وعلى نشاطه الحسّيّ، فيتلفّظ بكلمات غير مفهومة، ويكشف أمورًا خفيّة وبعيدة، ويظهر قوّة تفوق حالته الخاصّة، مع نفور شديد من الله والسيّدة العذراء والقدّيسين والصليب والصور المقدّسة، حتّى البغض.

أمّا التأثير الشرّير الذي يمارسه الشيطان وأتباعه بشكل مألوف، فهو من

خلال **الغشّ والكذب والحيلة والإغراء والفوضى** وما شابهها. يوهم الناس أنّ سعادتهم في المال والقوّة والشهوة الجسديّة، وأنّهم ليسوا بحاجة إلى الله ولا إلى النعمة والخلاص، وأنّ لديهم الاكتفاء الذاتيّ. وهكذا يغيب الشعور بالخطيئة، وتصبح قاعدة الأخلاق لا شريعة الله الأدبيّة بل العادات والمسلك الاجتماعيّ العامّ. ويسود الاعتقاد بأنّ الحريّة هي أن تفعل ما تشاء دونما رجوع إلى شريعة إلهيّة ووضعيّة ثابتة، علمًا أنّ الحقيقة هي قبول إرادة الله، نبع كلّ خير وسعادة.

غير أنّ **الأرواح الشرّيرة لا تستطيع الاستيلاء على إرادة الشخص الحرّة**. ولذلك لا يتمكّن الشيطان الذي يسكن إنسانًا من توجيه إرادته الحرّة، كما يفعل التنويم المغناطيسيّ، حتّى البلوغ به إلى الخطيئة. لكنّه، مع ما يمارس عليه من إكراه حسّيّ، فهو يستحثّه على الخطيئة، وهذا ما يريد. يبقى بمقدور هذا الشخص، إذا ما لجأ إلى الصلاة والاستعانة بالعون الإلهيّ والتشفّع بالسيّدة العذراء والقدّيسين، أن ينتصر على التجربة والاستحواذ، وأن يتجنّب الوقوع في الخطيئة والشرّ. كما يستطيع التحرّر من تأثير الأرواح الشرّيرة بالتقدّم المتواتر من سرّ التوبة، والمناولة المقدّسة، والصلاة المنتظمة صباحًا ومساءً، ومطالعة الانجيل والتأمّل فيه والاقتداء بسيرة القدّيسين.

### ٤. طرد الأرواح الشرّيرة

**طــرد الارواح** معروف بالتقسيمات (exorcisme)، وهو عمل مارسه السيّد المسيح على الممسوسين أو المسكونين من الأرواح الشرّيرة (متّى ٨/١٦-١٧/١٨؛ مرقس ١/٢٥-٢٦ و٣٤؛ لو ٩/٣٧-٤٣). وأعطى رسله السلطان لطرد الشياطين (مر ٦/١٢ -١٣؛ لو ٩/١؛ لو ١٠/١٧-٢٠). ولقد

انتصر على الشيطان انتصارًا نهائيًّا بموته وقيامته، وحرّر الانسان من عبوديّته (يو ١٢/٣١-٣٢). ويتحقّق ذلك، بالنسبة إلى كلّ شخص، بالمعموديّة، عندما يمارس الكاهن التقسيم أو التعزيم على المدعوّ للعماد المقدّس، مستمدًّا قوّته من المسيح وسلطان الكنيسة.

بما أنّ عمل الشيطان المعادي لتصميم الله الخلاصيّ وللمؤمنين الذين يحفظون وصاياه (رؤيا ١٢/١٧-١٨) لم يتوقّف، بالرّغم من انتصار الربّ يسوع عليه، ومن انتصار النعمة على الخطيئة، فإنّه يتواصل ويمارس بالطريقة المألوفة، وبالطريقة غير العاديّة المعروفة بالمسّ الشيطانيّ. عند ذلك يتمّ طرد الأرواح بالتعزيم أو التقسيم الكبير على الأشخاص، بواسطة كاهن مفوّض من مطران الأبرشيّة، و للصيغ الليتورجيّة التي وضعها مجمع العبادة الإلهيّة وتنظيم الأسرار ونشرها في ٢٦ كانون الثاني ١٩٩٩.

ويحرص التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة على أن يتصرّف الأسقف والكاهن بكثير من الحكمة والفطنة، بحيث يجب التمييز بين الاستحواذ الشيطانيّ والحالات المرضيّة العصبيّة والنفسانيّة التي تعالج طبيًّا (التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٦٧٣٩).

## ٥. التجديف على ابن الانسان وعلى الروح القدس

"يغفر للناس كلّ خطيئة وتجديف. أمّا التجديف على الروح القدس فلا يُغفر للناس" (متّى ١٢/٣١).

جاء المسيح يعلن ملكوت الله ويدشّنه في العالم وبين الناس. وقد أعطى هؤلاء القدرة على قبول الله في قلوبهم بهبة الروح القدس (روم ٥/٥). لكنّ الخطيئة والشرّ يحدّان من قدرة الانسان هذه عندما يأخذان مكان الله في قلبه. لهذا أتى الربّ يسوع ليحرّر الانسان من تسلّط الشرّ والخطيئة

عليه، ويعيد إليه "حريّة أبناء الله" ويجعله هيكلاً للروح القدس (روم ٨/١-١٧؛ ١ كور ١٢/١-١١؛ غلا ٥/١٦/٢٦).

تحرير الانسان وتقديسه وخلاصه منوط بعمل الروح القدس. فالانسان الذي يجدّف على الروح القدس، ناكرًا عمله الخلاصيّ، لا يغفر له، لأنّه بتجديفه يرفض هو نفسه الغفران النابع من محبّة الآب ونعمة الابن وقوّة الروح القدس. أمّا من يجدّف على ابن الانسان، أي السيّد المسيح، ناكرًا حقيقة من حقائقه، فيُغفر له، لأنّه يبقى منفتحًا على عمل الروح القدس الذي يقود إلى كامل الحقيقة، ويجري تغييرًا جذريًّا في باطن الانسان حتّى التوبة والغفران.

## ■ ثانيًا، الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة

من "المعجم بالتعابير المكتسبة والمتنازع عليها حول الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة"، نطرح اليوم موضوع "**الإنجاب المساعَد والإخصاب في الأنبوب ونقل الجنين**" كتبه المطران Jean Louis Brugès (صفحة ١١١-١١٧).

**الإنجاب المساعَد** تعبير ملتبس وغاشّ. فهو لا يحتوي على "مساعدة" بل على استعاضة: يُستبدل السرير الزوجيّ بوسادة المختبر، ويُستبدل الزوج بالطبيب الذي يحرّك النطفة بيده، ويُستبدل اتّحاد الأجساد بفعل تقنيّ. هذا الاستبدال يمسّ في الصميم المجال الأعمق في حياة الكائن البشريّ ويحدث فيه تحطيمًا داخليًّا.

**الإخصاب في الأنبوب ونقل الجنين** (FIVETE) هو عمليّة إنجاب اصطناعيّ لا تقرّ به الكنيسة لما ينطوي عليه من محاذير خلقيّة ونتائج سلبيّة على الولد، الذي يتمّ إنجابه في الأنبوب، وعلى الزوجين اللذين لم يولد الولد منهما كثمرة لاتّحادهما الجسديّ والروحيّ.

**المحاذير الخلقيّة** هي: طريقة الحصول على زرع الرجل، الذي قد يكون الزوج أو أيّ رجل آخر، وعلى بويضات المرأة، التي قد تكون الزوجة أو أي امرأة أخرى؛ تلقيح بين ست وعشر بويضات في أنبوب، لضمان نجاح التلقيح، ثمّ نقل ثلاث منها على الأقلّ إلى رحم الزوجة أو رحم امرأة تؤجّر أو تقرض رحمها لهذه الغاية؛ تجميد الأجنّة الفائضة وحفظها في الآزوت السائل بحرارة ١٩٦ درجة تحت الصفر. يتمّ الحمل بطريقة عاديّة، ثمّ إذا كانت المرأة "الحامل" غير الزوجة، يُنتزع منها الطفل ليعطى إلى أمّه الاجتماعيّة.

عندما يدخل، على خطّ الإخصاب في الأنبوب ونقل الجنين إلى الرحم، رجل أو امرأة غير الزوجين، يسمّى الإخصاب "**متغايرًا**". وعندما يدخل في عمليّة هذا الإخصاب الزوجان نفساهما يسمّى الإخصاب "**متجانسًا**".

أمّا **النتائج السلبيّة** فهي عمليّة التفكيك (dissociation) الحاصل على صعيد الأفعال والقرابة.

**أ- على صعيد الأفعال**

ثمّة تفكيك بين الإفراز الطبيعيّ للسائل المنويّ الذكريّ عند الرجل والوسيلة الخارجيّة للحصول عليه. وهناك تفكيك ثانٍ بين فعل المجامعة الزوجيّة وفعل الإنجاب، فينحلّ الرباط الذي أوجده الخالق في الفعل الزوجيّ بين الاتّحاد والإنجاب.

وبالنسبة إلى الولد، الذي يأتي نتيجة فعل تقنيّ لا ثمرة اتّحاد جسديّ لوالديه، فهو ليس بعد هبة، بل مفروض فرضًا بحيث أنّ الشريكين يطلبانه من المجتمع الذي يضع في تصرّفهما تقنيّة تلبّي رغبتهما، كما يطلبانه من التقنيين الذين "ينتجون" ولدًا كاملاً، مع رفض أيّ نقص فيه. في هذه الحالة

يُخرج الولد في كونه آخر. وحده الفعل الزوجيّ باتّحاد الجسدين يحترم صفة الآخر.

### ب- على صعيد القرابة

في الإخصاب المتغاير، عندما يكون الزرع من غير الزوج ، ينفى حقّ الولد بأن يولد من الزواج وفي الزواج، وتنتهك حقوقه ،ويحرم من العلاقة البنويّة بأصوله الأهليّة، ويعرقل نضوج هويّته الشخصيّة. وهو لن يعرف أبدًا أباه البيولوجيّ، ولا العائلة التي يخرج من صلبها. وبالتالي يمنع من الولوج إلى معرفته الذاتيّة الكاملة.

وعندما تكون المرأة التي تعطي البيوضات أو تقرض رحمها لحمل الجنين غير أمّ الولد، يصاب هذا الأخير بجرح بليغ، لأنّه سيكون بمثابة مباع أو مشترى. والمرأة تكون مستعملة كأداة ، إذ يُشترى جزء من جسدها، وتمنع من أن تهب ذاتها للولد. إنّها تضحّي بكرامتها.

ويحصل تفكيك للعلاقة بين الزوجين مع إخلال في التوازن، فلا يكون الرجل والمرأة في حالة مساواة تجاه الولد الذي هو الثمرة البيولوجيّة للواحد، لا للآخر. وهكذا يكون للولد أب بيولوجيّ وأب اجتماعيّ يعطيه اسمه، وأمّ بيولوجيّة تعطي البويضات وأمّ حامل أعارت رحمها. ألا يوقع هذا التفكّك خللاً في بناء شخصيّة الولد؟ هذه الأنواع من الإنجاب تلبّي رغبة الكبار دونما اعتبار لخير الولد ، بل تجرحه في بعض حقوقه. إنّ الإخصاب المتغاير يضادّ وحدة الزواج وكرامة الزوجين ودعوة الأهل الخاصّة وحقّ الولد في أن يحبل به ويبصر النور في الزواج وبواسطة الزواج (هبة الحياة ٢/٢).

## ▪ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

"**الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ**" هو النصّ العشرون من المجمع البطريركيّ الذي نتقبّله تباعًا في هذه المرحلة من زمن العنصرة.

إنّ ركيزة الكنيسة المارونيّة نشأتها في مجتمع زراعيّ، طوال الألف وأربعماية سنة من وجودها. فنسجت هويّتها واستمدّت قيمها من اثنين تعلّق بهما المارونيّ: أرض يستثمرها ويسقيها من عرق الجبين والدم، وبيت يأوي إليه هو وأسرته. فصارت الأرض ومعها البيت ضمانة أكيدة لبقاء الموارنة، فسدّت جوعهم ووطّدت صمودهم في الأزمنة الصعبة (فقرة ٣).

استطاع الموارنة أن يثبتوا بوجه معاناتين: الأولى حالة النفور والحذر من إخوتهم في الدين المسيحيّ الذين رفضوا عقيدة مجمع خلقدونيّة (سنة ٤٥١) والثانية حالة أهل الذمّة في إطار الدولة الإسلاميّة الناشئة.

أمّا ثباتهم فكان في جعل ذواتهم جماعة متماسكة ومتحلّقة حول كنيستها بقيادة بطريرك كان يشارك شعبه اتراحهم وفقرهم وزراعتهم، وهي كلّها في حالة شدّة. عاشوا متّكلين على عناية الله وشفاعة السيّدة العذراء والقدّيسين (فقرة ٤).

يصف النصّ المجمعيّ، في الفقرة الخامسة، حالة الموارنة السياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة الصعبة، مع الاضطهاد والظلم، في عهد المماليك حيث عاشوا تحت وطأة نظام أهل الذمّة .

فكان البطريرك الرئيس الدينيّ والزمنيّ في آن. وكان ينتخبه رجال الدين والأعيان والشعب من دون أن يكون ملزمًا بالحصول على موافقة من السلطة الإسلاميّة الحاكمة، خلافًا لسائر البطاركة الشرقيين. استثمر الموارنة هذا الواقع ووطّدوا استقلالهم في مجتمع أهليّ يتقاسمون فيه

السرّاء والضرّاء. وعندما كان يتعرّض الموارنة الجبليّون الفقراء للإهانة والضرب من قبل السلطة المملوكيّة الحاكمة، لعدم قدرتهم على دفع الضرائب المفروضة عليهم، كان البطريرك يترك كلّ عائدات الكنيسة لاشباع نهم الطغاة، رافعًا الظلم والاستبداد عن أبنائه (الفقرتان ٦-٧).

يُطلب من الهيكليّات الراعويّة والجماعات المنظّمة والمؤسّسات أن يتعرّفوا على هذه الصفحة من تاريخ الموارنة، لتكون المعرفة حافزًا لهم اليوم، ليعيشوا تضامن الماضي مع رعاة الكنيسة، ويتحلّقوا حول السيّد البطريرك، الأب والرأس، ليتمكّنوا من الصمود بوجه رياح الانقسامات والخلافات والاستضعاف.

***

**صلاة**

يا ربّ، أنصرنا على قوى الشرّ، وردّ الأشرار عن غيّهم إلى الصلاح. لا تسمح أن نتغلب لهم وللشرّ. ساعدني على أن أرى الناحية الأخرى من الصورة، ولا تتركني أتّهم خصومي بأنّهم خونة لأنّهم اختلفوا معي بالرأي. علّمني أن أحبّ الناس كما أحِبُّ نفسي، وعلّمني أن أحاسب نفسي كما أحاسب الناس. لا تدعني أصاب بالغرور إذا نجحت، ولا أصاب باليأس إذا فشلت. بل ذكّرني دائمًا بأنّ الفشل هو التجارب التي تسبق النجاح (طاغور).

إليك أيّها الآب والابن والروح القدس نرفع المجد والتسبيح إلى الأبد. آمين.

الأحد ٥ آب ٢٠٠٧

# الأحـد الحـادي عشر من زمن العنصرة

## لقاء الحبّ الذي يغيّر

### إنجيل القدّيس لوقا (١٩/١-١٠)

قال لوقا البشير: دخل يسوع أريحا وبدأ يجتازها، وإذا رجل اسمه زكّا، كان رئيسًا للعشّارين وغنيًّا. وكان يسعى ليرى من هو يسوع، فلم يقدر بسبب الجمع لأنّه كان قصير القامة. فتقدّم مسرعًا وتسلّق جمّيزة لكي يراه، لأنّ يسوع كان مزمعًا أن يمرّ بها. ولمّا وصل يسوع إلى المكان، رفع نظره إليه وقال له: «يا زكّا، أسرع وانزل، فعليّ أن أقيم اليوم في بيتك». فأسرع ونزل واستقبله في بيته مسرورًا. ورأى الجميع ذلك فأخذوا يتذمّرون قائلين: «دخل ليبيت عند رجل خاطئ». أمّا زكّا فوقف وقال للربّ: «يا ربّ، ها أنا أعطي نصف مقتنياتي للفقراء، وإن كنت قد ظلمت أحدًا بشيء، فإنّي أردُّ له أربعة أضعاف». فقال له يسوع: «اليوم صار الخلاص لهذا البيت، لأنّ هذا الرجل هو أيضًا ابن لابراهيم. فإنّ ابن الانسان جاء ليبحث عن الضائع ويخلّصه».

***

الربّ يسوع، القائم من الموت والحاضر في المجتمع البشريّ، بالروح القدس وبواسطة جسده السرّيّ، الكنيسة، هو على موعد مع كلّ إنسان لتغيير وضعه في واقع تاريخ الخلاص، مثل زكّا العشّار. زمن العنصرة هو زمن التحويل، بقوّة كلمة الانجيل ونعمة الأسرار والمحبّة الاجتماعيّة.

## ■ أوّلاً، شرح النصّ الانجيليّ

### ١. الايمان أساس اللقاء بالمسيح

زكّا رجل يهوديّ يتعاطى وظيفة جابي العِشر للدولة الرومانيّة القائمة على أرض فلسطين. كان وجيهًا ورئيسًا للعشّارين، خاطئًا علنيًّا، لأنّه يتعاطى مع الدولة الرومانيّة على أرض يهوه، ولأنّه كان، حسب ظنّهم الواقعيّ، يظلم الناس في مطالبتهم بأكثر من كميّة الضريبة المفروضة، ويختلس الفائض. هذا الرجل كان في خاطر يسوع، كما أكّد في ختام اللقاء (لو ١٩/ ١٠).

سمع زكّا بيسوع، فتولّد في قلبه شوق إلى معرفته. ولأنّه كان قصير القامة، تسلّق جمّيزة ليراه، متصرّفًا تصرّف الأطفال. هذا هو الايمان من السماع ، يقول بولس الرسول: "كيف يؤمنون بمن لم يسمعوا به، وكيف يسمعون من دون مبشّر؟ وكيف يبشّرون من دون أن يرسلوا" (روم ١٠/ ١٤-١٧).

الايمان رغبة في العقل وثقة في القلب، ودافع باطنيّ فيه شوق. إنّه ثمرة المعرفة والكلمة التي نسمعها، فهي مثل الحبّة التي يلقيها الزارع في الأرض فتحيا وتنمو. الكلمة هي يسوع المسيح الذي صار جسدًا وحلّ فينا (يو ١/ ١٤).

ناجى أغسطينوس الربّ، عندما آمن، بهذه الكلمات: "أنت كنت في داخلي، وأنا خارجًا عن نفسي. في الخارج بحثت عنك طويلاً، ووثبت نحو الجمالات التي كوّنتها. أنت كنت معي، وأنا لم أكن معك. مسستني فاتّقدتُ شوقًا إليك. وذقتك فجعت وعطشت إليك" (اعترافات ١٠).

لقد مسّ يسوع قلب زكّا، قبل أن يتوق إليه هذا الأخير ويراه من على

الجمّيزة. فكان جواب زكّا منسجمًا مع رؤية الربّ، فنسي ذاته وخرج من ذاته، وتسلّق الجمّيزة ليراه،كما يفعل الأطفال. وبهذا أتمّ وصيّة الربّ يسوع، التي ربّما لم يسمعها، لكنّها قاعدة الايمان به: "إن لم تصيروا كالأطفال لن تدخلوا ملكوت السماء" (متّى ١٨/٣). وكان الربّ قد قال قبيل لقائه بزكّا: "الحقّ أقول لكم إنّ من لا يقبل ملكوت الله مثل طفل لا يدخله" (لو ١٨/١٧).

### ٢. تجاوب الله مع المؤمن

الايمان هو لغة الانسان مع الله. الربّ يسوع يلتقي رغبة زكّا ويكافئها بمفاجأة مشرقة: رفع عينيه إليه وناداه باسمه ووعده بأن يحلّ ضيفًا في بيته. فوجئ الرجل بأنّ يسوع يعرفه باسمه. هذه ضمانة لكلّ إنسان. إنّه يعرفني باسمي، ويودّ أن يحلّ ضيفًا في بيت نفسي وفي عائلتي ومجتمعي. ولكن، لا يستقبله إلاّ المؤمنون. فالايمان بابه إليهم.

لقاء الانسان بالمسيح هو لقاء "بالنور الحقيقيّ الذي ينير كلّ إنسان آتٍ إلى العالم" (يو ١/٩). بل يسوع مرآة النفس البشريّة. إنّه لقاء حبّ. فيسوع أحبّ زكّا في كلّ ما فعل له: النظرة، مناداته باسمه، حلوله ضيفًا في بيته. نور محبّته اخترق قلب زكّا وهو جالس إلى مائدته، فظهرت له شوائب حياته أمام قداسة يسوع ابن الله. وراح يقرأ في أعماق نفسه ما فعل من أعمال سيّئة، قرأها في ضوء حقيقة يسوع ورحمته ومحبّته.

فكانت توبته الكبيرة والتغيير الجذريّ في حياته: أعطى نصف ماله للفقراء، هؤلاء الذين لم يكترث لهم مرّة ولم يسمع صرخة استغاثتهم، وردّ للّذين ظلمهم بالمال الذي اختلسه منهم أربعة أضعاف (لو ١٩/٨). لقد قبل زكّا الحبّ في قلبه، هذا الحبّ الذي أحبّه به يسوع، وأراد أن يتجاوب معه بأن يحبّه أكثر. إنّ توبة الخاطئ هي ثمرة محبّة الله له في المسيح الفادي الذي

"أحبّ حتّى النهاية" (يو ١٣/١) وغفر للصّ اليمين من أعلى الصليب (لو ٢٣/٤٠-٤٣).

حرّره يسوع من رذيلتين: **الأنانيّة ومحبّة الذات** التي كانت قد أمسكت قلبه ويده عن مقاسمة الفقراء، و**الظلم** الذي أوقعه بالناس في فرض ضريبة أكثر من المطلوب. عندما قال يسوع: "اليوم دخل الخلاص إلى هذا البيت" (لو ١٩/١٠)، إنّما أعلن أنّ الحقيقة ومحبّة الله والناس دخلتا قلب زكّا.

أمّا في الخارج، فكان الفرّيسيّون ينتقدون يسوع لأنّه "حلّ عند رجل خاطئ" (لو ١٩/٧). هذه حال الذين فرغت عقولهم من الحقيقة وقلوبهم من المحبّة. المصالحة عند الناس صعبة وشبه مستحيلة، طالما لم ينقادوا إلى نور الحقيقة والمحبّة.

## ■ ثانيًا، الأسرة والحياة والقضايا الاجتماعيّة

من كتاب "المعجم بالتعابير الملتبسة والمتنازع عليها حول الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة"، واستكمالاً لموضوع **"الإنجاب المساعَد والإخصاب في الأنبوب ونقل الجنين"** (صفحة ١١١-١١٧)، نتكلّم عن **"وضع الجنين البشريّ"**.

يدور الموضوع حول الأجنّة المنتجة تقنيًّا في الأنبوب، وهي عادة بين خمسة وستّة، ينقل منها اثنان أو ثلاثة إلى رحم المرأة، والأجنّة الباقية تجمّد للاستعمال عند الحاجة أو لإجراء اختبارات علميّة عليها، أو تتلف، فيما الثلاثة الموضوعة في الرحم تخضع لإرادة الطبيب والزوجين مع إمكانيّة إتلاف اثنين لتجنّب ولادة توأمين.

السؤال المطروح هو هل البويضة المخصّبة في الأنبوب هي كائن بشريّ أو شيء؟ إنّها كائن بشريّ حسب تعليم الكنيسة، وشخص بشريّ في طور تكوينه التدريجيّ؛ وبهذه الصفة ينعم بالكرامة وبالحقوق الأساسيّة. نقرأ في

وثيقة "هبة الحياة": "يجب أن يعامل الكائن البشريّ ويحترم كشخص منذ الحبل به، ويجب الإقرار له بحقوق الشخص، وفي مقدّمتها الحقّ في الحياة" (هبة الحياة ١/١).

إنطلاقًا من وضع الجنين القانونيّ تعلّم الكنيسة ما يلي:

١. كلّ إتلاف متعمّد لجنين هو جرم إجهاض. فلا يمكن للضمير المسيحيّ قبوله.

٢. تجميد الأجنّة لا يتوافق والخليقة الانسانيّة. فالتي لا تنقل إلى رحم الأمّ، وتسمّى "زائدة"، تخضع لمصير مجهول ولا تعطى أيّ مجال أكيد للحياة.

٣. منذ إلغاء شريعة الرقّ، يمنع إعطاء وبيع شخص بشريّ. مع الإخصاب في الأنبوب تعود عمليّة العطاء والبيع، تحت شكل آخر. إنّه منافٍ لكرامة الأجنّة البشريّة إعطاؤها مجّانًا أو بيعًا.

٤. استعمال الجنين لغايات تجاريّة يتنافى وكرامته.

٥. يمكن للجنين، ككلّ كائن بشريّ، أن يخضع للمراقبة الطبيّة والعلميّة بشرط أن تمارس لخيره فقط، لمعالجة داءٍ ما أو لضمانة الحياة. أمّا إذا استعمل الجنين البشريّ لاختبارات علميّة ومن أجل حاجات اجتماعيّة، فهذا منافٍ لكرامة الجنين (هبة الحياة ١/٤).

### خاتمة

لقد فتح الإخصاب في الأنبوب بابًا واسعًا لاكتشافات وممارسات علميّة تتجاوز شريعة الله الذي هو وحده سيّد الحياة والموت، فأعطي الانسان هذا السلطان بوجه الله الخالق. هذه الاكتشافات تستأهل الاعجاب، لكنّ الضمير، صوت الله في أعماق الانسان، والخليقة المسيحيّة لا يقبلانها. فلا

يحقّ للعالم أن يطلق العنان لاكتشافاته، بمعزل عن الوحي الإلهيّ وشريعة الله. والرغبة في ولد، مع أهميّتها السامية، لا تستطيع التحالف المطلق مع التقنيّة الطبيّة بمعزل عن الله وتعليم الكتب المقدّسة والكنيسة.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

"**الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ**"، عنوان النصّ العشرين من المجمع البطريركيّ الملرونيّ، يشكّل موضوع هذا الأسبوع، في ما كان عليه وضع الكنيسة الاجتماعيّ في العهد العثمانيّ وحتّى الانتداب الفرنسيّ (الفقرات ٨-١٤).

أصبح واقع الموارنة الاجتماعيّ، منذ العهد العثمانيّ، في حالة توسّع على مستوى الجغرافيا والمسؤوليّة: إنتشروا، **منذ أواسط القرن السادس** عشر في كسروان والمتن والجرد والشوف وجزّين والجنوب حتّى جبل عامل، وحرّروا من نظام الذمّة. واكبتهم سياسيًّا واجتماعيًّا البطريركيّة والرهبانيّات المنظّمة الناشئة حديثًا في عهد البطريرك اسطفان الدويهي. وقامت على يدهم ثورة بيضاء اقتصاديّة وثقافيّة وديموقراطيّة. وأدخلوا إلى الجبل أرضًا وشعبًا الحضارة المسيحيّة. وتملّكوا الأرض بعرق الجبين فكانت ملكيّات صغيرة للمزارعين، ووقفيّات لأديرة الرهبان، رسّخت الموارنة في مختلف مناطق لبنان (الفقرتان ٨ و٩).

تميّز **القرن الثامن عشر** بأن كانت للكنيسة المارونيّة قيادة ثقافيّة وسياسيّة واقتصاديّة، ما جعل الموارنة يسهمون كروّاد في النهضة الثقافيّة بين الشرق والغرب. ثمّ تكوّنت حركات اجتماعيّة إصلاحيّة عرفت بالعاميّات ساندها الإكليروس المارونيّ. وانطلقت أفكار جديدة، محورها مبدأ جديد للسلطة يقوم على المساواة والصالح العامّ، ويكون الحاكم واحدًا

منهم غير معيّن من قبل الدولة العثمانيّة، والحكم الذاتيّ من غير حكم أجنبيّ. وكانت المطالبات بالحريّة والمساواة وحقّ تقرير المصير (الفقرات ١٠-١٢).

مع **المتصرّفيّة** أصبحت الكنيسة المدافع عن أمور الناس بكلّ طاقاتها السياسيّة والاقتصاديّة. **وبعد الحرب الكونيّة الأولى** وانهيار الإمبراطوريّة العثمانيّة حمل الموارنة، بقيادة البطريرك إلياس الحويّك، لواء تظهير الكيان اللبنانيّ وتثبيته، جاعلينه مساحة حريّة. **وفي عهد الانتداب الفرنسيّ**، واصل الموارنة نضالهم، بقيادة البطريرك أنطون عريضة، من أجل الاستقلال الكامل والتحرّر من قوى الهيمنة الاقتصاديّة والسياسيّة. فكانت ولادة مؤسّسات الخدمة الاجتماعيّة على مختلف أنواعها (الفقرتان ١٣و١٤).

***

**صلاة**

يا ربّ، أنت تضع نفسك على دربي، فافتتح عينيَّ لأراك، وأعرف حقيقة ذاتي، واجتهد في تصحيحها. علّمني أنّ التسامح هو أكبر مراتب القوّة، وأنّ حُبّ الانتقام هو أوّل مظاهر الضعف.

إذا جرّدتني من المال أترك لي الأمل. وإذا جرّدتني من النجاح أترك لي قوّة العناد حتّى أتغلّب على الفشل. إذا جرّدتني من نعمة الصحّة أترك لي نعمة الايمان. إذا أسأتُ إلى الناس أعطني شجاعة الاعتذار، وإذا أساء إلي الناس أعطني شجاعة العفو.

إذا نسيتك لا تنسني (طاغور).

وبدون انقطاع نرفع المجد والشكر للآب والابن والروح القدس إلى الآبد. آمين.

الأحد ١٢ آب ٢٠٠٧

# الأحد الثاني عشر من زمن العنصرة

## لقاء الايمان الذي يشفي

### إنجيل القدّيس متّى (١٥/٢١-٢٨)

قال متّى الرسول: إنصرف يسوع إلى نواحي صور وصيدا، وإذا بامرأة كنعانيّة من تلك النواحي خرجت تصرخ وتقول: «إرحمني، يا ربّ، يا ابن داود! إنّ ابنتي بها شيطان يعذّبها جدًّا!». فلم يجيبها بكلمة. ودنا تلاميذه فأخذوا يتوسّلون إليه قائلين: «اصرفها، فإنّها تصرخ في إثرنا!». فأجاب وقال: «لم أُرسَلْ إلاّ إلى الخراف الضالة من بيت إسرائيل». أمّا هي فأتتْ وسجدتْ له وقالتْ: «ساعدني، يا ربّ!». فأجاب وقال: «لا يحسنُ أن يؤخذَ خبزُ البنين ويلقى إلى جراءِ الكلاب!». فقالت: «نعم، يا ربّ! وجراءُ الكلاب أيضًا تأكل من الفتات المتساقط عن مائدة أربابها». حينئذ أجاب يسوع وقال لها: «أيّتها المرأة، عظيمٌ إيمانكِ! فليكن لكِ كما تريدين». ومن تلك الساعة شُفيت ابنتها.

***

في الأحد الماضي، كان لقاء زكّا بيسوع لقاء حبّ عذب وجميل أدّى إلى توبة زكّا وإلى تغيير مجرى حياته جذريًّا، وإلى دخول الخلاص إلى بيته. واليوم لقاء المرأة الكنعانيّة بيسوع هو لقاء إيمان صاخب بالتحدّي، أدّى إلى شفاء ابنتها المريضة وإلى إعلاء شأن تلك المرأة.

## ■ أوّلاً، شرح النصّ الانجيليّ

### ١. يسوع كلمة تخاطب كلّ إنسان

المرأة الكنعانيّة وثنيّة تنتمي إلى الشعب الذي كان يسكن فينيقيّا اللبنانيّة على ساحل صور وصيدا. لا علاقة لها باليهود والكتب المقدّسة. لكنّ يسوع، **كلمة الله**، كلّم قلبها، كما يكلّم كلّ إنسان، أيًّا يكن دينه وعرقه وثقافته. وعندما يكلّم الانسان، ويقبل هذا الأخير كلامه في عقله وقلبه، يتولّد عنده الايمان، فيلجأ إليه.

سمعت المرأة الكنعانيّة يسوع يكلّم الجموع في نواحي صور وصيدا. فشعرت أنّه يخاطب قلبها، فآمنت به مستغيثة، إذ علّمها إيمانها به أنّه الربّ، ابن داود، المسيح المنتظر، الذي يرفع شقاء البشريّة، فنادته بلقب نبويّ عزيز عليه، صارخة إلى رحمة قلبه: "**إرحمني أيّها الربّ ابن داود، فإنّ ابنتي بها شيطان يعذّبها جدًّا**" (متّى ١٥/٢٢). إنّ يسوع، عندما خاطب الجمع، كان يخاطب قلب كلّ واحد منهم. فلا أحد نكرة عنده. هذه قصّته مع المرأة النازفة التي شعر أنّها لمست طرف ردائه وشفيت فيما الجموع تزحمه وتضايقه (لو ٨/٤٠-٥٦)، ومع أعمى أريحا الذي صرخ إليه، فسمع نداءه وسط الجمع الغفير الصاخب (مر ١٠/٤٦-٥٢)، ومع زكّا العشّار الذي تسلّق الجمّيزة ليراه مارًّا بين الجموع فقرأ مكنونات قلبه الذي كان جاهزًا للارتداد إلى الله (لو ١٩/١-١٠).

يسوع المسيح هو **كلمة الله المتجسّد**، وقد أرسله الآب لينير جميع الناس، ويسكن معهم، ويشرح لهم أسرار الله (أنظر يوحنّا ١/١-١٨). أرسل إنسانًا بين الناس "ليعلن كلام الله" (يو ٣/٣٤)، ويتمّم بكمال عمل الخلاص

الذي سلّمه إليه الآب (يو ٥/ ٣٦:١٧/٤). جاء ليجعل كلّ شيء جديدًا (رؤيا ٢١/٥).

هو إيّاه يسوع المسيح، كلمة الله الأزليّة، يخاطب كلّ إنسان عبر **كرازة الكنيسة وتعليمها**، هي التي ائتمنها الآب على كنز الوحي الإلهيّ، بإعطائها روح يسوع، فجعلها الشاهد بامتياز للكلمة الإلهيّة المحبّة والخلاصيّة (الدستور المجمعيّ في الوحي الإلهيّ، ٢٦). فيما تنقل الكنيسة إلى أجيال البشر الوحي الإلهيّ، الذي قد انتهى، تكون كلمة الله معاصرة لكلّ جيل وراهنة. ليست الكلمة في حالة ركود، بل تصبح قاعدة الايمان السميا، وقدرة حياة. إنّها تنمو في الكنيسة بقيادة الروح القدس، وتكبر بالتأمّل والدرس من قبل المؤمنين، وباختبار الحياة الشخصيّة وبكرازة رعاة الكنيسة (المرجع نفسه، ٨ و٢١). إنّ رسالة الكنيسة الأكيدة والأولى هي أن تنقل كلام الله إلى جميع الناس، في كلّ الأزمنة وفي كلّ الأمكنة، عملاً بوصيّة الربّ يسوع (أنظر متّى ٢٨/١٨-٢٠).

## ٢. تحدّي الايمان والنهج الإلهيّ

الايمان تحدٍّ كبير للانسان. ليس سهلاً بل له مصاعبه. ويسمّيه القدّيسون نفقًا مظلمًا. هذا التحدّي واجهته المرأة الكنعانيّة بامتحان صعب أجراه الربّ يسوع بنهجه الذي لا يُسبر غوره.

خلافًا لتصرّفه مع أعمى أريحا، حيث توقّف عند سماع صراخه "يا ابن داود إرحمني" (مر ١٠/٤٧) وطلب أن يدعوه إليه، فعندما صرخت المرأة الكنعانيّة: "إرحمني أيّها الربّ ابن داود" (متّى ١٥/٢٢)، فلم يجبها بكلمة. إنّه نوع من الإهمال وعدم الاكتراث. ألم نختبر نحن في حياتنا أنّ الله وكأنّه أصمّ، لا يسمع ولا يجيب لصلاتنا وصراخنا إليه؟

أمّا هي "فأتت وسجدت له قائلة: أعنّي يا ربّ". إنّه إصرار الايمان

والصلاة بإلحاح ورجاء، متخطّية إهمال يسوع لها. لكنّ الربّ أجابها بكلام جارح ومحقّر: "ليس حسنًا أن يؤخذ خبز البنين ويلقى للكلاب" كلام كبير وخطير! يسوع، الذي جاء أخًا لكلّ إنسان، والذي أتى، على ما يقول بولس الرسول، ليهدم الجدران والفواصل القائمة بين الشعوب، يعتبر اليهود بنينًا، والكنعانيين كلابًا! هذا الكلام جديد بردّة فعل كبيرة وبإشعال خلاف مستطير. ما أغرب نهج يسوع! وما أبعد نهج الله عن نهج البشر!

لكنّ المرأة الكنعانيّة قبلت التحدّي وتغلّبت على ردّات الفعل، وبهذا أعطت أمثولة رائعة لجميع الأجيال في أهميّة تخطّي ردّات الفعل في قراراتهم. فبحكمة ورويّة وتحدٍّ أيضًا أجابت يسوع: "نعم يا ربّ، إنّ الكلاب تأكل من الفتات الذي يسقط من موائد أربابها". كلام رائع رفع التحدّي الإلهيّ!

لقد علّم يسوع، في بداية كرازته: "أسألوا تعطوا، أطلبوا تجدوا، إقرعوا يفتح لكم. لأنّ كلّ من يسأل ينل، ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له" (متّى ٧/٧-٨).

يتساءل أغسطينوس: لماذا يدعونا الربّ لنصلّي بإلحاح؟ ويجيب: لأنّه يصلّي معنا كرأس، ومن أجلنا ككاهن، ويستجيب لنا كإله.

## ■ ثانيًا، الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة

**من "معجم التعابير الملتبسة والمتنازع عليها حول الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة"**، نتناول موضوع: **"الإيقاف الطبّيّ للحمْل"** للكاتب Carlo Casini (صفحة ١٤٥-١٥٦).

**الأيقاف الطبّيّ للحمْل** تعبير ملتبس تُستبدل به لفظة **إجهاض**. **"فالإيقاف"** يوحي بتعليق موقّت للشيء أو لمسار، على أن يعود فيما بعد

إلى سيره الطبيعيّ، أمّا لفظة "**إجهاض**" فتثير مشاعر سلبيّة. "**إيقاف الحمل**" يتجاهل اللفظة وينزع وخز الضمير ومسؤوليّة القتل.

إنّ **الإيقاف الطبّيّ للحمل** هو في جوهره **رديف الإجهاض الاختياريّ**، وقتل الولد في رحم أمّه. أمّا اليوم، فلفظة "إيقاف الحمل" تعني الإجهاض الشرعيّ (legal)، ولفظة "إجهاض" وحدها تعني اللاشرعيّ (illegal)، بحيث ترمي الشريعة إلى إزالة الوجه السلبيّ لإزالة الولد.

**التشريعات المبيحة** للإجهاض ظاهرة من ظاهرات القرن العشرين. منذ العهد الرومانيّ وفي كلّ الدول، الإجهاض الاختياريّ كان معاقبًا عليه كجرم ضدّ الحياة البشريّة الناشئة. أمّا في القرن العشرين فبدأت تظهر الشرائع التي تجيز الإجهاض في قسم كبير من العالم. وكانت حالات لا تعاقب إزالة الولد أثناء الحَبَل "**لحالة الضرورة**": فالشرائع الوطنيّة لا تعاقب الإجهاض إذا اعتُمد فقط من أجل تخليص حياة الأمّ.

هذه نظرة خاطفة إلى التشريعات المبيحة للإجهاض: أصدر الاتحاد السوفياتيّ سنة ١٩٢٠ أوّل تشريع على وجه الكرة الأرضيّة. ثمّ في السنوات الخمسين: بلدان أوروبا الشرقيّة الداخلة في الكتلة الشيوعيّة: سنة ١٩٥٦ شرعّت بولونيا والمجر وبلغاريا الإجهاض، وفي ١٩٥٧ شرّعته تشيكوسلوفاكيا. ثمّ كان تشريع للإجهاض في بريطانيا سنة ١٩٦٧، وفي الولايات المتحدة سنة ١٩٧٣، حيث قسّم التشريع مدّة الحَمْل إلى ثلاثة فصول. وحذا حذوها فيما بعد العدد الأعظم من البلدان الأوروبيّة من دون أيّ اعتبار لمصلحة الولد، باعتماد لفظة "الخصوصيّة" Privacy كحقّ للمرأة في ألاّ تُزعج في خياراتها الخاصّة.

**أمّا فصول الحمل الثلاثة فهي:**

أ- في الأشهر الثلاثة الأولى، الإجهاض أقلّ خطرًا على المرأة من الولادة. فلا توضع حدود لحريّة الاختيار.

ب- في الفصل الثاني، أي بعد ٩٠ يومًا، يُسمح بوضع حدود غير ملزمة، مع اعتبار الخطر الأكبر على المرأة من جرّاء التدخّل الإجهاضيّ.

ج- في الفصل الثالث، أي بعد الشهر السادس، عندما تصبح الولادة قريبة، تستطيع الدولة وضع حدود أدقّ لمصلحة الدولة نفسها في تجديد السكّان.

انتشرت التشريعات الأميركيّة في أوروبا في السنوات السبعين: الدانمارك (١٩٧٣)، النمسا والسويد (١٩٧٤)، فرنسا (١٩٧٥)، ألمانيا (١٩٧٦)، إيطاليا ولوكسنبورغ (١٩٧٨). وتواصلت في السنوات الثمانين في كلّ من: هولندا (١٩٨١)، البورتغال (١٩٨٤)، أسبانيا (١٩٨٥)، اليونان (١٩٨٦). أمّا في بلجيكا فدخل تشريع الإجهاض سنة ١٩٩٠، ما حمل الملك بودوان على الاستقالة الموقّتة، لإظهار الوجه المأساويّ لقرار البرلمان.

نستطيع القول إنّ تشريع الإجهاض عمّ كلّ أوروبا، باستثناء ايرلندا ومالطا وسويسرا.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ العشرين: "**الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ**"، وتحديدًا الوضع الراهن في لبنان وعالم الانتشار (الفقرات ١٥-٢٠).

١. إنّ الوضع الذي تعيشه الكنيسة المارونيّة **في لبنان اليوم** متأثّر مثل غيره بعاملين: **التغيّرات** الطارئة من جرّاء الحضارة التكنولوجيّة وقيمها وأنماطها، و**الحرب** التي زعزعت أسس البنيان الاجتماعيّ اللبنانيّ.

فمن جهة المتغيّرات سيطرت **ذهنيّة ماديّة** على المجتمع والشعب، بنتيجة "حضارة وعقليّة الاستهلاك" التي تنظر إلى الزوائد والكماليّات على أنّها ضروريّات حياتيّة، متناسين أنّ للانسان أولويّة مطلقة على الأشياء. فكان السعي إلى امتلاك السلع وتكديسها كأنّها هدف بحدّ ذاته، لا مجرّد وسيلة لتأمين حياة كريمة وتحقيق محبّة الآخرين. فأصبح الناس عبيدًا لغريزة "التملّك" والمتعة الفوريّة (رسالة البابا يوحنّا بولس الثاني في الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ، ٢٨).

أمّا من جهة الحرب، **فضربت في العمق البنى** الأساسيّة، السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وحتّى الأسس النفسيّة والشخصيّة لدى الفرد، والقيم والأخلاق، فضلاً عن التشريد والتهجير وتدمير البيوت والممتلكات وهدم العديد من الكنائس، وخراب الأراضي والمؤسّسات. وتتوسّع الفقرتان ١٨ و١٩ في نتائج الحرب الوخيمة وما قامت به الكنيسة من مبادرات ماديّة ومعنويّة.

٢. **في عالم الانتشار**، تختلف الأوضاع الاجتماعيّة لأبناء الكنيسة المارونيّة باختلاف المجتمعات الموجودين فيها. فعلى كلّ جماعة مارونيّة وأبرشيّة في بلاد الانتشار أن تحدّد المشاكل وتستعمل الوسائل والإمكانات المتوافرة لديها لتضعها في خدمة المحتاجين، وأن تتعاون فيما بينها بحيث تساعد القديرة من كانت أقلّ اقتدارًا.

وينبغي أن يقوم تعاون بين الكنيسة الأمّ وموارنة الانتشار من أجل

التعاضد وتشديد روابط الانتماء الفعليّ بإنشاء دوائر مختصّة في البطريركيّة وفي أبرشيّات الانتشار. ومن الضرورة إقامة مبدأ التوأمة من أجل التعاضد والمؤازرة (فقرة ٢٠).

* * *

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، كلمة الله المتكلّمة لكلّ إنسان، أعطنا أن نميّز كلامك، وأن نقبله كيفما أتى، حلوًا أو مرًّا، ملائمًا لرغباتنا أو معاكسًا. فأنت لا تبغي سوى خير كلّ إنسان. ويا ربّ، في زمن الماديّة، فليرفعنا كلامك إلى قمم الروح، لكي يرتفع مجتمعنا إلى مستوى القيم التي تضمن حماية الحياة البشريّة، وتعزّز كرامتها وقدسيّتها، بوجه ذهنيّة الاستهلاك والتعدّي على الحياة الناشئة. لك المجد أيّها الآب على محبّتك، وأيّها الابن على نعمتك، وأيّها الروح القدس على حلولك فينا، الآن وإلى الأبد. آمين.

* * *

الأحد ١٩ آب ٢٠٠٧

# الأحد الثالث عشر من زمن العنصرة

## مقتضيات سرّ الله في الانسان

### إنجيل القدّيس لوقا (٨/١-١٥)

أخذ يسوع يطوف المدن والقرى، ينادي ويبشّر بملكوت الله، ومعه الاثنا عشر، وبعض النساء اللواتي شفاهنّ من أرواح شرّيرة وأمراض، وهنّ: مريم المدعوّة بالمجدليّة، التي كان قد أخرج منها سبعة شياطين، وحنّة امرأة خوزى وكيل هيرودس، وسوسنة، وغيرهنّ كثيرات كنّ يبذلن من أموالهنّ في خدمتهم. ولمّا احتشد جمع كثير، وأقبل الناس إليه من كلّ مدينة، خاطبهم بمثل: «خرج الزارع ليزرع زرعه. وفيما هو يزرع، وقع بعض الحبّ على جانب الطريق، فداسته الأقدام، وأكلته طيور السماء. ووقع بعضه الآخر على الصخرة، وما إن نبت حتّى يبس، لأنّه لم يكن له رطوبة. ووقع بعضه الآخر في وسط الشوك، ونبت الشوك معه فخنقه. ووقع بعضه الآخر في الأرض الصالحة، ونبت فأثمر مئة ضعف». قال يسوع هذا، ونادى: «من له أذنان سامعتان فليسمع». وسأله تلاميذه: «ما تراه يعني هذا المثل». فقال: «أنتم قد أعطي لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت الله، أمّا الباقون فأكلّمهم بالأمثال، لكي ينظروا فلا يبصروا، ويسمعوا فلا يفهموا. وهذا هو معنى المثل: الزرع هو كلمة الله. والذين على جانب الطريق هم الذين يسمعون، ثمّ يأتي إبليس فينتزع الكلمة من قلوبهم، لئلاّ يؤمنوا فيخلصوا. والذين على الصخرة هم الذين يسمعون الكلمة ويقبلونها بفرح. هؤلاء لا أصل لهم، فهم يؤمنون إلى حين، وفي وقت التجربة يتراجعون. والذي وقع في الشوك هم الذين يسمعون ويمضون، فتخنقهم الهموم والغنى وملذّات الحياة، فلا ينضج لهم ثمر. أمّا الذي وقع

في الأرض الجيّدة فهم الذين يسمعون الكلمة بقلب جيّد صالح فيحفظونها، ويثبتون فيثمرون».

***

مثل الزارع إبراز لسرّ ملكوت الله، المتجلّي في شخص المسيح- الكلمة، المزروعة في هذا العالم. الكنيسة هي زرع الملكوت بعنصريها الإلهيّ والبشريّ: **العنصر الإلهيّ** هو كلمة الله، شخص يسوع المسيح، ابن الله المتجسّد، المزروع كلمة حياة في العالم. **والعنصر البشريّ** هو الجنس البشريّ، كلّ إنسان، وكلّ جماعة مدعوّة لتقبل زرع الكلمة مثل أرض طيّبة. فتثمر مثل الكلمة وينمو الملكوت، سرّ الله في الانسان.

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. ملكوت الله بالأمثال

الأمثال صيغة فريدة للتعليم استعملها الربّ يسوع، فشكّلت قلب كرازته. إنّها تختلف عن التشابيه والرموز والاستعارة. إنّها حقيقة ملكوت الله الراهنة. لفظة "**ملكوت الله**" باليونانيّة تعني "اسكاتون – Eskaton". فلا تعني حصرًا ملكوت الله "الذي سيأتي" بعد نهاية الأزمنة، بل أيضًا الملكوت الذي يأتي بشخص المسيح. ولذا يصبح سرّ الملكوت "الاسكاتولوجيا المتحقّقة" و"الاسكاتولوجيا التي تتحقّق". في الأمثال، يسوع يعلن اقتراب مجيء ملكوت الله، ومجيئه في شخصه. إنّه سرّ الابن الحاضر فيه الله فيما بيننا. والمسيح الذي أتى هو، في مسار كلّ التاريخ، المسيح الذي يأتي. عن هذا "المجيء" في العمق تتكلّم الأمثال (البابا بندكتوس السادس عشر: "يسوع من الناصرة" ص ٢٢٣-٢٢٤).

عندما أعلن يسوع في هيكل الناصرة "بدء سنة نعمة الله"، إنّما أعلن بروز المخلّص المخبوءة ألوهته وراء كلّ كلمة ومثل. فلا يستطيع الشعب أن يظلّ في حال عدم الاكتراث بكلام الله وعمل الخلاص. فأرسل إليه الله أشعيا يحذّر ويقول: "غلّظ قلب هذا الشعب وثقّل أذنيه وأغمض عينيه لئلاّ يبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى. فقلت إلى متى أيّها السيّد. فقال إلى أن تصير المدن خربة بغير ساكن والبيوت بغير إنسان والأرض خرابًا مقفرًا. ويقصي الربّ البشر وتبقى في الأرض وحشة عظيمة. وأن يبقى فيها العشر من بعد فإنّها تعود وتصير إلى الدمار، ولكن كالبطمة والبلّوطة التي بعد قطعها يبقى جذلّ فيكون جذلها زرعًا مقدّسًا (أشعيا ٦/ ١٠-١٣).

### ٢. الموقف من سرّ الملكوت

يدعو الربّ يسوع في إنجيل اليوم إلى اعتماد الموقف الشبيه بالأرض الطيّبة، أي موقف العقل المنفتح لكلام الله، والقلب التوّاق لقبول النعمة الإلهيّة، والكيان المنقاد لعمل الروح القدس.

لكنّه يشجب ثلاثة مواقف:

أ- **موقف اللامبالين** المشبّهين بقارعة الطريق، حيث إذا سقط الزرع أكلته الطيور. هؤلاء يسمعون كلمة الله بآذانهم لا بقلبهم، وبدون مبالاة، وكأنّهم يهمّشون الله عن حياتهم اليوميّة. تأتي تجربة الشيطان وتسلبهم الكلمة.

ب- **موقف السطحيين** المشبّهين بالصخر، حيث إذا سقط الزرع ونبت أحرقته الشمس. هؤلاء يسمعون الكلمة ويفرحون بها في

دقيقتها ثمّ ينسونها حالاً، ولا تدخل في عمق نفوسهم، لأنّهم يفتقرون إلى أصالة وعمق، ولا جذور روحيّة لهم.

ج- **موقف الاستهلاكيين** المشبّهين بالأرض المملوءة شوكًا، حيث إذا سقط الزرع، خنقته الأشواك. هؤلاء ينهمكون بهمومهم وحساباتهم وتطلّعاتهم وشؤون الحياة الماديّة وملذّاتها والمصالح وهواجس الأكل والشرب والعمل واللباس. كلّ هذه الأمور الماديّة والاستهلاكيّة تخنق كلمة الله في مهدها.

**الموقف المطلوب** هو الذي يشبه **الأرض الطيّبة**، حيث ينبت الزرع ويثمر الواحد مئة. إنّ الذين يقبلون كلمة الله في قلب جيّد وصالح يثمرون بالصبر.

**أمّنا مريم العذراء الكليّة القداسة**، التي نحيي عيد انتقالها بالنفس والجسد إلى السماء في هذا الأسبوع، **هي القدوة** في قبول كلمة الله. منذ حدث البشارة، تبقى لنا ولكلّ جيل المثال الحيّ لكلّ لقاء شخصيّ وجماعيّ مع الكلمة الإلهيّة، التي قبلتها بالايمان، وتأمّلتها بالرجاء، وأودعتها قلبها ونفسها بالحبّ (أنظر لوقا ١/٣٨؛ ٢/١٩ و٥١؛ أعمال الرسل ١١/١٧). كانت تسمع الكتب المقدّسة وتتأمّلها، وتربط كلمات يسوع بأحداث حياتها التاريخيّة.

ولأنّ مريم قبلت كلمة الله في قلبها بالايمان والرجاء والمحبّة، قبلتها بتدبير إلهيّ، جنينًا في حشاها، هو ابن الله المتجسّد، الذي أعطته طبيعة بشريّة، فكانت أمّ الإله في الطبيعة البشريّة (عقيدة إيمان أعلنها مجمع أفسس سنة ٤٣١)، وأمّ يسوع المسيح، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، الإله الكامل بألوهته والانسان الكامل ببشريّته (عقيدة إيمان أعلنها مجمع خلقيدونيّة سنة ٤٥١).

ولأنّها منذ اللحظة الأولى للحبل بها في حشا أمّها حنّة عصمت من الخطيئة الأصليّة التي يتوارثها كلّ بشر من الأبوين الأوّلين آدم وحوّاء، استباقًا لاستحقاقات ابنها الفادي الإلهيّ (عقيدة إيمان أعلنها البابا الطوباويّ بيّوس التاسع في ٨ كانون الأوّل ١٨٥٤)، ولأنّها شاركت يسوع ابنها آلام الفداء، نقلها الله، عند وفاتها، بالنفس والجسد إلى مجد السماء، لتملك مع ابنها ملك الملوك وتتوّج سلطانة السماء والأرض (عقيدة إيمان أعلنها البابا بيوس الثاني عشر في أوّل تشرين الثاني ١٩٥٠).

## ■ ثانيًا، الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة

"**الإيقاف الطبّيّ للحمل**" هو الموضوع الذي نواصل النظر فيه، والمأخوذ من "**المعجم بالتعابير الملتبسة والمتنازع عليها حول الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة**". (صفحة ١١١-١١٧).

إنّ التشريعات المبيحة للإجهاض، المسمّى بالتباس "الإيقاف الطبّيّ للحمل" تعطي ثلاثة تبريرات لما يسمّى بالإجهاض الشرعيّ (avortement légal). وهي تبريرات ترفضها الكنيسة لأنّها تعدٍّ سافر على الحياة البشريّة، وليس لأحد غير الله سلطة عليها.

١. **حالة الضرورة.** إنّها حالة واسعة بدون حدود. ويبقى النزاع بين حقوق الأمّ ومصالحها وحقوق الجنين ومصالحه. يحاول الشرع إعطاء حلّ لهذا النزاع، مع توسيع مجالات الأمّ وتضييق مجالات الولد.

٢. **حقّ المرأة في الخيار** (privacy). يُهمل كليًّا هنا النزاع بين الأمّ وابنها. ولكن يفترض وجود نزاع في الفصلين الثاني والثالث من مدّة الحمل، وفقًا للفصول الثلاثة التي حدّدتها شريعة الإجهاض في

الولايات المتحدة الأميركيّة. في الفصل الثاني، أي بدءًا من الشهر الرابع للحمْل حتّى السادس، يوجد تضارب بين حقوق المرأة نفسها ومصالحها؛ ثمّ بين مصلحة المرأة ومصلحة الدولة.

٣. **واجب المواطن تجاه صالح الدولة العامّ**. إنّه واجب من أجل تجنّب التزايد السكّانيّ. ينتقلون هكذا من فكرة الإجهاض كمعالجة إلى فكرة الإجهاض كحقّ في الحريّة، وصولاً إلى فكرة الإجهاض كواجب. في بعض بلدان الشرق الكبيرة، مثل الصين والهند، الإيقاف الطبّيّ للحمْل أو الإجهاض، مفروض كحدّ للنسل وضعته السلطة المدنيّة.

## ▪ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

"**الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ**" هو النصّ المجمعيّ العشرون، الذي نواصل تقبّله في فصله الثاني: "**أيّ مجتمع تصبو الكنيسة المارونيّة إلى بنائه؟**".

يجيب النصّ المجمعيّ أنّ المجتمع المنشود هو **أوّلاً** مجتمع تكون مؤسّساته متطوّرة ومنظّمة، والعلاقات الداخليّة ذات عمق روحانيّ وإنسانيّ. فتكون المؤسّسات والعلاقات فاعلة في خدمة الانسان. وهو **ثانيًا** مجتمع يتألّف من أشخاص أحرار ومتساوين ومسؤولين. وهو **ثالثًا** مجتمع قائم على الثوابت التي تتلاءم مع المبادئ الأساسيّة في تعليم الكنيسة الاجتماعيّ، وأهمّها التضامن والعدالة والترقّي (الفقرات ٢٢- ٢٤).

### التضامن

هو العزم الثابت والدائم على العمل من أجل الخير العامّ، الذي هو خير

الكلّ وخير كلّ فرد، لأنّنا جميعًا مسؤولون حقًّا عن الجميع (البابا يوحنّا بولس الثاني: الاهتمام بالشأن الاجتماعيّ، ٣٨).

### العدالة

هي أنّ جميع الناس، مع تمايزهم، هم متساوون في بنوّتهم لله، وفي كرامتهم الانسانيّة، وفي تمتّعهم بالحقوق البشريّة الأساسيّة. هذه "**عدالة طبيعيّة**" من صنع الله، ولا يحقّ لأيّ كان، فردًا أو جماعة أو دولة، أن يتخطّاها أو يعمل بنقيضها. بل واجب على الجميع العمل على احترام هذه العدالة وتحقيقها، فتصبح "**عدالة اجتماعيّة**" لجميع الناس، هدفها تخفيف الفوارق بين الأفراد والجماعات، وتوفير تكافؤ الفرص للجميع على كلّ المستويات.

### الترقّي

هو ترقّي الانسان، الذي يكمّل العدالة، ويرتكز على النموّ الاقتصاديّ والإنماء الاجتماعيّ، والنموّ الروحيّ والخلقيّ. إنّ لكنيستنا مبادرات تاريخيّة في ترقّي الانسان والمجتمع، على مستوى التعليم والتطبيب والزراعة والصناعة الخفيفة والسكن، وعمل الأرض واستثمارها، وتوفير فرص العمل، والنهوض الاقتصاديّ.

***

### صلاة

يا ربّ، أعضد كنيستك ورعاتها، لكي، بنشر الانجيل وتوزيع الأسرار وخدمة المحبّة، تهيّئ العقول والضمائر والقلوب لقبول كلمة الحياة، قبول

الأرض الطيّبة لحبّات القمح، فيثمر كلامك فيهم حضارة حياة، ونهجًا مستقيمًا بنّاءً، وموقفا هاديًا إلى الحقّ. أعطنا، يا ربّ، أن نعمل على حماية الحياة البشريّة من المعتدين عليها بالإجهاض، وأن ننمّيها بمبادرات التضامن وممارسة العدالة وتعزيز الإنماء. أنت أردت، يا ربّ، أن يكون الانسان الحيّ انعكاسَ مجدكِ الذي ننشره مدى الدهور، مجدًا وتسبيحًا وشكرًا للآب والابن والروح القدس، إلى الأبد. آمين.

* * *

الأحد ٢٦ آب ٢٠٠٧

# الأحد الرابع عشر من زمن العنصرة

## معرفة المسيح خلاص الانسان

### إنجيل القدّيس لوقا (١٠/٣٨-٤٢)

دخل يسوع إحدى القرى، فاستقبلته في بيتها امرأة اسمها مرتا. وكان لمرتا أخت تُدعى مريم. فجلست عند قدمي الربّ تستمع كلامه. أمّا مرتا فكانت منهمكة بكثرة الخدمة، فجاءت وقالت: «يا ربّ، أما تبالي بأنّ أختي تركتني أخدم وحدي؟ فقل لها أن تساعدني!». فأجاب الربّ وقال لها: «مرتا، مرتا، إنّك تهتمّين بأمور كثيرة، وتضطربين! إنّما المطلوب واحد! فمريم اختارت النصيب الأفضل، ولن يُنزع منها».

***

يسوع المسيح هو "**المطلوب الأوحد**" الذي يحتاج إليه الانسان في ما يقوم به من عمل ونشاط وتفكير وبحث. يسوع يحلّ ضيفًا في بيت مرتا ومريم، شقيقتي لعازر الذي سيقيمه من الموت. وهو بيت صديق ليسوع. مرتا تنهمك، على الطريقة الشرقيّة، في إعداد واجب الضيافة بغداء يليق بيسوع، فيما مريم تجلس عند قدميه تسمع كلامه. وعندما اعترضت عليها مرتا، قال لهما الربّ إنّ المطلوب واحد، وهو البحث عنه وسماع كلامه.

## أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. يسوع هو المطلوب الأوحد

سترى مرتا ومريم معنى كلام يسوع عندما سيقيم أخاهما لعازر من الموت بعد أربعة أيّام، مؤكّدًا أنّه هو "القيامة والحياة، من آمن به، وإن مات، فسيحيا" (يو ١١/٢٥). أقام لعازر من الموت ليبيّن لكلّ إنسان وجماعة وشعب أنّه قادر على إحيائهم من موتهم الروحيّ والخلقيّ والمعنويّ والاجتماعيّ. قيامة لعازر هي البرهان والدليل. هذا القادر على أن يقيم ميتًا بالجسد، قادر أيضًا أن يقيم كلّ ميت بالروح. لقد جاء **مخلّصًا للعقول** من موت الكذب والضلال، **وللضمائر** من موت العمى الروحيّ، **وللإرادات** من موت الشرّ والانحراف، **وللقلوب** من موت الحقد والضغينة. إنّه يقيم الانسان إلى الحقيقة والنور والصلاح والحبّ. وقد قال يومًا لسامعيه: "إن لم تؤمنوا أنّي أنا هو، تموتون في خطاياكم" (يو ٨/٢٤).

### ٢. يسوع المسيح، المطلوب الأوحد، هو الله بيننا ومعنا

عندما سأل موسى الربّ المتجلّي له في العلّيقة التي "تلتهب ولا تحترق" عن اسمه، أجابه "**أنا هو الذي هو**" (خروج ٣/١٤): أنا هو الذي هنا، أنا هو الحاضر أبدًا مع الناس ومن أجلهم، أمس واليوم وغدًا.

لقد كشف الله عن مفهوم اسمه هذا بلسان أشعيا النبيّ: "أنتم شهودي، أنتم عبدي الذي اخترته، لكي تعلموا وتؤمنوا بي وتفهموا **أنّي أنا هو**، لم يكن إله قبلي ولا يكون بعدي. أنا أنا الربّ، ولا مخلّص غيري. أنتم شهودي وأنا الله... أنا الربّ قدّوسكم، خالقكم وملككم" (أشعيا ٤٣/١٠-١٥).

**الله هو المطلوب الواحد والأوحد**، ولا إله سواه من صنع البشر، **ونحن "شهود له"** بوجه عابدي أصنام هذا العالم، من أشخاص وأشياء

وإيديولوجيّات. يقيم الناس أصنامًا عديدة يعبدونها كآلهة: صنم المال والسلطة، صنم الجنس، صنم السلاح والقدرة، صنم التسلّط والديكتاتوريّة والتوتاليتاريّة، صنم المادّية والاستهلاكيّة. **ونحن "عبده"** أي عابدوه ومعاونوه في تحقيق تاريخ الخلاص عبر تاريخ البشر.

### ٣. سرّ الله الأوحد حاضر في المسيح

أكّد الربّ يسوع: "أنا والآب واحد"، بمعنى أنّ "من رآه رأى الآب" (يو ١٤/٩). وعندما يرتفع على الصليب تظهر علاقته هذه بالآب في ذروتها، ذروة الحبّ الذي هو الله، "فأحبّ حتّى النهاية" (يو ١٣/١) . "**العلّيقة المتّقدة" هي الصليب**. هذا هو معنى كلمة يسوع عن نفسه: "**أنا هو**". وقد أشار إليه بقوله: "إذا رفعتم ابن الانسان فحينئذٍ تعرفون **أنّي أنا هو**، وأنّي لست أفعل شيئًا من عندي، ولكن كما علّمني الآب كذلك أقول. والذي أرسلني هو معي، ولم يدعني وحدي لأنّي أفعل ما يرضيه كلّ حين" (يو ٨/٢٨-٢٩).

هذه المعرفة نالها أهل زمانه، اليهود الذين عرفوه يوم العنصرة، حلول الروح القدس. فلمّا سمعوا بطرس، نفذ كلامه إلى قلوبهم، فقالوا له ولسائر الرسل: "ماذا علينا أن نعمل، أيّها الرجال الأخوة؟" فقال لهم بطرس: "توبوا وليعتمد كلّ واحد منكم باسم يسوع المسيح، لمغفرة خطاياكم، فتنالوا موهبة الروح القدس". فقبلوا كلامه واعتمدوا. وانضمّ في ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس (أعمال ٢/٣٧-٣٨ و٤١).

لكنّ هذه المعرفة لا تقف عن حدود أهل زمان يسوع، بل تمتدّ عبر التاريخ إلى كلّ إنسان، لكونه هو "**المطلوب الأوحد**"، ومبتغى الشعوب وتوق الأجيال. تبقى حياة الانسان لغزًا إذا لم تلتقِ كلمة الله يسوع المسيح.

وتتحقّق المعرفة بكاملها في نهاية التاريخ، كما رآها يوحنّا الرسول: "ستراه كلّ عين، وأيضًا الذين طعنوه" (رؤيا ١/٨). كلّ الذين طعنوا ويطعنون وسيطعنون المسيح الربّ بخطاياهم وشرورهم مدعوّون لينظروا إليه، فيشفوا من موت خطاياهم.

هذا التفسير مأخوذ من كتاب البابا بندكتوس السادس عشر "يسوع الذي من الناصرة" (صفحة ٣٩٥-٤٠٠).

## ■ ثانيًا، الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة

"**الإيقاف الطبّيّ للحمل**" هذا التعبير الملتبس الذي يعني في مضمونه "**الإجهاض**"، هو الموضوع المأخوذ من "**المعجم بالتعابير الملتبسة والمتنازع عليها حول الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة**" للمطران Jean-Louis Bruguès (صفحة ١١١-١١٧). وقد تناولناه سابقًا في محطّتين.

نتوقّف اليوم عند **الأساس-المصدر** الذي ترتكز عليه التشريعات المبيحة للإجهاض، وتسمّيه "إجهاضًا شرعيًّا - Légal، للتخفيف من الجرم. لكنّ قتل الحياة البشريّة في حشا الأمّ جريمة يحرّمها الله وتدينها الكنيسة.

إنّ الأساس-المصدر هو **المفهوم الماديّ للوجود**. ليس صدفة أن يكون الاتحاد السوفياتيّ هو المكان الذي ظهرت فيه كلمة الإجهاض لأوّل مرّة، وتمّ تشريعه. فالاتحاد السوفياتيّ هو المساحة حيث تيّار الماديّة يشكّل العقيدة الرسميّة لنظام الحكم، التي تُعلّم في الجامعات، والتي تحوّل الكنائس إلى متاحف الإلحاد. وليس صدفة أن يسبق بقليل دخول الشيوعيّة إلى بلدان أوروبا الشرقيّة مع التشريعات المبيحة والانحلاليّة. إنّ تشريع الإجهاض في الاتحاد السوفياتيّ سبق تشريعه في بريطانيا تحت عنوان "Abortion Act" بسبع وأربعين سنة. ما يعني أنّ الإجهاض لقي في بلدان أوروبا الغربيّة

مقاومة كبيرة قبل فرضه كواقع شرعيّ. وقد تمّ فرضه عندما راح تيّار الماديّة العمليّة، الذي لا يجرؤ على نكران الله، يتوطّد في تلك البلدان. وهكذا ظهر واضحًا أنّ "غياب مفهوم الله والشعور به" هو في أساس التشريعات المعادية للحياة (البابا يوحنّا بولس الثاني، إنجيل الحياة، ٢١).

تعتمد التشريعات لفظة "**إيقاف طبّيّ للحمل**" لتعني شرعيّة الإجهاض، عندما يمارس كتدخّل طبّيّ في المستشفى. لكنّه إجهاض بكلّ ما في الكلمة من معنى، لكونه قتلاً للولد- الجنين، مهما حاولت التشريعات المدنيّة إظهار شرعيّته. إنّها في ذلك آخذة بفقدان قانونيّتها. هذا ما أكّده خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني في رسالته العامّة: "إنجيل الحياة" (عدد ٧٢):

"القوانين التي تسوّغ وتشجّع الإجهاض والقتل الرحيم، تناقض، لا منفعة الفرد وحسب، بل المنفعة العامّة، وتمسي بالتالي مجرّدة من كلّ شرعيّة قانونيّة صحيحة. ولا غرو، فتجاهل حقّ الانسان في الحياة، لأنّه يفضي، بالتحديد، إلى إلغاء الفرد الذي جُعل المجتمع لخدمته، هو أشدّ ما يتصدّى لتحقيق الخير العامّ، بطريقة مباشرة لا تعوّض. وينجم عن ذلك أنّ كلّ قانون مدنيّ يشرّع الإجهاض والقتل الرحيم يبطل، بالفعل نفسه، أن يكون قانونًا مدنيًّا حقيقيًّا ملزمًا إلزامًا أدبيًّا".

أمام هذا الواقع لا بدّ من **طرح سؤالين**، ما الذي يميّز الشرعيّة عن أمر من هو أقوى؟ وما الذي يميّز الدولة عن جمعيّة أشرار منظّمة؟

**الجواب** نجده في **مقدّمة الإعلان العالميّ لحقوق الانسان** الذي أقرّته منظّمة الأمم المتحدة في ١٠ كانون الأوّل ١٩٤٨ أي: أنّ الإقرار **بكرامة** أعضاء الأسرة البشريّة، **وبحقوقهم المتساوية** غير قابلة الانتهاك، يشكّل الأساس للحريّة والعدالة والسلام في العالم.

لكنّ هذا الإعلان عن **كرامة** الشخص البشريّ **والمساواة** بين الجميع نال انتكاسته بإقرار الإجهاض أو الإيقاف الطبّيّ للحمْل. وقد سمّى البابا يوحنّا بولس الثاني هذه الانتكاسة "**انكسارًا للدولة**" و"**انكسارًا للانسان**"، وبالتالي "انتصارًا لمبدأ الرفاهيّة المادّية والأنانيّة على القيمة الأقدس، قيمة الحياة البشريّة. إنّ من انكسر هو الرجل، وهو المرأة، وهو الطبيب الذي أنكر قَسَمه ولقبه الشريف الذي هو حماية الحياة البشريّة ونجاتها. إنّه **انكسار الدولة المتعلمنة** التي تخلّت عن حماية الحقّ الشرعيّ والمقدّس في الحياة" (خطابه أمام هيئة المجالس الأسقفيّة الأوروبيّة في ١١ تشرين الأوّل ١٩٨٥).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ العشرين بعنوان: "**الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ**"، وعلى وجه التحديد "**السياسة الاجتماعيّة، التي تتبنّاها الكنيسة، وهي تقوم على أهداف ثابتة وعميقة**، إنطلاقًا من ثوابت التضامن والعدالة والترقّي (الفقرات ٢٥-٢٧).

**إنّ الأهداف أربعة:**

١. تحقيق نظام اجتماعيّ قائم على احترام الانسان والمساواة في الحقوق والواجبات، وعلى الانفتاح الثقافيّ والروحيّ والاستقرار الماديّ.

٢. تحقيق عدالة اجتماعيّة تؤمّن مستوى لائقًا من العيش الكريم لكلّ أفراد المجتمع، وتمكّن كلّ شخص من تنمية كفاءاته وقدراته وتحقيق ذاته، ومن المشاركة في بناء مجتمعه.

٣. تثمير القدرات البشريّة المتوفّرة لدى أفراد المجتمع.

٤. استغلال الثروات الطبيعيّة وزيادة الإنتاج بهدف تأمين حاجات

الجميع، وبخاصّة المعوزين والفقراء وغير المنتجين، وبغية تأمين عيش كريم للانسان الذي هو غاية لا وسيلة، وهو هدف الكنيسة الأساسيّ.

من شأن هذه الأهداف أن تصل إلى قيام **مجتمع عادل** يرتكز على علاقة كيانيّة وعضويّة بين الفرد والمجتمع. هذه العلاقة تعرف **بمعادلة الحقوق والواجبات**. إنّ لكلّ مواطن حقوقًا أساسيّة على مجتمعه، وعليه واجبات تجاهه. وتقع على الجميع واجبات تؤمّن حقوق الأفراد، من دون أن تكون تصدّقًا يُحسن به عليهم أو منّة.

على أساس المعادلة بين الحقوق والواجبات، يقاس تطوّر المجتمع، وتقاس كرامة الانسان فيه. والكنيسة من جهتها تدافع عن الحقوق الاجتماعيّة الأساسيّة الواجبة لكلّ فرد وجماعة، وأهمّها: الحقّ في بناء عائلة، والحقّ في السكن، والحقّ في العمل، والحقّ في الصحّة والطبابة، والحقّ في التعليم والثقافة. وهي سنراها لاحقًا بالتفصيل.

***

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، أنت مطلوب الانسان الأوحد، إذا وجدك استنار بكلام الحياة، وشفي بنعمة الأسرار، وانتعش بروح المحبّة. ساعدنا لنلجّ إلى سرّ الله الحاضر فيك، فنشهد لمحبّته في مجتمعنا. وبهذا نبني مجتمعًا عادلاً وعدالة اجتماعيّة توفّر للجميع عيشًا كريمًا وتحقيقًا للذات مع الاستقرار والسلام. إنّها إرادة الله المتجلّية في محبّة الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس. للثالوث القدّوس كلّ مجد وتسبيح وشكر إلى الأبد. آمين.

الأحد ٢ أيلول ٢٠٠٧

# الأحد الخامس عشر من زمن العنصرة

## الايمان والحبّ أساس التوبة والغفران

### إنجيل القدّيس لوقا (٧/٣٦-٥٠)

سأل واحد من الفرّيسيين يسوع أن يتناول الطعام معه، فدخل بيت الفرّيسيّ واتّكأ. وإذا امرأةٌ، وهي التي كانت في المدينة خاطئة، علمت أنّ يسوع متّكئٌ في بيت الفرّيسيّ، فجاءت تحمل قارورة طيب. ووقفت باكية وراء يسوع، عند قدميه. وبدأت تبُلّ قدميه بالدموع، وتنشّفهما بشعر رأسها، وتقبّل قدميه، وتدهنهما بالطيب. ورأى الفرّيسيّ، الذي دعا يسوع، ما جرى، فقال في نفسه: «لو كان هذا نبيًّا لعلم أيّ امرأة هي تلك التي تلمسه. إنّها خاطئة». فأجاب يسوع وقال له: «يا سمعان، عندي شيء أقوله لك». قال الفرّيسيّ: «قل، يا معلّم». قال يسوع: «كان لدائن مديونان، أحدهما مديون بخمسمئة دينار، والآخر بخمسين. وإذ لم يكن لهما ما يوفيان، سامحهما كليهما. فأيُّهما يكون أكثر حبًّا له؟». أجاب سمعان وقال: «أظنّ ذلك الذي سامحه بالأكثر». فقال له يسوع: «حكمت بالصواب». ثمّ التفت إلى المرأة وقال لسمعان: «هل ترى هذه المرأة؟ أنا دخلت بيتك فما سكبت على قدميّ ماء، أمّا هي فقد بلّت قدميَّ بالدموع، ونشّفتهما بشعرها. أنت لم تقبّلني، أمّا هي فمنذ دخلت لم تكفَّ عن تقبيل قدميَّ. أنت ما دهنت رأسي بزيت، أمّا هي فدهنت بالطيب قدميَّ. لذلك أقول لك: خطاياها الكثيرة مغفورة لها، لأنّها أحبّتْ كثيرًا. أمّا الذي يُغفر له قليلاً فيحبّ قليلاً؟». ثمّ قال للمرأة: «مغفورة لك خطاياك». فبدأ المتّكئون معه يقولون في أنفسهم: «من هو هذا الذي يغفر الخطايا أيضًا؟». فقال يسوع للمرأة: «إيمانك خلّصكِ. إذهبي بسلام».

***

هذا إنجيل التوبة الذي يشرح بالعمق الصلاة التي علّمنا إيّاها الربّ يسوع في الأبانا: "إغفر لنا خطايانا، كما نحن نغفر لمن أخطأ إلينا". لفظة "خطايا" حسب اللفظة الأساسيّة هي "ديون"، بسبب ما ترتّب على مرتكبيها من واجبات تعويض وتكفير، من باب العدالة، لكي ينالوا الصفح والغفران.

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. الخطايا مثل الديون

يوجد ديون في العالم: ديون تجاه الناس، وديون تجاه الله. استبق الربّ يسوع الغفران للمرأة التائبة، فشرح لسمعان الفرّيسيّ الذي استضافه، وتشكّك من مبادرة المرأة الخاطئة، أنّ الخطيئة دين تجاه الله ككلّ دِين بين الناس، وأنّ مغفرة الخطايا هي مثل مسامحة الديون. لا يسامح إلاّ الذي يحبّ، لشعوره بعجز المديون عن إيفاء دينه.

ليست الخطيئة بحدّ ذاتها دينًا، بل مفاعيلها عند الله والناس ديون، وهذه تقتضي عدالة لتركها. الخطيئة جرح يصيب الحقيقة والمحبّة، سواء ارتُكبت تجاه الله أو تجاه الانسان، فكلّ خطيئة إلى إنسان هي في الوقت عينه ضدّ الله، الذي هو الحقيقة والمحبّة (البابا بندكتوس السادس عشر: "يسوع الذي من الناصرة"، صفحة ١٨٩).

أدركت المرأة جسامة خطيئتها فندمت، ومن دون أيّ خوف على صيتها بين الناس، بل ومن أجل حفظ كرامتها قدّام الله، جاءت وأقرّت ليسوع بخطاياها، وعبّرت عن ندامتها بدموعها، وكفّرت عن ديونها "ذارفة" قارورة الطيب على قدمي الفادي. قرأ يسوع، في إنجيل آخر، حركة الخاطئة واعتبرها مبادرة نبويّة استبقت بها تطييب جسده يوم دفنته فاديًا للعالم (يو ١٢/٧). وعاتب يسوع سمعان الفرّيسيّ على تشكيكه، هو الذي كان

حريًّا به أن يكون أوّل التائبين، وقد دخل الربّ بيته. وشرح له، بمثل المديونَين اللذين سامحهما الدائن على قدْر حبّهما، معاني أفعال المرأة التي "أحبّت كثيرًا، فغُفرت لها خطاياها الكثيرة". وعاتبه بطريقة لطيفة على عدم محبّته وتوبته، مبيّنًا له أنّه لم يفعل شيئًا من أفعالها الثلاثة الغنيّة بالمعاني: هي بلّت قدميه بالدموع ونشّفتهما بشعرها، وسمعان لم يسكب نقطة ماء على قدمي يسوع؛ هي قبّلت قدميه، وسمعان لم يعطه قبلة واحدة؛ هي دهنت بالطيب قدميه، وسمعان لم يدهن بأيّ زيت رأسه؛ وكأنّ يسوع قال له: "يُغفر لك القليل لأنّك أحببت قليلاً".

**٢. غفران الخطايا**

تشكّك الجالسون في بيت سمعان الفرّيسيّ عندما سمعوا يسوع يقول للمرأة: "مغفورة لك خطاياكِ!" فقالوا في نفوسهم: "من هو هذا الذي يغفر الخطايا؟"

فكشف يسوع ميزة ثانية تتحلّى بها المرأة التائبة وهي **إيمانها الكبير** بيسوع الفادي الإلهيّ، إلى جانب **حبّها الكثير**. التوبة فعل إيمان وفعل حبّ متلازمان. **بالايمان** يدرك الخاطئ شرّ خطيئته ويبحث عن الغفران عند الله. **وبالحبّ** يتوب إلى ربّه، وقد أساء إلى محبّته وإلى الحقيقة.

وبقوله للمرأة: "إيمانك خلّصك! إذهبي بسلام"، امتدح يسوع إيمانها، كما سبق وامتدح حبّها، وكشف عن السلام الذي ملأ قلبها من جرّاء التوبة الكاملة والغفران، وفي الوقت عينه عاتب الجالسين، بطريقة غير مباشرة، على قلّة إيمانهم، وعلى عدم قبول السلام الذي يزرعه يسوع حيثما وجد، إذا انفتحت له القلوب بالتوبة.

إلهنا هو إله يغفر، ويريدنا أن نتشبّه به ونسامح بعضُنا بعضًا. ولهذا علّمنا

يسوع أن نصلّي: "اغفر لنا خطايانا، كما نحن نغفر لمن خطئ إلينا". وجعل الغفران شرطًا للصلاة وتقديم القربان لله: "إذا كنت تقدّم قربانك لله، وتذكّرت أنّ لأخيك عليك شيئًا، دع هناك قربانك، واذهب صالح أخاك، ثمّ عُد وقدّم قربانك" (متّى ٥/٢٣).

هذا هو شرط العبادة لله، وإلاّ كانت من الشفاه.

**لقد أخذ الله مبادرة الغفران هو أوّلاً**، فانحدر من ألوهيّته إلينا وصالحنا.

قبل أن ينشيء سرّ القربان، ذبيحة الفداء الأسراريّة، ووليمة الحياة الجديدة، انحنى يسوع على أقدام الاثني عشر وغسل أرجلهم، وطهّرهم بحبّه الوضيع.

في مثل الخادم العديم الرحمة (أنظر متّى ١٨/٢٣-٣٥) بيّن يسوع كيف أنّ سيّده ترك له دينه الكبير، عشرة آلاف دينار لأنّه سأله الرحمة له ولعائلته لعدم قدرته على الإيفاء، بينما هو لم يشأ أن يترك دين رفيقه بماية دينار، وكان يتوسّل منه الرحمة. ويقول الربّ يسوع أنّ ما علينا أن نتبادل الغفران عنه هو دائمًا أقلّ بالنسبة إلى جودة الله الذي يغفر لنا.

ومن أعلى الصليب، غفر يسوع لصالبيه بصلاة إلى الآب: "يا أبت إغفر لهم، لأنّهم لا يدرون ما يفعلون" (لو ٢٣/٤٣)، وغفر للصّ اليمين عندما تاب إليه: "تكون معي في الفردوس" (لو ٢٣/٤٣).

الخطيئة واقع وقوّة تتسبب بالهدم، فيجب تجاوزها وإصلاحها والشفاء منها. الغفران هو أكثر من تجاهل الخطيئة ونسيانها. إنّ له ثمنًا يتوجّب أوّلاً على من يغفر، إذ عليه أن يتجاوز هو في نفسه الشرّ الذي أُنزل به، فيحرقه في داخل نفسه، ويجدّد نفسه، لكي يُدخل الخاطئ في عمليّة التغيير والتطهير الداخليّ. وإذ يتألّم الاثنان من الشرّ بتجاوزه، فإنّهما يتجدّدان

(يسوع الذي من الناصرة، صفحة ١٩٠). يقول الكردينال جون هنري تيومان: استطاع الله أن يخلق العالم كلّه من العدم بكلمة، أمّا خطيئة البشر وآلامهم فاستطاع تجاوزها فقط بجعل ذاته في الابن الوحيد رجل آلام، فحمل هذا الثقل وتجاوزه بهبة ذاته. إنّ تجاوز الخطيئة يقتضي ثمن التزام الصليب، والتزام الذات الكامل. لا يغفر إلاّ الذي يدخل في الشركة مع هذا الذي حمل ثقل الجميع (يسوع الذي من الناصرة، صفحة ١٩٢).

هذا ما فعله يسوع مع سمعان الفرّيسيّ والحاضرين والمرأة الخاطئة. وهذا ما فعلته هذه الأخيرة بما قامت به من مبادرات.

**"اغفر لنا خطايانا، كما نحن نغفر لمن خطئ إلينا"** هي صلاة كريسولوجيّة، تذكّرنا بالمسيح الذي من أجل الغفران دفع الثمن بانحداره إلى بؤس الوجود البشريّ، وبالموت على الصليب؛ وتدعونا لنزيل الشرّ بالحبّ ونلغيه بالألم؛ وتعطينا العزاء الكبير بأنّ ضعفنا الذي يجعلنا مديونين كلّ يوم، وعدم قدرتنا على الغفران، مأخوذان بقوّة حبّ المسيح الذي به ومعه نصبح قوّة شفاء (المرجع نفسه).

## ■ ثانيًا، الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة

من **"المعجم بالتعابير الملتبسة والمتنازع عليها حول الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة"**، نتناول موضوع **"حريّة الخيار"** الذي يعالجه كلّ من William E. May (المعجم، صفحة ٢٨٧-٣٠٠)، وجوزف وميكل Meaney (المعجم، صفحة ٣٦٣-٣٧٣).

**"حريّة الخيار"** أو **"الخيار الحرّ"** تعبير ملتبس لأنّه ينطوي على حقّ المرأة في اختيار الإجهاض، وعلى واجب الشرع أن يحترم هذا الحقّ. كما ينطوي على حقّ الفرد في تناول المخدّرات واختيار الموت أي الانتحار

المساعَد. إنّ "حريّة الخيار" تساهم في نشر"ثقافة الموت" وخيار الموت، والعداء للحياة.

### فما هو "الخيار الحرّ" في ضوء الوحي المسيحيّ؟

يعلّمنا الوحي الإلهيّ أنّ الشخص البشريّ، المخلوق على صورة الله ومثاله، مزدان بحريّة الخيار، لكي يتمكّن من الدخول في علاقة مع الله الذي يكشف له ذاته. بخياره الحرّ، يستطيع الانسان أن يكسب حياته أو يهدمها. فلكي تكون حياة الله الثالوث وحبّه **هبة حقيقيّة** للانسان، يجب أن يقبلهما الشخص البشريّ بخيار حرّ. وكما هما ثمرة خيار حرّ من الله في الوحي والهبة، فإنّه ينبغي أن يقبلهما الانسان بخيار حرّ، فلا تفرضان عليه فرضًا، ولا تُقبلان كرهًا.

يؤكّد **كتاب التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة** أنّ "الله خلق الانسان عاقلاً، ومنحه كرامة الشخص المزيّن بالسيادة على أفعاله، إذ ترك الله للانسان مشورة نفسه" (ابن سيراخ ١٥/ ١٤)، لكي يتمكّن من البحث عن خالقه، ومن البلوغ إلى ملء الكمال السعيد بالاتحاد الحرّ به (عدد ١٧٣٠).

وتؤكّد الكتب المقدّسة وآباء الكنيسة والتقليد الكاثوليكيّ قدرة الشخص البشريّ على حريّة الخيار، التي يسمّيها المجمع المسكونيّ الفاتيكانيّ الثاني "علامة ساطعة للصورة الإلهيّة في داخل الانسان" (الدستور الراعويّ "الكنيسة في عالم اليوم"، ١٧).

يصف القدّيس غريغوريوس النيصي حريّة الخيار بأنّها القدرة المعطاة للانسان "ليخلق ذاته"، فيقول:

"كلّ الكائنات المعرّضة للتحوّل والتطوّر لا تثبت أبدًا على حال، إنّما هي في مخاض مستمرّ ينتهي إلى الأفضل أو إلى الأسوأ... الحياة البشريّة في

تحوّل مستمرّ. وبما أنّها ليست أبديّة، غير قابلة التغيير، هي في ولادة مستمرّة، ولادة لا تتمّ بتدخّل من الخارج كما في الولادة الجسديّة، بل إنّ ولادة كلّ أحد تتمّ بخياره الخاصّ، فيكون كما لو كان كلّ منّا أبًا لنفسه، نلد ذاتنا كما نريدها بخيار حرّ" (البابا يوحنّا بولس الثاني: تألّق الحقيقة، ٧١).

مؤسف أن تحوّل ثقافة اليوم "حريّة الخيار" إلى ردّة فعل تسعى للحصول على تشريع الإجهاض والقتل الرحيم، وأن تستعمل كلّ الوسائل لنشر هذه الإيديولوجيّة الخالية من أيّ أساس علميّ وخلقيّ.

انطلقت هذه الذهنيّة ما بين السنوات الستّين والسبعين في الولايات المتحدة الأميركيّة، عندما سعى القادة الأميركيّون إلى تشريع الإجهاض، فأنشأوا "الجمعيّة الوطنيّة لإلغاء القوانين المحرّمة للإجهاض". وبعد أن شرّعت المحكمة العليا في الولايات المتحدة الإجهاض سنة ١٩٧٣، راح دعاة الإجهاض يعملون على تجنّب الإشارة اللفظيّة إلى الإجهاض في شرعة حركتهم. فاستبدلوا اللفظة بعبارة "Pro choice" - "من أجل الخيار". وهكذا حوّلوا الانتباه عن جريمة القتل المشرّعة إلى عمليّة تحرير إنسانيّ.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ العشرين: "الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ"، وتحديدًا الحقوق الاجتماعيّة الأساسيّة التي يحتاجها المجتمع، الذي تصبو إليه الكنيسة. نذكر منها اثنين:

### ١. الحقّ في بناء عائلة

هو الحقّ في بناء الخليّة الأساسيّة والمؤسّسة الأولى التي تتكوّن منها الحياة الاجتماعيّة وتتجسّد فيها. كلّ تزعزع في العائلة ينعكس حتمًا على

ثبات المجتمع وسلامته وتطوّره وتماسكه، ذلك أنّ الروابط التي تجمع أعضاء العائلة الواحدة وعائلات المجتمع الواحد لا تتوقّف عند حدود الروابط العاطفيّة والخبّية، بل تتعدّاها إلى روابط اجتماعيّة وسياسيّة واقتصاديّة.

من حقّ العائلة في لبنان على المجتمع أن يعتني بها، لأنّها متروكة لذاتها، تجابه وحيدةً مشاكلها. تحتاج من المجتمع أن يؤمّن لها ضمانًا فاعلاً وكافيًا للطبابة، وضمانًا للعمل ومحاربةً للبطالة، وضمانًا للشيخوخة، وسياسة إسكانيّة.

ولا بدّ من مساعدة العائلة لحلّ مشكلة قلّة الإنجاب، وقلّة الزيجات، وكثرة الهجرة، وضعف التعلّق بالأرض، وضياع الأجيال الطالعة والشبيبة، وتدنّي الأخلاق العامّة وتفشّي الفساد (الفقرات ٢٨-٣٠).

## ٢. الحقّ في السكن

البيت أساس المجتمع المستقرّ والثابت. فالبيت يؤمّن الإطار الطبيعيّ لنموّ الانسان والعائلة، حسيًّا وروحيًّا ومعنويًّا واجتماعيًّا. فيه تُنسج العلاقات الانسانيّة والاجتماعيّة، وفيه تتواصل العادات والتقاليد، وفيه تُنقل القيم من جيل إلى جيل.

يعاني معظم اللبنانيين من مشكلة السكن بسبب الهجرة والتهجير، والفقر والبطالة، وعدم الاستقرار الأمنيّ والسياسيّ والاقتصاديّ. فكان من نتائج هذه المعاناة تأخّرُ عمر الزواج والإحجام عن الزواج نفسه، وفشل العديد من الزيجات، وتراجع القيم الخلقيّة في العائلة وتدنّي الأخلاق ومفهوم الحبّ والجنس.

فلا بدّ من معالجة معضلة السكن، ومن خطّة راعويّة شاملة تنقذ الزواج

والعائلة والشبيبة. الكنيسة، من جهتها، تلتزم وضع إمكاناتها في سبيل عمل مشترك بين المؤسّسات الرسميّة والقطاع الخاصّ والمؤسّسات الكنسيّة لإحياء سياسة إسكانيّة من أجل المحافظة على مؤسّسة الزواج والعائلة، ضمانةً "لمستقبل مستقرّ وزاهر" (الفقرات ٣١-٣٣).

* * *

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، كما دخلتَ بيت سمعان الفرّيسيّ حاملاً الغفران والمصالحة، نتوسّل إليك أن تدخل كلّ بيت ومجتمع، لكي، من خلال لقائك بأبنائه وبناته، يستنير الجميع بنور الحقيقة وتضطرم القلوب بالمحبّة. وحدها الحقيقة والمحبّة تحمل إلى التوبة، وتؤدّي إلى المصالحة. ولتكن خياراتنا الحرّة في أفعالنا ومبادراتنا لصالح الانسان والمجتمع، بدءًا من حماية الحياة البشريّة الناشئة. واجعلنا نعمل من أجل تعزيز العائلة، نواة المجتمع وخليّة الكنيسة والوطن. أنت يا ربّ قدّست العائلة، وافتديت الحبّ الزوجيّ، وأطلقت الأسرة من جديد من أجل مستقبل للبشريّة أفضل. لك الحمد والشكر، ولأبيك المبارك وروحك الحيّ القدّوس إلى الأبد. آمين.

* * *

الأحد ٩ أيلول ٢٠٠٧

# الأحد السادس عشر من زمن العنصرة

## الصلاة مسلك وموقف

### إنجيل القدّيس لوقا (١٨/٩-١٤)

قال الربّ يسوع هذا المثل لأناس يثقون في أنفسهم أنّهم أبرار، ويحتقرون الآخرين: «رجلان صعدا إلى الهيكل ليصلّيا، أحدهما فرّيسيّ والآخر عشّار. فوقف الفرّيسيّ يصلّي في نفسه ويقول: أللهمّ، أشكرك لأنّي لست كباقي الناس الطمّاعين الظالمين الزناة، ولا كهذا العشّار. إنّي أصوم مرّتين في الأسبوع، وأؤدّي العشر عن كلّ ما أقتني. أمّا العشّار فوقف بعيدًا وهو لا يريد حتّى أن يرفع عينيه إلى السماء، بل كان يقرع صدره قائلاً: أللهمّ، إصفح عنّي أنا الخاطئ. أقول لكم إنّ هذا نزل إلى بيته مُبرّرًا، أمّا ذاك فلا، لأنّ كلّ من يَرفَعُ نفسَه يُواضع، ومن يُواضعُ نفسَهُ يُرفَّع».

***

نختتم اليوم زمن العنصرة بإنجيل الصلاة التي تحدّد العلاقة بين المؤمن وربّه، وبينه وبين أخيه الانسان. **فالصلاة مسلك** يعيشه الانسان أمام الله مدركًا كم هو بعيد عن قداسة الله، فيلتمس الغفران بتواضع وانسحاق، كما فعل العشّار. **والصلاة موقف** للانسان تجاه أخيه الانسان، قائم على غضّ النظر عن نقائصه، وعلى التفهّم بروح الرحمة، خلافًا لِما فعل الفرّيسيّ.

الصلاة - المسلك أمام الله، والموقف تجاه الانسان، هما الوسيلة للتبرير والتجدّد.

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. الصلاة مسلك أمام الله

**"اللهمّ إرحمني أنا الخاطئ" (لو ١٨/١٣).**

العشّار الخاطئ اتّخذه الربّ يسوع مثلاً لنا ليبيّن أنّ أساس الصلاة **القلب المتواضع**: "من الأعماق دعوتك يا ربّ" (مز ١٣٠/١). وقف العشّار عن بعد في الهيكل ولم يشأ أن يرفع عينيه حتّى إلى السماء وراح يقرع صدره. بهذا القلب المتواضع رفع نفسه الملطّخة بالخطايا والشرور نحو قداسة الله، مقرّاً بشرّه وملتمسًا الغفران.

البصلاة-المسلك أمام الله هي **حياة** قبل أن تكون كلمات: هي تواضع القلب وارتفاع النفس نحو قداسة الله؛ وهي إقرار بالضعف والخطيئة: "لك وحدك خطئت والشرّ قدامك صنعت" (مز ٥٠/١)؛ وإقرار بقداسة الله اللامتناهية: "قدّوس قدّوس قدّوس، السماء والأرض مملوءتان من مجدك العظيم"؛ وهي التماس رحمة الله: "إرحمني يا الله كعظيم رحمتك، وكمثل كثرة رأفتك أمحُ مآثمي، إغسلني كثيرًا من إثمي ومن خطيئتي طهّرني" (مز ٥٠/ ٩).

**الصلاة عطش إلى الله** يقابله عطش الله إلى خلاص الانسان. هذا عبّر عنه يسوع للمرأة السامريّة: "لو كنت تعرفين من هو هذا الذي يقول لك: أعطيني لأشرب، لكنتِ أنت تسألينه، ولكان هو يعطيك الماء الحيّ" (يو ٤/ ١٠).

**الصلاة حوار مع الله ينير ويغيّر مسلك الانسان.** حاور يسوع امرأة سامريّة وجاورته هي: **بدأ الحوار متعثّرًا:** "كيف وأنت اليهوديّ تطلب منّي أن أسقيك، وأنا المرأة السامريّة، لأنّ اليهود لا يخالطون السامريين" (يو ٤/٩). كم من موقف جفاء وابتعاد وعتاب بين الانسان والله، وفقًا لظروف الحياة، **وانطلق هذا الحوار مشكّكًا:** "ليس لك دلوٌ والبئر عميقة، فمن أين لك الماء الحيّ؟ أأنت أعظم من أبينا ابراهيم؟" (يو ٤/١١-١٢). كم من تشكيك عندنا في قدرة الله أمام مقدرة المال والسلاح والنافذين، وأمام الحالة الزريّة التي بلغنا إليها شخصيًّا أو اجتماعيًّا وسياسيًّا، **ويتواصل الحوار بشيء من السخرية:** "أعطني من هذا الماء، حتّى لا أعطش أبدًا وأجيء إلى هنا واستقي بدلوي" (يو ٤/١٥). ماء الحياة الذي يعطيه يسوع لحياة النفس لا يغني عن الماء الماديّ لحياة الجسد. هذه هي الصلاة من الشفاه: كلمات حلوة وعظيمة لكنّها لا تصعد من القلب، ولا تتلاءم مع شرّ المسلك والأعمال: "هذا الشعب يكرّمني بشفتيه وقلبه بعيد عنّي، فباطلاً يعبدونني" (متّى ١٥/٨-٩). **ثمّ ينتقل الحوار إلى الكذب:** "ليس لي زوج"، بينما لها خمسة أزواج والذي معها حاليًّا ليس زوجها (يو ٤/١٧-١٨). كم نكذب على الله في اعترافاتنا وفي تعاملنا، وفينا ظنٌّ أنّ الله بعيد لا يعرف ولا يرى! ولكنْ، تأتي ساعة يفتح الله عينيك على ذاتك في ضوء معرفته وقداسته، كما جاء جواب يسوع للسامريّة، **فيصبح الحوار إقرارًا بحقيقة الله:** "يا سيّدي أرى أنّك نبيّ" (يو ٤/١٩). ويتّخذ الحوار منحى آخر على مستوى الله، فسألته السامريّة عن "العبادة الحقيقيّة لله"، فأجابها أنّها "بالروح والحقّ"، وأنّ الله يريد مثل هذه العبادة (يو ٤/٢٤). **ويصبح الحوار مزيدًا من الاستفسار وطلبًا للمعرفة لإرواء عطش النفس** "أنا أعلم أنّ المسيح سيأتي، وحين يأتي هو يعلّمنا كلّ شيء" (يو ٤/٢٥). وهكذا بلغ الحوار

ذروته، فأجابها يسوع: "أنا هو، أنا الذي يتكلّم معك" (يو ٤/٢٦). **وينتهي الحوار بالايمان والارتداد.** والبتغيير: تركت المرأة جرّتها، نسيت حاجتها الماديّة، ارتوت نفسها فشبعت، وراحت تدعو الناس إلى معين الماء الحيّ: "هلمّوا انظروا رجلاً قال لي كلّ ما فعلت! لعلّه هو المسيح". فخرج الناس من المدينة وأتوا إليه، وطلبوا منه أن يمكث عندهم، فمكث عندهم يومين، وآمن به كثيرون لكلامه (يو ٤/٢٩-٣٠؛٤٠-٤١). هؤلاء جميعًا حاورهم يسوع وحاوروه في ذينك اليومين، فأقرّوا: "إنّنا سمعنا وعرفنا أنّ هذا هو المسيح حقًّا، مخلّص العالم" (يو ٤/٤٢).

### ٢. الصلاة موقف تجاه الانسان

التواضع أمام الله تواضع مع الانسان، والتكبّر أمام الله تجبّر على الانسان واحتقار وإهمال. هذه مشكلة الفرّيسيّ في صلاته. فيما **العشّار** وقف بعيدًا منخفض العينين نحو الأرض ويقرع صدره نادمًا مستغفرًا، تقدّم الفرّيسيّ إلى الأمام وانتصب أمام نفسه متباهيًا: "أشكرك يا الله لأنّي لست كباقي الناس الخطفه الفجّار ولا كهذا العشّار، بل أصوم في الأسبوع مرّتين وأعشّر جميع مالي" (لو ١٨/١١-١٢).

ليست الصلاة تباهيًا بالذات واحتقارًا للغير. ولا هي اتّكال على الذات واكتفاء ذاتيّ واعتداد بالبرارة واحتقار للناس (أنظر لو ١٨/٩).

**بل الصلاة موقف صالح تجاه الانسان،** يعكس المسلك النقيّ أمام الله. وهذا ما يبرّر الانسان ويقدّسه ويخلّصه. هذه هي الأمثولة التي أعطاها الربّ في مثل الانجيل: "أقول لكم أنّ العشّار نزل إلى بيته أبرّ من الفرّيسيّ. لأنّ كلّ من يرفّع نفسه يتضع، ومن يضع نفسه يرتفع" (لو ١٨/١٤).

عندما سقط **سمعان-بطرس** على قدمي يسوع صارخًا: "تباعد عنّي يا

ربّ، فإنّي رجل خاطي"، أمام معجزة صيد السمك، وكان قد شكّك بكلام يسوع، رفعه الربّ وقال له: "لا تخف، فمن الآن تكون تصطاد الناس للحياة" (لو ٥/٨ و١٠).

لقد أصبح بطرس راعي الرعاة ومثبّت الأخوة في الايمان.

وعندما سقط شاول- بولس، مضطهد المسيح والكنيسة، على الأرض في طريقه إلى دمشق، وسأل الصوت الذي ناداه: "من أنت يا ربّ؟ ماذا تريد أن أفعل؟" قال له يسوع: "إنهض وادخل المدينة. وهناك يقال لك ما عليك أن تفعل". وقال الربّ عنه لحننيا الكاهن: "هذا اخترته لي إناء مصطفى، ليحمل اسمي أمام الأمم والملوك وبني إسرائيل. وإنّي سأريه كم سيتألّم لأجل اسمي" (أعمال ٩/١٥).

لقد أصبح بولس رسول الأمم والشعوب، داعيًا الجميع إلى إنجيل الخلاص ومعرفة الحقّ.

## ▪ ثانيًا، الأسرة والحياة والقضايا الأخلاقيّة

نواصل تناول موضوع "**الخيار الحرّ**" Pro Choice – الذي يعالجه كلّ من جوزف وميكل Meaney ووليم May في "**المعجم بالتعابير الملتبسة والمتنازع عليها حول الأسرة والحياة والقضايا الاجتماعيّة**" (الصفحات ٢٨٧-٣٠٠؛ ٣٦٣-٣٧٣).

"**الخيار الحرّ**" لفظة واضحة في معانيها، لكنّها استعملت بشكل ملتبس لتعني خيار المرأة الحرّ في تعمّد الإجهاض. إنّ مروّجيها لا يستعملون التعبير "خيار حرّ من أجل الإجهاض أو ضدّ الإجهاض"، بل فقط: "الخيار الحرّ"، ليبيّن أنّهم المثل الأحدث والايجابيّ للتحرير البشريّ.

وصف الكردينال لوبيز تروخيليو، رئيس المجلس الحبريّ للعائلة، هذا التلاعب الثقافيّ كالآتي: "إلغاء الأضعف بيننا يظهر وكأنّه ممارسة شريفة للحريّة، وعملاً رفيعًا من الحضارة لصالح النساء بنوع أخصّ. كلّ هذا مقنّع بتعبير Pro Choice – الخيار الحرّ. إنّ إيديولوجيّة الموت هذه غير مقبولة، وهي تفرض نفسها فرضًا؛ إنّها مستوردة ومحوَّلة إلى خطاب إمبرياليّ يهدّم كلّ ما سبقه" (العائلة والحياة والأنجلة الجديدة، سنة ٢٠٠٠، صفحة ٢٢٨).

يستعمل مروّجو "الخيار الحرّ"، بمفهومه السلبيّ، بوجه المعارضين الصامدين من أبناء الكنيسة وبناتها الملتزمين بالموقف المضادّ للإجهاض وللوسائل الإعلاميّة وصناعة الأدوية. لقد أصبحت الحركة المروّجة للإجهاض مركزًا للإجهاض ولما يسمّى "جمعيّة مساعدة الأهل"، و"مركز التصميم العائليّ". بالنسبة لهم الولد المنتظرةُ ولادتُه أصبح "سلعة" أو "إنتاج الحَبَل" أو "مضمون الرَّحِم". وهكذا أمسى عندهم "قتل طفل تُنتظر ولادته تدخّلاً طبّيًا"، أو "نهاية حَبَل" أو "إيقاف الحَمْل طبّيًا". وصار الجنين من بعد "لا فردًا" ولا عضوًا في الأسرة البشريّة، بل "عنصر إزعاج لأمّه" لأنّ من حقّها أن تسود على جسدها.

وهكذا فصلوا بين فكرة الإجهاض وجريمة قتل إنسان.

إنّهم لا يقدّمون أيّ برهان علميّ للتأكيد أنّ الحياة البشريّة في مراحل نموّها "ليست شخصًا"، بينما نعرف من الوحي الإلهيّ والعلم أنّ الحياة البشريّة "شخص بشريّ" منذ اللحظة الأولى للحبل. **سيّدتنا مريم العذراء** عصمها الله كشخص من خطيئة آدم في اللحظة الأولى للحبل بها في بطن أمّها حنّه كسائر الناس. **ويوحنّا المعمدان** هو ابن الوعد الإلهيّ منذ اللحظة الأولى للحبل به في بطن أمّه العجوز والعاقر إليصابات. **وسيّدنا يسوع**

المسيح هو الكلمة الإلهيّ، ابن الله الحيّ، الأقنوم الثاني من الثالوث الأقدس، الذي حبلت به مريم الكليّة القداسة واتّخذ منها الطبيعة البشريّة.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تنهي الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ العشرين: **الكنيسة المارونيّة والشأن الاجتماعيّ**، وتحديدًا في القسم الأخير المختصّ **بالحقوق الاجتماعيّة الأساسيّة**، الواجبة لكلّ فرد وجماعة في المجتمع، وهي، بعد الحقّ في بناء عائلة والحقّ في السكن اللذين بحثنا فيهما سابقًا، الحقّ في العمل والحقّ في الصحّة والطبابة والحقّ في التعليم والثقافة (الفقرات ٣٤-٣٧).

### ١. الحقّ في العمل

من حقّ الانسان أن يعمل جسديًّا وماديًّا ليبقى، ونفسيًّا ليتوازن وينضج، وخلقيًّا ليثبت ويقوى. ومن حقّ المجتمع أن يعمل الانسان لكي ينمو المجتمع ويتطوّر ويُنتج، ولكي تتأمّن العدالة الاجتماعيّة والتوزيعيّة.

يكشف النصّ المجمعيّ أربع إشكاليّات تختصّ بالحقّ في العمل:

١. مشكلة **البطالة** الناتجة عن الأزمة الاقتصاديّة والسياسيّة والأمنيّة التي تتسبّب بالهجرة، وتتفاقم المشكلة من جرّاء مزاحمة اليد العاملة الأجنبيّة، وإغراق سوق البلاد بالسلع والمنتوجات الخارجيّة.

٢. **الخلل الكبير في سوق العمل** بسبب إخضاعه حصرًا لنظام العرض والطلب، من دون أيّ إعتبار لبنية القوى العاملة ونوعيّتها.

٣. **قلّة الإقبال على التعليم المهنيّ والتقنيّ**، بالرّغم من الحاجة الماسّة إلى اختصاصيين فنيّين. فلا بدّ من توجيه سليم نحو هذا القطاع الحيويّ، ومن تحسين مستواه العلميّ.

٤. **عدم تناسب الأجر مع المستوى المعيشيّ** وتدنّي الخدمات العامّة الجيّدة والمجّانيّة مثل التعليم والتطبيب والتقديمات للسكن وتسهيل المواصلات العامّة.

يقترح المجمع حلولاً لضمانة الحقّ في العمل منها: تنظيم جديد لسوق العمالة وقانون العمل، تنظيم العمل النقابيّ على أسس مهنيّة وقطاعيّة لا سياسيّة، تحديد أجر عادل، تصويب عمل مؤسّسات الضمانات والخدمات الاجتماعيّة.

### ٢. الحقّ في الصحّة والطبابة

حقّ الانسان بالتمتّع بالصحّة حقّ مطلق، ويشمل: الحقّ بحماية المجتمع له من التعرّض للأمراض بسبب التلوّث البيئيّ، والحقّ بسبل العلاج الصحيح. ومعلوم أنّ هذا الحقّ إذا تأمّن يكون لصالح المجتمع إذ يستفيد الكثير الكثير من أفراده الأصحّاء والأقوياء.

المشكلة في لبنان أنّ الكثرة الكبيرة لا تستفيد من الضمان الصحيّ، ما يرغم المواطنين على الاستدانة الباهظة ليتطبّبوا، هذا إذا قدروا. كما أنّ الوقاية شبه معدومة، والأوبئة مستشرية في الماء والهواء.

إنّ الكنيسة تعمل مع مؤسّساتها الاستشفائيّة على أن تتّسع للفقراء والمعوزين.

### ٣. الحقّ في التعليم والثقافة

هذا حقّ أساسيّ من حقوق الانسان الأوّليّة. وفي لبنان يشكّل التعليم والثقافة الثروة شبه الوحيدة. يشير المجمع إلى قضيّتين:

**الأولى مادّيّة** تتعلّق بتكاليف التعليم والثقافة، ما يتسبّب بإجحاف

وطبقيّة في المجتمع، ويؤثّر على حجم الأسرة، ويؤخّر عمليّة إنماء الشخص البشريّ والمجتمع.

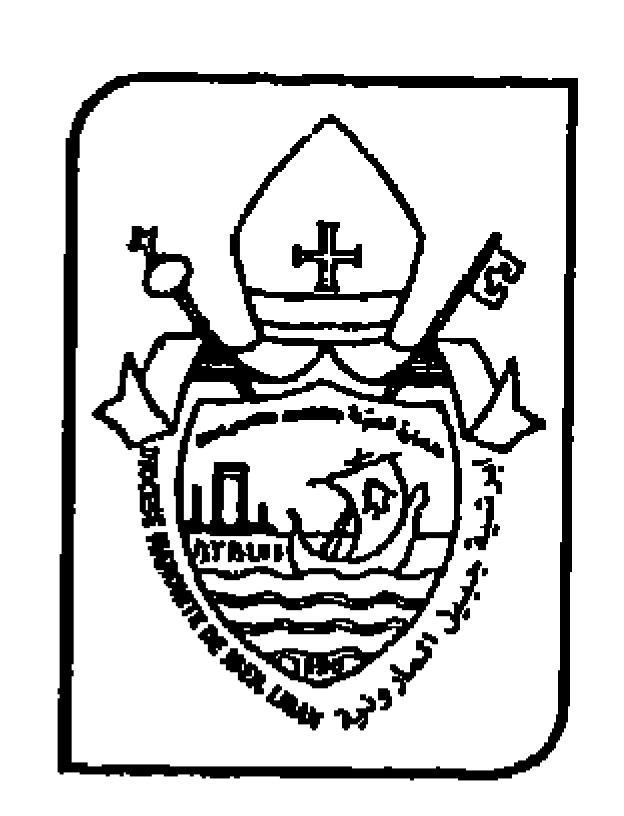
**الثانية ثقافيّة** تختصّ بتدنّي المستوى التعليميّ والثقافيّ، وضعف في برامج التعليم، الأمر الذي يُفقد لبنان شيئًا فشيئًا، إذا استمرّ، ثروته الثقافيّة المميّزة ودوره الرائد في هذا المجال.

إنّ الكنيسة المارونيّة تلتزم بأن تعمل، من خلال مؤسّساتها وأبنائها وبناتها وذوي الإرادة الحسنة، على تأمين هذه الحقوق، فترسم خطّ عملها وتحدّد مواقفها **على مستوى القيم والأخلاق** (فقرة ٣٩)، **وعلى مستوى الأشخاص** (فقرة ٤٠ و٤١)، **وعلى مستوى التطلّعات** (فقرة ٤٢). وتهدف في كلّ ذلك إلى توفير الاطمئنان لأبنائها وسواهم، ليعيشوا في حياة فضلى، فيكون لهم إيمان أقوى والتزام أعمق (فقرة ٤٣).

***

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، تعال لملاقاتنا في هيكلك وعلى بئر همومنا ومشاغلنا، لندخل في حوار معك بصلاة تنير منّا العقول، وتفتح الضمائر لسماع صوت الله في أعماق النفس، وتحرّك القلوب إليك. إفتح عيوننا لنراك على دربنا فنحاورك بصلاة خاشعة تبدّل مسلكنا أمام الله، وتصحّح موقفنا تجاه الناس. أعطنا أن نحترم كلّ حياة بشريّة في جميع مراحل نشأتها ومسارها، فنعطي كلّ واحد حقوقه الأساسيّة، "فيصير الانسان مجد الله الحيّ". للثالوث المجيد الآب والابن والروح القدس التسبيح والشكر إلى الأبد. آمين.



سلسلة التنشئة المسيّحية

١٤

# الإنجيل
## فرح في الرجاء وثبات في الضيق
(روما ١٢/١٢)

# زمن الصليب

٢٠٠٦ ✤ ٢٠٠٧

بشاره الراعي
مطران جبيل

منشورات
جامعة سيّدة اللويزة
NDU PRESS

# تقديم

العدد الرابع عشر من سلسلة التنشئة المسيحيّة الخاصّ بزمن الصليب، والذي يعكس مسيرة الكنيسة والشعوب نحو العالم الآتي ونهاية التاريخ، يكشف لنا أنّ الانجيل **"فرح في الرجاء وثبات في الضيق"** (روم ١٢/١٢).

يتوزّع نهجه في كلّ أحد على ثلاثة أقسام: **الأوّل**، شرح نصّ الانجيل؛ **الثاني**، مواضيع حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة، مأخوذة من "معجم التعابير الملتبسة"؛ **الثالث**، الخطّة الراعويّة لتقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: "الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة".

في هذا الزمن الصعب، سياسيًّا واقتصاديًّا واجتماعيًّا، حيث كثيرون صمدوا وآخرون انحرفوا وغيرهم انكفأوا، يأتي كلام الربّ في الانجيل ليزرع **"الفرح في الرجاء"**، ويشدّد **"الثبات في الضيق"**. "فالعالم يدور وينطوي والصليب ثابت"، و"الكنيسة تسير بين اضطهادات العالم وتعزيات الله" (القدّيس أغسطينوس).

نأمل أن يسهم هذا العدد من سلسلة التنشئة المسيحيّة في العمل على أن يكسب بواسطته كلّ إنسان **"الفرح في الرجاء والثبات في الضيق"** (روم ١٢/١٢)، ويشهد لعمل الخلاص الجاري في العالم بمحبّة الآب ونعمة الابن وفعل الروح القدس وخدمة الكنيسة.

† **بشاره الراعي**
مطران جبيل

# الأحد الأوّل من زمن الصليب

## أخلاقيّة المسؤوليّة في ضوء الصليب

### من إنجيل القدّيس مرقس ١٠/٣٥-٤٥

قال مرقس البشير: دنا من يسوع يعقوب ويوحنّا، ابنا زبدى، وقالا له: «يا معلّم نريد أن تصنع لنا كلّ ما نسألك». فقال لهما: «ماذا تريدان أن أصنع لكما؟». قالا له: «أعطنا أن نجلس في مجدك، واحد عن يمينك وواحد عن يسارك؟» فقال لهما يسوع: «إنّكما لا تعلمان ما تطلبان: هل تستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا؟ أو أن تتعمّدا بالمعموديّة التي أتعمد بها أنا؟». قالا له: «نستطيع». فقال لهما يسوع: «الكأس التي أنا أشربها ستشرَبانها، والمعموديّة التي أنا أتعمّد بها ستتعمّدان بها. أمّا الجلوس عن يميني أو عن يساري، فليس لي أن أمنحه إلاّ للذين أُعِدّ لهم». ولمّا سمع العشرة الآخرون، بدأوا يغتاظون من يعقوب ويوحنّا. فدعاهم يسوع إليه وقال لهم: «تعلمون أنّ الذين يعتبرون رؤساء الأمم يسودونهم، وعظماءهم يتسلّطون عليهم. أمّا أنتم فليس الأمر بينكم هكذا؛ بل من أراد أن يكون فيكم عظيمًا، فليكن لكم خادمًا. ومن أراد أن يكون الأوّل بينكم، فليكن عبدًا للجميع؛ لأنّ ابن الانسان أيضًا لم يأتِ ليُخدم، بل ليَخدم، ويبذلَ نفسه فداءً عن كثيرين».

***

نحن في بداية زمن الصليب، وهو الأخير من السنة الطقسيّة. يتميّز **بزمن الجهاد** في سبيل توطيد ملكوت الله على الأرض، بحيث يدخل كلّ إنسان

في شركة عاموديّة مع الله بروح القداسة، وفي شركة أفقيّة مع جميع الناس بروح المحبّة والعدالة والتضامن. ويتميّز **بزمن التطلّع** إلى اكتمال الملكوت أو هذه الشركة المزدوجة، في نهاية الأزمنة، بالسهر والصبر ورجاء الانتظار.

إنجيل اليوم يشكّل زمن الجهاد، أمّا أناجيل الآحاد الأخرى فتشكّل زمن التطلّع.

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. إطار الحدث

الرسولان الأخوان يعقوب ويوحنّا، إبنا سالومه شقيقة مريم أمّ يسوع، يطلبان "الجلوس عن يمين الربّ ويساره في مجده".

جاء الطلب بعد أن أنهى يسوع نبوءته للمرّة الثالثة عن آلامه وموته وقيامته (مر ١٠/٣٢-٣٤). وسبق نبوءته سؤال- طلب، وجّهه بطرس إلى يسوع: "ها نحن قد تركنا كلّ شيء وتبعناك، فما عساه يكون لنا؟" (مر ١٠/٢٨؛ متّى ١٩/٢٧).

علم يسوع ما يجول في مخيّلة الرسل، فهم يعقدون الآمال الجسام على أنّ يسوع سيعيد مجد إسرائيل وينشئ مملكة زمنيّة يشيع فيها الغنى والرفاهيّة. فأراد يسوع أن يوضح لهم الغاية من صعوده إلى أورشليم، فينقلهم من جوّ الأمل والخيال إلى جوّ الواقع والحقيقة. قال: "ها نحن صاعدون إلى أورشليم، وسيتمّ كلّ ما كُتب بالأنبياء عن ابن البشر، فأنّه سيُسلّم إلى الأمم، ويُهزأ به ويُشتم ويُبصق عليه، وبعد أن يجلدوه يقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم" (مر ١٠/٣٣-٣٤). يبدو أنّ المقطع الأخير من كلامه استقرّ في مخيّلتهم، وهو انتصاره على الموت وقيامته في اليوم الثالث، فاستنتجوا أنّ

من ينتصر على الموت لن يقوى عليه عدوّ، مهما بلغ من القوّة. وتأكّد لهم أنّ يسوع سيرتقي عرش المُلك الموعود، وتسابقوا إلى احتلال المراكز الأولى في ذلك المُلك الزمنيّ. فكان أن راودت فكرة الحظوة بأرفع المراتب ابني زبدى (نصري سلهب: في خطى المسيح، ص ٢٦٨-٢٦٩). وبفضل الدالّة على يسوع بداعي النسب، وهما ابنا خالته، طلبا إليه: "أعطنا أن نجلس في مجدك، واحد عن يمينك، وواحد عن يسارك" (مر ١٠/ ٣٧).

هذا مطلب بشريّ، يصدر عفويًّا عن كلّ إنسان، لأنّه طموح من طبعه. يريد المكان الأوّل دونما تفكير بما ينطوي عليه من مسؤوليّة وتضحيات، وقلّما يفكّر بأنّه بذل وعطاء في سبيل الخير العامّ على حساب الفائدة الشخصيّة. ولهذا ترى الناس يتسابقون بشتّى الوسائل إلى احتلال المراكز الأولى، بل يتقاتلون بسببها ويتعادون. فالانسان مفطور في أصله على "الأنا"، بينما المادّة الأولى من دستور الحياة، في إنجيل التطويبات، تدعو إلى فضيلة التجرّد وإفراغ الذات: "طوبى للفقراء بالروح، فإنّ لهم ملكوت السموات" (متّى ٥/ ٣). هؤلاء المتجرّدون من ذواتهم وأنانيّتهم يدخلون في شركة القداسة مع الله، وفي شركة الخدمة والمحبّة والتضامن مع الناس. هذه الفضيلة عاشها يسوع، ويدعونا بولس الرسول أن نتخلّق بأخلاقيّتها: "تخلّقوا بخلق المسيح يسوع. فهو مع كونه في صورة الله، لم يحسب مساواته لله غنيمة، بل أخلى ذاته متّخذًا صورة العبد، صائرًا في شبه البشر. واضع نفسه، وأطاع حتّى الموت، الموت على الصليب. فرفعه الله جدًّا..." (فيل ٢/ ٥-٩).

### ٢. مجد المسيح والجلوس عن يمينه ويساره

أوضح يسوع طلب يعقوب ويوحنّا، بحيث ولج به إلى عمق جوهر

"**مجده**". ليست المملكة الزمنيّة عرش مجده، بل صليبه. على عرش الصليب ظهر مجد الله ومجد المسيح. إنّه "**مجد**" **إرادة الآب** بخلاص البشر أجمعين، باذلاً ابنه الوحيد لكي لا يهلك أحد من أبناء البشر، و"**مجد**" **محبّة الابن** الذي أطاع حتّى الموت و"أحبّ حتّى النهاية" (يو ١٣/ ١). أنبأ يسوع عن هذا المجد يوم الشعانين، خمسة أيّام قبل حدوثه: "نفسي الآن قلقة، فماذا أقول؟ يا أبتِ، نجّني من هذه الساعة؟ ولكن من أجل هذا بلغت إلى هذه الساعة! يا أبتِ، مجِّد اسمك. فجاء صوت من السماء يقول: "قد مَجّدتُ، وسأمجِّد" (يو ١٢/٢٧-٢٩).

لقد دعاهما للجلوس عن يمين صليبه ويساره، أي للمشاركة في سرّ آلامه وموته تمجيدًا لله ولهم على مثاله. فسمّى هذه المشاركة كأس الألم وصبغة معموديّة الدم: "هل تستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا؟ أو أن تصطبغا بالمعموديّة التي أتعمّد بها أنا؟". فكانت كلمته بمثابة دعوة جديدة لأتباعه، فلبّيا الدعوة مجيبين: "نستطيع". وتذكّرا دعوته الأولى وهما في السفينة يصلحان الشباك، فتركا أباهما زبدى في السفينة مع الأجراء، وتبعاه" (مر ١/١٩-٢٠).

السلطة والمسؤوليّة، في ممارستها كفن شريف لخدمة الخير العامّ، إنّما تندرج في الدعوة إلى تمجيد الله بإتمام إرادته التي تشاء أن يعرف كلّ إنسان الحقيقة وينال الخلاص، وبالتالي إلى نيل المجد من خلال طاعة الله ومحبّته في ممارسة السلطة.

هؤلاء الذين يشاركون المسيح في عمل "التمجيد" يعدّ لهم الجلوس عن يمينه ويساره: "أمّا الجلوس عن يميني أو يساري، فليس لي أن أمنحه إلاّ للّذين أعدّ لهم" (مر ١٠/ ٤٠).

### ٣. السلطة خدمة

اغتاظ الرسل العشرة الباقون من طلب يعقوب ويوحنّا حسدًا، إذ كلّ واحد منهم يتمنّى أن يكون صاحب الحظّ الأوفر. وربّما "فرحوا" لجواب يسوع وكأنّه "بخعة" للتلميذين. وهذا دليل أنّهم هم أيضًا لم يفهموا "مجد يسوع"، وكلّهم يصبون إلى الاستفادة منه بمراكز ومراتب. فكان أن حدّثهم الربّ عن مفهوم السلطة التي سيسندها إليهم، وهي تختلف مضمونًا وممارسة عن السلطة السياسيّة.

السلطة السياسيّة سيادة على الناس وتسلّط على الأمم. أمّا السلطة الحقيقيّة المستمدّة من نهج المسيح فهي: "من أراد أن يكون فيكم عظيمًا، فليكن لكم خادمًا. ومن أراد أن يكون الأوّل بينكم، فليكن عبدًا للجميع" (مر ١٠/ ٤٢-٤٤).

ثمّ يوضح يسوع أنّه القدوة لكلّ صاحب سلطة ومسؤوليّة في البذل والتفاني من أجل خير جميع الناس: "ابن الانسان لم ياتِ ليُخدم بل ليَخدم، ويبذل نفسه فداءً عن كثيرين (مر ١٠/٤٥).

أدرك التلاميذ هذه الحقيقة، وانطلقوا مع يسوع إلى عمقها. ولمّا ملأهم الروح القدس وأرسلهم لمواصلة عمل الفداء، تفانوا في الخدمة والمحبّة حتّى الاستشهاد. فتكلّلوا جميعهم بإكليل الشهادة، وتمّ لهم وعد يسوع في جوابه لسؤال بطرس: "الحقّ أقول لكم: أنتم الذين تبعتموني، متى جلس ابن الانسان على عرش مجده، في زمن التجديد، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر عرشًا، لتدينوا أسباط إسرائيل الاثني عشر" (متّى ١٩/ ٢٨). إنّ السلطة دعوة أيضًا للقداسة، تقدّس بها عدد من الملوك والرؤساء المدنيّون.

## ■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

من المواضيع المطروحة في "**معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**"، نختار موضوع "**دولة الرفاهيّة**" (Welfare State) أو "الدولة-العناية" (Etat-Providence). وهو موضوع أشدّ ما نحتاج إليه في الزمن الراهن من حياة لبنان على المستوى الوطنيّ، وفي زمن الصليب على المستوى اللاهوتيّ. كاتب هذا المقال هو José T. Raga.

**وطنيًّا**، نحن في مرحلة جديدة حاسمة، تقتضي قيام دولة راعية مسؤولة، تعمل من خلال مؤسّساتها الدستوريّة. **ولاهوتيًّا**، زمن الصليب، الذي هو مسيرة حجّ نحو مجيء الربّ النهائيّ، يقتضي منّا بناء مجتمع ووطن يليقان بالخالق وبعمل الفداء، وبالتالي بالانسان ليعيش بكرامة، ويحقّق ذاته، ويشارك بمسؤوليّة واعية في صنع التاريخ.

"**دولة الرفاهيّة**" تعبير ملتبس، لأنّ **الواقع** يجعل منها "رفاهيّة" للنافذين ولضابطي زمام السلطة السياسيّة والعامّة، حيث **قلّة** تعيش في تخمة من البحبوحة، وتسخّر قدرات الدولة للمصالح الشخصيّة والفئويّة، وتهدر المال العامّ دونما رقيب أو حسيب، **وكثرة** تعاني من الفقر والحرمان. أمّا **اللفظة** فتعني بحدّ ذاتها أنّ مثل هذه الدولة تستعمل سلطتها لتعديل لعبة قوى السوق في ثلاثة مجالات:

**المجال الأوّل**، تضمن للأفراد والعائلات مدخولاً يسمح لهم بحياة ملائمة بمعزل عن الأجر الذي يحدّده السوق لعملهم، وعن الثمن الذي يحدّده لسلعهم.

**المجال الثاني**، تؤمّن للآخر ضمانًا ضدّ المخاطر المتصلة بحياتهم المهنيّة الشخصيّة، بحيث تحدّ من عدم الاستقرار الذي قد يتسبّب، في

داخل العائلات ولدى الأفراد، بأزمات وانحطاطات اقتصاديّة ونفسيّة. على الدولة أن تؤمّن نفقة معيشيّة للمرضى والعاطلين عن العمل والمسنّين والمعوَّقين والأرامل واليتامى.

**المجال الثالث**، تضمن لجميع المواطنين، أيًّا كانت أوضاعهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة، استفادة حرّة من الخدمات الضروريّة لحياة منسجمة داخل المجتمع وسط جماعة تنعم بالنموّ.

إنّ ما يبرّر وجود "الدولة العناية" أن تعمل على إصلاح نواقص اقتصاد السوق، وإدارة الثروات العامّة، والبلوغ إلى خير الأمّة ومواطنيها، والاعتراف بحقوق العمال، وتوفير مساعدات، وإذكاء المحبّة الاجتماعيّة، وأن يكون لها سياسة اجتماعيّة شاملة تموّلها السياسة الضريبيّة، وأن تضمن النموّ الاقتصاديّ والاستقرار وتوزيع الثروات.

كم نتمنّى لو أنّ السياسيين الذين يتنافسون على الوظائف الدستوريّة العامّة، أن يكشفوا للمواطنين عن برامجهم الاقتصاديّة والاجتماعيّة والضريبيّة، بدلاً من الاتهامات المتبادلة على مستواهم الشخصيّ.

### ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

نختتم مع زمن الصليب السنة الطقسيّة والسنة الأولى من تقبّل نصوص المجمع البطريركيّ المارونيّ، بحسب الخطّة الخمسيّة التي وضعتها لجنة المتابعة. فنعرض **النصّ ٢١: الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**.
كانت نصوص السنة الأولى: ١ و٢ و٣ و٤ و١٩ و٢٠ و٢١.

١ . يذكّر النصّ المجمعيّ في المقدّمة **بالأساس اللاهوتيّ للحياة الاقتصاديّة**، وهو أنّ الله منح الأرض وخيراتها ليؤمّن منها الانسان قوته

وحاجاته الماديّة. فنظّمت الكنيسة حياة الانسان الاقتصاديّة والماديّة وفقًا لإرادة الله، وحرّمت بالتالي عمليّات الربا واستغلال القويّ للضعيف، وكلّ أنواع الكسب غير المشروع الآتي من غير تعب الانسان وعمله الانتاجيّ (فقرة ١). واعتبرت، مع الفيلسوف القدّيس توما الأكويني، أنّه، إنطلاقًا من مفهوم الخير العامّ، يحقّ للانسان أن يتمتّع تمتّعًا شرعيًّا بالخيرات المشتركة بين البشر ولا يحقّ لأحد قهره وحرمانه منها. وبينما تدافع الكنيسة عن المبادرة الفرديّة والملكيّة الخاصّة، فإنّها تُخضع الأعمال الاقتصاديّة لمبدأ الخير العامّ، وتدعو إلى أن تكون التنمية الاقتصاديّة والتقدّم التقنيّ في خدمة الانسان والمجتمع، لا وسيلة في أيدي بعض الناس لاستغلال الآخرين (فقرة ٢).

٢. ويبيّن النصّ المجمعيّ في الفصل الأوّل **اهتمام الكنيسة البالغ بالشأن الاقتصاديّ–الاجتماعيّ** على مدى قرون عديدة من خلال مؤسّساتها وأديارها ومراكزها وتعاونيّاتها. وإلى جانب نشاطاتها المتنوّعة في هذا الحقل، كان لها منذ القرن التاسع عشر تعليم بابويّ واسع في هذا الشأن. يستعرض النصّ المجمعيّ في الفقرات ٣–٥ عناوين من الرسائل البابويّة العامّة: **الشؤون الحديثة** للبابا لاوون الثالث عشر (١٨٩١)، **والسنة الأربعون** للبابا بيّوس الحادي عشر (١٩٣١)، **وأمّ ومعلّمة** للبابا يوحنّا الثالث والعشرين (١٩٦١)، **وترقّي الشعوب** للبابا بولس السادس (١٩٦٧)، وصولاً إلى البابا يوحنّا بولس الثاني الذي أصدر ثلاث رسائل عامّة: **العمل البشريّ** (١٩٨١) **والاهتمام بالشأن الاجتماعيّ** (١٩٨٧) **والسنة المئة** (١٩٩١) التي جدّدت النظر في القضايا المطروحة في رسالة "الشؤون الحديثة".

٣. تقتضي الخطّة الراعويّة من الجماعات المنظّمة في الرعيّة والأديار

والمجتمع تقبّل ما جاء في هذه الفقرات من أفكار، واتّخاذ مبادرات عمليّة محليّة لتطبيقها.

***

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، بالمعموديّة أشركتنا في آلامك وموتك وقيامتك. ساعدنا لنعيش فعليًّا، في حياتنا اليوميّة، هذه المشاركة، في سبيل إنسان أرقى ومجتمع أفضل. أعطنا الإدراك بأنّ العائلة والمجتمع والوطن إنّما ينهضون بتضحيات أعضائهم وتفانيهم في سبيل الخير العامّ، الذي منه خير كلّ إنسان وكلّ الانسان. لك المجد والتسبيح ولأبيك المبارك وروحك القدوس الآن وإلى الأبد. آمين.

الأحد ٢٣ أيلول ٢٠٠٧

# الأحد الثاني من زمن الصليب

## بين اضطهادات العالم وتعزيات الله

### من إنجيل القدّيس متّى ٢٤/ ١-١٤

قال متّى الرسول: خرج يسوع من الهيكل ومضى. فدنا منه تلاميذه يلفتون نظره إلى أبنية الهيكل. فأجاب وقال لهم: «ألا تنظرون هذا كلّه؟ الحقّ أقول لكم: لن يُترك هنا حجرٌ إلاّ وينقض». وفيما هو جالس على جبل الزيتون، دنا منه التلاميذ على انفراد قائلين: «قل لنا متى يكون هذا، وما هي علامة مجيئك ونهاية العالم؟». فأجاب يسوع وقال لهم: «إحذروا أن يضلّكم أحد! فكثيرون سيأتون باسمي قائلين: «أنا هو المسيح! ويضلّون الكثيرين. وسوف تسمعون بحروب وبأخبار حروب، انتظروا، لاترتعبوا! فلا بدّ أن يحدث هذا. ولكن ليست النهاية بعد! ستقوم أمّة على أمّة، ومملكة على مملكة، وتكون مجاعات وزلازل في أماكن شتّى، وهذا كلّه أوّل المخاض. حينئذ يسلّمونكم إلى الضيق، ويقتلونكم، ويبغضكم جميع الأمم من أجل اسمي. وحينئذ يرتدّ الكثيرون عن الايمان، ويسلّم بعضهم بعضًا، ويبغض بعضهم بعضًا. ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلّون الكثيرين. ولكثرة الإثم تفتر محبّة الكثيرين. ومن يصبر إلى النهاية يخلص. ويكرز بإنجيل الملكوت هذا في المسكونة كلّها شهادة لجميع الأمم، وحينئذ تأتي النهاية».

***

زمن الصليب هو المحطّة الأخيرة من السنة الطقسيّة، التي تدور فيها الكنيسة حول سرّ المسيح، كما تدور الأرض حول الشمس. تدور حول

المسيح المتجلّي في المجد، وحول مجيئه الثاني في نهاية الأزمنة، ديّانًا لجميع الناس، للخلاص الأبديّ أو الهلاك، للحياة السعيدة في مجد السماء أو للموت النهائيّ في آلام الجحيم. إنّه زمن النهايات المعروف بالاسكاتولوجيا eschatologia، الذي يتمّ فيه مجيء المسيح الثاني بالمجد ويسمّى باروزيا (parusia). لكنّه في الوقت عينه زمن الكنيسة التي تعبر بدورها فصح المسيح، مختبرة الصلب والقيامة، و"سائرة بين اضطهادات العالم وتعزيات الله" (القدّيس أغسطينوس). القدّيسة الشهيدة تقلا انعكاس ساطع لوجه الكنيسة هذا.

## ■ أوّلاً، شرح النصّ الانجيليّ

### ١. المجيء والنهاية وامتحان الكنيسة

عندما تنبّأ يسوع عن خراب هيكل أورشليم قائلاً: "لا يترك هنا حجر على حجر إلاّ ويُهدم"، ظنّ التلاميذ أنّه يتكلّم عن نهاية العالم. فسألوه "قل لنا متى تكون هذه، وما هي علامة مجيئك وانتهاء العالم" (متّى ٢٤/٣). فخراب الهيكل عندهم نهاية كلّ شيء.

**المجيء- parusia** يعني مجيء المسيح بوصفه ديّانًا، أو مجيئه الثاني؛ إنّه مجيء الله المنتظر. **نهاية العالم- eschatologia** مرتبطة بمجيء المسيح، وتعني آخر تدخّل لله في التاريخ. وقد كان تدخّله الأوّل عندما ظهر على الأرض بشخص يسوع، عمّانوئيل المترجم "الله معنا".

سألوه عن علامات مجيئة ونهاية العالم. فأعطى علامات، لكنّه أكّد أنّها لا تسبق مباشرة نهاية العالم، **فذكّر الانسان بأنّه في رحلة نحو عالم جديد**، لأنّ ليس له هنا مدينة ثابتة. علامات الفتن والحروب والزلازل والمجاعات لا تدعو إلى الاضطراب، فهي تشبه آلام المخاض، التي تمرّ بها الأمّ قبل ولادة

طفلها: "**هذا كلّه أوّل المخاض**" (متّى ٢٤/٨). هذه العلامات تبشّر بولادة جديدة. إنّها تنعكس على حياتنا اليوم التي تقتضي منّا تجدّدًا في النظرة والمسلك، في العمل والمسؤوليّة. ينبغي أن تبلغ بنا المعاناة والمحن إلى ولادة مواطن جديد، ومسؤول جديد، ووطن جديد.

أليس تاريخنا في لبنان يشهد أنّ أبناءه لم يبخلوا بأرواحهم في سبيل وطنهم! ولنا أمل وطيد بأنّ التضحيات الكبيرة التي بذلها الشهداء وأهلهم وعائلاتهم ستثمر في النهاية وئامًا وسلامًا يشدّ اللبنانيين بعضهم إلى بعض، وتوحّد صفوفهم، لينهضوا بهذا الوطن الذي لن يجدوا شبيهًا له في الأوطان؛ ومعلوم أنّ هذه لا تنمو وتزدهر إلاّ بقدر ما يبذله أبناؤها في سبيلها من تضحيات.

العلامات المذكورة أعلاه وسواها من الضيقات والقتل والبغض والخيانة والكذب والتضليل وانتفاء المحبّة إنّما تدعو إلى الصبر: "فمن يصبر إلى المنتهى يخلص" (متّى ٢٤/١٣). والصبر يعني الثبات والأمانة في الطريق الذي اختير، في ضوء دعوة الله ووعده.

قبل مجيء المسيح في نهاية الأزمنة، **تمرّ الكنيسة في امتحان كبير**، يزعزع إيمان الكثيرين من المؤمنين. هو امتحان المسيح الدجّال: "تيقّظوا، فلا يضلّكم أحد. كثيرون سيأتون باسمي ويقولون: أنا هو المسيح، ويضلّون الكثرين" (متّى ٢٤/٤- ٥). "**المسيح الدجّال**" هو عمليّة تدجيل، يدّعي فيها الشخص، الذي يجعل ذاته "مسيحًا"، أنّه صاحب حلول لقضايا البشر. إنّه يمجّد نفسه في مكان الله ومسيحه المتجسّد. إنّه مناهض للمسيح، لأنّ هذا الانسان، المسيح الدجّال، يدّعي أنّه يحقّق في التاريخ الوجه المسيحانيّ السياسيّ العلمانيّ. هكذا يفعل "سرّ الاثم" (٢ تسا ٢/٧) في التاريخ البشريّ

(التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ٦٧٥-٦٧٦). لقد حذّر بولس الرسول من هذا التدجيل: "لا تتزعزعوا سريعًا بأفكاركم، ولا تندهشوا لكلّ كلمة وروح ورسالة. فانسان الإثم، ابن الهلاك، هو المتمرّد المتطاول على كلّ من يدعى إلهًا، يجلس في هيكل الله كإله، ويُظهر من نفسه أنّه إله" (٢ تسا ٢/٢ و٤). وحدّد يوحنّا الرسول "المسيح الدجّال" بأنّه إنسان "لا يعترف أنّ يسوع المسيح أتى في الجسد"، وبالتالي "لا يسلك في المحبة، بحسب وصيّته" (أنظر ٢ يو٥-٧)، ولا يتصرّف في ضوء الحقيقة (١ يو ٢/٢١)، بل، على ما يقول بولس الرسول: "لا يقبل محبّة الحقّ التي بها يحيا. ولذلك يبعث الله فيه عمل الضلال، حتى يصدّق الكذب" (أنظر ٢ تسا ٢/١٠-١١).

زمن الصليب هو **زمن الكنيسة التي تصبر على محنتها في مسيرتها نحو مجد الملكوت**. فعليها، مع أبنائها وبناتها، أن تعبر فصحها بحيث تتبع ربّها في موته وقيامته، فيما تنادي بإنجيل الملكوت في المسكونة كلّها، شهادة لكلّ الأمم، وحينئذٍ يكون الانتهاء (متّى ٢٤/١٤)، هذا يعني أنّ ملكوت الله، ملكوت القداسة والحقيقة والمحبّة والعدل، لن يتحقّق بانتصار تاريخيّ للكنيسة، بل بانتصار الله على ثورة الشر في الدينونة الأخيرة، بعد نهاية العالم (التعليم المسيحيّ، ٦٧٧).

### ٢. الكرازة بإنجيل الملكوت

في صلب امتحان الضيقات والاضطهادات يدعو المسيح "ليكرز بإنجيل الملكوت في المسكونة كلّها، لجميع الأمم" (متّى ٢٤/١٤).

عيد ارتفاع الصليب يذكّرنا بهذه الدعوة. وزمن الصليب التزام بحمل قضيّة الانسان المتألّم والمعذّب. المسيحيّة تتنكّر لرسالتها، إذا لم تلتزم بخلاص البشريّة من عذاباتها. فالمسيح ارتضى الألم لكي يرفع الألم عن

الانسان. هذا هو فصح المسيح: أن يعبر كلّ إنسان من حالة موت إلى حالة حياة، من سقوط إلى قيامة، على المستوى الروحيّ والماديّ، الثقافيّ والسياسيّ، الاقتصاديّ والخلقيّ. هذه هي "الكرازة بإنجيل الملكوت" التي تنير العقل وتشحّذ الإرادات في عمليّة العبور.

بهذا المعنى نقرأ في الارشاد الرسوليّ "**رجاء جديد للبنان**" (عدد ١١٣) أنّ على المسيحيين الذين يتعاطون الشأن السياسيّ، أن يمارسوه ملتزمين بأبعاد معموديّتهم المثلّثة: **ففي البعد النبويّ**، يشهدون لحقيقة الله والانسان والتاريخ، بتجسيد روح الانجيل في حياتهم اليوميّة والعائليّة والوطنيّة، ويعبّرون بجرأة عن الحقيقة، ويصمدون برجائهم في المجد الآتي وسط مشقّات زمنهم الحاضر. **وفي البعد الكهنوتيّ**، يجعلون من نشاطهم السياسيّ، التشريعيّ والإجرائيّ والإداريّ والقضائيّ والاقتصاديّ، ومن سائر أعمالهم قرابين روحيّة، يسبّحون بها الخالق والفادي. **وفي البعد الملوكيّ**، يتغلّبون على الخطيئة والظلم والاستضعاف، ويخدمون المحبّة والعدالة والإنصاف، ويعملون على خلق مستقبل أفضل، وأكثر إنسانيّة، وجديرٍ بكرامة الشخص البشريّ، وعلى بعث تحوّلات لا بدّ منها.

### ٣. القدّيسة تقلا زنبقة الصليب

تقلا هي أولى الشهيدات اللواتي اختبرن فصح المسيح بالموت والقيامة. عاشت في أيّام الربّ يسوع من دون أن تلتقيه، لكونها من إيقونية، في آسيا الصغرى، حيث ولدت حوالى سنة ٢٠، في عائلة وثنيّة. لكنّها عرفته من خلال كرازة بولس الرسول في مدينتها حوالى سنة ٤٥. وقع كلامه في قلبها، فولّد الايمان بالمسيح: "الايمان من السماع". تعمّقت في التعاليم الانجيليّة وطلبت المعموديّة، فتبدّلت حياتها كلّها. هذه كانت حقًّا

ولادتها الثانية التي جعلتها تعاين سرّ ملكوت الله وتدخل في عمق الشركة مع الله، على ما قال يسوع لنيقوديمس: "ما لم يولد الانسان ثانية من الماء والروح، لا يستطيع أن يعاين ملكوت الله، ولا أن يدخله" (يو ٣/٣و٥).

تركت خطّيبها الوثنيّ والوجيه مثلها، ونذرت بتوليّتها لله، وعكفت على التأمّل والصلاة. ولمّا سألتها أمّها عن هذا التغيير الجذريّ في حياتها، أجابت: إنّه ثمن اصطباغها بماء العماد المقدّس وإيمانها بالمسيح. شكوها إلى الوالي فأمر بتعذيبها بالرمّي في النار، وطرحها للوحوش الضارية، وتكبيلها في السجن، وربطها بثيران غير مروّضة. هذا "**سرّ الاثم**" الذي تنبّأ عنه الربّ في إنجيل اليوم. إنّها **محنة الصليب** واختبار ميتة المسيح.

لكنّ الله نجّاها، وظلّت، بنعمته، صامدة وثابتة في إيمانها وكرازتها. وسمّت نفسها مثل بولس معلّمها "عبدة يسوع المسيح". وراحت بدورها تنادي بإنجيل الملكوت في القلمون ومعلولا وصيدنايا. **إنّه فصح المسيح ومجد القيامة** المتجلّيان في القدّيسة تقلا. منذ ألفي سنة ونعمة الله فاعلة في التاريخ، والانتصار على الشرّ جارٍ بشفاعة هذه القدّيسة.

### ■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

من "**معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**" نواصل موضوع "**دولة الرفاهيّة**" (Welfare-State) أو "**الدولة - العناية**" (Etat-Providence). لكي يكون هذا النوع من الدولة مستوفيًا مفهوم "الرفاهيّة" و"العناية"، ينبغي أن يكون هدف الدولة الانسان والأسرة والمجتمع.

**الانسان** من طبعه كائن اجتماعيّ. وبهذه الصفة يحمل مسؤوليّة طبيعيّة تجاه أعضاء المجتمع الآخرين. هذه المسؤوليّة تصبح في خطر عندما

يعتقد الانسان أنّه أهمّ من غيره، فتولّد فيه رغبة التسلّط على القريب. ولهذا يحتاج إلى قيم عليا تفوق حاجاته الماديّة كالطعام والمسكن والحياة في جماعة. فالقيم العليا تعطيه أسبابًا للوجود والحياة، فيما الحاجات الأخرى تعطيه وسائل للعيش.

**الأسرة** خليّة المجتمع تقدّم له نموذجًا حيًّا عن حاجاته إلى أشخاص قادرين على بناء مجتمع يضحّون في سبيله، وينالون منه خيرات كبيرة. والأسرة مرآة تمكّن أفرادها من البحث في عمق ذواتهم عن قدرتهم على أعطاء معنى للحياة الاجتماعيّة، ودعمًا كاملاً للدولة- العناية. إذا تربّى أفراد العائلة على المحبّة والتضامن، تجاوزوا الذهنيّة الفرديّة. الأسرة هي المكان حيث يتنشّأ الانسان على التمييز الأساسيّ بين ما هو ماديّ وما هو روحيّ، وإلاّ اختار الطريق الخاطىء المؤدّي إلى الاستهلاكيّة.

**المجتمع** هو الجماعة- الامتداد للأسرة، فيصبح "العائلة البشريّة" التي تتميّز بالتضامن والعمل معًا. إنّ مجتمعاً مبنيًّا على الفرديّة والنفعيّة والأنانيّة مجتمع سائر إلى التفكّك والانحلال، إذ يصبح مجموعة أفراد غير قادرين على العيش معًا، وبعيدين عن جماعة تعيش التقاسم في كلّ أشكال النشاط البشريّ، وفي **طليعتها الحياة الاقتصاديّة**.

مطلوب من **الدولة- العناية** إجراء ما يلزم من إصلاحات في داخلها تشمل ثلاثة: **تجنّب هدر المال العامّ** في نشاطات منتجة تشكلّ عبئًا ثقيلاً على الميزانيّة العامّة؛ **اعتماد الخصخصة** التي تؤمّن دخلاً ماليًّا من بيع الأملاك العامّة، وتزيل الخسارات الثقيلة التي يُمنى بها عدد من مشاريع الدولة، وتحرّرها من عبء البحث عن مداخيل لتمويلها؛ وضع **نظام للتقاعد** وفقًا لامكانيّات الدولة، مع تخفيضات في التقدّمات حيث يلزم.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: "**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**".

١. **لعبت كنيستنا دورًا تاريخيًّا** على صعيد التربية والاقتصاد والفنون. فكانت لها نشاطات إنتاجيّة زراعيّة عبر القرون في جبل لبنان؛ وقد اشتهر الموارنة بمهارتهم في أعمال الفلاحة. وعملت الكنيسة على نشر التربية والعلوم، فأسهم أبناؤها في نهضة اللغة العربيّة، وانفتحوا على الحضارة الأوروبيّة، وكان لهذا النشاط أثر اقتصاديّ عظيم في تقدّم الطائفة وتعميم الرقيّ الاقتصاديّ والاجتماعيّ في محيطها (الفقرتان ٧ و٨).

٢. أدّت **الرهبانيّات المارونيّة** دورًا اقتصاديًّا كبيرًا في ازدهار الأرياف الجبليّة، بإنشاء أديرة وتنظيم أعمال زراعيّة. وكانت وقفيّات أراضٍ شاسعة ابتداءً من القرن الثامن عشر، ومارس الرهبان أنواعًا مختلفة من المهن كالمحاماة والطباعة والصناعة ومهن البناء (فقرة ٩).

٣. امتدّ دور الموارنة الاقتصاديّ إلى **بلدان الانتشار** بدءًا من القرن السادس عشر، فكان لهم إسهام كبير في اقتصاد البلدان التي انتشروا فيها من خلال نشاطاتهم على مستوى الثقافة والعلم والتجارة والصناعة والإعلام والسياسة. هذا فضلاً عن دورهم في الداخل حيث ساندوا حركة الفلاّحين لمناهضة الروح الاقطاعيّة التقليديّة. ويذكّر النص بدور الكنيسة في تخفيف المجاعة أثناء الحرب العالميّة الأولى، ودور البطريركيّة المارونيّة في إعادة الأجزاء المسلوخة من لبنان، وهي مناطق تتميّز بوفرة مياهها وخصوبة سهولها. هذا فضلاً عن دورها في مساندة المطالب العالميّة العادلة في أثناء عهد الانتداب (فقرة ١٤).

٤ . ولكن، **بعد الاستقلال اللبنانيّ** نسيت الأجيال المتتالية تاريخ كنيستهم الاقتصاديّ والثقافيّ، وأهملت قضايا التنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة، متّكلة على الدولة الفتيّة. تدعو الكنيسة إلى احترام قيمتين في واقع التنظيم الاقتصاديّ هما الحريّة والتضامن. وتطالب الدولة بحماية حقوق كلّ فرد، وبالمساعدة الإيجابيّة على الازدهار العامّ من أجل تأمين نموّ أفضل للأفراد والجماعات، وبتجنّب الحلول محلّ النشاط الخاصّ الفرديّ أو الجماعيّ، ما دام هذا النشاط قادرًا على القيام بدوره، أو غير رافض له، وفقًا لمبدأ الانابة (subsidiarité) (فقرة ١٣ و١٤).

٥ . جدير بالذكر أنّ الإرشاد الرسوليّ "**رجاء جديد للبنان**" ركّز على القضايا الانسانيّة والاجتماعيّة، وعلى ضرورة العمل من أجل العدالة الاجتماعيّة. وذكّر العاملين في الخدمة العامّة، في الحياة السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، باحترام الموجبات الأخلاقيّة، وبإخضاع مصالحهم الخاصّة والفئويّة لصالح وطنهم والخير العامّ، وبتجاوز السلوك الأنانيّ للعيش في تجرّد يذهب إلى حدّ إنكار الذات (فقرة ١٥).

إنّ **الخطّة الراعويّة** تقتضي من الجماعات المنظّمة أن تتعمّق في هذه النصوص وبخاصّة الفقرات ٩٤ -٩٦ من الإرشاد الرسوليّ، وأن تستمدّ منها مبادىء نشاطات أفرادها.

* * *

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، أنت تنبّهنا على المحن والاضطرابات التي ترافق زمننا، وتنبّهنا إلى قيام مسحاء كذبة يضلّون العقول عن الحقّ والإرادات عن

الخير، ويزرعون الانشقاقات والانقسامات، حتّى جفاف المحبّة في القلوب. نسألك أن تعضدنا لنلبّي الدعوة إلى الصبر والثبات في الايمان والرجاء والمحبّة. ونضرع إليك من أجل المسؤولين في بلادنا ليكونوا خدّام العدالة والخير العامّ. ساعدنا معهم على إعادة بناء الوطن اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، فيصبحَ دولة راعية للانسان والعائلة والمجتمع؛ فنرفع الشكر والتسبيح للآب والابن والروح القدس إلى الأبد. آمين.

* * *

# الأحد الثالث من زمن الصليب

## انتظار مجيء الربّ

### من إنجيل القدّيس متّى ٢٤/ ٢٣-٣١

قال الربّ يسوع: إن قال لكم أحد: هوذا المسيح هنا أو هناك! فلا تصدّقوا، فسوف يقوم مُسحاء كذبة وأنبياء كذبة، ويأتون بآيات عظيمة وخوارق، ليضلّوا المختارين أنفسهم، لو قدروا. ها إنّي قد أنبأتكم! فإن قالوا لكم: ها هو في البريّة! فلا تخرجوا، أو: ها هو في داخل البيت! فلا تُصدّقوا. فكما أنّ البرق يُومض من المشارق، ويسطع حتّى المغارب، هكذا يكون مجيء ابن الانسان. حيث تكون الجثّة هناك تجتمع النسور. وحالاً بعد ضيق تلك الأيّام، الشمس تُظلم، والقمر لا يعطي ضوءه، والنجوم تتساقط من السماء، وقوّات السماوات تتزعزع. وحينئذ تظهر في السماء علامة ابن الانسان، فتنتحب قبائل الأرض كلّها، وترى ابن الانسان آتيًا على سحب السماء بقدرةٍ ومجدٍ عظيم. ويُرسل ملائكته ينفخون في بوقٍ عظيم، فيجمعون مختاريه من الرياح الأربع، من أقاصي السماوات إلى أقاصيها».

***

هذا النصّ الانجيليّ يواصل جواب يسوع على سؤال التلاميذ: "**قل لنا ما هي علامة مجيئك وانتهاء العالم**" (متّى ٢٤/٣). فينبّه إلى ظهور "مسحاء دجّالين وأنبياء كذبة" أي أشخاص وتيّارات مضلِّلة، ويدعو إلى عدم الانصياع لهم (متّى ٢٤/٢٣-٢٥)؛ ويؤكّد أنّ يوم مجيء الربّ مباغت مثل

ظهور البرق، وفاعل إذ يجتذب الناس في كلّ مكان، كما الجثّة تجمع النسور (الآية ٢٦-٢٨)؛ ويستعمل صورًا رؤيويّة من كتب أنبياء العهد القديم، تدلّ على كيفيّة نهاية العالم بتفكّك عناصر الطبيعة الأساسيّة أي الشمس والقمر والكواكب والنجوم وتناثرها (الآية ٢٩)، وتصف مجيء المسيح الأخير بالعزّة والمجد، وانتحاب جميع القبائل من أعماق الأرض (الآية ٣٠)، وتنتهي بخلاص المختارين الذين يجمّعهم الملائكة على صوت البوق العظيم من جهات الأرض الأربع (الآية ٣١).

نقرأ هذا النصّ في ضوء **لاهوت الانتظار**، حيث الانسان يسعى إلى تحقيق ذاته، مختبرًا محدوديّته وعدم كفايته، ومدركًا حاجته إلى نعمة المسيح التي تكمّله. إنّنا نجد نموذجًا لعيش لاهوت الانتظار في القدّيسة تقلا، أولى الشهيدات.

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. النصّ الرؤيويّ

نجد في أسفار الأنبياء وفي كتاب رؤيا يوحنّا النهج الأدبيّ المعروف بالرؤيويّ، الذي "يكشف ويوحي" (Apocalypse) من خلال صور حسّية حيّة، مستقبل شعب الله والكنيسة وما يواجههما من مصاعب. كما يكشف ويوحي على التوالي: تدخّل الله في التاريخ، وخراب أورشليم، ونهاية العالم، ومجيء المسيح النهائيّ بالمجد. وينتهي هذا النوع الأدبيّ الرؤيويّ بالدعوة إلى الرجاء والصبر والثبات والصمود في الحقّ؛ فالكنيسة منتصرة أبدًا بقوّة المسيح الذي هو سيّد الظفر والخلاص.

إنّ الصور الحسيّة عن تفكّك قوى الفلك (متّى ٢٤/٢٩) مأخوذة من **أشعيا** (١٣/١٠)؛ ووصف مجيء المسيح، ابن الانسان، على غمام السماء

بالعزّة والجلال مستعار من **نبوءة دانيال** الذي يروي رؤياه: "رأيت مثل ابن الانسان آتيًا على غمام السماء، وأوتي سلطانًا ومجدًا وملكًا، وسلطانه أبديّ لا يزول وملكه لا ينقرض" (دا ٧/١٣-١٤)؛ انتحاب جميع قبائل الأرض عند رؤية ابن الانسان مستوحاة من **نبوءة زكريّا** الذي ينقل ما قاله له الربّ: "فينظرون إليّ أنا الذي طعنوه، وينوحون كما يُناح على الوحيد، ويبكون بكاءً مرًّا كما يبكى على البكر، وتنوح الأرض، كلّ عشيرة على حدتها" (زكريّا ١٢ /١٠-١٢)؛ نفخ البوق في اليوم الأخير مأخوذ من **نبوءة حزقيال** (٧/٥-١٢)، **وسيراه يوحنّا** الذي عندما نفخ الملاك السابع والأخير بوقه، تعالت أصوات في السماء تقول: "صار مُلك العالمين لربّنا ولمسيحه، فيملك أبد الدهور" (رؤيا ١١/١٥).

### ٢. قراءة على ضوء لاهوت الانتظار

زمن الصليب معروف **بزمن الانسان في انتظار المسيح**، مع اختبار **عدم كفاية** (insuffisance) الانسان لتحقيق مستقبله بحثًا عن **حلّ** يقود إلى المسيح. الانتظار هو **البحث الجدّيّ عن حلّ لعدم الكفاية بأمل الوصول إليه**. نجد عند الفيلسوف الفرنسيّ Blondel في كتابه الشهير L'Action (سنة ١٨٩٣) تحليلاً فلسفيًّا لواقع الانتظار الذي يعبر مراحل هي بمثابة تسع موجات: **في الأولى** يسعى فعل الانسان إلى تحقيق علاقة متناغمة مع العالم الماديّ؛ **في الثانية** يبني الانسان حياته الداخليّة؛ **في الثالثة** يبحث عن اكتمال حياته الشخصيّة بحبّ الآخرين، **في الرابعة** يصبح الحبّ عنده ينبوعًا للحياة العائليّة؛ **في الخامسة** يعزّز ويغذّي الحياة في جماعة؛ **في السادسة** يتوق إلى تحقيق جماعة أكثر شموليّة؛ **في السابعة** يندفع إلى ما وراء آفاق الزمان والعالم، إلى تحقيق القيم الخلقيّة؛ **في الثامنة** يتشوّق دومًا

إلى تجاوز حدود المكان والزمان؛ **في التاسعة والأخيرة** يبلغ الفعل إلى بعده الدينيّ، حيث اللقاء بنعمة المسيح التي هي الحلّ.

في كلّ "**مرحلة**" من المراحل التسع يصبح فعل الانسان نبعًا لكمال جديد نسبيّ يظهر في المرحلة اللاحقة، يغني الحياة، ويبلغ إلى قيم جديدة، في مسيرة تدريجيّة نحو تحقيق المصير. ولكن قلّما تحقّق أي مرحلة الكمال، فيبقى الانسان "**كائنًا غير مكتمل**" في كلّ مرحلة وفي المراحل بأجمعها. إنّ اختبار "عدم الاكتمال" و"عدم الكفاية" يصبح مقياس الأصالة والصدق، ويجعل الانسان في **رحلة حجّ** يريد **اكتشاف عالم جديد**، هو بمثابة "الفردوس" الذي يجيب على رغباته غير المحدّدة. غير أنّه لا يلقى في مسيرته الطويلة إلاّ الصحراء، ويظلّ في عطش لا يروى: "طوبى للجياع والعطاش إلى البرّ" (متّى ٥/٦).

لن يقع الانسان، عبر هذا المسعى، في حالة تشاؤم أو يأس، بل هو مدعوّ للانفتاح الدائم على الرجاء والانتظار، ولو كانت الدعوة قاسية ومؤلمة بسبب عدم الكفاية وعدم الارتواء: "ظمئت نفسي إلى الله، إلى الإله الحيّ" (مز ٤٢ م ٣). وبذلك يجد نفسه مرغمًا على اختيار الانتظار: فهو لا يستولي على المستقبل، بل ينتظر حلاً له. إنّه التوق إلى "**عالم جديد ينبع من قلب المسيح، عالم جديد يصنعه حبّ المسيح**".

**من القراءة في ضوء لاهوت الانتظار يكشف نصّ الانجيل ثلاث حقائق:**

أ- في مسيرة حجّنا نحو تحقيق المستقبل والمصير، نلقى العديد من "**المسحاء والأنبياء الكذبة**" الذين ينطقون بالحقيقة المزوّرة على مختلف الأصعدة، بحيث بعض الناس يخلقون مسيحًا على قياسهم

وفقًا لأفكارهم وحساباتهم الزمنيّة، بينما المطلوب أن نكتسب فكره لا أن نجعله كما نريد. المسيح الذي يظهر كالبرق، يتخطّى كلّ حجم يحجّمه. نكون من الأنبياء الصادقين عندما لا نخاف من قول الحقيقة مهما كلّف القول من اضطهاد. ينبغي أن يكون الانسان نبيّ الله لا نبيّ هذا أو ذاك من الرؤساء."**نبيّ الله**" ينطق بالحقّ الذي يريده الله، بينما "**نبيّ الرؤساء**" يقول ما يقوله الرؤساء ويفكّر كما يفكّرون. لقد ردّد أنبياء الله: "ما يقوله لي الربّ أقوله أنا". لا يستطيع المسؤول أن يزوّر الحقيقة، ولا يجوز أن يرضى بالمتملّقين الذين يزوّرن الحقيقة السياسيّة أو القضائيّة أو الاقتصاديّة إرضاء لهم ولمصالحهم: "صديقك من صدقك!" أيلطم على فمه من يقول الحقيقة ويُلقى في السجن؟ ولكن هذا ما فعله أحد الحرس الذي صفع يسوع على وجهه أمام عظيم الأحبار عندما فاه له يسوع بالحقيقة (يو ١٨/٢٠-٢٢). وصفعه بيلاطس صفعة معنويّة عندما سأل يسوع عن الحقيقة وخرج فورًا من دون أن يسمعها (يو ١٨/٣٨).

ب- "**الشمس التي تظلم** والقمر الذي لا يعطي ضوءه والنجوم التي تتساقط من السماء"، قبل مجيء المسيح بالمجد، علامة للخلق الجديد والعالم الجديد، تمامًا كما جرى في الخلق الأوّل، فقبل أن يتدخّل الله الخالق ويخلق ما في السماء وعلى الأرض، كانت الأرض خاوية خربة من دون شمس وقمر ونجوم. فلكي "يجعل المسيح كلّ شيء جديدًا" (رؤيا ٢١/٥)، ينبغي أن تعود الأرض إلى حالتها الأولى، فيكون انحلالها مخاضًا لولادة جديدة. هكذا مجيء المسيح في حياتنا اليوميّة يقتضي منّا موتًا عن قديم، وتوبة قلب، وتنقية داخليّة، لكي تولد حياة جديدة فينا وفي مجتمعنا والوطن.

ج- **نحيب القبائل** عند رؤية ابن الانسان آتيًا في مجده وتلبية النداء بصوت البوق العظيم، علامة لبكاء التوبة أسفًا وندامة، ولبكاء الفرح عند الانخراط في موكب المختارين المخلّصين.

### ٣. القدّيسة تقلا نموذج لعيش لاهوت الانتظار

على الرغم من غناها وجمالها وذكائها وثقافتها وخطوبتها لشاب شريف ووجيه وانتمائها إلى عائلة وثنيّة شريفة في أيقونة، اختبرت تقلا "عدم كفايتها"، ودخلت في مسيرة الانتظار. فاستمعت ذات يوم من سنة ٤٥ بعد المسيح، وهي بعمر ٢٥ سنة، إلى بولس الرسول في مدينتها، فارتفعت إلى قمم الروح واستنار عقلها بالحقيقة المطلقة، ووجدت الحلّ لعدم كفايتها، فطلبت المعموديّة وحقّقت مستقبلها، مكرّسة بتوليّتها للمسيح ولملكوت السماء. وعندما سألتها أمّها عن هذا التبدّل في حياتها، أجابت إنّه "ثمن اصطباغها بماء العماد المقدّس وإيمانها بالمسيح الذي نذرت له بتوليّتها".

وكان لا بدّ لها من "**صبغة الدم**"، ومن اختبار حالة "**عدم الاكتمال**"، ومن المرور عبر محنة إخلاء الذات. فشكَوها للوالي. ورغم تهديداته، احتملت، بشجاعة وصبر وثبات، عذاب النار والوحوش والسجن والثيران والحيات؛ فكانت تنجو وتنتصر. وعندما سئلت عن سرّ ذلك، أجابت: "أنا عبدة يسوع المسيح ابن الله الحيّ. هو وحده الطريق والحقّ والحياة وخلاص من يرجونه" (السنكسار المارونيّ).

### ■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

نواصل التعمّق في موضوع "**دولة الرفاهيّة**" أو "**الدولة-العناية**" المأخوذ من "معجم التعابير الملتبسة والمتنازع عليها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة".

١. **يُطلب** من "دولة الرفاهيّة" (Welfrae State) أو "الدولة-العناية" (Etat-Providence) لكي تكون كذلك، ألاّ تهمل أو تضع جانبًا مهامّها الاجتماعيّة، وألاّ تحدّ من مبادرات الأفراد على الصعيد الاجتماعيّ. عندما تتدخّل مثل هذه الدولة في الشأن الاقتصاديّ، يبقى من واجبها أن تقف عند حدود درجة التدخّل. فلا يحقّ لها أن تجرّد القوى الفرديّة أو الجماعيّة الخاصّة من صلاحيّتها، بل عليها أن تساعدها بالتنسيق بين نشاط الدولة ونشاط العناصر الأخرى التي يتألّف منها المجتمع، تحقيقًا للخير العامّ. فإذا عمدت دولة الرفاهيّة إلى التدخّل المباشر حتّى تجريد المجتمع من مسؤوليّاته، أفضى بها الأمر إلى استنزاف الطاقات البشريّة واستعمال الأجهزة العامّة بذهنيّتها البوروقراطيّة وما يرافقها من تضخّم في النفقات (البابا يوحنّا بولس الثاني: السنة المئة، ٤٨).

٢. ولكي تكون الدولة راعية حقًّا، ينبغي أن **تعتبر الانسان محور النشاط الاقتصاديّ، وكلّ النشاط الاجتماعيّ**. كلّ شيء في الكون هو في خدمة الانسان. فالأدوات والتقنيّة والتقدّم العلميّ وكلّ خيور الطبيعة تتّجه إلى هدف واحد هو خدمة الانسان والانسانيّة جمعاء. ولذا لا يجوز أبدًا أن يؤدّي تدخّل الدولة إلى عرقلة قدرات أعضاء الجماعة.

من المؤسف أن نلحظ كيف أنّ الدولة تخنق الحقّ في المبادرة الاقتصاديّة، الذي هو حقّ مهمّ، ليس فقط للأفراد، بل أيضًا للخير العامّ. يبيّن الاختبار أنّ إنكار هذا الحقّ أو الحدّ منه لسبب أو لآخر، يحدّ من روح المبادرة، أي شخصيّة المواطن الخلاّقة، إذا لم نقل إنّه يهدّمها فعليًّا. لا يجوز للدولة أن تدخل في تنافس مع القطاع الخاصّ بشكل غير متساوٍ. إذا فعلت ذلك حدّت من طاقة الأفراد الخلاّقة التي هي من أهمّ خيور المجتمع. فينقص بالتالي التضامن الشخصيّ، ويفقد العديد من

الأوضاع المؤلمة مبادرات التضامن، فيما الدولة عاجزة عن معالجتها. وهكذا يبقى الحقل واسعًا بانتظار الشعور الانسانيّ والمحبّة المسيحيّة والاجتماعيّة. لن تستطيع الدولة أبدًا أن تؤدّي المساعدة في كلّ وضع، وبخاصّة عندما يكون الناس بحاجة إلى قرب واستقبال وتفهّم.

٣. كم نأمّل أن يعمل المسؤولون عندنا على إعادة إعمار دولة راعية حقًّا، تبنى على هذه المبادىء! وكم ننتظر منهم أن يأتوا مجتمعنا ببرامج إنمائيّة، على هذا المستوى، بدلاً من الاتّهامات الفارغة والتخوين البغيض. وتبقى القاعدة صحيحة، وهي أنّ الانسان يتّهم غالبًا غيره في ما هو عليه، ويظنّ أنّ غيره مثله.

**الدولة-العناية** هي التي تؤمّن شبكة من المؤسّسات الاجتماعيّة توفّر الأمن والاستقرار، وتضع خيرات الدنيا في متناول الجميع. وهي التي تنمّي الخدمات العائليّة والثقافيّة والتربويّة، شرط ألاّ تضع المواطن في حالة الاتكاليّة واللامسؤوليّة ورفض الخدمة (البابا يوحنّا الثالث والعشرون: أمّ ومعلّمة، ١٠٥).

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

الخطّة الراعويّة في هذا الأسبوع ترتكز على الفصل الثاني من النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: "**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**"، وتحديدًا على **التيّار الفكريّ** في لبنان المتمثّل في "جعل وظيفة لبنان الاقتصاديّة التخصّص في دور الوسيط في التجارة والخدمات بين الدول العربيّة والدول المتقدّمة، على حساب تطوير قطاعيه الزراعيّ والصناعيّ، وعلى عدم تدخّل الدولة في الاقتصاد تاركة لآليّات السوق قيادة دفّة الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة" (فقرة ١٨).

١. كانت نتائج هذا التيّار الفكريّ الاقتصاديّ ما يلي:

أ. تأكيد وظيفة بيروت مركزًا لخدمات تجاريّة.

ب. اعتبار وظيفة جبل لبنان مركزًا سياحيًّا.

ج. تحويل لبنان وكيانه الاقتصاديّ إلى الدولة-المدينة وإلى "جمهوريّة" تجاريّة الطابع على غرار المدن اليونانيّة والإيطاليّة القديمة.

٢. استوحى هذا التيّار نظريّته من **التراث الفينيقيّ القديم** بوجهه التجاريّ فقط مهملاً وجهه الأدبيّ والشعريّ، علمًا أنّ هذا التراث متعدّد الجوانب ومبدع وخلاّق. إنّ الرؤية الفينيقيّة لوظيفة الكيان الاقتصاديّ أدّت إلى تخصّص لبنان في مجال الخدمات والسياحة، وانحصر الازدهار في بيروت وجبل لبنان (الفقرتان ١٩ و٢٠).

٣. وكانت النتيجة أن حصرت الكنيسة دورها في مجال التربية والاستشفاء والأعمال الخيريّة، ما خلّف فراغًا على الصعيد الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وخلق نوعًا من الفراغ سهّل لتيّارات التشنّج الطائفيّ، وتيّارات رفض التغيير الاجتماعيّ أو رفض توسع الدولة في الشأن الاجتماعيّ والاقتصاديّ لتأمين تعادل الفرص. ثمّ جاء اندلاع الحرب سنة ١٩٧٥، وجعل الدولة اللبنانيّة مهدّدة في وجودها واستمرارها، وسُدل الستار على أيّ إصلاح اقتصاديّ واجتماعيّ (فقرة ٢٢).

إنّ الخطّة الراعويّة تهدف إلى وعي هذا الواقع، وإلى المطالبة بالإصلاحات الاقتصاديّة والاجتماعيّة بدلاً من الاصطفاف العقيم في هذا أو ذاك من التيّارات السياسيّة.

***

## صلاة

تعال أيّها الربّ يسوع، نحن والعالم بانتظارك هاديًا وفاديًا ومخلّصًا. أنرنا بأنوار الانجيل لنصحّح نظرتنا إلى العالم والتاريخ. أخرجنا من القلق، فإنّنا نصرخ إليك: تعال أيّها الربّ يسوع! إنّ مجتمعنا يتمخّض ليولد من جديد، فساعدنا لنعبر به إلى وطن يُخلص له أبناؤه، وإلى قيام دولة راعية للانسان فيه، ومحامية عن الأسرة في كيانها ووحدتها، فإنّها الخليّة الأساسيّة للمجتمع الجديد. إليك وإلى أبيك المبارك وروحك الحيّ القدّوس نرفع كلّ مجد وتسبيح وشكر الآن وإلى الأبد. آمين.

# الأحد الرابع من زمن الصليب

## الحياة وكالة من الله للخدمة

### من إنجيل القدّيس متّى ٢٤/ ٤٥-٥١

قال الربّ يسوع: «من هو العبد الأمين الحكيم الذي أقامه سيّده على أهل بيته، ليعطيهم الطعام في حينه؟ طوبى لذلك العبد الذي يجيء سيّده فيجده فاعلاً هكذا؛ الحقّ أقول لكم: إنّه يقيمه على جميع ممتلكاته. ولكن، إن قال ذلك العبد الشرّير في قلبه: سيتأخّر سيّدي وبدأ يضرب رفاقه، ويأكل ويشرب مع السكّيرين، يجيء سيّد ذلك العبد في يوم لا ينتظره، وفي ساعة لا يعرفها، فيفصله، ويجعل نصيبه مع المرائين. هناك يكون البكاء وصريف الأسنان».

***

زمن الصليب هو انتظار مجيء الربّ في حياتنا اليوميّة استعدادًا لمجيئه الأخير في نهاية الرحلة الشخصيّة على الأرض، استباقًا لمجيئه النهائيّ في نهاية الأزمنة. إنجيل اليوم يشرح مضمون هذا الانتظار: الانسان موكَّل من الله لخدمة الناس الذين هم عائلة الله. حياته انصراف إلى هذه الخدمة بالحكمة والأمانة، منتظرًا مجيء الربّ للثواب. أمّا إذا نسي حالته، كوكيل على خيرات الله، وحجبها عن الناس، وظلمهم واعتدى عليهم، فمصيره الهلاك الأبديّ.

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. الخدمة بالحكمة والأمانة

يستعمل الربّ يسوع في إنجيل اليوم لفظة "**عبد**" لا خادم أو وكيل، لأنّ الأولى بيبليّة. **فالعبد** في الكتاب المقدّس هو الذي يعبد الله بالعيش في شركة حياة عميقة معه، ويصغي إليه، ويصلّي له تسبيحًا وشكرًا، تشفّعًا واستغفارًا، ويبحث عن إرادته ويعمل بها. وهو الذي اختاره الله معاونًا في تحقيق مقاصده الخلاصيّة في التاريخ. ولذا، لفظة "عبد" أشمل من لفظتي "خادم" و"وكيل".

كلّ إنسان يأتي إلى العالم هو "عبد" لله. عليه أن يبحث، بالصلاة والاصغاء والاسترشاد وقراءة علامات الأزمنة، عن إرادة الله عليه، وعن دوره الخاصّ في تاريخ الخلاص، بل كلّ مسؤول في العائلة أو المجتمع في الكنيسة أو الدولة، هو "عبد" الله الموكّل بإعطاء طعام الله للجماعة المسؤول عنها.

يطلب من العبد–الوكيل أن يتحلّى بفضيلتي الأمانة والحكمة.

**الأمانة** هي لله الذي وكّله، وللناس الذين ينتظرون منه حقوقهم، التي ينالونها إذا هو أدّى واجب حالته. يحذّره الربّ يسوع من استغياب الله ومن إيقاع الظلم بجماعته المدعوّة "أهل بيت الله" (متّى ٤٦/٢٤). فيحاسبه على الأمانة، إمّا ثوابًا "بإقامته على جميع خيراته"، وإمّا عقابًا "بفصله وجعله بين الهالكين".

**الحكمة** هي أولى مواهب الروح القدس السبع التي تتوّجها مخافة الله: "رأس الحكمة مخافة الله". هذه الفضيلة تقتضي من المسؤول أن يتصرّف وفقًا لإرادة الله ولنظرة الله، وأن يحرص على عدم الاخلال بمسؤوليّته، لكي

لا يسيء إلى الله. بل يجتهد في تحقيق مقاصده عاملاً من أجل مرضاته ومجده. هذه هي الحكمة المتوَّجة بمخافة الله.

### ٢. عبد الله وواجبات الحالة

في ضوء إنجيل اليوم، لا بدّ لكلّ مسؤول من أن يتساءل عن مضمون وكالته، أو بتعبير آخر عن واجب حالته.

**رعاة الكنيسة**، الأساقفة، مؤتمنون بملء الكهنوت على خدمة النفوس التي افتداها المسيح بدمه، متمّمين واجب خدمتهم، على صورة الكاهن الأزليّ، الراعي الصالح، بالقداسة والغيرة والتواضع والاندفاع والثبات، منصرفين إلى واجب الصلاة والكرازة والتقديس والتدبير (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٤١).

**الكهنة**، معاونو الأساقفة في الخدمة المثلّثة وهم "إكليلهم الروحيّ" (أغناطيوس الأنطاكيّ)، مؤتمنون على مواصلة عمل الفداء بالمسيح، الوسيط الأزليّ الوحيد، بالانصراف إلى خدمتهم اليوميّة في محبّة الله والناس، والمحافظة على رباط الشركة، وتوفير الخير الروحيّ، وأداء الشهادة الحيّة لله. يصلّون ويقدّمون ذبيحة الخلاص عن شعبهم وشعب الله بأسره، متأمّلين في ما يفعلون، ومقتدين بما يخدمون (المرجع نفسه).

**المكرّسون والمكرّسات**، في الجماعات الرهبانيّة وفي العالم، يعتنقون المشورات الانجيليّة، بنذور أو وعود، وهي العفّة الفقر والطاعة، وبها يتحرّرون ويحرّرون العالم من شهواته الثلاث، ويقفون ذواتهم كليًّا على الله والكنيسة لخدمة محبّة المسيح، بجعله حاضرًا، معلّمًا وشافيًا وصانعًا الخير لكلّ إنسان، من خلال مؤسّساتهم ونشاطاتهم في مختلف الأوساط والأمكنة.

ويكونون علامة تجتذب أبناء الكنيسة وبناتها إلى إتمام واجبات حياتهم المسيحيّة باندفاع وفرح (الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٤٤).

**الأزواج والوالدون** مؤتمنون على وديعة الحبّ والحياة. يتعاضدون ويتساندون بالحبّ الدائم، بقوّة النعمة الإلهيّة، مدى العمر. ويحترمون حياة كلّ واحد منهم ويعزّزونها ويكمّلونها ويعملون على تحقيق الذات. ويخدمون الحياة البشريّة بالإنجاب معاونين الله في نقلها إلى الوجود، وبتربيتها جسديًّا وروحيًّا، ثقافيًّا وخلقيًّا، إنسانيًّا واجتماعيًّا (المرجع نفسه، ٤١).

**العلمانيّون في مختلف حالاتهم**، الأرامل والعازبون، العمّال وأرباب العمل، المعلّمون والطلاّب، الأطبّاء والممرّضون، المقتدرون والأغنياء، الرازحون تحت عبء الفقر والظلم والمرض والضعف، وسواهم،.. جميعهم مدعوّون للالتزام بواجبات حالتهم. إنّهم يجدون جوابًا على تساؤلاتهم حول هذه الواجبات في شخص المسيح وتعليمه وأعماله.

**المسؤولون السياسيّون** مدعوّون لاستعمال السلطة الشرعيّة بهدف تأمين الخير العامّ أي "مجمل أوضاع الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والثقافيّة والخلقيّة والسياسيّة التي تمكّن الناس والعائلات والمجموعات من تحقيق ذاتهم تحقيقًا أكمل (الكنيسة في عالم اليوم، ٧٤). إنّها دعوة لحكم الدول وسنّ الشرائع وإدارة الشؤون العامّة على مختلف المستويات بالالتزام في خدمة الآخرين، والعمل بتجرّد بحثًا عن خير الجميع وخير كلّ واحد، ولاسيّما من هم أكثر حاجة، لا سعيًا إلى المصلحة الخاصّة أو الفئويّة (خطاب البابا يوحنّا بولس الثاني للمسؤولين عن الحكومات ورجال السياسة في ٤/١١/٢٠٠٠ فقرة ١و٢).

إنّ العمل السياسيّ فنّ شديد الخطورة لما يترتّب عليه من موجبات تتوزّع على أربعة مستويات:

أ- **تنظيم الحياة العامّة** في مقتضياتها اليوميّة ومتفرّعاتها.

ب- **تنظيم الدولة** في نشاطها الداخليّ: إدارة وأجهزة ومخطّطات ومشاريع في ميادين الاقتصاد والاجتماع والتشريع والثقافة، وفي نشاطها الخارجيّ مع الدول وما تبرمه معها من اتفاقيّات ومعاهدات.

ج- **تعزيز محبّة الوطن** وحياته وقيمه وتراثه ورموزه وتاريخه وعاداته، وتحقيق آمال أبنائه وطموحات أجياله الطالعة، وإزالة هواجسهم، ودرء ما يتهدّدهم من أخطار.

د- **تأمين الخير العامّ**، الذي تتوفّر فيه حقوق الشخص البشريّ وتمارس الواجبات المتعلّقة بها (القرار المجمعيّ في الحريّة الدينيّة، ٦). هذا الخير العامّ يشمل الجنس البشريّ بأسره (الكنيسة في عالم اليوم، ٢٦).

إنّ مبرّر وجود الجماعة السياسيّة، المؤلّفة من شعب وسلطة ومؤسّسات دستوريّة، هو الخير العامّ. فيه تجد معناها ومنه وفي سبيله تنظم مؤسّساتها، وتثمّر قدراتها وثرواتها الطبيعيّة.

## ■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

من "**معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**"، نواصل النظر في موضوع "**دولة الرفاهيّة**" (Welfare State) أو "**الدولة-العناية**" (Etat Providence). من النقاط الملتبسة في هذا الموضوع مفهوم "**نوعيّة الحياة**" التي تسعى إلى تعزيزها الدولة-العناية.

١. في البلدان المتطوّرة ينحصر مفهوم **"نوعيّة الحياة"** بوجهه الماديّ، النفعيّ، الاستهلاكيّ. الدولة مسؤولة عن تأمين المساعدة الاجتماعيّة للمواطنين والسكّان، بهدف توفير "نوعيّة حياة لهم". نرى هذه النوعيّة محصورة بالرفاهيّة وغياب الهموم والحياة السهلة، في البلدان المتطوّرة.

أمّا "نوعيّة الحياة" المطلوبة فلا تقف عند حدود الرفاهيّة الماديّة، بل ينبغي أن تشمل إنماء الانسان والمجتمع، إنماءً شاملاً. تكون "نوعيّة الحياة" متوفّرة عندما يُحمى البعد الانسانيّ والدينيّ عند الأجيال الجديدة، كما وعند أعضاء المجتمع الكبار. ولن تكون متوفّرة ما دام هناك عائلات فقيرة، وشباب لا يستطيعون أن يعيشوا في مساكن لائقة، وأشخاص مسنّون يُتركون لوحدهم، ومعوّقون لا تؤدّى لهم المساعدة المناسبة، وما دام التمييز الدينيّ والعرقيّ والسياسيّ قائمًا، والسلاح متفشّيًا خارج إطار المؤسّسات الأمنيّة الشرعيّة، والمخدّرات مروّجة، والجسد البشريّ مرهوناً للدعارة (الدستور الراعويّ: الكنيسة في عالم اليوم، ٢٦).

٢. من واجبات "الدولة- العناية" أن **تؤمّن العيش الرغيد للجميع**. ماذا نعني **بالجميع**؟ هل أبناء الوطن الوحيد الأصليين؟ هل الموالون للسلطة الحاكمة؟ هل المنتمون إلى هذه وتلك من الطوائف أو التيّارات السياسيّة؟ إنّ الخير العامّ لا يقصي أحدًا لأيّ اعتبار أو سبب، ولا ينحصر ضمن حدود جغرافيّة معيّنة. من واجب الدولة- العناية أن تُدخل في سياستها الاجتماعيّة مفهوم الترابط والتبادل الشاملين. فالروابط البشريّة تتكاثر وتمتدّ شيئًا فشيئًا إلى العالم كلّه. والخير العامّ، وهو يشمل الأوضاع الاجتماعيّة التي تسمح للمجموعات، كما ولكلّ واحد من أعضائها، يتّخذ اليوم بعدًا أكثر شموليّة، وبالتالي يشمل حقوقًا وواجبات تعني الجنس البشريّ بأسره. ينبغي لكلّ مجموعة أن تعنى

أيضًا بحاجات المجموعات الأخرى وتطلّعاتها المشروعة، وأن تضع في حسابها خير العائلة البشريّة بمجملها.

نأمل من المسؤولين عندنا، لكي يكون للسلطة السياسيّة مبرّر، أن ينهضوا "بدولة- العناية" التي تتحمّل مسؤوليّتها الاجتماعيّة الخطيرة، فتنصرف إلى إنماء الانسان والمجتمع، إنماءً شاملاً. هذا فضلاً عن واجبها في تنظيم القدرات العامّة وتوجيهها إلى الخير العامّ، الذي هو خير الجميع وخير كلّ إنسان.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: "**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**"، وتحديدًا "**الإصلاحات الاقتصاديّة والاجتماعيّة**" منذ أحداث ١٩٥٨ حتّى اليوم (الفقرات ٢٣-٣٥).

١. يستعرض النصّ **الإصلاحات التي جرت ما بين ١٩٥٨ و١٩٦٤**، في عهد الرئيس فؤاد شهاب. وهي إصلاحات أحوج ما نحتاج إليها اليوم في لبنان لكي يخرج من أزمته الاقتصاديّة والاجتماعيّة الحادّة. لقد أجراها الرئيس شهاب مستعينًا بخبراء فرنسيّين ولبنانيّين بقيادة الأب لويس لوبريه في وزارة التصميم، والذي استلهم الرسالة العامّة الشهيرة للبابا بولس السادس: "ترقّي الشعوب".

**شملت الإصلاحات ثلاثة:** تحديث جهاز الدولة وتطويره في المجالين الاقتصاديّ والاجتماعيّ، وتطوير البنى التحتيّة في جميع المناطق، وتأمين الحدّ الأدنى من تعادل الفرص بين اللبنانيين (فقرة ٢٣). أجري مسح شامل للمناطق ووضعت الخطط الكفيلة بتأمين نموّ متواصل وعادل في توزيع ثماره على كلّ المناطق والقطاعات الاقتصاديّة والشرائح

الاجتماعيّة. قامت صعوبات واجهت تطبيقها، فكان لا بدّ من العمل تدريجيًّا على ولادة حسّ مدنيّ وإقامة انصهار وطنيّ حقيقيّ (فقرة ٢٤).

٢. **هدفت الإصلاحات الشهابيّة** إلى تطبيق سياسة إعادة البناء والإصلاح بالارتكاز إلى مبدأين رئيسين: التضامن الاجتماعيّ وبناء الدولة.

**على صعيد التضامن الاجتماعيّ**، عملت الإصلاحات على إزالة الفقر الريفيّ وعدم التوازن المناطقيّ، بجرّ المياه ومدّ شبكات الكهرباء، وتطوير مرفأ بيروت وإقامة معرض طرابلس الدائم، وإنشاء سلسلة من المدارس الرسميّة والمستوصفات وتطوير الجامعة اللبنانيّة، واستصلاح الأراضي بمؤازرة المشروع الأخضر، وإنشاء مكتب الفاكهة ومكتب الحرير، وتأسيس الصندوق الوطنيّ للضمان الاجتماعيّ، وإنشاء مكتب الإنعاش الاجتماعيّ.

**وعلى صعيد بناء الدولة**، أنشئت مؤسّسات كبرى هي: المصرف المركزيّ، مجلس الخدمة المدنيّة، هيئة التفتيش الكبرى، ومجلس تنفيذ المشاريع الكبرى لمدينة بيروت (فقرة ٢٤).

٣. فجّرت أحداث ١٩٧٥ الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة (فقرة ٢٥ و٢٦). وكانت **سياسة إعمار جديدة** ركّزت على ثلاثة: مشاريع البنيّة التحتيّة العالية الكلفة والمحصورة في بيروت وجبل لبنان، فتح باب التعويض للمهجّرين بمعايير عشوائيّة، وسياسة نقديّة اعتمدت الفوائد العالية للغاية. لقد أهملت سياسة الإعمار إحياء القدرات الإنتاجيّة في الميدانين الصناعيّ والزراعيّ، كما أحجمت عن مساعدة اللبنانيّين في تأمين قدرة تنافسيّة لمنتوجاتهم في هذين القطاعين، مع التطوّرات العلميّة السريعة التي حصلت في العالم العربيّ والغربيّ، وانتشار حركة العولمة

(فقرة ٢٧). أدّت سياسة الإعمار هذه إلى نتائج سلبيّة كبيرة تعدّدها الفقرات ٢٨-٣١.

٤. **واجهت الكنيسة المارونيّة** الأوضاع الاقتصاديّة والاجتماعيّة الحاضرة بإيقاظ الوعي بالتعليم من خلال عظات السيّد البطريرك وبيانات السادة المطارنة، وبمبادرات إنمائيّة على المستوى الاجتماعيّ والثقافيّ والاستشفائيّ والإنمائيّ بواسطة المؤسّسات الكنسيّة البطريركيّة والأبرشيّة والرهبانيّة (الفقرات ٣٢-٣٤).

* * *

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، لقد أوكلت إلينا الحياة والخدمة الاجتماعيّة، وجعلتنا لك وكلاء على أسرار الله وعلى خيرات الدنيا، أعطنا أن نؤدّي الخدمة بحكمة وأمانة. إنّنا على موعد دائم مع مجيئك اليوميّ في حياتنا، عبر نداءات المجتمع الروحيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، والتي تطلب منّا موقفًا ومبادرات لتلبية الحاجات الكثيرة. ساعدنا، بشفاعة أمّنا مريم العذراء، في هذا الشهر المخصّص لتكريم ورديّتها، لكي نرى وجهك كما رأته هي، وأن نجعله حاضرًا في أعمالنا وشهادة حياتنا. لك المجد والشكر مع أبيك المبارك وروحك الحيّ القدّوس إلى الأبد، آمين.

* * *

# الأحـد الخـامس من زمن الصليب

## الحياة التزام وانتظار تجلّيات الله

### من إنجيل القدّيس متّى ٢٥/ ١-١٣

قال الربّ يسوع: «يُشبه ملكوت السماوات عشر عذارى أخذن مصابيحهنّ وخرجن إلى لقاء العريس، خمسٌ منهنّ جاهلات، وخمسٌ حكيمات. فالجاهلات أخذن مصابيحهنّ ولم يأخذن معهنّ زيتًا. أمّا الحكيمات فأخذن زيتًا في آنية مع مصابيحهنّ. وأبطأ العريس فنعسن جميعهنّ، ورقدن. وفي منتصف الليل، صارت الصيحة: هوذا العريس، أخرجوا إلى لقائه. حينئذ قامت أولئك العذارى كلّهنّ، وزيّنّ مصابيحهنّ. فقالت الجاهلات للحكيمات: أعطيننا من زيتكنّ، لأنّ مصابيحنا تنطفئ. فأجابت الحكيمات وقلن: قد لا يكفينا ويكفيكنّ. إذهبن بالحريّ إلى الباعة وابتعن لكنّ. ولمّا ذهبنّ ليبتعنّ، جاء العريس، ودخلت المستعدات إلى العرس، وأغلق الباب. وأخيرًا جاءت العذارى الباقيات وقلن: يا ربُّ، يا ربُّ، إفتح لنا، فأجاب وقال: ألحقّ أقول لكنّ، إنّي لا أعرفكنّ. إسهروا إذًا، لأنّكم لا تعلمون اليوم ولا الساعة».

***

في المسيرة نحو ملكوت الله، نحو النهايات التي نتأمّلها في زمن الصليب، يكشف الربّ يسوع أنّ الحياة دعوة إلى عرس الخلاص، ينبغي الاستعداد له، وأنّ هذه الدعوة تعاش في الالتزام بموجبات الحالة الشخصيّة. هذا يقتضي منّا أن نوجّه عقلنا وقلبنا إلى المسيح وصليبه الذي هو علامة محبّة

الله ورحمته. فقد تجلّت محبّة الله ورحمته في التاريخ واتخذت شكلاً وإسمًا هو يسوع المسيح (البابا يوحنّا بولس الثاني: فادي الانسان، ٩).

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. الحياة دعوة إلى عرس الخلاص

المثل الانجيليّ يأخذ صورة العرس ليكشف أنّ الحياة كلّها دعوة إلى عرس الخلاص. يدخل قاعة العرس العذارى الحكيمات، النفوس أو الأشخاص الذين استعدّوا وسهروا على موجبات حالتهم الشخصيّة. ويُطرح خارج قاعة العرس الخلاصيّ العذارى الجاهلات، الأشخاص الذين لم يستعدّوا وأهملوا موجبات حالتهم.

العريس الآتي هو يسوع المسيح. لقد **دخل عالم البشر بتجسّده** منذ ألفي سنة، مهيّئًا لجميع الناس عرس الخلاص وداعيًا إليه وتاركًا له الوسائل اللازمة: نور الانجيل ونعمة الأسرار ومحبّة الكنيسة. **وهو في دخول دائم** إلى حياة كلّ إنسان لخلاصه بفيض من محبّة الآب وبقوّة الروح القدس وحلوله. هذا ما عناه بولس الرسول بقوله: "المسيح هوهو أمس واليوم وإلى الأبد" (عبرانيين ١٣/٨). **وسيدخل بالبشريّة إلى قاعة الخلاص الأبديّ**، الأرض الجديدة والسماء الجديدة (رؤيا ٢١/١)، في نهاية الأزمنة.

قال الربّ يسوع عن نفسه: "أنا البداية والنهاية، الألف والياء" (رؤيا ٢١/٦)، للدلالة على هذا الدخول المثلّث في عالم البشر: **الدخول التاريخيّ** بالتجسّد والفداء، **والدخول السريّ** بمنح ثمار هذا التجسّد والفداء لكلّ مستعدّ، **والدخول النهيويّ** بمجيئه الثاني بالمجد ديّانًا، مثيبًا بالخلاص أو معاقبًا بالهلاك إلى الأبد. إنّها محطّات ملكوت الله، أي لقاء الله بالانسان والدخول إلى قاعة عرس الخلاص. بتجسّد الكلمة الإلهيّ بدأ

**ملكوت الله** كزرع، فكانت الكنيسة جماعة اللقاء بالله الثالوث، تجمعها "محبّة الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس" (٢ كور ١٣/١٣؛ نافور القدّاس الماروني)؛ **ويتحقّق هذا الملكوت** في حياة كلّ إنسان بقبول حقيقة الانجيل والسير في هدي نوره، وبالولادة الجديدة بواسطة نعمة الأسرار للحياة الإلهيّة والسير في موكب العرس برعاية الكنيسة؛ **ويكتمل الملكوت** بإنتهاء التاريخ عندما يعود المسيح فادي الانسان فيسلّم الملك كلّه لله الآب، في نهاية الأزمنة، بقيامة الموتى والدينونة العامّة. هذه هي صورة العرس في المثل الانجيليّ.

## ٢. مفاهيم مثَل العرس

يُقسم الحدث إلى اثنين: **الأوّل** حالة انتظار مجيء الربّ في حياتنا، **الثاني**، مجيئه والنتائج، ثمّ العبرة بالسهر والانتظار.

**العريس** هو المسيح. **العذارى** هم جميع الناس، على مدى أجيال التاريخ، المدعوّين إلى وليمة عرس الخلاص. **الحكيمات** هم الذين لبّوا الدعوة واستمرّوا أمناء لها بسهرهم عليها، واستعدّوا لها متمّمين أعمال حالة حياتهم الخاصّة. **الجاهلات** هم الذين لبّوا الدعوة لكنّهم لم يكونوا أمناء، فأهملوها، ولم يستعدّوا لها بالالتزام بموجبات حالتهم الشخصيّة. **المصابيح** هي **العقل** لمعرفة حقيقة الخلاص الموحاة بالمسيح، و**الإرادة** للالتزام بعيش هذه الحقيقة الخلاصيّة ومقتضياتها، و**القلب** لمحبّة الله والناس وهي ملء الخلاص. **الزيت** هو **الفضائل الإلهيّة:** الايمان للعقل، والرجاء للإرادة، والمحبّة للقلب، و**مواهب الروح القدس السبع** التي تشدّد العقل والايمان بالحكمة والمعرفة والعلم، وتشدّد الإرادة والرجاء بالمشورة والقوّة، وتشدّد القلب والمحبّة بالتقوى ومخافة الله (أشعيا ١١/٢). **إبطاء العريس** هو جهل

موعد قدومه في حياتنا اليوميّة، عند ساعة موتنا، وفي نهاية العالم. **النعاس والرقاد** هو التعب والرتابة ومصاعب الحياة وصمت الله وحالة النفق.

**انتصاف الليل والصيحة** هما لحظة مجيء الربّ الحاسمة: "صارت الصيحة: هوذا العريس آتٍ". إنّها لحظة النداء الإلهيّ التي يتمّ فيها موعد قدومه. إنّها صيحة نداء الانجيل وإلهامات الروح القدس وتعليم الكنيسة والتربية العائليّة وصوت الضمير وحاجات المجتمع وأحداث الحياة اليوميّة. **تهيئة المصابيح** هي الاستعداد الدائم والجاهز للقاء الربّ الآتي، من خلال الالتزام بواجبات الحالة الشخصيّة. لا أحد يحلّ محلّ أحد، فالالتزام عمل شخصيّ؛ هذا معنى رفض الحكيمات إعطاء الجاهلات من زيتهنّ: "ربّما لا يكفينا ويكفيكن". **ذهاب الجاهلات** لابتياع الزيت **وعودتهنّ بعد وصول** العريس **وإقفال باب** قاعة العرس، يعني أنّ الزمن السابق لمجيء المسيح الربّ حاسم ولا يعوض. ما يمكن فعله قبل مجيئه لا يمكن فعله من بعده. هذا هو معنى التاريخ، والتاريخ اليوميّ من حياتنا وحياة البشر: "إسهروا لأنّكم لا تعلمون ذلك اليوم ولا تلك الساعة" (متّى ٢٥/١٣). **دخول المستعدّات** إلى قاعة العرس هو البلوغ إلى الخلاص في هذه الدنيا وفي الآخرة.

أمام هذه اللوحة الانجيليّة لا بدّ من فحص ضمير وجدانيّ وشخصيّ لإعادة قراءة مسيرة حياتي الشخصيّة، ولتحديد الالتزام بواجبات حالتي، وبما تقتضيه مسؤوليّتي في العائلة والكنيسة والمجتمع.

### ■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

نتناول موضوع **"دولة الرفاهيّة"** (Welfare State) أو **"الدولة-العناية"** (Etat Providence) المأخوذ من **"معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها**

**حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**"، من ناحية مسؤوليّة الدولة تجاه حفظ التوازن بين السكّان المساهمين في الإنتاج الوطنيّ وأولئك المستفيدين من تقدمات الدولة.

يُطرح الموضوع في البلدان المتطوّرة من **ناحية نسبة الإنجاب**، التي هي في انحدار دائم، ما يجعل واقع السكّان فيها مؤلّفًا من كثرة المسنّين البالغين من العمر ما يفوق الخامسة والستّين- وهم المستفيدون من تقدمات الدولة، وقلّة المنتجين البالغين من العمر ما دون الرابعة والستين، وهم المنتجون.

لا تستطيع **دولة-العناية** أن تهمل هذا التغيير في طبيعة السكّان. وفيما تعنى بحفظ أنواع النبات والحيوان من الانقراض بشتّى الوسائل، كيف تهمل حفظ الجنس البشريّ بمواجهة مشكلة عدم الإنجاب أو قلّته؟ ينبغي أن تتضافر جهود الدولة والكنيسة في سبيل الإنجاب والعيش الكريم. **من واجب الدولة** وضع سياسة اجتماعيّة وعائليّة تمكّن الأزواج من تحمل مسؤوليّة الإنجاب، **ومن واجب الكنيسة** تثقيف ضمائر المتزوّجين على أخلاقيّات مسؤوليّة الأبوّة والأمومة (الدستور الراعويّ: الكنيسة في عالم اليوم، ٨٧).

لا يجوز أن يصبح **الإنجاب معضلة** تقف حيالها الدولة من دون مبادرات. لا يجوز أن تطغى الروح الفرديّة والنفعيّة والاستهلاكيّة على قيمة الحياة البشريّة. ولا يجوز أن تقاس الحياة البشريّة من ناحية العيش برفاهيّة، على حساب اعتبارها هبة بحاجة إلى إنماء وفقًا لدعوتها الشخصيّة الخاصّة.

ولا يجوز أن يُعتبر **إنجاب ولد مشكلة اجتماعيّة وعبئًا اقتصاديًّا وتربويًّا**، بل يجب اعتبار كلّ ولد يولد ثروة رجاء لحفظ عنصر الشباب في المجتمع، وهبة ثمينة للعائلة.

خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني، في رسالته العامّة "**السنة المئة**"

(أوّل أيّار ١٩٩١) يدعو إلى حماية "**البيئة البشريّة**" (الايكولوجيّة البشريّة) التي هي العائلة المبنية على الزواج والإنجاب. ففي العائلة يتلقّى الانسان أوّل المبادئ الأساسيّة المتّصلة بالحقّ والخير، ويتعلّم معنى الحبّ، حبّه للآخرين وحبّ الآخرين له، وبالتالي كيف يكون الانسان في الواقع إنسانًا. إنّ تبادل العطاء بين الرجل والمرأة، في الزواج والعائلة، يخلق محيط حياة يستطيع الولد أن يولد فيه، ويُنمي طاقاته، ويعي كرامته، ويتأهّب لمواجهة ما يتعارض ومصيره (عدد ٣٩).

**٣. يطرح الموضوع عندنا في لبنان من ناحيتين:**

**الأولى**، مشكلة الكثرة من المستفيدين من تقدمات الدولة الذين لا يؤدّون واجب الضرائب والرسوم لتغطية النفقات العامّة، والقلّة من المساهمين في الرسوم والضرائب، ما يجعل "دولة-العناية" عاجزة عن تقديم الخدمات العامّة كالكهرباء والماء وسواها. **الثانية**، مشكلة الهجرة، بسبب عدم توفّر فرص العمل والأمن والاستقرار السياسيّ والاجتماعيّ، التي تحرم العائلة من قواها الحيّة والفتيّة، وتترك في البلاد عائلات متقدّمة في السنّ مع ما ينتج عن هذا الواقع من أوضاع نفسيّة واجتماعيّة مؤلمة.

لا يستطيع المسؤولون السياسيّون التمادي في خلق الأزمات السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة، وفي تعطيل دور الدولة وقدراتها، وهذا ما يتسبّب بالمشكلتين المذكورتين. فينبغي أن يدرك الشعب حقوقه ويطالب بها، وواجباته ويلتزم بأدائها.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين:

**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**، وتحديدًا الفصل الثالث: **تطلّعات مستقبليّة واقتراحات.**

١. **ينطلق الإصلاح الاقتصاديّ والاجتماعيّ** من إدانةِ الممارسات الماليّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة التي أدّت إلى تفشّي الفساد وسوء الأخلاق وحصر الثروات بشكل هائل في أيدي عدد محدود من المواطنين. كما ينطلق من العودة إلى المبادئ والقيم الأخلاقيّة في الحياة الاقتصاديّة التي توجّهها إلى غاية الغايات، إلى الله الذي هو لنفسه ولنا الخير الأسمى الذي لا ينضب. وواقعيًّا **يرتكز الإصلاح** على تحقيق اللامركزيّة الإداريّة، والتنمية المتوازنة بين كلّ المناطق اللبنانيّة، والتعاضد الاجتماعيّ من أجل بناء وطن المستقبل (الفقرات ٣٦-٤٠).

٢. **ويبدأ الإصلاح من تعديل النظام الضريبيّ** في لبنان ليكون عادلاً وفاعلاً. فيوجّب على الفئات الميسورة دفع ما يتوجّب عليها من ضريبة مباشرة على المداخيل، ويحدّ من تهرّبها من هذا الواجب، ومن هيمنة مصالح ذوي الأرصدة الماليّة الكبيرة أو الممتلكات العقاريّة على النظام الاقتصاديّ، ممّا يعرقل النموّ الاقتصاديّ وخلق فرص العمل. ويخفّف هذا التعديل من الأعباء الضريبيّة عن عاتق الفئات المحدّدة الدخل، وهي أعباء ترتكز على الضرائب غير المباشرة (الفقرات ٤١-٤٢).

٣. **ويرتكز الإصلاح على تصويب السياسة النقديّة** ومواجهة **قضيّة الدين العامّ**؛ ذلك أنّ نهضة لبنان الاجتماعيّة والاقتصاديّة مرتبطة بإيجاد الحلول لقضيّتي السياسة النقديّة والدين العامّ، وبتغيير المسلك الاقتصاديّ والماليّ والنقديّ الذي أصاب المجتمع اللبنانيّ بأضرار جسيمة (الفقرة ٤٣).

***

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، أنت الذي تأتي كلّ يوم في حياة كلّ إنسان لخيره وخلاصه وسعادته، ألهمنا بأنوار روحك القدّوس لنكون ساهرين ومتأهّبين لوعي مجيئك عبر أحداث حياتنا اليوميّة، ومن خلال قراءة علامات الأزمنة. ساعدنا لنحافظ على العائلة وقيمة الحياة البشريّة ونضارة المجتمع. نوّر المسؤولين عن الشأن العامّ لكي يجروا الإصلاح الاجتماعيّ والاقتصاديّ اللازم على أساس الشريعة الأخلاقيّة ومبادئ العدالة والتضامن الاجتماعيّ. أنت الذي يجب لك ولأبيك وروحك القدّوس كلّ الشكر والإكرام الآن وإلى الأبد. آمين.

# الأحـد السـادس من زمن الصليـب

## مؤتمنون على مواهب وعطايا للخير العامّ

### من إنجيل القدّيس متّى ٢٥/ ١٤-٣١

قال الربّ يسوع: «يشبه ملكوت السماوات رجلاً أراد السفر، فدعا عبيده، وسلّمهم أمواله. فأعطى واحدًا خمس وزنات، وآخر وزنتين، وآخر وزنة واحدة، كلاًّ على قدر طاقته، وسافر. وفي الحال مضى الذي أخذ الوزنات الخمس، وتاجر بها فربح خمس وزنات أخرى. وكذلك الذي أخذ الوزنتين ربح وزنتين أخريين. أمّا الذي أخذ الوزنة الواحدة فمضى وحفر في الأرض، وأخفى فضّة سيّده. وبعد زمان طويل، عاد سيّد أولئك العبيد، وحاسبهم. ودنا الذي أخذ الوزنات الخمس، فقدّم خمس وزنات أخرى قائلاً: يا سيّد، سلّمتني خمس وزنات، وهذه خمس وزنات أخرى قد ربحتها! قال له سيّده: يا لك عبدًا صالحًا وأمينًا! كنت أمينًا على القليل، سأقيمك على الكثير: أدخل إلى فرح سيّدك! ودنا الذي أخذ الوزنتين فقال: يا سيّد، سلّمتني وزنتين، وهاتان وزنتان أخريان قد ربحتهما. قال له سيّده: يا لك عبدًا صالحًا وأمينًا! كنت أمينًا على القليل، سأقيمك على الكثير: أدخل إلى فرح سيّدك! ثمّ دنا الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال: يا سيّد، عرفتك رجلاً قاسيًا، تحصد من حيث لم تزرع، وتجمع من حيث لم تبذر. فخفت وذهبت وأخفيت وزنتك في الأرض، فها هو مالك! فأجاب سيّده وقال له: يا عبدًا شرّيرًا كسلان، عرفت أنّي أحصد من حيث لم أزرع، وأجمع من حيث لم أبذر، فكان عليك أن تضع فضّتي على طاولة الصيارفة، حتّى إذا عدت أسترجع ما لي مع فائدته. فخذوا منه الوزنة وأعطوها لمن له الوزنات العشر. فكلّ من له يعطى ويزاد، ومن ليس له

يؤخذ منه حتّى ما هو له. وهذا العبد الذي لا نفع منه أخرجوه وألقوه في الظلمة البرّانيّة. هناك يكون البكاء وصريف الأسنان».

***

لاهوت الانتظار، الذي يشكّل زمن الصليب، يشمل محاسبة الله لكلّ واحد منّا عمّا وضع بين يديه من مواهب وإمكانات معروفة "بالوزنات"، فأعطى واحدًا خمسًا، وآخر اثنتين، وآخر واحدة، لكي يثمّرها في خدمة الجماعة، ذلك أنّ كلّ واحد منّا بحاجة إلى غيره. هذه المحاسبة يجريها الله معنا، في حياتنا اليوميّة، من خلال فحص الضمير، وفي محطّات أخرى مثل الرياضات الروحيّة السنويّة. وسيجريها عند موتنا، ساعة نحضر أمامه لتأدية الحساب، فننال إمّا **الثواب**: "يا لك عبدًا صالحًا وأمينًا. وجدت أمينًا على القليل، فأقيمك أمينًا على الكثير. أدخل فرح سيّدك" (متّى ٢٥/٢١ و٢٣)، وإمّا **العقاب**: "العبد البطّال أخرجوه إلى الظلمة البرّانيّة. هناك البكاء وصريف الأسنان" (متّى ٢٥/٣٠). في ضوء لاهوت الانتظار، الموت موعد اللقاء مع الله لتأدية الحساب الأخير، وعلى أساسه يكون إمّا الخلاص الأبديّ وإمّا الهلاك. ولهذا قيل: "الموت هو المستقبل بامتياز" (Martin Heidegger).

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. المواهب المتنوّعة

**المجتمع البشريّ** جماعة أشخاص مرتبطين عضويًّا بمبدأ الوحدة التي تفوق كلّ واحد منهم، على أساس من الشركة والتقاسم. نعني **بالشركة** العلاقة الشخصيّة، الانسانيّة والروحيّة والاجتماعيّة، التي تحاك كلّ يوم بين أعضاء المجتمع الواحد. ونعني **بالتقاسم** تبادل خيرات الأرض الروحيّة والماديّة والثقافيّة. لا أحد يعيش لنفسه، ولا أحد يحتفظ بما يملك لنفسه.

بسبب الشركة والتقاسم، يقام كلّ إنسان وريثًا، يقبل من الله **مواهب أو وزنات** تغني هويّته، وتوجب عليه تثميرها وإنماءها، وتوظيفها في خدمة الغير والجماعة (الكنسية في عالم اليوم، ٢٥؛ التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة، ١٨٨٠).

**الكنيسة** أيضًا جماعة منظّمة عضويًّا وتراتبيًّا، مثل الجسد البشريّ. فإنّها **جسد المسيح السرّي**، على ما يقول بولس الرسول: "أنتم جسد المسيح وأعضاؤه، كلّ واحد في مكانه. إنّ الله وضع في كنيسته الرسل أوّلاً، وبعدهم الأنبياء، وبعدهم المعلّمين، وبعدهم صانعي المعجزات، وبعدهم مواهب الشفاء والمعاونين والمدبّرين وأنواع الألسنة" (١ كور ١٢/٢٧-٢٨). ويتكلّم عن **تنوّع المواهب** التي يوزّعها الروح القدس: "أنواع المواهب والخدمات موجودة، غير أنّ الروح واحد والربّ واحد. فكلّ واحد يعطى من الروح ما ينفعه: واحد يعطى كلام الحكمة، وآخر النبوءة، وآخر تمييز الأرواح، وآخر أنواع الألسنة، وآخر ترجمة الألسنة، هذه جميعها إنّما يفعلها الروح الواحد، ويقسّمها على كلّ أحد كما يشاء" (١ كور ١٢/٤-١١).

من الواضح أنّ **لكلّ واحد كرامته ودوره ومكانه** في المجتمع البشريّ وفي الجماعة الكنسيّة، من خلال موهبته، أخمس وزنات كانت أم اثنتين أم واحدة. وهكذا يصبح كلّ واحد منّا، ليس فقط نافعًا، بل وحيدًا وضروريًّا. من هذا المنطلق يزول التزاحم والحسد، ويسقط مبدأ "قم لأجلس مكانك". فالحسد والتزاحم يهدمان الجماعات، ويسبّبهما جهل الموهبة الخاصّة وعدم الايمان بها كفاية. الجماعة البشريّة، زمنيّة كانت أم روحيّة، تبنى وتنمو على المواهب المنظّمة والمميّزة من السلطة المسؤولة. من أَوْلى واجبات السلطة أن تميّز المواهب وتحكم في أصالتها، وتفسح في المجال لتثميرها لخير الجماعة، وفق إرادة الله، الذي وزّعها حسب أصحابها، ويحاسب السلطة عليها (الدستور العقائديّ في الكنيسة ١٢).

**المواهب هبة من الله**، وهي متنوّعة: منها العاديّة ومنها الخارقة العادة، ومنها الطبيعيّة والفائقة الطبيعة، ومنها الجسديّة والخلقيّة والروحيّة. لا تعطى المواهب من أجل التباهي أو التسلّط أو لإحراز مكانة اجتماعيّة، بل من أجل الكرامة الشخصيّة وخدمة الجماعة. ويقال لها carisma (كاريسما) مثل فنّ الشعر والخطابة والتمثيل والرسم والكتابة والإدارة والنحت وما شابهها. نذكر "كاريسما" البابا يوحنّا بولس الثاني في التواصل مع الشعوب بمختلف لغاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، و"كاريسما" الطوباويّة الأمّ تريزا في محبّة فقراء العالم، و"كاريسما" المكرّم الأب يعقوب حدّاد الكبّوشي في محبّة المعاقين والمتألّمين، إكليروسًا وعلمانيّين من جميع الأديان والشعوب.

## ٢. المواهب والمجتمع البشريّ

بما أنّ الشخص البشريّ **ذو بعد اجتماعيّ** من طبعه، فإنّ الأسرة، على مختلف أصعدتها الدمويّة والوطنيّة والدوليّة، هي الأكثر تناسبًا مع الطبيعة البشريّة في هذا البُعد. ولهذا، المجتمعات البشريّة ضروريّة لكي يعيش الانسان بعده الاجتماعيّ، فيساهم الجميع من خلال مواهبهم وخدماتهم الخاصّة في السعي لبلوغ الأهداف المشتركة التي تتجاوز الإمكانات الفرديّة.

من هذا الواقع النابع من الطبيعة البشريّة، قامت **تجمّعات ورابطات وجمعيّات ومؤسّسات** ونقابات وأحزاب وأندية وما شابهها، ذات أهداف اقتصاديّة وثقافيّة واجتماعيّة وسياسيّة ورياضيّة ومهنيّة وترفيهيّة، محليًّا وإقليميًّا ودوليًّا. غايتها تعزيز مشاركة العدد الأكبر من الناس في الحياة الاجتماعيّة، وتنمية المواهب الشخصيّة، وتحقيقها بمبادرات ومسؤوليّات، وحماية الحقوق الخاصّة والعامّة (التعليم المسيحيّ، ١٨٨٢).

إنّ **السلطة السياسيّة** مؤتمنة على الخير العامّ، بحيث تمكّن المواطنين والعائلات والمجموعات من تحقيق ذواتهم تحقيقًا أكمل، وتوفّر مجمل أوضاع الحياة الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة والثقافيّة والفنيّة التي تؤمّن الخير العامّ (الكنيسة في عالم اليوم، ٧٤). وعلى هذا الأساس، "مدعوّة هي **السلطة السياسيّة** للعمل بتجرّد بحثًا عن خير الجميع وخير كلّ مواطن، ولاسيّما من هم أكثر حاجة، لا عن المصلحة الخاصّة أو الفئويّة، فيما تحكم الدولة وتسنّ الشرائع وتدير الشؤون العامّة" (خطاب البابا يوحنّا بولس الثاني إلى المسؤولين عن الحكومات ورجال السياسة في ٤/١١/٢٠٠٠، فقرة ١ و٢).

من **مقتضيات** العمل السياسيّ، الكفيل بتأمين الخير العامّ ومشاركة المواطنين فيه، فضيلتان اجتماعيّتان هما **العدالة والتضامن**.

**العدالة** هي السعي إلى خلق أوضاع مساواة وتكافؤ فرص بين المواطنين، وليس فقط أن تعطي كلّ ذي حقّ حقّه. والعدالة تقتضي العمل على ألاّ يصبح الأغنياء أكثر غنى، والفقراء أكثر فقرًا، ولاسيّما في زمن العولمة.

**والتضامن** هو الشعور بأنّنا كلّنا مسؤولون عن كلّنا، والضمانة للانتصار على الأنانيّة، وللانفتاح على الخير العامّ، على مستوى الأشخاص والدول. (المرجع نفسه، فقرة ٢ و٣).

### ٣. المواهب والكنيسة

يشارك المسيحيّون في حياة الكنيسة ورسالتها، وفي مهمّة التعليم والتقديس والتدبير بحكم معموديّتهم التي تشركهم في رسالة المسيح النبويّة والكهنوتيّة والملوكيّة. هذه المشاركة **حقّ لهم** لا ينتزعه منهم أحد، **وواجب عليهم** لا يحقّ لهم التخلّي عنه (أنظر الدستور العقائديّ في الكنيسة، ٣٤-٣٦؛ العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ١٤؛ رجاء جديد للبنان، ١١٣). إنّهم ينالون القوّة والنور،

في ممارسة حقّهم وواجبهم، من سرّ الميرون بحلول الروح القدس وما يوزّع عليهم من **مواهب** (١ كور ١٢/١-١٠ و٢٨-٣١). ويتفانون في البذل والعطاء بفضل القربان. إنّهم بذلك ينتمون إلى **الكنيسة- السرّ**: "أنا الكرمة وأنتم الأغصان"، ويحيون في **الكنيسة - الشركة**: "من يثبت فيّ واثبت فيه يأتي بثمر كثير"، ويعملون في **الكنيسة- الرسالة**: "أنا اخترتكم وأقمتكم لتذهبوا وتأتوا بثمار" (يوحنّا ١٥/١-١٦) (أنظر العلمانيّون المؤمنون بالمسيح، ٨-٤٤).

يبقى على الكاهن في رعيّته والأسقف في أبرشيّته أن **يقرّا بهذا الحقّ وأن يشجّعا على ممارسة هذا الواجب**، وأن يعدّا العلمانيّين بالتثقيف والتوجيه للقيام بدورهم، وأن يسندا إليهم المهامّ الملائمة لمواهبهم وإمكانيتهم وكفاءاتهم (المرجع نفسه، ١٤). تشكّل **الرعيّة** النموذج الرائع للرسالة الجماعيّة، لأنّها تضمّ في الوحدة كلّ ما فيها من تنوّع العناصر البشريّة، وتدرجها في جامعيّة الكنيسة، بفضل مجالسها وهيكليّتها ولجانها وتجمّعات المؤمنين والمنظّمات الرسوليّة. تكون الرعيّة وفية لدعوتها ورسالتها، وتجسّد واقعيًّا كنيسة المسيح الجامعة، إذا كانت "**المكان**" الصالح لعيش شركة المؤمنين، و"**العلامة**" لهذه الشركة، و"**الأداة**" للدعوة إليها وتحقيقها (المرجع نفسه، ٢٧). هذا القول عن الرعيّة ينطبق على الأبرشيّة بشكل أولى.

ولا بدّ من الاهتمام اهتمامًا خاصًّا بدور **الشبيبة في الرعيّة والأبرشيّة**، بمساعدتهم في وعي مواهبهم وتنميَتِها وممارستها. فالشباب، حسب تسميات خادم الله البابا يوحنّا بولس الثاني: "قوّة التجدّد في الكنيسة والمجتمع"، و"حرّاس الصباح"، و"أمل الكنيسة"، و"ثروة لبنان"، و"وعمرهم عمر اللقاء بالمسيح والكنيسة، وعمر البطولة في القرار".

**إنجيل الوزنات دعوة إلى المحاسبة. نحن** نحاسب ذواتنا بفحص الضمير اليوميّ. الجماعات الكنسيّة تحاسب نفسها ومسؤوليها في المجامع والرياضات الروحيّة. الشعب يحاسب نوّابه بالانتخابات، والبرلمان كسلطة

تشريعيّة يحاسب الحكومة ويسائلها لكونها السلطة الإجرائيّة، والرئيس يحاسب الجميع حول الأمانة للدستور والخير العامّ. والمسيح الفادي يحاسب جميع الناس والشعوب على نعم الخلق والفداء والتبرير.

### ■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

من "**معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة**"، نختار موضوعًا ملتبسًا هو "**اختيار الشرّ الأصغر**".

١. هو تعبير ملتبس لأنّه أوّلاً يخلط بين القيم والخيور الأخلاقيّة من جهة، والخيور الأخرى من جهة ثانية، من مثل الخيور الاقتصاديّة والصحّة والرفاهيّة والحياة. ولأنّه ثانيًا لا يميّز بشكل ملائم بين النتائج الحسنة والسيّئة الصادرة عن فعل ما، وبين جودة الخيار نفسه وفساده. ولأنّه ثالثًا يخلط بين ما هو "واجب" وبين ما هو فقط "أحسن"، ذلك أنّه يعتمد لفظة "من المفضّل".

يطبّق مبدأ أو برهان الشرّ الأصغر في مختلف الحقول: السياسة والقانون والأخلاق. يعتمد مثلاً في التشريعات البرلمانيّة لنزع صفة الجرم والعقوبة عن الإجهاض والموت الرحيم وتعاطي المخدّرات. في ضوء هذا المبدأ، يكون الإقرار بالإجهاض أو بالموت الرحيم أو بالمخدّرات أنّه شرّ على المستوى الأخلاقيّ، لكنّه يُسمح به ويشرّع "كشرّ أصغر"، بالنسبة إلى التشريع القائم المنويّ تعديله. وهكذا تُبرّر شريعة سيّئة لكنّها أحسن من سابقتها لكون هذه أكثر سوءًا، بغية الحدّ من النتائج السيّئة. لكن تطبيق مبدأ الشرّ الأصغر في هذه الحالات شرّ أدبيّ بحدّ ذاته، ولا يمكن القبول به. وهذا هو جوهر الالتباس.

٢. **إنّ لمبدأ الشرّ الأصغر** بعدين: بُعد شخصيّ مرتبط بالضمير، وبُعد اجتماعيّ مرتبط بالقرار الجماعيّ. في **البُعد الشخصيّ** يُطبّق المبدأ في

الأوضاع المتعلّقة بأحداث الضمير: يكون القرار سيّئًا لكنّه مباح إذا لم يكن مخالفًا لتعليم الكنيسة والنظام الطبيعيّ الأخلاقيّ. وفي البُعد الاجتماعيّ يُطبّق خيار الشرّ الأصغر من بين الشرور التي تطال المجتمع بشكل حتميّ، شرط ألاّ يكون القرار سيّئًا بحدّ ذاته، كما هو مثلاً قرار تشريع الإجهاض والموت الرحيم اللذين هما شرّان على المستوى الأخلاقيّ. يُسلَّم بالشرّ الأصغر الأدبيّ إذا لم ينتج عنه ضرر للغير أو للخير العامّ. مثلاً في حال وفاة شخص عزيز على نسيب له عجوز أو مريض ويسأل عنه، فيقال له إنّه مريض أو مسافر، لإخفاء حقيقة موته، يكون الكذب هنا شرًّا أصغر مباحًا. نقول في العاميّة كذبة بيضاء".

٣. "**مبدأ اختيار الشرّ الأصغر**" هو بحدّ ذاته تبرير واضح من حيث الألفاظ، أي: بوجه عدّة شرور حتميّة، يجب اختيار الأقلّ شرًّا. لكنّه تعبير ملتبس في تفسير ما هو شرّ وما هو أقلّ شرًّا، وفي استعمال المبدأ.

**في معناه الواسع**، مبدأ الشرّ الأصغر هو تفضيل أو سماح أو اختيار الشرّ الأصغر، بين عدّة شرور حتميّة، بغية تجنّب الأسوأ. في إطار هذا المفهوم، الشرّ الأصغر هو كذلك بالنسبة لنتائج قرار كان من الواجب اتّخاذه في وضع لا مناصّ منه.

أمّا **في معناه الضيّق**، مبدأ الشرّ الأصغر يعني ضرورة الحسم بين حلول كلّها سيّئة، ولا مجال لأيّ خيار آخر غير ما هو لصالح الحلّ الأقلّ سوءًا. هذا المفهوم يتعلّق بالقرار بحدّ ذاته، الذي يشكّل إشكاليّة، لأنّ أيّ قرار آخر سيكون سيّئًا.

إنّ تطبيق مبدأ الشرّ الأصغر، في أيّ من المعنيين الواسع أو الضيّق، له حدود خلقيّة مرتبطة "بمطلبات أخلاقيّة"، وبأفعال غير أخلاقيّة بحدّ ذاتها. نبّه بولس الرسول بأنّه "**لا يُصنع الشرّ للحصول على الخير**" (روم ٣/٨). ونبّه

أغسطينوس إلى أنّ "**خيار الشرّ هو أكبر الشرور قاطبة**" (في القرار الحرّ، الجزء١، الفصل ٦، العدد ١٤).

سنرى فيما بعد تعليم القدّيس توما الأكويني الذي توسّع في مبدأ الشرّ الأصغر في بعديه الشخصيّ والاجتماعيّ.

## ■ ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ

تواصل الخطّة الراعويّة تقبّل ما جاء في النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين، وهو بعنوان: "**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**"، حول المبادئ والقيم في الحياة الاقتصاديّة والاجتماعيّة التي هي بمثابة توصيات، وقد رأينا ثلاثًا منها في الأحد الماضي. يضاف إلى هذه المبادئ- التوصيات ما يلي:

١. العمل على أن يصبح البقاء في الوطن حقًّا دستوريًّا مقدّسًا. ينبغي أن تعمل المؤسّسات التربويّة المهنيّة والجامعيّة والقطاع الخاصّ وأجهزة الدولة المختصّة، يدًا واحدة، لاستثمار قدراتها البشريّة الفتيّة والمتخصّصة، محليًّا، والحؤول دون شتات العائلات اللبنانيّة في أنحاء العالم، بالحدّ من الفساد، وتوفير فرص العمل الملائمة، وحفظ السيادة والحريّة السياسيّة دونما انتقاص (الفقرات ٤٤-٤٦).

٢. التعاون بين القدرات اللبنانيّة الخلاّقة والمنتجة وجاليات الانتشار التي تتوفّر لديها ثروة كبيرة، وذلك على أساس رؤية اجتماعيّة واقتصاديّة واضحة، والقضاء على الفساد الاقتصاديّ الذي يحول دون رغبة اللبنانيين المنتشرين في العودة إلى لبنان واستثمار أموالهم في بنائه وازدهاره (فقرة ٤٧).

٣. العمل على تحقيق نهضة إنتاجيّة شاملة في لبنان، تعتمد على مهارات أبنائه وقدراتهم الخلاّقة، أسوة بسواه من البلدان الصغيرة، فلا تكون

الهجرة حتميّة، بل تجد الأدمغة والكفاءات اللبنانيّة المجالات للعمل بقدراتها فيه وتحصيل أموال تفوق بكثير ما يحوّله المنتشرون إلى ذويهم في الوطن (الفقرات ٤٨-٥٠). هذه النهضة الإنتاجيّة الشاملة تقتضي إصلاحات نذكر منها:

أ- إقامة سياسة دعم شاملة للنشاطات الإنتاجيّة (فقرة ٥١).
ب- التعاون المتواصل بين المؤسّسات التربويّة والقطاع الخاصّ لجعل لبنان مركز تفوّق إنتاجيّ (فقرة ٤٢).
ج- تأمين الحماية للنشاطات الإنتاجيّة (فقرة ٥٣).
د- مكافحة الفساد في علاقة القطاع الخاصّ بالقطاع العامّ (فقرة ٥٤).
ه- تحقيق الإصلاح الإداريّ (فقرة ٥٥).
و- إصلاح المسار الاقتصاديّ اللبنانيّ المشوّه (فقرة ٥٦).

***

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، لقد وضعت وزنات متنوّعة بين أيدينا، مع مواهب الروح القدس، لكي نثمّرها في سبيل خدمة الانسان والمجتمع. ساعدنا لنحقّق ذواتنا من خلالها، ونمكّن غيرنا من تحقيق ذاته. أعطنا أن نحسن الخيارات في حياتنا الشخصيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة، فنتجنّب خيار الشرّ أيًّا كان، كبيرًا أم صغيرًا. وإن كان لا بدّ من خيار فليكن خيار الشرّ الأصغر في نتائج أفعالنا الصالحة بحدّ ذاتها. وساعدنا ربٍّ للعمل على جمع شمل اللبنانيين، وعلى حفظ القوى الحيّة وطاقاتها وقدراتها في الوطن للنهوض به وبشعبه، ولأداء رسالته في البيئة المشرقيّة. لك ولأبيك وروحك القدّوس نرفع كلّ مجد وشكر الآن وإلى الأبد، آمين.

الأحد ٢٨ تشرين الأوّل ٢٠٠٧

# الأحد السابع من زمن الصليب

## إنجيل العدالة والرحمة

### من إنجيل القدّيس متّى ٢٥/ ٣١-٤٦

قال الربّ يسوع: «متى جاء ابن الانسان في مجده، وجميع الملائكة معه، يجلس على عرش مجده. وتُجمع لديه جميع الأمم، فيميّز بعضهم من بعض، كما يُميّز الراعي الخراف من الجداء. ويُقيم الخراف عن يمينه والجداء عن شماله. حينئذ يقول الملك للّذين عن يمينه: تعالوا يا مباركي أبي، رثوا الملكوت المُعدّ لكم منذ إنشاء العالم؛ لأنّي جعت فأطعمتموني، وعطشت فسقيتموني، وكنت غريبًا فآويتموني، وعريانًا فكسوتموني، ومريضًا فزرتموني، ومحبوسًا فأتيتم إليّ. حينئذ يجيبه الأبرار قائلين: يا ربّ، متى رأيناك جائعًا فأطعمناك، أو عطشان فسقيناك؟ ومتى رأيناك غريبًا فآويناك، أو عريانًا فكسوناك؟ ومتى رأيناك مريضًا أو محبوسًا فأتينا إليك؟ فيجيب الملك ويقول لهم: ألحقّ أقول لكم: كلّ ما عملتموه لأحد إخوتي هؤلاء الصغار، فلي عملتموه! ثمّ يقول للّذين عن شماله: إذهبوا عنيّ، يا ملاعين، إلى النار الأبديّة المعدّة لإبليس وجنوده؛ لأنّي جعت فما أطعمتموني، وعطشت فما سقيتموني، وكنت غريبًا فما آويتموني، وعريانًا فما كسوتموني، ومريضًا ومحبوسًا فما زرتموني! حينئذ يجيبه هؤلاء أيضًا قائلين: يا ربّ، متى رأيناك جائعًا أو عطشان أو غريبًا أو مريضًا أو محبوسًا وما خدمناك؟ حينئذ يجيبهم قائلاً: الحقّ أقول لكم: كلّ ما لم تعملوه لأحد هؤلاء الصغار، فلي لم تعملوه. ويذهب هؤلاء إلى العذاب الأبديّ، والأبرار إلى الحياة الأبديّة».

***

مع هذا الأحد نختم زمن النهايات، المعروف بزمن الصليب، وتنتهي معه السنة الطقسيّة، دورة الكنيسة التأمّليّة حول سرّ المسيح، مثل دوران الأرض حول الشمس. وتعيّد فيه الكنيسة للمسيح الملك. إنّه **إنجيل العدالة والرحمة** وفيه آخر فعل من التاريخ البشريّ هو **الدينونة العامّة**.

## ■ أوّلاً، شرح نصّ الانجيل

### ١. الرحمة والعدالة

في الدينونة سندان بعدل عن الرحمة. أتى المسيح إلى العالم **راعيًا صالحًا**، معلنًا لنا **إنجيل الرحمة** بالخلق والفداء والتقديس. وسيأتي، في نهية الأزمنة، **ديّانًا عادلاً**، معلنًا للمسكونة **إنجيل العدالة**. إنّه بكلّ ذلك محور التاريخ البشريّ، ألفه وياؤه، بدايته ونهايته (رؤيا ٢٢/١٣). إنّ الكتب المقدّسة الستة والسبعين تتمحور كلّها حول المسيح، ونختصرها كالآتي:

"**في سفر التكوين** المسيح هو حمل ذبيحة ابراهيم. **في الخروج** هو الحمل الفصحيّ. **في الأحبار** هو كاهننا الأعظم. **في العدد** هو الغمامة في النهار وعامود النار في الليل. **في المزامير** هو الراعي. **في نشيد الأناشيد** هو العريس المتلألئ. **في نبوءة أشعيا** هو العبد المتألّم. **في إنجيل متّى** هو المسيح ابن الله الحيّ. **في إنجيل مرقس** هو فاعل المعجزات. **في إنجيل لوقا** هو ابن الانسان. **في إنجيل يوحنّا** هو الباب الذي به ندخل الحياة. **في رسالة بولس إلى الرومانيين** هو الذي يديننا. **في رسائل يوحنّا** هو الله المحبّة. **في رسالة يعقوب** هو النعمة الشافية. **في رسالة بطرس** هو رأس كهنوتنا. **في رؤيا يوحنّا** هو فرح الكنيسة وملك الملوك وسيّد السادة" (Raniero Cantalamessa, gettate le reti B,P 335,).

ليس المسيح محصورًا في صفحة صغيرة من التاريخ البشريّ، بل يملأه

كلّه: فهو حاضر في العهد القديم **منبئًا عنه**، وفي العهد الجديد **متجسّدًا**، وفي زمن الكنيسة **مبشّرًا به**. ولهذا يقسم تاريخ العالم إلى اثنين: قبل المسيح، وبعده.

يستنير كلّ التاريخ **بإنجيل الرحمة**، المسيح كلمة الرحمة الإلهيّة الذي تجسّد: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان لدى الله، والكلمة كان الله. كلّ به كوّن، وبدونه لم يكوَّن شيء ممّا كوّن. به كانت الحياة، والحياة نور الناس. كان نور الحقّ الذي ينير كلّ إنسان آتٍ إلى العالم. الذين قبلوه أعطاهم أن يصيروا أبناء الله. والكلمة صار جسدًا وحلّ فينا، كابن وحيد مملوء نعمة وحقًّا" (يو ١/١-٤). هذا المسيح هو داخل التاريخ وفوق التاريخ، إنّه زمنيّ وأزليّ. إنّه الملك الذي "لا فناء لملكه" (النؤمن).

**إنجيل الرحمة ملأ التاريخ** بثلاثة أفعال إلهيّة: **الخلق** فعل الآب، **والفداء** فعل الابن، **والتقديس** فعل الروح القدس. الكلّ تمَّ بالابن الكلمة، الأزليّ غير المنظور الذي **أتى في ملء الأزمنة متجسّدًا**، هو يسوع الناصريّ الوديع والمتألّم "الذي أحبّنا وحرّرنا بدمه من خطايانا، وجعلنا مملكة كهنوتيّة لله أبيه" (رؤيا ١/٥-٦)؛ **ويأتي الآن**- اليوم في حياة كلّ إنسان- خفيًّا ومتواضعًا في علامات سرّ الخبز والخمر وسائر الأسرار؛ **وسيأتي بالمجد** على غمام السماء، جالسًا عن يمين عرش الآب، ملكًا وديّانًا للعالمين، **خاتمًا تاريخ البشر بإنجيل العدالة**، فيسلّم الملك كلّه لله الآب (أنظر دانيال ٧/١٣-١٤). ولهذا تهتف الكنيسة بشوق: "**تعال، أيّها الربّ يسوع!**" (رؤيا ٢٢/٢٠). هتاف تُختم به كلّ الكتب المقدّسة. في البدء خلق الله السموات والأرض **بكلمة رحمته** (تكوين ١/١)، وفي نهاية الأزمنة يدين الشعوب **بكلمة عدله** (متّى ٢٥/٣١)، وبين البداية والنهاية يأتي الربّ **بكلمة محبّته** (رؤيا ٢٢/٢٠).

**إنجيل العدالة** يوضح نهائيًّا كلّ شيء ويضع حدًّا لكلّ ظلم، ويروي كلّ عطش إلى العدل والبرّ. هذا الانجيل يؤكّد أنّ التائق إلى العدالة هو الجائع والعطشان والغريب والعريان والمريض والمحبوس الذي يستصرخ العدالة؛ وهو كلّ من يطعمه ويسقيه ويأويه ويكسوه ويعوده ويزوره (متّى ٢٥/٣٥-٣٦) الذي يمارس العدالة بأفعال الرحمة. لهؤلاء الذين يعدّدهم الربّ في **إنجيل الرحمة**: "طوبى للجياع والعطاش إلى العدل، فإنّهم سيشبعون" (متّى ٥/٦)، في **إنجيل العدالة** سيقول لهم: "هلمّوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم منذ إنشاء العالم"، "فيدخلون إلى الحياة الأبديّة" (متّى ٢٥/٣٤-٤٦).

ولكن لإنجيل العدالة **وجه الغضب**: "هو يوم الغضب ذلك اليوم" (الليتورجيّا اللاتينيّة). يظهر غضب الربّ، بعد طول رحمته مدى حياتهم، على الذين لم يعطوا الجائع خبزًا وحسب بل انتزعوا منهم الخبز؛ وعلى الذين ليس فقط لم يأووا الغريب، بل جعلوه غريبًا في أرضه؛ وعلى الذين ليس فقط لم يزوروا السجين بل جعلوه أسيرًا ومعتقلاً. لهؤلاء سيقول الديّان العادل: "اذهبوا عنّي يا ملاعين إلى نار الأبد المعدّ لإبليس وجنوده" (متّى ٢٥).

معظم الناس اليوم **يخالفون وصايا الله** من دون رادع، الواحدة تلو الأخرى. علمًا أنّ الربّ يسوع أكّد للشاب الذي سأله: "ماذا أعمل لأرث الحياة الأبديّة، أجابه إحفظ الوصايا: "لا تقتل، لا تزن، لا تسرق، لا تشهد شهادة زور، أكرم أباك وأمّك، وأحبب قريبك كنفسك" (متّى ١٩/١٦-١٩).

**فالوصايا** هي المجالات حيث تمارس الرحمة بكلّ مفاهيمها وأبعادها، وهي الطريق المؤدّي إلى الخلاص. نخالفها بخفّة مدّعين بأنّ الجميع

يعملون ويتصرّفون ويسلكون كذلك، بداعي الحريّة والتقدّم والثقافة وشريعة ضعف الطبيعة البشريّة. لكنّ الله لم يلغ أيًّا من وصاياه وكلمات الانجيل، بل أكّد: "السماء والأرض تزولان وحرف واحد من الناموس لا يزول" (متّى ٥/١٨). والبعض يدّعي أنّ الله صالح ورحوم وغفور؛ هذا صحيح. لكنّ الله عادل ويميّز تمامًا بين ما هو خير وما هو شرّ، فلا يساوم مع الخطيئة. فالثواب والعقاب على أعمال الانسان الحرّة هما ترجمة العدالة. مع الموت ينتهي زمن الرحمة ويبدأ زمن العدالة. هذا يؤكّده بولس الرسول:

"**أرى أنّك تستخفّ بغنى رحمة الله وطول روحه عليك بإمهاله لك؟ ألا تعلم أنّ الله يلطف لك ليحملك على التوبة؟ ولكنّك بقساوة قلبك غير التائب، تدّخر الغضب ليوم الغضب، يوم ظهور الحكم العادل، الذي يجازي كلّ إنسان بحسب أعماله**" (روم ٢/٤-٦). ويضيف في مكان آخر مؤكّدًا الهلاك للّذين لا يتوبون في زمن الرحمة: "**أما تعلمون أنّ الأثمة لا يرثون ملكوت الله. فلا تضلّوا: فإنّه لا الزناة ولا عبدة الأوثان ولا العاهرون ولا المفسدون ولا مضاجعو الذكور ولا الغاصبون ولا السارقون ولا السكّيرون ولا الشتّامون ولا الخاطفون، يرثون ملكوت الله**" (١ كور ٦/٩-١٠).

### ٢. إنجيل الدينونة، حضارة المحبّة

يكشف إنجيل اليوم أربع حقائق من حضارة المحبّة.

١. **من لا يحبّ يضع نفسه خارج الشركة مع الله**، خارج النور، في عمق الظلمة الخارجيّة، الهلاك الأبديّ. هكذا يشرح يوحنّا الرسول خطورة إنجيل الدينونة: "من لا يحبّ أخاه، هو في الموت مقيم" (١ يو ٣/١٤). لنا حياة واحدة فقط لنتعلّم أن نحبّ إخوتنا. الناس ينتظرون محبّتنا. كلّ يوم هو يوم الحبّ، ولن يعوّض.

٢. **إنجيل المسيح هو إنجيل المحبّة**. هذا هو الخبر السارّ الذي يزرع الفرح والطمأنينة والسلام في من هو جائع وعطشان وغريب وعريان وسجين ومريض حسيًّا وروحيًّا وثقافيًّا. يريد الربّ، بكلمات إنجيل اليوم، أن تتمّ أنجلة العالم بهذا الانجيل. "**فحيث المحبّة هناك الله**" من دون أن نراه: "متى رأيناك جائعًا وأطعمناك؟...-" "كلّ مرّة صنعتم ذلك مع إخوتي هؤلاء الصغار، فإليّ صنعتموه" (متّى ٢٥/٣٧-٣٩). وحيث المحبّة هناك العلامة لحضور الله: "بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي، إذا أحبّ بعضكم بعضًا" (يو ١٣/٣٥). كما "المحبّة تستر جمًّا من الخطايا" (١ بطرس ٤/٨)، هكذا المحبّة وحدها ترفع الانسان من معاناة الجوع والعطش والعري... وبسبب المحبّة يغفر الله خطايانا الكثيرة، مثلما أكّد يسوع لسمعان الفرّيسيّ: "إنّ خطايا هذه المرأة مغفورة لها لأنّها أحبّت كثيرًا" (لو ٧/٤٧).

٣. **هكذا أحبّ الله العالم حتّى تماهى بالمسيح مع صغار العالم**. هذا التماهي الحسيّ والمعنويّ عاشه المسيح مع "صغار" العالم، حتّى أصبحوا الطريق إلى الله: "كلّ مرّة صنعتم ذلك إلى أحد إخوتي هؤلاء الصغار، فإليّ صنعتموه، وكلّ مرّة لم تفعلوا ذلك إليهم، فإليّ لم تفعلوه". بهذا التماهي باركهم وقدّسهم: "تعالوا يا مباركي أبي رثوا الملك المعدّ لكم". في الواقع، **جاع يسوع إلى الخبز** وطلبه من التلاميذ: "أعندكم شيء يؤكل؟" (يو ٢١/٥) ؛ **وعطش إلى الماء** فطلبه من السامريّة: "أعطيني ماء لأشرب" (يو ٤/٧). لكنّه جاع أيضًا إلى الحقيقة وعطش إلى العدل والخلاص (يو ٨/٣١ وما يليها، ١٩/٢٨)؛ **ارتضى العري** حتّى اقتسام ثيابه (يو ١٩/٢٣-٢٤)، لكنّه عُرّي من كرامته يوم صلب بين مجرمين (لو ٢٣/٣٣)؛ **مرّ غريبًا** بين إخوته الذين لم يؤمنوا به ولم يعرفوه

(يو ١/٧؛ ٥/٧) وبين بني قومه الذين لم يقبلوه: "لا يُقبل نبيّ في مدينته" (متّى ٦/٤)؛ **اعتقل في بستان الزيتون** كمجرم وسيق إلى دار الولاية، ومَثَلَ متّهمًا أمام قيافا وهيرودس وبيلاطس. هم جالسون على عرش الحكم، وهو واقف مكموم اليدين بلباس قرمزيّ، متروكًا من الجميع ومنكرًا من بطرس؛ **تألّم ومات** كمريض تحتضنه أمّه ومحبّة يوحنّا "التلميذ الذي كان يسوع يحبّه"، لكنّه حمل أيضًا برص خطايانا (أشعيا ٥٣/٣-٥؛ ٢ كور ٥/٢١)، هذا الذي شهد له بولس الرسول: "لا يستحيي أن يدعوهم إخوة له" (عب ٢/١١).

٤. **الحياة خيار بين حضارتين: المحبّة والأنانيّة.** بين نعم ولا: **نعم** لقبول الآخر ومساعدته والسخاء في سبيله، **أو لا**، فأنانية وإهمال وعدم اكتراث. تنقسم البشريّة أمام عرش الله، كما ظهرت في إنجيل الدينونة، بين يمين ويسار، بين الذين انتموا إلى **حضارة المحبّة** فهم المختارون المباركون، وبين الذين انتموا إلى **حضارة الأنانيّة** فهم المنبوذون والملاعين. في مسيرة الدنيا ننعم بحريّة القرار والخيار على هدي إنجيل الرحمة والشفقة والغفران. أمّا في نهايتها فتنتهي هذه الحريّة أمام إنجيل العدالة والقرار الإلهيّ بالثواب أو العقاب.

## ■ ثانيًا، الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة

من **"معجم التعابير الملتبسة والمتنازع فيها حول الأسرة والقضايا الأخلاقيّة والحياة"**، ننهي موضوع: **مبدأ الشرّ الأصغر**، كما جاء في تعليم القدّيس توما الأكويني والكنيسة، في بعديه الشخصيّ والاجتماعيّ.

### ١ .المبدأ في بعده الشخصيّ

يعتبر القدّيس توما الأكويني أنّ "الشرّ الأصغر" خيار مفضّل بين شرور

آتية لا محالة. ويشير إلى أنّه لا يمكن اقتراف الشرّ الأدبيّ بسبب أنّ النتائج المرتقبة ستكون أقل سوءًا من النتائج الماديّة المؤلمة الحاصلة من التصرّف باستقامة. من كان ضحيّة الظلم ليس بظالم، كذلك من يسمح بالشرّ الأصغر ليس بسيّئ. ولهذا، تحمُّل الشرور هو أقلّ سوءًا من اقتراف الشرّ الأدبيّ. الكذب، مثلاً، والقتل لا يمكن تبريرهما بالشرّ الأصغر، لأنّ اقتراف الشرّ الأدبيّ أسوأ من تحمّل النتائج التي تحصل من التصرّف المخلص.

ويخلص القدّيس توما إلى القول إنّ اختيار الشرّ الأصغر ليس جائزًا إلاّ إذا انتفت إمكانيّة اختيار البديل، وإذا كانت الشرور، التي ستحصل، حتميّة ولا يمكن تجنّبها، عندئذ يُسمح باختيار الأصغر بين الشرور. ويعطي هذا المثل: الطبيب يختار الشرّ الأصغر للمريض، ولكن فقط إذا لم تتوفّر إمكانيّة شفائه. إذا كان الشفاء ممكنًا، عندئذٍ عليه اختياره، لا الشرّ الأصغر.

هذا الإقرار بسموّ القيم الأخلاقيّة على الخيرات الماديّة، وبالتالي على الشرور التي ترهق الانسان، يتعثّر بسرعة العطب والضعف البشريّان. ولهذا من السهل محاولة تبرير الشرّ الأدبيّ بعرضه كأنّه شرّ أصغر، هربًا من النتائج المؤلمة التي تتبع خيار التصرّف كإنسان خيّر. وهكذا، بسبب الضعف يوضع على ذات المستوى الشرّ الأدبيّ وسائر أنواع الشرور التي تفترض الحرمان من خيور إنسانيّة، فيما الخير الأدبيّ هو، في الواقع، أسمى من سواه. بهذا المعنى سرعة العطب والضعف البشريين يرميان إلى تشويش صوابيّة الحكم الأدبيّ.

### ٢. المبدأ في بعده الاجتماعيّ

من واجب السلطة السياسيّة وحقّها اتخاذ التدابير لصالح الخير العامّ وتحقيق مصير الانسان. ولكن على الحكّام أن يأخذوا بعين الاعتبار الطبيعة

البشريّة الأصيلة. ومن واجبهم، عند سنّ الشرائع، السهر على أن تكون الشريعة البشريّة مطابقة للعقل وللشريعة الطبيعيّة المكتوبة من الخالق في قلب جميع الناس. الشريعة التي لا تطابق العقل والمنطق لا تأتي من الشريعة الطبيعيّة. بل تكون شريعة ظالمة، ولها فقط مظهر الشريعة. إنّ الموافقة على شرائع ظالمة ليست شرًّا أصغر، بل هي ظلم، وشرّ أدبيّ.

■ **ثالثًا، الخطّة الراعويّة لتطبيق المجمع البطريركيّ المارونيّ**

تختم الخطّة الراعويّة تقبّل النصّ المجمعيّ الواحد والعشرين: "**الكنيسة المارونيّة والقضايا الاقتصاديّة**"، وتحديدًا **الاقتراحات التي تلتزم بها الكنيسة والمسيحيّون من أجل تصحيح المسار الاقتصاديّ اللبنانيّ** (الفقرات ٥٧-٦٤).

١. ترتكز الاقتراحات على هذا المبدأ: أن تتخذ الكنيسة موقفًا واضحًا وحازمًا من الانحرافات وسوء الأخلاق في الحياة الاقتصاديّة؛ وأن يكون المسيحيّ قدوة في الأخلاقيّات الاقتصاديّة والماليّة، غير منجر إلى الصفقات والمضاربات والتبذير والفساد؛ وتثمّر ممتلكات الكنيسة وقدراتها لتأمين استمراريّة تأصّل المسيحيّين في أرض أجدادهم، بإيجاد فرص عمل في المدن والريف، وبتعزيز نهضة إنتاجيّة (الفقرتان ٥٧-٥٨).

أ- تفعيل المجالس الاقتصاديّة في الأبرشيّات، بغية استثمار ممتلكات الكنيسة على نحو يؤدّي إلى خلق فرص عمل، وتحسين الأوضاع المعيشيّة (فقرة ٦٠).

ب- تحديث أساليب إدارة أموال الكنيسة وتطويرها، باعتماد طرق وأساليب تقنيّة فعّالة لضمان مردود الممتلكات ورفع قيمته وترشيد

أوجه استعماله لمساعدة المسيحيين بالبقاء في الوطن وعدم بيع أراضيهم (فقرة ٦١).

ج- إنشاء مجلس للتنمية الاقتصاديّة والاجتماعيّة لرصد الإمكانات الماليّة والقدرات البشريّة في لبنان ولدى جاليات الانتشار، ووضع الخطط من أجل تأمين التعاضد والعيش الكريم ووقف نزيف الهجرة. يرسم النصّ المجمعيّ المبادئ التي يرتكز عليها هذا المجلس (فقرة ٦٢).

* * *

**صلاة**

أيّها الربّ يسوع، الملك السماويّ وفادي الانسان وناشر إنجيل العدالة والرحمة، أعضدنا بنعمتك وبأنوار روحك القدّوس لنشهد لهذا الانجيل في حياتنا الاجتماعيّة والوطنيّة. لتكن حضارة المحبّة الخميرة الفاعلة في ثقافتنا، فتأتي خياراتنا الشخصيّة والاجتماعيّة مطابقة للحقيقة والخير. ولتكن مبادئ إنجيل العدالة والرحمة الحافز للكنيسة وللمسيحيّين في استثمار ممتلكات الكنيسة وخيرات الأرض لعيش كريم ينعم به جميع الناس، ويرسّخهم في أرضهم ليشهدوا في قولهم ومسلكهم ومبادراتهم لهذا الانجيل، من أجل ترقّي الانسان والمجتمع. ولك أيّها الابن الوحيد ولأبيك المبارك ولروحك القدّوس كلّ مجد وإكرام الآن وإلى الأبد، آمين.

* * *







ISBN 9953-457-19-2